المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
الدراسات العليا
قسم الثقافة الإسلامية
شعبة التفسير والحديث

النعم في ضوء سورة النحل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في قسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية - جامعة الملك سعود

إعداد
الطالب / إدريس حامد محمد

إشراف الدكتور
عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي
الأستاذ المشارك في القرآن وعلومه

١٤١٦ هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
الدراسات العليا
قسم الثقافة الإسلامية
شعبة التفسير والحديث

النعم في ضوء سورة النحل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في قسم الثقافة الاسلامية
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود

إعداد
الطالب / إدريس حامد محمد

إشراف الدكتور
عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي
الأستاذ المشارك في القرآن وعلومه

١٤١٦ هـ

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

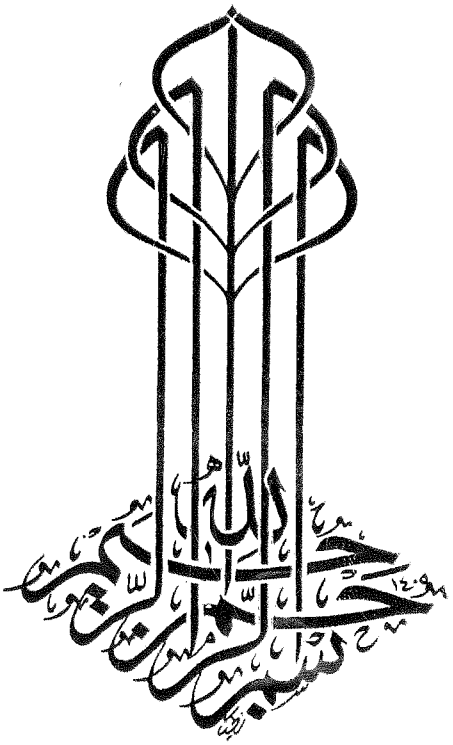

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية.
وزارة التعليم العالي.
جامعة الملك سعود.
كلية التربية.
الدراسات العليا.
قسم الثقافة الإسلامية.
شعبة التفسير والحديث.

النعم في ضوء سورة النحل

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير

في قسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية ـ جامعة الملك سعود

إعداد

الطالب/ إدريس حامد محمد

إشراف الدكتور
عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي
الأستاذ المشارك في القرآن وعلومه

نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء الموافق ٧ /٧ / ١٤١٦هـ. وَتمّ إجازتها

أعضاء لجنة الحكم

الدكتور/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي الأستاذ المشارك بالقسم مشرفا.....

الأستاذ الدكتور / محمد طاهر الجوابي الأستاذ بالقسم عضوا ....

الدكتور/ زيد بن عمر عبد الله الأستاذ المشارك بالقسم عضوا ....

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النعم في ضوء سورة النحل

إعداد الطالب

إدريس حامد محمد

نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء الموافق ٧ /٧ / ١٤١٦هـ وتم إجازتها

أعضاء اللجنة:

١- الدكتور/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي الأستاذ المشارك مشرفا ...

٢- الأستاذ الدكتور/ محمد طاهر الجوابي الأستاذ بالقسم عضوا ...

٣- الدكتور/ زيد بن عمر عبد الله الأستاذ المشارك بالقسم عضوا ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإهداء

إلى كل من يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلى جميع من يدافعون عن الحق والعدل، وعن المحروم والمظلوم، إلى من يدفع الضيم عن المستضعف، ويبعد الحيف عن المقهور.

إلى كل من يدعو إلى العدل بين الناس، ويقف ضد الظلم والبغض والفساد أينما وجد.

إلى من ينصف الإنسان ويحترم كرامته لمجرد أنه إنسان، ويرى سعادته في السعي لإسعاد الآخرين.

إلى كل من يعمل مخلصا في سبيل خير ورفاهية أمته مسهما ضمن محيطه وعلى قدر استطاعته في جعل هذا العالم مكانا لعيش أكثر بهجة وصدقا وأقل إيلاما

إلى هؤلاء جميعا أهدي
هذا العمل المتواضع

الباحث

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للّه الذي أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له أحمده وأشكره، إذ أوجدنا من العدم، وهدانا لأقوم السبل وأسبغ علينا جميع المنن اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وكفيتنا وآويتنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو خاصة أو عامة، أو غائب أو شاهد، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيرا .

أما بعد .

فإنّ نعم الله تعالى على العباد لا تحصى، ولا تعد أجناسها فضلاً عن أنواعها وأفرادها ، والناس إزاء هذه النعم صنفان :

صنفٌ عرف قدر النعمة وفضل من أنعم بها فقيّدها بعقال الشكر واستعملها في مراضي اللّه .

وصنف تعامى عن النعمة وهو يتقلب فيها ويستمتع بها ، ونسي فضل المنعم وقابلها بالجحود واستعملها في مساخط اللّه .

ومما لا شك فيه فإن أشرف علم يتعاطاه الإنسان تفسير القرآن الكريم وذلك أن العلوم تشرف بأحد ثلاثة أشياء : إما بشرف موضوعها، أو صورها، أو أغراضها ، والتفسير جُعل له الشرف من الجهات الثلاث.

لأنّ موضوعه كلام اللّه تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة .

وصورته ماأنزله اللّه تعالى على رسولهﷺوفيه كثيرمن أسرار آياته ليدبّروها

وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والوصول إلى السعادة الحقيقية في الدارين .

وقد فكرت طويلا في الموضوع الذي أختاره ليكون بحثا تكميليا لمتطلبات درجة الماجستير في قسم الثقافة الإسلامية، شعبة التفسير والحديث، بين تحقيق مخطوط، أو الكتابة في موضوع قرآني، ثم كان اختيار الأخير، واستقرّ الرأي بعد تأمل الموضوعات القرآنية واستشارة أهل العلم أن يكون موضوعه

(النعم في ضوء سورة النحل).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب دعتني لاختيار هذا الموضوع منها:

١ - الرغبة في تعداد بعض أنعم الله وإظهارها للغافلين عنها.

٢ - لم يتطرق أحد من الباحثين إلى هذا الموضوع في حدود اطلاعي في كل من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود ، وجامعة أم القرى ، والجامعة الإسلامية، ومكتبات هذه الجامعات وأقسام الرسائل الجامعية فيها، وكذا تم الإطلاع على ما في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومركز إحياء التراث بمكة المكرمة ، وبعض المكتبات الأخرى كذلك.

٣ - التذكير لنفسي أولا ثم لعباد الله ثانياً بنعم الله التي تساير الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته ، فالتعريف بقدر النعم يؤدي إلى الثناء على المنعم، ومعرفته وعبادته .

٤ - إن هذه السورة اهتمت اهتماما كبيراً بموضوع النعم أصولا وفروعاً المادية منها والمعنوية ، فرغبت في إظهار هذه النعم والتذكير بها لشكرها والمحافظة عيها.

٥ - تنبيه من فقد جزءاً من هذه النعم ودعوته إلى الصبر والاحتساب وتخفيف ألم الحسرة عنه.

٦- بيان خطورة كفران النعم والجحود لها ،مع التحذير من ضياع النعمة بعدم شكرها فالنعم صيد والشكر قيدها.

٧- دعوة المسلمين ـ بعد بسط النعم لهم ـ إلى طريق الشكر الصحيح الذي يرضي الله تعالى لتوفر شروطه وأركانه.

أهمية موضوع البحث

إن سورة النحل طابعها المميز تعداد نعم الله ومشاهد عظمته والتذكير بما يسر الله للناس من وسائل الرزق وسخّر لهم من نواميس الكون ، فأوضحت تلك النعم على شكل أفواج تتبعها أفواج أخرى فذكرت أصول النعم ثم أتبعته بأصناف الأشربة ثم نعمة الإمداد من أزواج وبنين وحفدة ، ثم التفاضل في الرزق ، ثم جاء دور متممات النعم ومكملاتها ، وختمت هذه المتممات بقوله تعالى: (كذلك يُتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[1]

وقد سمّيت سورة النحل، كما سمّيت سورة النعم، ووجه التسمية بالنحل لأن

---

(١) سورة النحل آية ٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لفظ النحل لم يُذكر في سورة أخرى.

وخصّت بالنحل لوفرة منافعها وللإشارة إلى الأمر العجيب في شأنها إذ تعمل بإلهام فطري من اللّه[١]

قال قتادة : « وسُمّيت سورة النعم »، وقال ابن عطية : « لما عدد اللّه فيها من النعم على عباده »[٢]، وقد ذكر اللّه تعالى النعم في السورة مرتبة حسب أهميّتها وشرفها .

١ - فبدأها بنعمة الوحي وإنزال القرآن لأنّ به تحيا القلوب الميتة بداء الجهل والضلال وبه يكون قوام الدين وكذا قوام البدن وهي الغاية من خلق الإنسان ، إنّها نعمة الهداية والرعاية

٢ - ثم تبع ذلك نعمة خلق السموات والأرض .

٣ - ثم نعمة خلق الإنسان .

٤ - ثم خلق الحيوانات ومنافعها .

٥ - ثم خلق النبات .

٦ - ثم الاستدلال بأحوال العناصر الأربعة .

يقول الفخر الرازي : « من الدلائل القرآنية أن يحتج اللّه تعالى بالأشرف فالأشرف نازلاً إلى الأدون فالأدون وهذه الطريقة المذكورة في هذه السورة ... إلى أن قال : ذكرَ الأجرام العالية الفلكية ثم ثنّى بذكر الاستدلال بأحوال الإنسان ثم ثلث بذكر الاستدلال بأحوال الحيوان ثم ربّع بذكر الاستدلال بأحوال النبات ثم خمّس بذكر الاستدلال بذكر العناصر الأربعة، وهذا الترتيب في غاية الحسن »[٣]

ومما يثير الانتباه ترتيب هذه النعم في السورة :

١ - فذكر في أولها أصول النعم التي لا يعيش الإنسان دونها من المطاعم والمشارب والمراكب،ثم ختمت بقوله تعالى:(وإن تعدوا نعمة اللّه لاتحصوها)[٤] .

٢ - وذكر في أثناء السورة أصناف الأشربة من الماء القراح واللبن الخالص

---

(١) انظرمحمد الطاهربن عاشورتفسير التحرير والتنوير،ج١٤ ص٩٣،الدارالتونسية.

(٢)ابن عطية الأندلسي،المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز ج٨ ص٣٦٣ تحقيق عبد الله الأنصاري، والسيد عبد المتعال إبراهيم طبعة أمير دولة قطر، الدوحة، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٣) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج١٩ ص١٧٧، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٤) سورة النحل آية ١٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والسكر والعسل ثم خُتمت بقوله تعالى :(أفبنعمة اللّه يجحدون)[١]

٣ - تبع ذلك نعمة الإمداد من الأزواج والبنين والحفدة والتفاضل في الرزق ثم خُتمت بقوله تعالى : (وبنعمة اللّه هم يكفرون)[٢]

٤ - وذكر في آخر السورة تمام النعم وكمالها من مساكن البادية والحاضرة ومن البيوت والأكنان والسرابيل والظلال ثم خُتمت بقوله تعالى: (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[٣]

٥ - وتبع ذلك ذكر إعراضهم وتوليهم عن النعمة وتوحيد المنعم ، وأعقبها بقوله تعالى:(يعرفون نعمة اللّه ثم ينكرونها)[٤]

٦ - ثم جاء دور ضرب الأمثال للجاحدين وإنذارهم بعواقب كفران النعمة، قال تعالى:(وضرب اللّه مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ...)[٥] الآية

٧ - وخُتمت السورة بذكر نماذج الشاكرين وهم من أعلى قمم الأنبياء، إنه إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى:(إن إبراهيم كان أمّة قانتاً للّه حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه ..)[٦] الآية .

٨ - وإزاء هذه النعم المادية لم تغفل السورة النعم المعنوية ، منها ما بدأت به ، ومنها المتمثل في النظرة الجمالية للأشياء مما يرتقي بالذوق الإنساني ، كما في الآيات: (ولكم فيها جمال)[٧]، (لتركبوها وزينة)[٨] (حلية تلبسونها)[٩].

---

(١) سورة النحل آية ٧١.

(٢) سورة النحل آية ٧٢.

(٣) سورة النحل آية ٨١.

(٤) سورة النحل آية ٨٣.

(٥) سورة النحل آية ١١٢.

(٦) سورة النحل آية ١٢٠ ـ ١٢١.

(٧) سورة النحل آية ٦

(٨) سورة النحل آية ٨

(٩) سورة النحل آية ١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول ابن تيميّة[١] - رحمه الله - : « المذكور في أوّل السورة النعم الضرورية التي لا يقومون بدونها ، من الأكل وشرب الماء القراح ودفع البرد والركوب الذي لا بدّ منه في النقلة ، وفي آخرها ذكر كمال النعم من الأشربة الطيّبة والسكون في البيوت وبيوت الأدم والاستظلال بالظلال ودفع الحر والبأس بالسرابيل فإن هذا يستغنى عنه في الجملة .

وهذه مجاميع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمراكب »[٢]

ويقول - رحمه الله - في موطن آخر : (والله سبحانه وتعالى ذكرَ في سورة النحل إنعامه على عباده فذكر في أوّل السورة أصول النعم التي لا يعيش بنو آدم إلا بها ، وذكر في أثنائها تمام النعم التي لا يطيب عيشهم إلا بها ، فذكر في أوّلها الرزق الذي لا بدّ لهم منه ، وذكر ما يدفع البرد من الكسوة بقوله :(والأنعامَ خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)[٣]

ثم في أثناء السورة ذكر لهم المساكن والمنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى: (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً.إلى قوله:(كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[٤]

ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لأنه قد ذكر في أوّل السورة وذلك في أصول النعم لأن البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فإنّه ... قد يتقى بالظلال واللباس وغيرهما »[٥]

وأخلص من هذه الأهمية للبحث إلى النقاط الآتية :-

١ - إن البحث في التفسير الموضوعي له أهمية في خدمة كتاب الله وإيضاح هداياته وأسراره .

٢ - إنّ معالجة موضوع النعم من خلال سورة النحل يبين بأن القرآن معجز في تناوله للموضوعات ، ومرتب المقاصد والغايات فقدّم أصول النعم

---

(١) تأتي ترجمته في ص ٥٧ من هذا البحث.

(٢) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، التفسير الكبير ج٥ ص١٩٦، جمع عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

(٣) سورة النحل آية ٥.

(٤) سورة النحل آية ٨١.

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ج٣ ص٣٢٧،جمع محمد الجليند، موسسة علوم القرآن، دمشق، وبيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على فروعها، وأتبعها بالأمثال لتثبت وبالنماذج لتتبع .

٣ - يلبي حاجة الناس في هذا العصر بعرض آيات السورة عرضاً موضوعياً يتناول قضاياها الكلية .

٤ - الرد على أولئك الذين يبحثون عن الثغرات للنيل من القرآن ورميه بالاضطراب وعدم الموضوعية .

٥ - واقعية الموضوع وأثره في تنبيه الغافلين عن النعم .

أهداف البحث:

١ - الإسهام بما وفقني الله به في توضيح معالم النعم في ضوء سورة النحل .

٢ - دعوة الناس إلى التأمل في نعم الله المادية والمعنوية .

٣ - لفت الأنظار إلى النعم في الآفاق ، والبر والبحر والأنفس .

٤ - التذكير بالنعم ؛ لأن الإلف والإعتياد يوقع في النسيان للنعم وعدم تقديرها .

٥ - الدعوة إلى التفكّر في آيات الله الكونية ومدى معالجة السورة لأصول النعم وفروعها ومتمماتها ، مع ضرب الأمثال وذكر النماذج لترسيخ هذه النعم في الأذهان .

٦ - الدعوة إلى شكر المنعم على هذه النعم بالجنان، واللسان، والبيان والعمل .

الدراسات السابقة للبحث

لم أعثر حتى إعداد هذا المخطط على بحث متكامل يتناول موضوع النعم من خلال القرآن الكريم ، أو النعم من خلال سورة معيّنة إلا ما كان من بحث قديم قدم رسالة ماجستير بعنوان:« نعم الله في خلق الإنسان كما يصورها القرآن» للدكتور عزت محمد حسن .

جعل الباحث رسالته من خمسة فصول

الفصل الأول : نعمة الخلق والتطور ، وفيه الإنسان الأوّل ، الإنسان الجنيني ، الإنسان بعد الولادة .

الفصل الثاني : نعمة التصوير والتركيب ، وفيه نعمة التصوير والتركيب وحكمة الخلق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث : نعمة التفضيل والتركيب، وفيه التكرم بالخلافة وبالعلم وتكريم المرأة .

الفصل الرابع : العقل والحواس ، وفيه نعمة العقل ثم السمع والبصر ثم الشم والتذوق واللمس .

الفصل الخامس : واجب الإنسان نحو هذه النعم .

فالموضوع كله لم يخرج عن نطاق الإنسان فهو دراسة عن الإنسان في القرآن .

وهناك رسالة ماجستير قدّمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان : « الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن » للباحث عبدالله ميرغني محمد صالح عَنْوَنَ فصلاً من فصولها بعنوان : « الابتلاء بالنعم » .

وذكر تحته ما يلي من المباحث :

صور من ابتلاء بني إسرائيل بالنعم :

نعمة تفضيلهم على عالمي زمانهم .

نعمة إيتاء موسى التوراة لهدايتهم .

نعمة بعثهم من بعد موتهم .

نعمة فضل الله عليهم .

نعمة تظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى عليهم .

نعمة إغاثتهم بالماء .

أما هذه الدراسة فلعلّها من أوّل الدراسات المستقلّة والخاصة بالنعم وتعدادها من خلال سورة النحل ،لأنها سورة جمعت بين أصول النعم وفروعها مما هو متكاثر في آيات القرآن مجتمعة ولهذا سماها بعض السلف سورة«النعم».

فأسأل الله تعالى أن يوفقني في عرض الدراسة بما يتناسب مع أهمية الموضوع .

منهج البحث:

١ - توضيح المعالم بين يدي السورة .

٢ - الوقوف على كلمة النعمة من حيث تعريفها ، ودلالاتها ، وتصاريفها ومرادفاتها .

٣ - متابعة أقوال المفسرين في بيان آيات السورة المتعلق بالموضوع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتوجيهها .

٤ - إيراد بعض الآيات المتعلقة بالنعم والواردة في غير السورة، ثم بيان الموازنة بينهما مع التركيز على ورودها في النحل للامتنان بها .

٥ - الاستدلال ببعض الأحاديث والآثار التي تخدم الموضوع .

٦ - منهجي في تناول الآيات هو منهج التفسير الموضوعي وألجأ للتفسير التحليلي عند الحاجة.

٧- سرت في معالجة كل موضوع من موضوعات البحث على النحو الآتي:-

الابتداء بتعريفه أولا، ثم ذكر دليله من السورة نفسها، يتبع ذلك الاستدلال ببعض الآيات الواردة في غير سورة النحل مما له علاقة بالموضوع بيانا وتفصيلا للقرآن بالقرآن، ثم أعتمد كتب التفسير أولا لبيان النعمة وتوضيحها، وكثيرا ما، أعرج مع كتب التفسير إلى كتب الدراسات القرآنية قديمها وحديثها، وكذا الكتب المختصة في مجال كل موضوع لأصل من ذلك التوسع إلى ذكر فوائد النعمة وخصائصها وما امتازت به لصالح الإنسان من دقائق الأمور التي قد تخفى فتنسى وهي نعمة عظيمة.

٨- كان تعاملي مع المادة العلمية الواردة في البحث والمأخوذة من المصادر والمراجع كالآتي: إما أن أنقل النص عمّن قاله من العلماء و أضعه محصورا بين علامتي التنصيص، وأشير في الهامش إلى المرجع الذي آخذ منه بالجزء والصفحة.

وإما أن أختصر من المنقول بما يخدم البحث متصرفا فيه، فأشير في الهامش له بعد ذكر المرجع بكلمة «بتصرف، أو باختصار».

وإما أن يكون معنى الكلام من غيري لكن أصوغه بلفظي وأقول في الهامش انظر مصدر كذا بالجزء والصفحة.

٩- إذا ورد المصدر للمرة الأولى في الهامش فإني أذكر في الغالب، اسم المؤلف، وعنوان المصدر، واسم محققه إن وجد، وبيان الناشر وبلده، وعدد الطبعة، وتاريخها، ويتكرر ذلك أحيانا.

١٠- عزوت الآيات إلى سورها ذاكرا اسم السورة ورقم الآية.

١١- خرجت الأحاديث الواردة في البحث، وذلك بذكر اسم المخرج للحديث، والمصدر الذي خرجه فيه، ذاكرا اسم الكتاب، واسم الباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث في ذلك المرجع غالبا.

فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فقد جاوز القنطرة، وأكتفي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بتخريجه منهما أو من أحدهما وأنشط أحيانا فأخرجه من غيرهما معهما.

وإن كان في غير الصحيحين أحاول تخريجه من أكثر من مصدر كالأربعة والمسند والموطأ وغيرها، ثم أحرص قدر الإمكان على بيان درجته معتمدا على كلام أهل الإختصاص متقدمين كانوا أو متأخرين مع بيان المصدرالذي بيّن درجة الحديث، واكتفيت بالإستدلال بالصحيح والحسن عن الضعيف فما دونه إلا ما ورد من باب الإشارة إليه للتحذير منه.

١٢-ترجمت لكثيرمن الأعلام المشهورين وغيرالمشهورين

١٣- لم ألتزم الترجمة للأعلام المعاصرين إلا ما ندر منهم.

١٤- شرحت بعض المفردات الغريبة.

١٥- حاولت قدر الإمكان الاختصار في معالجة الموضوعات على ما يخدم الموضوع لئلا يطغى بعضها على بعض وإلا فكل بحث منها يستحق أن يكون موضوع رسالة مستقلة.

١٦- وضعت عدة فهارس تيسيرا للبحث.

خطة البحث:

وبعد أن أنهيت جمع أكثر مادة البحث رأيت من المناسب أن يكون الموضوع مشتملا على مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة.

* أما المقدمة فقد اشتملت على: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

* وأما الأبواب فقد جاءت على النحو الآتي:-

الباب الأوّل : النعم وسورة النحل

الفصل الأوّل : بين يدي الموضوع . ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : تعريف النعم ، معانيها ، دلالاتها ، تصاريفها ومرادفاتها .

المبحث الثاني : ورودها في الكتاب العزيز .

الفصل الثاني : بين يدي سورة النحل . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : أسماء السورة ، آياتها وكلماتها .

المبحث الثاني : المرحلة الدعوية التي نزلت فيها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث : المناسبات في سورة النحل .

المطلب الأول : المناسبة بين بدايتها وخاتمتها .

المطلب الثاني : المناسبة بينها وبين سورة الحجر .

المطلب الثالث : المناسبة بينها وبين سورة الإسراء.

المطلب الرابع : العلاقة بينها وبين سورة الرحمن في عرض النعم

الباب الثاني : أصول النعم .

الفصل الأوّل : نعمة الهداية والرعاية . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم الهداية والحاجة إليها .

المبحث الثاني : هداية اللّه للموجودات .

المبحث الثالث : هداية اللّه للبشرية .

الفصل الثاني : إطار النعم . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : حدود إطار النعم .

المبحث الثاني : النعم في الآفاق .

المبحث الثالث : نعمة خلق الإنسان .

الفصل الثالث : نعم اللّه في البر. ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : نعمة الأنعام ومنافعها .

المبحث الثاني : نعمة الحيوانات .

المبحث الثالث : نعمة الأمطار والمياه .

المبحث الرابع : نعمة النباتات .

المبحث الخامس : المعادن .

المبحث السادس : العناصر الأربعة .

الفصل الرابع : نعم اللّه في البحر . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : نعمة البحر وأحيائه .

المبحث الثاني : الحلية وأشواق الناس .

المبحث الثالث : تسخير الفلك .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس : أصناف الأشربة . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : غيث القلوب والأرض .

المبحث الثاني : نعمة اللبن .

المبحث الثالث : نعمة العسل .

المبحث الرابع : السكر وذكره مع الرزق الحسن .

الفصل السادس :نعمة الجمال والذوق . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الكون وجماله

المبحث الثاني : الأنعام وجمالها.

المبحث الثالث :الخيل والبغال وزينتها.

المبحث الرابع : التنشئة في الحلية.

الباب الثالث : تمام النعم التي يطيب بها العيش .

الفصل الأول : نعمة الإمداد . ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : نعمة الأزواج.

المبحث الثاني : نعمة الأولاد والأحفاد.

المبحث الثالث : نعمة التفاضل في الرزق.

الفصل الثاني :الامتنان بالحرية، وأدوات العلم ويشمل المباحث التالية

المبحث الأول : حدود الحرية.

المبحث الثاني : الغيوب الثلاثة.

المبحث الثالث : أدوات العلم عند الإنسان.

المبحث الرابع : أدوات العلم والمخترعات.

الفصل الثالث :نعمة البيوت والظلال والسرابيل ويشتمل على المباحث التالية.

المبحث الأول : البيوت وأنواعها.

المبحث الثاني : الظلال والأكنان .

المبحث الثالث : نعمة السرابيل .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الرابع : الشاكرون والجاحدون .

الفصل الأول : التعريف بالشكر والجحود . ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الشكر معانيه، وقواعده عند العلماء والرأي المختار

المبحث الثاني : الجحود معانيه عند العلماء والرأي المختار .

الفصل الثاني : نماذج الجاحدين والشاكرين . ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : نموذج الجاحدين وعاقبتهم .

المبحث الثاني : نموذج الشاكرين وعاقبتهم .

الخاتمة، وتشتمل على:-

ملخص البحث.

نتائج البحث.

التوصيات والمقترحات.

الفهارس ..

* فهرس للآيات .
* فهرس للأحاديث.
* فهرس للأشعار.
* فهرس للأعلام.
#فهرس للمصادر والمراجع.
* فهرس للموضوعات.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

لعل من أهم الصعوبات التي واجهتني تشعب وتنوع موضوعات البحث مما تطلب الرجوع إلى كثيرمن المصادر والمراجع المتنوعة التي عالجت هذه الموضوعات.

ومن الصعوبات كذلك وجود فجوة كبيرة بين العلوم الإسلامية والعلوم البحتة وأن الأخيرة تناولت النعم المادية بالدراسة لكن من الصعب التنقية منها بما يخص فوائد وثمار كل نعمة وذلك لضعف الرابط بين هذه الموجودات وموجدها في تلك المصادر مما أدى إلى وجود الخصام العلمي فكنت أبحث وأقرأ وأتصفح كثيرا حتى أقف على فائدة لنعمة، لأنّ تلك الكتب تتناول في الغالب مكونات المادة دون الإشارة إلى بيان فوائدها وثمراتها للإنسان

هذا وقد بذلت جَهدي بتوفيق الله لمعالجة هذا الموضوع على ضوء سورة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النحل، على أنني لا أبريء نفسي من العيوب والأخطاء، بل أمتثل بقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «..فإن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان»[(١)].

شكر وعرفان:

في الختام أحمد الله تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله فهو أهل الثناء والمجد على ما أولاني من نعمه وآلائه المتجددة ومنها تمام هذه الرسالة، كما أسأله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه صوابا على السنة، وأن يبعدنا والمسلمين عن الكفران ونسأله الهداية إلى الشكر وحسن الامتنان،

هذا ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بوافر الشكر وأجزله إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث، فضيلة الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي الذي استفدت من توجيهاته وإرشاداته القيمة، وقد أعطاني الشيء الكثير من وقته وجهده، وعلمه، في بيته وفي مكتبه فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أشكر الأستاذين الكـــــريمين:-

١- فضيلة الدكتور:محمد طاهر الجوابي الأستاذ بالقسم

٢- فضيلة الدكتور:زيد عمر عبد الله الأستاذ المشارك بالقسم

على قبولهما مناقشة هذه الرسالة وتجشمهما قراءتها وإبداء توجيهاتهما وتوصياتهما على ما جاء فيها فلهما عظيم شكري وامتناني.

وشكري موصول إلى جميع المسئولين فى جامعة الملك سعود الذين فتحوا لطلاب العلم صدورهم وقلوبهم وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة، كما أخص بالشكر القائمين على كلية الدراسات العليا ، وكلية التربية، وقسم الثقافة الإسلامية ، وجميع الأساتذة داخل الجامعة وخارجها، وكل من قدم يد العون والمساعدة توجيها ونصحا وإرشادا حتى ظهر هذا البحث بهذا الشكل.

كما لا يفوتني أن أدعو لوالدي أن يجزيهما الله عني خير الجزاء ويرحمهما رحمة واسعة، ويجعل الجنة ثوابهما وجميع المسلمين ...آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلّم تسليما كثيرا.

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسم صداقا حتى مات ج٢ ص٢٣٧، رقم ٢١١٦، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن، ج٢ ص٣٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

إن نعم الله الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات من جميع أصناف النعم مما يعرفه الناس ومما لا يعرفون، أسبغها عليهم، وبسطها لهم في الآفاق، وفي الأنفس، خلقهم بيده، ونفخ فيهم من روحه، وأحسن صورهم وهيئاتهم، وأسجد الملائكة لأبيهم، وميزهم بالعقل على سائر خلقه، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا.

فأولى نعمه بعد الوجود الهداية إلى عبادة رب الوجود، والتوجه إليه بالدعاء والسجود، إنها نعمة الإسلام، التي بها أخرج الله الإنسان من الظلمات إلى النور، ومن الفوضى إلى النظام، فهي نعمة النعم ورأسها وكل نعمة سواها تبع لها، فبحصول الإسلام يصل الإنسان إلى السعادتين، يقول تعالى ممتنا بها: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)[1].

وليتنبه أنّ العلم بالنعم على سبيل التفصيل غير حاصل للعبد، لأنها كثيرة لاتحصى، واسعة في أقسامها وشعبها، عميقة في أفرادها ودقائقها،وعقول الخلق قاصرة عن الإحاطة بمبادئها فضلا عن غاياتها.

ومما يدل على قصر عقول البشر عن معرفة أقسام نعم الله التأمل في أمرين كمثال لذلك، في نفس الإنسان، وفي طعامه.

ويكفي كمثال على الأنفس أن يتأمل الإنسان تألف جسده،-بل وكل الأجسام الحية-من الخلية، فنفس الإنسان تتألف من ملايين الملايين من الخلايا، ومن آلاف الأنسجة، ومن مئات الأعضاء، ومن عشرات الأجهزة، ومع ذلك يتنغص عيش الإنسان عند ظهور أدنى خلل في جسده، وتمنيه إنفاق الدنيا كلها حتى يزول ذلك عنه والله تعالى يدبر أحوال الإنسان على الوجه الذي يصلحه ومع كل ذلك يجهل ما يجري فيه، فدل ذلك على فناء عقول الخلق دون معرفة حكمة الرحمن في خلق الإنسان فضلا عن سائر وجوه الفضل والإحسان إليه مما أوجده له مهيئا في هذا العالم من المعادن والنباتات والحيوانات لينتفع به، وصدق الله في قوله: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[2].

وإذا كان الحديث عن نعمة واحدة تفنى دونه الأعمار أصولا كانت أو

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة الذاريات آية ٢١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فروعا ،فليتأمل قوله تعالى:(فلينظر الإنسان إلى طعامه)[١].

تلك لقمة العيش يضعها الإنسان في فيه، وهي نعمة فكيف يحصل عليها ؟. انظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها.

لا تتم لقمة الخبز إلا إذا كان هذا العالم كله قائما على الوجه المطلوب، فتوجد حبة الحنطة أولا، ثم إنباتها يحتاج إلى قدرة الله المهيمنة على هذا الكون لتُسخر أجرامه وظواهره في إنبات هذه الحبة وإمدادها بعوامل الحياة من تربة صالحة، وماء نقي، وهواء طلق، وأشعة شمس، ومواسم الزراعة، ودوران الفصول، وهبوب الرياح والأمطار، وإنسان يحرث، فيعتني ويرعى، ثم حصاد وطحن، وآلات لمن يحرث، وأخرى لمن يحصد، وثالثة لمن يطحن، ثم ماذا بعد الطحن؟ يحتاج إلى العجن، وبعده يحتاج إلى الخَبز، كل ذلك يحتاج إلى جيش من الناس حتى تحصل على نعمة واحدة هي لقمة الخبز، ثم ماذا بعد حصولها ؟ انظر إلى تركيب بدن الإنسان وأن الله خلقه بكيفية لينتفع بتلك اللقمة، تفكر كيف تدخل من مدخل واحد وتستقر في موضع واحد هي المعدة ثم يقيّض الله لها في ذلك المكان من الحرارة والأسباب الأخرى ما ينضجها ويميز نافعها من ضارها، فيتفرق النافع في جميع أجزاء البدن ليغذيه وينميه، ويبقى الضار ثم يوجه إلى خارج الجسم حتى لا يضر ببقائه، ولا يزال هذا المعمل العظيم يعمل عمله ليل نهار ويؤدي مهامه بأذن الله تعالى.

إنّ معرفة حصول اللقمة والإنتفاع بها يحتاج إلى معرفة أمور عديدة يقصر عقل الإنسان عن إدراكها كلها.

إنّ تعداد نعم الله حسب الأجناس أو الأنواع، أو الأفراد غير ممكن للإنسان، قال تعالى:(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)[٢].

بل العجز حاصل عن الإحاطة بفوائد وخصائص نعمة واحدة، ذلك أنّ نعم الله أكبر وأكثر من أن يحصيها فرد من البشر أو فريق منهم بل لا يحصيها كل البشر، لأنهم محدودون بحدود الزمان بدءا ونهاية، وبحدود المكان، وبحدود علم الإنسان وعقله، ونعم الله مطلقة فوق كثرتها لا يحيط بها إدراك إنسان.

ولكن هذا البحث عبارة عن محاولة لتناول بعض النعم المبثوثة في الآفاق والأنفس إشارة إلى بعض أصولها وبعض فروعها للتذكير بها وتنبيه الغافلين عنها

---

(١) سورة عبس آية ٢٤.

(٢) سورة النحل آية ١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محصورة من خلال سورة واحدة من سور القرآن باعتبارها جمعت بين أصول النعم وفروعها ومتمماتها، لعل ذلك يزيل عنها غبار الإلف فيندفع العباد إلى شكر المنعم بها والإعتراف بجميل فضله وإحسانه، فيقيدوها عن الشرود بالشكر الذي هو القيام بطاعة الله تعالى والتقرب إليه بأنواع محابه طالبين المزيد من فضله وإحسانه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الأول
النعم وسورة النحل

وتحته فصلان

الفصل الاول: بين يدي الموضوع.

الفصل الثاني: بين يدي سورة النحل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول
بين يدي الموضوع

المبحث الأول: تعريف النعم

المبحث الثاني: ورودها في الكتاب العزيز

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
تعريف النعم

النعم لغة:

قبل الشروع في بسط الكلام عن النعم لابد من بيان معاني ودلالات اللفظ للوصول إلى المعنى الذي وضع هذا البحث من أجله.

قال ابن منظور[١] رحمه الله تعالى:

"نَعِم":النِّعَم والنُّعمَى والنَّعمَاء والنِّعمة كله الخفض، والدعة ،والمال،ونَعِم الشيء نُعومة أي صار ناعما لينا.

والتَّنْعيمة:شجرة ناعمة الورق.وثوب ناعم أي لين،ورجل منِعام:أي مفضال

والتّنعّم: الترفه

والنّعمة:بالفتح المسرة ،والفرح ،والترفه، ومنه الحديث:«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه»[٢]؟ أي كيف أتنعم من النعمة[٣]

قال الأزهري[٤]:ونِعْمة العيش:حسنه وغضارته.ونعمة الله:منُّه وعطاؤه[٥]

والنِّعْمة بالكسر:اسم من أنعم الله عليه ينعم إنعاما، ونعمةً

وفلان واسع النعمة أي واسع المال.

والنعمة: اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمنَّةُ وما أنعم به عليك، ونعمة الله بكسر النون:منُّه وماأعطاه الله للعبد مما لايمكن لغيره أن يعطيَه إياه كالسمع

---

(١) هومحمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري ولد سنة ٦٣٠هـ وتوفي شنة ٧١١ ، صاحب كتاب لسان العرب وغيره.

(٢) أخرج الحديث الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الصور ج ٤ ص٤١-٤٢ رقم ٢٥٤٨، والإمام أحمد في المسند ج١ ص٣٢٦

(٣) ابن منظور لسان العرب مادة نعم.ج١٢ ص٥٧٩ دارصادر بيروت .دون ط، ولا تاريخ.

(٤) أبومنصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الأديب اللغوي الهروي ولد سنة ٢٨٢ كان رأسا في اللغة له عدة تصانيف في اللغة والتفسير ت٣٧٠(انظر السيوطي بغية الوعاة ج١ ص١٩-٢٠)

(٥) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغه ج٣/٩ ، ١٠،الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٥م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والبصر والجمع منهما نِعم وأنْعُم[١].

والنّعم واحد الأنعام :وهي المال الراعية، وبهذا يكون معنى النّعم بالفتح الإبل خاصة ، والأنعام هي الإبل والبقر،والغنم كما أفاده ابن الأعرابي[٢]

وأنعم النظر في الشيء إذا أطال الفكرة فيه[٣]،

وتستخدم مادة (نعم) في اللغة للإقرار والجواب عند الاستفسار بهل ؟ قال تعالي ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[٤] وحكى الله عن سحرة فرعون أنهم فيما لو غلبوا موسى سيقربهم أم لا فأقر لهم بذلك (...قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين)[٥]

كما تستخدم في اللغة(نعم) للمدح في مثل قوله تعالي:(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)[٦]

---

(١) ابن منظور لسان العرب مادة نعم، وانظر الجوهري، الصحاح، ج٢٠٤١/٥، وانظر الرازي، ترتيب القاموس المحيط ج٤/٤٠٢ ،٤٠٣.

(٢) هو محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي ولد سنة ١٥٠هـ كان نحويا عالما باللغة والشعر من مصنفاته النوادر، تفسير الأمثال وغيرها ت ٢٣١، انظر السيوطي بغية الوعاة ج١ ص١٠٥-١٠٦

(٣) ابن منظور، لسان العرب ،مادة نعم

(٤) سورة الأعراف آية ٤٤

(٥) سورة الشعراء آية 41 ،٤٢

(٦) سورة الرعد آية ٢٤، المدح يقابله الذم وهناك آيات جاءت في سياقها كلمة (نعم) كفعل مدح فالله تعالى يمدح من شاء متى شاء كيف شاء، له الأمر والخلق، فتارة يمدح نفسه المقدسة كما في قوله تعال: (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون)الصافات: ٧٥، وتارة يمدح رسله وأنبياءه كما في قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)ص ٣٠.وتارة يمدح عبيده الأوابين إليه، قال تعالى: (..إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) ص ٤٤.وتارة يمدح العمل الصالح، كما في قوله (إن تبدوا الصدقات فنعما هي)البقرة: ٢٧١.فالمدح وقع في إبداء الصدقة وهي من الأعمال الصالحة، وتارة يمدح دار كرامته كما في قوله: (..ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) النحل: ٣٠.فالمخصوص بالمدح هو دار الآخرة، أو هي جنات عدن كما يثني تعالى على العاملين ، بالثناء على عملهم الحسن كما في قوله تعالى: (..وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)الزمر: ٧٤.كما يمدح تعالى الثواب الذي يناله العاملون كجزاء على عملهم كما في قوله تعالى: (متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا)الكهف: ٣١. انظر الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج٢ ص٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي «نَعِمَ» عدة لغات على النحو الآتي:

١-الأصل «نَعِم»بفتح أوله وكسر ثانيه

٢-نعِم، فتتبع الكسرة الكسرة ثم تطرح الكسرة الثانية فتقول «نِعْم»بكسر النون ،أو تقول «نَعْم» ،بفتح النون ، ومثاله «نعم الرجل زيد».

والنُّعْمُ بالضم خلاف البؤس يقال يوم نُعْم ويوم بؤس والجمع «أنعم»

٣-ولغة ثالثة مركبة منهما وهي: «نَعِمَ»:يَنْعُمُ مثل فَضِل يفضُل.

٤-ولغة رابعة «نَعِمَ» ،ينعِم بالكسر فيهما، وهو شاذ[١].

فيكون مجموع اللغات الفصيحة في هذه الكلمة، ثلاث لغاتوالرابعة شاذة.

ومما سبق من التعريف اللغوي للنعم يتبين كثرة معانيها. والتي منها:ـ الخفض،والدعة،والمال،والنعومة،واللين،والمسرة،والفرح،والترفه،والمنّ،والعطاء ،والإحسان،والآلاء،والإسداء،إلي غيرذلك من المعاني.

النعم في الإصطلاح:

لقدتكرر لفظ«نعم»كثيراً في الكتاب والسنة[٢]أما الكتاب فذكرت فيه بتصاريفها المختلفة في مائة وأربعة وأبعين موضعا[٣]

وقد عرّفها علماء الإسلام عدة تعريفات ومنها:

«النَّعمة: المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير»[٤]

وقيل هي «المنفعة الحسنة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير»[٥]

---

(١) انظر محمد ابن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح، مادة[نعم] ص٦٦٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، وانظر محمد مرتضى الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،ج٧ ص٧٩،دار البيان للنشروالتوزيع، ١٣٨٦هـ.

(٢) ورودها في القرآن سيأتي مفصلا في مبحث لاحق،بعنوان ورودها في الكتاب العزيز في ص ٢٥ من هذا البحث، ويمثل للسنة بقوله عليه السلام «فإن الله عز وجل إذا أنعم علي عبد نعمة أحب أن ترى عليه»[انظر مسند الإمام أحمد،ج٣ ص٤٧٤]

(٣) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٠٧ , ٧٠٩ دار الحديث، ١٤٠٧هـ.، وانظر محمد اسماعيل إبراهيم،معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٥٣٣، دار الفكر العربي القاهرة ، دون تاريخ.

(٤) الفخر الرازي،مفاتيح الغيب،ج٣ص٢٨،دار الكتب العلمية،بيروت ط١، ١٤١١هـ.

(٥) المرجع السابق، ج٣ص٢٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما عرّفت بأنها «ما قصد به الإحسان والنّفع لا لغرض ولالعوض»[١]

وعرِّفت بأنها « اطمئنان النّفس بما تملك من السعادة والرضى فهي متاع صاحبها »[٢]

أما التعريفان: الأول والثاني فقد وجههما الإمام الفخر الرازي بقوله «وجاءت الزيادة "الحسنة" لأنّ النّعمة يستحق بها الشكر وإذا كانت قبيحة لم يستحق بها الشكر.

أما قولنا «المنفعة» فلأنّ المضرة لا يجوز أن تكون نعمة، وقولنا «المفعولة على جهة الإحسان»: فلأنّه لو قصد الفاعل نفع نفسه، لا نفع المفعول به، كمن أحسن إلى جاريته ليربح عليها ... لم يكن ذلك نعمة»[٣]

أما إذا قصد بالمنفعة المفعولة: الإحسان إلى الغير سميت نعمة.

---

(١) الجرجاني كتاب التعريفات ص٢١١.

(٢) عبد الرؤوف المصري، معجم القرآن، قاموس مفردات القرآن وغريبه ص١٢ . ١٣٦٧هـ، ناشر غير معروف

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج٣ص٢٨، بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أوجه اطلاق النعمة في القرآن:

إن القرآن الكريم يستعمل النعمة من باب إطلاق العام على الخاص، أو الكل على الجزء مثل إطلاقه على النبوة نعمة مع أنها خاصة.

ولعل أهم أوجه إطلاق لفظ النّعمة في القرآن مايلي[١]:-

١- النعمة تأتي بمعنى المنّة، قال تعالى(ياأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم ...)[٢] أي مننه.

٢-وتطلق على: دين الله وكتابه، قال تعالى(فأصبحتم بنعمته إخوانا)[٣] يعني بالإسلام والدين.

٣-وتطلق على: النبي محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: (فكفرت بأنعم الله)[٤] وقوله(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)[٥] يعني محمداعليه السلام[٦]

٤- النعمة: الثواب كقوله تعالى(يستبشرون بنعمة من الله وفضل...)[٧] أي ثواب الله تعالى.

٥- النعمة: الملك والغنى كقوله تعالى(وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا)[٨]

---

(١) الحسين بن محمد الدامغاني قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ص٤٦٠ تحقيق عبد العزيز سيد، دار العلم للملايين ، ط٥، ١٩٨٥م.

(٢) سورة الأحزاب آية ٩

(٣) سورة آل عمران آية ١٠٣

(٤) سورة النحل آية ١١٢

(٥) سورة النحل آية ٨٣

(٦) قد يسلم للإمام "الدامغاني" بأنه قد يقصد بالنعمة محمد عليه السلام أحيانا لأنه النعمة المهداة والمنة المسداة، لكنه لايسلم له الاستدلال بتلك الآيات لأنها أعم من أن تخصص، مع العلم بأنّ القصد ليس ذاته وإنما النعمة في إرساله.

(٧) سورة آل عمران آية ١٧١

(٨) سورة المزمل آية ١١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦-النعمة: النبوة كقوله تعالى(أنعمت عليهم)[١] ونظيرها في النساء(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[٢]. *

٧- النعمة: الرحمة كقوله تعالى: (فضلامن الله ونعمة والله عليم حكيم)[٣] يعني ورحمته.

٨- النعمة: الإحسان من الله تعالى،كقوله : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى)[٤] يعني إحسان يجازى.

٩- النعمة: سعة العيش، كقوله تعالى(فأكرمه ونعّمه)[٥] يعني وسّع عليه معيشته.

١٠-النعمة: المُنْعَم عليه، كقوله تعالى: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ...)[٦]

«أنعم الله عليه » بالإسلام.

«وأنعمت عليه » بالعتق، يعني زيد بن حارثة.

---

(١) سورة الفاتحة آية ٧

(٢) سورة النساء آية ١٧.

*الجدير بالذكر أنه اشتهر بين كثير من المفسرين أن المقصود ب« أنعمت عليهم» هي نعمة الإيمان انظرمفاتيح الغيب للرازي، ٢١٠/١، أما المنعم عليهم في سورة النساء شمل مع الأنبياء غيرهم كماهو واضح، ويمكن أن يستأنس للفقرة بقوله تعالى(قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) القصص آية ١٧.

(٣) سورة الحجرات آية ٨

(٤)سورة الليل آية ١٩

(٥) سورة الفجر آية ١٥

(٦) سورة الأحزاب آية ٣٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني:

ورود النعم في الكتاب العزيز

سبق القول بأن مادة «نعم»، بكل تصاريفها وردت في كتاب الله تعالى في مائة وأربعة وأربعين موضعا بين ثنايا آياته، وذلك بدءً من سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الضحى، وبعد جمع تلك الآيات وتأملها تبين أن النعم جاءت في سياق أربعة أساليب أو أحوال، كما يأتي:

أولا: آيات جاءت النعم فيها في سياق الامتنان على بني إسرآئيل .

ثانيا: جاءت في آيات في سياق الحكاية وما لاامتنان فيه .

ثالثا: وردت في آيات في سياق التأييد والنصر.

رابعا:وآيات جاءت النعم فيها في سياق الامتنان على الخلق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أولا: الآيات الواردة في سياق الامتنان على بني اسرائيل بالنعم:

نعم الله تعالى على الخلق لاتعد ولاتحصى، بدءا من خلق الكون وإيجاده وإلى أن ينتهي، فقد امتن تعالي على الخلق بعد إيجادهم، بالإعداد والإمداد من بداية خلق أبيهم آدم عليه السلام ،وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبنو اسرآئيل ضمن خلق الله تعالى ـ عبر القرون الماضية ـ الذي نالهم من نعم الله وفضله كما نال من سبقهم من الأمم، وقد أكثر الحديث عنهم لعدة اعتبارات منها:

أنهم لم يؤدوا حق الشكر على تلك النعم، وقد كانوا أقرب الأمم إلى أمة محمد عليه السلام ، كما كان أحفاد المنعم عليهم ممن عاصر نزول القرآن الكريم، وهذا التذكير دعوة للأحفاد إلى الشكر والوفاء.

قال تعالى(يابني إسرآئيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون)[١]

وقد ذكر المفسرون أن المقصود ببني إسرآئيل، هو نسبة إلى جدهم إسرآئيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وقالوا إن معنى اسرآئيل هو «عبد الله»، إذ تتكون من كلمتين هما «إسرآ»بمعنى «عبد»،« ئيل» بمعنى «الله»[٢].

وقد بدأ زمانهم من عهد نبي الله يوسف إلى عهد نبي الله عيسى عليهم الصلاة والسلام[٣].

والنعم المختصة ببني إسرآئيل كثيرة جداً لأن قوله تعالى(اذكروا نعمتي) لفظه واحد ومعناه الجمع فإن «المستعرض لتأريخ بني إسرآئيل ليأخذه العجب من فيض الآلاء التي أفاضها الله عليهم، ومن الجحود المنكر المتكرر الذي قابلوا به هذا الفيض المدرار، وهنا يذكرهم الله بنعمته التي أنعمها عليهم إجمالا، قبل البدء فى تفصيلها ثم أتبع الإجمال التفصيل،

وفي هذا التذكير دعوة إلى الوفاء بعهدهم معه سبحانه كي يتم عليهم النعمة

---

(١) سورة البقرة آية ٤٠

(٢) انظر الفخر الزازي، مفاتيح الغيب، ج٣ ص٢٨ مرجع سابق.

(٣)المرجع السابق، ج٣ ص٢٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويمد لهم في الآلاء »[١].

وقد أجمل الله ما امتن به عليهم من نعم في أول آية تحدثت عن الامتنان عليهم في سورة البقرة، وفي ذلك تذكير للأبناء ليشكروا الله، لأنها كانت نعم على آبائهم وهي عليهم بالتبع، فقد بقوا بسبب الإنعام على آبائهم إذ الامتنان على أمة ما يشمل جميع أفرادها[٢].

ويمكن الإشارة إلى بعض النعم التى فصلها القرآن ممتنا بها عليهم بما يأتي:

١-النجاة من فرعون وقومه الذين أذاقوهم سوء العذاب .

قال تعالى (وإذنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم)[٣].

٢- عبورهم البحر سالمين، قال تعالى: (وإذفرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون)[٤]

٣- إنزال التوراة الفارقة بين الحق والباطل ليهتدوا بها، قال تعالى: (وإذآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون)[٥].

٤- قبول توبتهم وعفو الله عنهم، قال تعالى: (...فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم)[٦].

٥- الامتنان على الموحدين منهم بالتخلص الجماعي من المجرمين عبدة العجل، قال تعالى: (...إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١ ص٦٦ مرجع سابق.بتصرف في النص.

(٢) انظر د. وهبه الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ج١ ص ١٦٠ ومابعدها، دار الفكر دمشق، وبيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٣) سورة البقرة آية ٤٩.

(٤) سورة البقرة آية ٥٠

(٥) سورة البقرة آية ٥٤.

(٦) سورة البقرة، آية٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بارئكم، فاقتلوا أنفسكم...)[١].

٦- إحياؤهم بعد الموت الطبيعي ليستوفوا آجالهم، قال تعالى: (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)[٢].

٧- الامتنان عليهم بالستر بالسحاب الأبيض من حر الشمس أثناء التيه، قال تعالى: (... وظللنا عليكم الغمام..)[٣].

٨- الامتنان عليهم بالمن والسلوى، قال تعالى: (وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم)[٤].

٩- الامتنان بتفجير المياه المتدفقة من الحجر، قال تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا..)[٥].

١٠- الإنعام عليهم بدخول بيت المقدس، قال تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا..)[٦].

١١- امتن عليهم بأن جعلهم أئمة بعد الاستضعاف قال تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة..)[٧].

١٢- كانوا عبيدا للقبط فحولهم إلى غنى وملك وجعل منهم أنبياء، قال تعالى: (...إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين)[٨].

ومع كل هذه النعم، وكل هذا التذكير لا يسع المتدبر إلا أن يجد آيات الكتاب العزيز تعنى «بتأريخ بني إسرائيل، وما لهم من ماض عريق في الإفساد، والتكذيب، والتلاعب، والعبث بالآيات المنزلة واللي والتحريف، والكتمان ، وغير ذلك من التصرفات التي تدل على الأصالة في التمرد والعصيان، والعراقة في

---

(١) سورة البقرة، آية ٥٤.

(٢) سورة البقرة آية ٥٦.

(٣) سورة البقرة، آية ٥٧.

(٤) سورة البقرة آية ٥٧.

(٥) سورة البقرة آية ٥٧.

(٦) سورة البقرة آية ٥٨.

(٧) سورة القصص، آية ٥.

(٨) سورة المائدة آية ٢٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكفر والطغيان، ليعتبر بهم المؤمنون ويتجنبوا سلوكهم المشين»[١].

ولعل التساؤل الذي يرد هنا ويطرحه البعض - وهو إذا فسرت النعمة بهذا الامتنان على بني إسرائيل السابقين لاعلى المخاطبين بها، بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها؟

أجاب على هذا التساؤل الإمام الفخر الرازي[٢] بعد أن أثاره فقال: «الجواب من وجوه، أحدها: لولا هذه النعم على آبائهم لما بقوا، فما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها نعم على الأبناء.

وثانيها: أن الانتساب إلى الآباء، وقد خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا، نعمة عظيمة في حق الأولاد.

وثالثها: أن الأولاد متى سمعوا أن الله خص آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم، رغب الولد في هذه الطريقة لأنه مجبول على التشبه بالأب في أفعال الخير»[٣].

وفي سرد هذه الآيات يتبين عناد بني إسرائيل وجحودهم، رغم امتنان الله عليهم بالنعم الغرار، وفيه دعوة لآخر الأمم أن يعتبروا و «تحذير للمسلمين من مزالق الطريق التي عثرت فيها أقدام الأمة المستخلفة قبلهم، فحرمت مقام الخلافة، وسلبت شرف القيام على أمانة الله في الأرض»[٤].

ثانيا: الآيات التي في سياق الحكاية وما لا امتنان فيه:

هناك بعض الآيات التي جاءت في سياق الحكاية دون ذكر الامتنان، وذلك

---

(١) رشيد الخطيب الموصلي، أولى ما قيل في آيات التنزيل، ج١، ص٤٥، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل (العراق) ١٩٧١-١٩٧٤م.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب المفسر المتكلم، الأصولي، ولد في ٢٥ رمضان عام ٥٤٤هـ أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل له مصنفات كثيرة في التفسير واللغة والأدب وعلم الكلام والأصول والطب تجاوزت مصنفاته ٧٥ مصنفا وتوفي عام ٦٠٦هـ رحمه الله، انظر خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ج٦ ص٣١٣ دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠م.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣، ص٣٢-٣٣ باختصار.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بذكر لفظ النعمة، ولولا تصنيفها لورود بعض آيات الكتاب بها لما حسن إيرادها في المبحث، وهي من مثل قوله تعالى: (وإنّ منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا)[١].

وقوله تعالى: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون)[٢].

ففي الآية الأولى حكاية عن المنافقين ـ الذين يتثاقلون عن الخروج للجهاد بأن الله أنعم عليهم وتفضل، فلم يخرجوا ولم يصابوا بالقتل والهزيمة[٣]، وهذ في الحقيقة ليس نعمة بقدر ماهو انتكاس عن طريق الحق والهدى.

ثالثا: الآيات التي وردت بها النعم في سياق التأييد والنصر:

إن الله سبحانه وتعالى ناصر ومؤيد أنبياءه ورسله وأتباعهم من المؤمنين فلا يحتاجون معه إلى أحد سواه، فيتابع عليهم آيات النصر، وعليهم تتنزل بشائره، وهم في أوج المواجهة مع المشركين والمعاندين، فينتصرون وهم قلة في العدد والعدة، فيبدل الله حالهم من الضعف والقلق، والخوف، والقلة، والذل، إلى القوة والثبات، والأمن، والكثرة، والنصر، والعزة.

ولما كان ذلك يتم بتأييد الله ونصره ذكره تعالى في ثنايا آيات كتابه على سبيل الامتنان عليهم ، لينبههم على نعمه وإحسانه، أي كنتم قلة فكثرتكم، ومستضعفين وخائفين فقويتكم ونصرتكم، وفقراء عالة فرزقتكم من الطيبات[٤]، وبكل ذلك أهّلكم لشكره ثم يأجركم على شكركم له لفضله[٥].

ومن آيات الامتنان بالنصر والتأييد قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل

---

(١) سورة النساء، آية ٧٢.

(٢) سورة المائدة آية ٢٣.

(٣)انظر:محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،ج١، ص٢٨٩.دار القرآن، بيروت،ط٤ ،١٤٠٢هـ

(٤) انظر: محمد نسيب الرفاعي، تيسير العلي القدير، لاختصار تفسير ابن كثير، ج٢ص٢٨٣، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة جديدة، ١٤١٠هـ.

(٥) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٩٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عظيم)[١].

فتحكي الآيتان واقعا معاشا للعصبة المؤمنة، عندما أرجف المرجفون، بالتخويف من جموع الكفرة، فرد المؤمنون رد الواثق بنصر الله وتأييده، فالله كافيهم وحافظهم ومتولي أمرهم، فهو نعم الملجأ والنصير، عندها حصلوا على نعمة السلامة مضافا إليها الأجر والثواب[٢].

كما أنه تعالى امتن عليهم بحفظهم من أعدائهم لما هموا البطش بهم لإهلاكهم فعصمهم ورد كيدالأعداء وأذاهم عن المؤمنين، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[٣].

فأوجه الامتنان بنعمة التأييد والنصر تتمثل: في الإنجاء من الظالمين والنصر على الأعداء المتربصين وتبديل ذل المؤمنين إلى عز، وضعفهم إلى قوة، وقلتهم وخوفهم إلى أمن وكثرة، لأنه تعالى مولى الذين آمنوا، قال تعالى:(وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير)[٤].

إنّ النصر والتأييد مما يفرح صدور المؤمنين، فيعملون ليل نهار للحصول عليه والوصول إليه، لأن نصر الله لا ينال بالدعاوي بل له شروطه ومتطلباته، فيقوم المؤمنون بتأدية الشروط كاملة، حتى ينالوا ما شرط لهم ربهم، فينصروا دينه وكتابه، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[٥].

والله تعالى أخذ على نفسه نصر وتأييد رسله، وأتباعهم ما قاموا بالشرط إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[٦].

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٧٣-١٧٤.

(٢) انظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص٢٥٤.

(٣) سورة المائدة، آية ١١.

(٤) سورة الأنفال آية ٤٠.

(٥) سورة محمد آية ٧.

(٦) سورة غافر، آية ٥١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعا: الامتنان على الخلق بالنعم في القرآن:

فالآيات التي وردت في سياق الامتنان على الخلق بلفظ النعم كانت هي الأعم الأغلب إنّ امتنان الخالق على الخلق بكل أنواع نعمه ،التى تكرم بها على عباده في قديم وحديث، أوخاصة و عامة ، أو غائب أو شاهد،ممالا تعد ولاتحصى

ولما كان موضوع البحث يدور حول النعم في ضوء سورة النحل فلا يرى الباحث بأسا من الإشارة إلى عموم النعم التي تفضل الله بها على العباد ، بشكل إجماليٍّ كتهيئة للموضوع ثم يتبع ذلك الإجمال التفصيل في مباحث الرسالة .

ولكن ينبغى التأكيد سلفا بأن موضوع النعم ممايعجز البشر عن الحديث عنه على سبيل الإحاطة والشمول لكثرتها وتنوعها وعظم قدرها .

والله تعالى يقول :(وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها)[1]

أي لا تقدرون على عد أنواعها فضلا عن أفرادها ، فالأفراد، لا تحصى لكثرتها حينا، ولدقة أدراكها ولخفائها أخرى، فالوقوف على أقسام نعم الله ممتنع فعلى الإنسان أن يتأمل في شيء واحد ليعرف قدره ، وعجز نفسه فليتأمل في تركيبه ، أو ليتأمل إلى نعمة واحدة بأكملها [2].

ذلك أنه لو اجتمع جميع الخلق على أن يذكروا جميع نعم الله تعالى لاستحال ذلك عليهم ولعجزوا ، بل عاجزون أن يذكروا تفاصيل نعمة واحدة بكاملها ، لقصر عقولهم وأفهامهم ومداركهم على ذلك.

فالنعمة لايدركها ولا يحيط بها إلا المنعم المتفضل بها .

وإذا كان تناول نعمة واحدة والحديث عنها وبيان أسرارها وخفاياها مما تفنى الأعمار دون الإحاطة بها والوصول إلي كليتها فما بال الحديث عن أصول النعم وفروعها ؟

وقد تناولت آيات سورة النحل النعم في الأنفس، والآفاق علوية وسفلية:

الأرض وما عليها، من جبال، ووهاد، وبراري، وبحار، وأنهار، وأشجار وأزهار وغير ذلك .

وتناولت النعم الكامنة في طبقات الجو العليا وما حوته من هواء ،وضغط

---

(١) سورة النحل آية ١٨.

(٢) انظر عبد المنعم عشري، تفسير الآيات الكونية في القرآن ص ٢٣١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جوي، وبخار، وسحاب، وأمطار وغير ذلك.

كما تناولت السماوات، وما فيها من شموس وأقمار، ونجوم، وغير ذلك من مخلوقات الله المسخرة للإنسان، وله بها علاقة استئناس واستفادة، قال تعالى:(ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأوض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة...)[١]

ومن خلال الاستقراء لآيات النعم والنظر فيها يظهر للباحث أن نعم الله تنقسم إلى عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة ولكل قسم دليله فهي:

نعم عامة وخاصة

قديمة وحديثة.

ظاهرة وباطنة.

علوية وأرضية.

منفصلة عن الإنسان ومتصلة به.

مادية ومعنوية.

جمالية وذوقية.

وبيان ذلك كالآتي:

فالنعم العامة تكون على جميع الخلق قال تعالى(ومابكم من نعمة فمن الله ثم إذامسكم الضر فإليه تجأرون)[٢].

والنعم الخاصة تكون على من يصطفيه الله من عباده كالنبوة قال تعالى: (ماأنت بنعمة ربك بمجنون)[٣].

وقال تعالى (إن هو الاعبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرآئيل)[٤]

والنعم القديمة تكون على الآباء ومن سبقهم ، وما هيأه الله تعالى للناس قبل أن يخلقوا من آلاء، كما أن نعم الأباء هي نعم على الأبناء بالتبع،

والحديثة تكون للموجودين من الناس والله تعالى يستجد نعمه على عباده في كل حين وآن بل لا تغيب نعمه على عباده لحظة من الحظات ولا أقل من ذلك

---

(١) سورة لقمان آية ٢٠

(٢) سورة النحل آية ٥٣

(٣) سورة القلم آية ٢

(٤) سورة الزخرف آية ٥٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى(قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه)[١]

أما الظاهرة والباطنة فقد بينها الله تعالى في كتابه بقوله(...وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة...)[٢].

فما أكثر نعم الله الظاهرة والباطنة وما أعظمها وأجلها وقد بين الإمام السيوطي كثيراً من ذلك في رسالة ألفها[٣].

فالنعم العلوية تشمل السموات وما فيها من شمس ونعيمها، والقمر وفوائده، والنجوم ووظائفها، كما تشمل السحب والأمطار وغير ذلك.

أما النعم الأرضية فتشمل كل خيرات الأرض المركوزة عليها والمخبوءة فيها مما وصل إليه الإنسان وما لم يصل إليه قال تعالى:(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون)[٤].

والنعم المنفصلة هي التي حول الإنسان من جميع جهاته، القريبة منه أو البعيدة عنه المؤثرة في بيئته، قال تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ...)[٥] أما المتصلة به فهي التي تكوِّن أعضاء الإنسان من الظاهر والباطن من سمع وبصر وفؤاد وغير ذلك، قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)[٦].

والنعم المادية هي كالخلق والإيجاد والإمداد من توفير الرزق والكساء والغذاء وغير ذلك قال تعالى(يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٥

(٢) سورة لقمان آية ٢٠

(٣) الرسالة بعنوان "الفوائد الكامنة في النعم الظاهرة والباطنة " وهي مخطوط حصل عليها الباحث في مخطوطات مركز إحياء التراث التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمه وسيعمل على تحقيقها وإخراجها لترى النور إن شاء الله.

(٤) سورة النحل آية ١٥

(٥) سورة البقرة، آية ٢٩.

(٦) سورة النحل آية ٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غير الله يرزقكم من السماء والأرض)[١]

وأما المعنوية فتتمثل في الهداية والتوفيق والتأليف بين القلوب قال تعالى: (واذكروا نعمة الله عليكم إذكنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها...)[٢]

والنعم الجمالية تظهر في كل خلق الله أرضه،وسماءه، جباله، وبحاوه، قال تعالى:(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين)[٣]، والله تعالى جعل الجمال عنصرا مقصودا في الكون خلقا وتدبيرا في الإنسان، والحيوان، والنبات، قال تعالى:(بديع السموات والأرض)[٤]

وبعد بيان خلق السموات والأرض وتهيئة الأخيرة للسكن يستفهم الله موبخا من لم يتعظ ويعتبرقائلاً:(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ...)[٥]

وقد أشار الله تعالى إلى الجمال في بعض مخلوقاته كالأنعام في قوله(لكم فيها جمال)[٦] وفي المركوبات من الحيوانات (..لتركبوها وزينة..)[٧]

أما الجمال المعنوي فيتجلى في تدبر آيات الكتاب العزيز وتذوق معانيه بحيث تنهمر الدموع من المتدبرين للإحساس الداخلي الذي ينتابهم دون أن يعلموا أسبابه لأنهم يتذوقون بديع الكلام الرباني في جماله المعنوي وتناسقه اللفظي ونظامه الصوتي[٨]

فالنعم ترافق الإنسان من قبل وجوده، وأثناء تكونه في بطن أمه، نطفة،فعلقة، فمضغة، وتسايره إلى أن يأتى إلى الحياة، وتستمر معه إلى أن يرحل عنها ثم ترافقه العناية الإلهية في قبره، وحشره إلى أن يستقر في دار كرامة الله إن كان ممن آمن بمنهج الله وعمل به مستقيما عليه أو تكون الأخرى إن

---

(١) سورة فاطر، آية ٣.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٣) السجدة آية ٧.

(٤) سورة الأنعام، آية ١٠١.

(٥) سورة لقمان، آية ١١.

(٦) سورة النحل، آية ٦.

(٧) سورة النحل آية ٨.

(٨) انظر: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص٢٦، دار طيبة الرياض، ط٧، ١٤١١هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان غير ذلك قال تعالى:(وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون)[١]

وقال تعالى: (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...)[٢]

وبالجملة فقد أبرزت السورة كثيرا من أصول النعم وفروعها بحيث استحقت أن تسمى سورة «النعم» فبدأت بنعمة الوحي والهداية إليه قال تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون)[٤].

وقد جمعت السورة ماتكاثر في كتاب الله من النعم الجمّة التي تمثلت في تسخير هذا الكون كله علويه وسفليه لهذا الإنسان لينعم به ويعمره بما يحقق له الخلافة فيه.

وبعد استقراء الآيات التي تحدثت عن النعم بلفظه في سياق الامتنان على الخلق، والتأمل فيها ومقارنتها بما ورد في سورة النحل «موضوع البحث» يلمس الباحث أن هذه السورة تعتبر بحق هي سورة «النعم» وذلك لما اشتملت عليه من عرض النعم على الخلق بإيقاعها الهادئ وجرسها المؤثر، وتناولها لكثير من القضايا بعمق وشمول .

وبترتيب متدرج على شكل أفواج إثر أفواج ،يختم كل فوج بالتذكير بالنعم، حتى تكرر لفظ النعم في السورة إحدى عشرة مرة، وهو لم يحدث في أي سورة من سور القرآن الأخرى، وحتى سورة البقرة التي هي أطول سورة فيه قد تكرر فيها لفظ النعم ستةمرات: أربع منها في سياق الامتنان على بني إسرآئيل.

فدل على أن سورة النحل هي« سورة النعم» لفظا ومعنى، مظهراً ومخبراً، وبه سماها بعض السلف[٥] مايدل على فهمهم العميق لمعاني كتاب الله العزيز .

وسيأتي مزيد بحث عن السورة وموضوعها ومن سماها بذلك ، وسبب التسمية في الفصل المعنون له «بين يدي سورة النحل» فإلى مباحث هذا الفصل.

---

(١) سورة النحل آية ٥٣.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٣٤.

(٤) سورة النحل آية ٢.

(٥) مثل قتادة بن دعامة السدوسي، وابن أبي حاتم، وابن الفرس،وغيرهم كما سيأتي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني
بين يدي سورة النحل

المبحث الاول : أسماء السورة، آياتها ، وكلماتها
المبحث الثاني : المرحلة الدعوية التي نزلت فيها
المبحث الثالث : المناسبات في سورة النحل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بين يديي سورة النحل

لاشك أن كل سورة من سور القرآن لها مضمون معين، ومحور تدور حوله ، ومنهج تتبعه في معالجة كل أمر من الأمور، ولها خواص تمتاز به لذا يُتطرق في دراستها إلى سبب نزولها ، وزمان ومكان نزولها ، وعددآياتها وكلماتها وحروفها وكذلك صلتها بالسورة التي قبلها وبالتي بعدها، وصلة أول السورة بآخرها، وترتيبها حسب النزول والتسميات التي أطلقت عليها وعرفت بها .

لذا كان من اللازم لدراسة هذا الموضوع من خلال السورة التعرف على هذه الجوانب ليتضح الترابط الوثيق بين سور القرآن وآياته أولا ، ويتضح ثانيا دقة معالجة السورة لهذا الموضوع الحيوى الهام .

فسورة النحل تعتبر من السور المكية في قول الجمهور ، وهو مروى عن ابن عباس[١] وابن الزبير[٢] ، سوى الآيات الثلاث الأخيرة منها فإنها مدنية وهى قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهوخير للصابرين ،واصبر وما صبرك إلاَّ بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون ،إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[٣]

فهذه الآيات الثلاث نزلت بين مكة والمدينة [٤] فعن ابن عباس رضى الله عنه قال :سورة النحل نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فإنّهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد [٥]

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الصحابي الجليل ولد بمكة عام٣هـ وروى من الأحاديث ١٦٦٠ حديثا، اشتهر بترجمان القرآن دعا له الرسول عليه السلام بالفقه في الدين وعلم التأويل ت ٦٨هـ، انظر الزركلي، الأعلام ج٤ ص٩٥.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي أول مولود في المدينة بعد الهجرة، ساهم في الفتوحات في إفريقيا، بويع بالخلافة عام ٦٤هـ، له في كتب الحديث ٣٣ حديثا، قتل بمكة عند الاشتباك مع الحجاج عام ٧٣هـ، انظر الزركلي الأعلام ج٤ ص٨٧.

(٣) سورة النحل الآيات ١٢٦-١٢٨.

(٤) في تعريف المكى والمدنى ثلاثةإصطلاحات أرجحها هو أن المكى ما نزل قبل هجرته عليه السلام إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة (الرزقاني ، مناهل العرفان ١٩٤/١

(٥) انظر ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٩٦، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ وانظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ص٢٠١ دار الكتاب العربي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
أسماء السورة ، آياتها ، كلماتها

وردت في تسمية السورة عدة آراء

سميت سورة النحل.

وسميت سورة النعم.

وسميت سورة الامتنان.

كما سميت سورة (أتى).

أما تسميتها بسورة النحل فعرفت به عند سلف الأمة وهو اسمها المشهور، والمعروف في المصاحف ، وكتب التفسير وكتب السنة [١]

أما وجه تسميتها بذلك فقيل فيه :ـ

لأن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى[٢] وقيل تسمية السورة بذلك تسمية بالأمر المهم ليتفطن إلى الغرض الذي يرمي إليه [٣]

لاشتمالها على قصة النحل التي ألهمها الله امتصاص الأزهار والثمار وتكوين العسل الذي فيه شفاء للناس ، وتلك قصة عجيبة مثيرة للتفكير والتأمل في عجيب صنع الله تعالى [٤].

أما تسميتها بسورة «النعم »،فقد أطلقه عليها بعض علماء السلف كقتادة [٥]،وغيره[٦]

ووجه تسميتها بذلك لأنه يدور الكلام فيها حول ذكر النعم وبيان مظاهر القدرة الإلهية.

---

(١) محمد الطاهربن عاشور التحرير والتنوير ، ج ١٣ص ٩٣.

(٢) محمد الطاهر عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١٣ص٩٣

(٣) محمد جمال الدين القاسمى ، محاسن التأويل ، ج ١٠، ص ٣٧٧٦

(٤) وهبة الزحيلى ، التفسير المنير : ، ج١٤ص٧٩

(٥) هو ابن دعامة بن عزيز السدوسي، البصري ولد عام ٦١هـ، كان مفسرا حافظا ضريرا قال عنه سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحسن منه ت١١٨هـ، انظر الزركلي، الأعلام ج٥ ص١٨٩.

(٦) مثل ابن أبي حاتم وابن الفرس، وابن عطية الأندلسي.انظر تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٨ ص٣٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقد تلونت السورة بالآيات الكونية، وعرض النعم وعظمتها بأسلوب قوي أخاذ، نعم في الآفاق والأنفس، من خلق وإيجاد وإعداد وإمداد.

نعم علوية وسفلية، مادية ومعنوية، وجمالية.

لذا سماها به السلف حسب موضوعها ومايغلب عليه، قال ابن عطية[١]: وتسمى سورة النعم لما عدد الله فيها من النعم على عباده[٢].

أما تسميتها بسورة «الامتنان»[٣]، فهو من المعنى السابق،ولأن الله امتن فيها كثيراً على عباده بما هيأه لهم من أصول النعم، وفروعه.

أما تسميتها بسورة«أتى» فهذا على حسب مطلعها، وهذه التسمية يتداولها بعض الدارسين في الكتاتيب والخلاوي. من تسمية كل سورة بأول كلمة بدأت بها، فيقول أحدهم إنه بلغ سورة«أتى» حفظا، ويقول آخر إنه في سورة«سبحان» يعني سورة الإسرآء وهكذا.

أما آيات سورة النحل فقد بلغت مائة وثمان وعشرين «١٢٨ آية»بالاتفاق.

وفواصل آياتها كمايلي:فاصلتان على الراء، في قوله (قدير)[٤]

وستة عشرةآية فواصلها بالميم مثل قوله(غفور رحيم، عذاب أليم)[٥] والفواصل الباقية للآيات كلها بالنون ومجموعها مائة وعشرة « ١١٠ » فاصله.

ويتضح من هذا أن الفواصل في ثلاثة حروف فقط هي«ن ـ ١١٠ فاصله» و«م ـ١٦ فاصله»، «ر ـ فاصلتان» يلاحظ أن أكثر فواصلها في حرف النون.

أما عدد كلماتها فهي ألفان وثمانمائة وأربعون« ٢٨٤٠ كلمة»

وقد بلغ عدد حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة«٧٧٠٧ أحرف»[٦].

---

(١)هو:أبو محمد عبدالله بن عبد الحق بن عطية الأندلسي، القاضي الفقيه الحافظ، ولد سنة ٤٨١هـ أجمع العلماء على صحة تفسيره ودقته ونهاية تنقيحه مما يدل على إمامته توفي رحمه الله عام٥٤١هـ انظر الزركلي، الأعلام ج٤ ص٥٣.

(٢) ابن عطية الأندلسي المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز ج٨ ص٣٦٣، تحقيق عبدالله الأنصاري ،والسيد عبد العال إبراهيم، طبعة أمير دولة قطر، الدوحة ط١، ١٤٠٥هـ

(٣) محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب ص١٧٣ مكتبة ابن تيميه، القاهرة.

(٤) سورة النحل آية ٧٠ ـ ٧٧، قوله«إنّ الله عليم قدير» وقوله « ..على كل شيءقدير»

(٥) سورة النحل الآيات ١٠٦، ١١٠، ١١٩.

(٦) انظر الحسن النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج١٤ص٤٦، مصطفى الحلبي ط١. ١٣٨٤هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
المرحلة الدعوية التي نزلت فيها

مضى قول الجمهور في أنها مكية النزول عدا ثلاث آيات من خواتيمها وتعتبر سورة النحل مما نزل في مرحلة متأخرة من العهد المكي، وإذا كانت سورة الإسراء ممانزل قبيل الهجرة [١]،فقد كانت من عوامل التجهيز لها.

فإن سورة النحل نزلت بعدها بزمن غير يسير إذبينهما «١٩ سورة»،وكان ترتيبها في النزول السبعون من بين السور المكية البالغة خمسا وثمانين سورة فقد نزلت سورة النحل بعد الكهف ونزل بعدها على الترتيب السور الآتية: نوح، إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، سأل، النبأ، النازعات، الإنفطار، الإنشقاق، الروم، العنكبوت، المطففين[٢].

أما ترتيبها حسب رسم المصحف فهي السادسة عشر، وتقع بين سورتي الحجر والإسراء.

وإذا كانت هذه المرحلة التي نزلت فيها سورة النحل - وهي بعدسورة الإسراء بفترة غير يسيرة - فإنه يعلم أنها تعتبر فترة عصيبة في أمر الدعوة،فقد كان الصراع بين الحق والباطل في قمته، وإيذاء الكفرة للإسلام وأهله على أشده، في حين كان يقل الأعوان الذين يحتمي بهم رسول صلى الله عليه وسلم، فقد مات عمه أبوطالب[٣] ومعلوم أنه كان يقوم بدور كبير في حمايته، كما ماتت زوجه خديجة[٤] رضي الله عنها «فلم تدع قريش وسيلة من وسائل الإيلام والتعذيب إلا لجأت إليها، وكانت كلما أحست أن الدعوة قد انتشرت وأن المؤمنين بها قد تكاثروا عمدت إلى تصعيد الإيذاء من جانبها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة من عمر الدعوة ينظر إلى أصحابه بالقلب الواله والفؤاد الحزين... ولم يكن يملك بسط حمايته عليهم، ولكنه كان يملك الدعاء لهم وبث الثقة في نفوسهم»[٥].

---

(١) انظر د. رؤف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، ص٥٨٢،دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

(٢) انظر محمد السيد الداودي، من كنوز القرآن بحوث لغوية منوعة ص١٢٩، دار المعارف، بيروت، دون،ط، ولاتاريخ نشر

(٣) ابن عبد المطلب بن هاشم عم الرسول عليه السلام وكافله بعد جده مات على الشرك قبل الهجرة

(٤) بنت خويلد القرشية زوج الرسول ﷺ وأول من آمنت به وناصرت دعوته كل أولاده منها إلا إبراهيم

(٥) توفيق محمد سبع، أضواء على الهجرة، ص١٥٣، منشورات المكتبة العصرية بيروت، ١٣٩٣هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكأن مؤشرات النصر تلوح لهم في الأفق، إذ كل ما اشتد العسر وتكاملت حلقاته، آذن بميلاد فجر جديد، تنفرج فيه الدعوة وأصحابها، فكانت تلك العصبة المؤمنة تؤمر بالصبر على تحمل الأذى، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والالتزام بالعدل، في رد الاعتداء، مع الإشادة بعظمة الصبر وخيرية العفو، وكيفية التحمل كل ذلك تعلمه المسلمون من رسولهم عليه الصلاة والسلام، تارة بفعله، وأخرى بقوله ،كما تنزلت به الآيات الكريمة مشعرة إياهم بأن معية الله ملازمة لهم ،قال تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[1].

---

(١) سورة النحل آية ١٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث
المناسبات في سورة النحل

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة.

وفي الاصطلاح: «هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها»[(١)].

وهي من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم وبيانه المعجز، وفي علم المناسبات يظهر أنه علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول[(٢)].

المطلب الأول
المناسبة بين بداية السورة وخاتمتها

بدأت السورة الكريمة بإنذار الكفار والمشركين المحفوف بالتخويف ودعتهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ويتقوه.

وختمت بأن عاقبة المتقين سليمة إذ هم في معية الله الخاصة يكلأهم ويرعاهم وبهذا يتضح المعانقة الشديدة بين آخرالسورة وأولها والموافقة بين المقطع والمطلع.

فالبداية دعوة إلى التقوى، والخاتمة بيان عاقبة المتقين وحسن ثوابهم، فاشتملت على نعمة الهداية في أولها، وعلى نعمة الرعاية الإلهية في آخرها.

كما أنه يمكن أن تكون هناك مناسبات أخرى بين مطلعها ومقطعها وخاتمتها.

١- سورة النحل بدأت بأن نزول العقاب والهلاك متحقق لا محالة للكافرين الجاحدين إن عاجلا أو آجلا.

وختمت بأن رحمة الله وجزاءه الحسن قريب من المحسنين المتقين لله تعالى.

٢- بدأت بتوجيه التخويف والإنذار إلى المشركين حتى يتم بعده الإعذار ثم الإهلاك. وختمت «بالأمر بالصبر والحث عليه، إذ لا بد بعد الإنذار من الصبر بعض الوقت لمعرفة مدى تجاوب القوم فإن تمادوا في غيهم ومكرهم أخذهم العذاب

---

(١) د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٨، دار القلم، بيروت، ودمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة. دون ط، ولا تأريخ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا ينبغي الحزن عليهم»[١].

٣- تحدثت السورة بعرض النعم حسب أهميتها أصولا ثم فروعا أو قل الضرورات ثم الحاجيات، ولم تغفل الجماليات مرتبة إياها حسب الفائدة والإيجاد، وختمت بترسيخ تلك النعم في الأذهان، وذلك بذكر نموذج للجاحدين وهو «بيان سبب استحقاق الكفار ما أنذروا به من العذاب في أولها وهو أنهم كانوا أصحاب القرية الآمنة المطمئنة وهي مكة[٢]،قال تعالى:(يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[٣]، كما ذكرت نموذجا للشاكرين المتمثل في إبراهيم عليه السلام (شاكرا لأنعمه...)[٤]، وهو الذي أنشأ تلك القرية الآمنة وأقام فيها ـ الكعبة ـ ومع هذا كان أمة قانتا، وكذلك كان شاكرا لأنعم الله المتعددة في أنواعها وآحادها.

المطلب الثاني

المناسبة بينها وبين سورة الحجر

فقد بين جلال الدين السيوطي[٥]: أن آخر سورة الحجر شديد الالتئام بأول سورة النحل فقد ختمت سورة الحجر بقول الله:(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[٦] واليقين فسر بالموت، وهوظاهر المناسبة لقوله تعالى: (أتى أمر الله)[٧]، فقد جاء في المتقدمة (يأتيك اليقين) وفي المتأخرة(أتى) بلفظ الماضي لأن المستقبل سابق على الماضي كما تقرر في العقول العربية[٨].

وجاء في البحر المحيط: «ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال:

---

(١) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٧٥.

(٢) عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، ص١٧٤-١٧٥، الطبعة النموذجية.

(٣) سورة النحل، آية ١١٢.

(٤) سورة النحل، آية ١٢١

(٥) هوعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين، الإمام الكبير صاحب التصانيف الكثيرة برز في جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعد صيته، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي رحمه الله سنة ٩١١هـ.، انظرأبا الطيب القنوجي التاج المكلل ص٣٤٩

(٦) سورة الحجر، آية ٩٩.

(٧) سورة النحل، آية ١.

(٨)انظرالسيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص٩٧، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٠٦هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(فوربك لنسألنهم أجمعين)[١]، كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجرموه في دار الدنيا، فقيل (أتى أمر الله) وهو يوم القيامة على قول الجمهور[٢].

وفي التفسير القرآني للقرآن جاء ما يفيد فيه أنّ ابتداء سورة النحل بقوله: (أتى أمر الله) ليلتقي بدؤها في ختام السورة التي قبلها وكأن في هذا جواباً على سؤال تلوّح به الآية التي كانت ختاما للسورة السابقة، ففي ختام سورة الحجر جاء قوله: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وكأنّ في هذا إثارة لبعض الأسئلة: ما هو اليقين؟ ومتى هو؟ وهل يطول انتظاره؟

وجاء الجواب عليها في مفتتح سورة النحل في قوله: (أتى أمر الله)

فاليقين هو أمر الله وهو يوم القيامة، أما موعد هذا اليوم فعلمه عند الله ولكنه قريب، وهل بعيد هو ذلك اليوم الذي ينتهي فيه عمر الإنسان، ويفارق هذه الدنيا؟ إن الموت قريب من كل إنسان فقد ينتزع روحه وهو قائم أو قاعد، أو سائر فليس للموت نذر يقدمها بين يديه لمن انتهى أجله، وإذا مات الإنسان فقد قامت قيامته بمغادرته دار الفناء إلى الآخرة دار البقاء[٣].

وقد تظهر هناك مناسبات أخرى للربط بين السورتين تتلخص في الآتي:

١- سورة الحجر تكون كالمهد وتأتي سورة النحل لتكمل ذلك أو قل أجملت أمور في سورة الحجر،وجاء تفصيلها في سورة النحل ،من مثل ذكر المعايش في الأرض، وسقي الماء وفي النحل ذكرت هذه المعايش المتمثلة في المطعومات كماذكرت المشروبات كلها: العسل، اللبن، الماء السكر...وهكذا.

٢- ذكر الله في سورة الحجر بداية خلق آدم أبي البشر وأصله الذي خلق منه: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماءٍ مسنون)[٤].

---

(١) سورة الحجر، آية ٩٢.

(٢) أبي عبد الله محمد بي يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، ج٥،ص٤٧٢، مكتبة العصر الحديثة، الرياض.

(٣)انظر، عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، الكتاب اسابع، ج١٤، ص٢٦٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٤) سورة الحجر، آية ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذكر في سورة النحل أطوار خلق ذريته (خلق الإنسان من نطفة..)[١].

٣- في الحجر ذكر تكريم أبي البشر وذلك بأمر الملائكة بالسجود له، وفي النحل ذكر ما أكرم الله به من النعم لأولاده من المطعومات، والمشروبات، والمركوبات،والملبوسات،(والأنعام خلقهالكم فيهادف،).(والخيل والبغال والحمير)[٢] (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون،والنخيل والأعناب.)[٣]،(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..)[٤].

٤- أمر الله في الحجر نبيه أن يجهر بالدعوة ويعرض عن المشركين وتوعدهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة أمرهم قال تعالى: (فاصدع بما تؤمر..)[٥].

وأخبر في النحل: أن يوم القيامة الذي يلاقون فيه جزاءهم آت لا محالة ونزه نفسه عن إشراكهم (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون)[٦].

٥- تناسبت خاتمة الحجر وفاتحة النحل في ذكر أمرين يشملان المخلوقات

وهما الموت ومجيء القيامة[٧].ومعلوم أن كل إنسان تكون قيامته بموته

٦-ختم سورة الحجر بذكرالمستهزئين المكذبين، وبهم افتتح سورة النحل وذكر أنهم الذين يتعجلون وقوع العذاب وحمله على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم.

المطلب الثالث

المناسبة بين سورة النحل وبين الإسراء

سورة الإسراء تعتبر من السور المكية فقد نزلت قبيل الهجرة، ففي ترتيب النزول متقدمة على سورة النحل، أما في ترتيب المصحف فهي متأخرة عنها، تأتي بعد النحل، والمناسبة بين السورتين من عدة وجوه، ويتبين في الآتي:-

١- إن الله تعالى ذكر في آخر سورة النحل اختلاف اليهود في السبت قال تعالى:(إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه...)[٨].

---

(١) سورة النحل، آية، ٤.

(٢) سورة النحل آية ٥-٨

(٣) سورة النحل آية ١٠ - ١١

(٤) سورة النحل آية ١٨

(٥) سورة الحجر آية ٩٤.

(٦) سورة النحل آية ١.

(٧) عبد الله محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن ص ٥٠.

(٨) سورة النحل، آية ١٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وذكر في الإسراء شريعة أهل السبت التي شرعها لهم في التوراة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل[١].

٢- أبرزت النحل مزاعم المشركين وتلفيقهم بأن القرآن يتعلمه الرسول عليه السلام من رجل أعجمي، ورد الله عليهم، قال تعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)[٢].

وأكملت سورة الإسراء الرد مسبوغا بالتحدي (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[٣]

٣- ختمت النحل بإبراز حالة النبي عليه الصلاة والسلام وحزنه على عدم إيمان المشركين رغم كل هذه الدلائل والنعم، قال تعالى: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون)[٤].

إن سورة الإسراء استهلت بتسليته ﷺ وعزائه على ما يعانيه من قومه وإن الله ناصره عليهم كما نوهت بذكر شرفه وفضله وعلو منزلته عند ربه، قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)[٥]

٤- كان حديث النحل عن الوحدانية والنبوة والبعث عمدت في إثباته إلى سوق الآيات الكونية والتذكير بالنعم، قال تعالى:(وسخر لكم اللّيل والنّهار والشمس والقمر، والنجومُ مسخرات بأمره)[٦].

وكانت سورة الإسراء امتدادا لهذا الموضوع (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة..)[٧]

٥- جاء في سورة النحل الأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى في قوله (إن الله يأمر بالعدل والإحسان..)[٧].

---

(١) انظر: جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص٩٩.دار الكتب العلمية بيروت

(٢) سورة النحل آية ١٠٣.

(٣) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٤) سورة النحل آية ١٢٧.

(٥) سورة الإسراء اية ١.

(٦) سورة النحل آية ١٢.

(٧) سورة الإسراء آية ١١

(٧) سورة النحل، آية ٩٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاءت الإسراء توصي به وتؤكد عليه، قال تعالى: (ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)[١].

٦- أنه ذكر في سورة النحل نعم كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم، وفي سورة الإسراء ذكرت أيضا نعم خاصة وأخرى عامة[٢].

٧- ذكر في النحل ما يشفي الأمراض العضوية قوله تعالى: (...يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس...)[٣].

وذكر في الإسراء، ما يشفي الأمراض القلبية والبدنية، قال تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين...)[٤]

«وتلك ميزة اختص بها القرآن في ترتيب سوره فكل سورة متعانقة مع أختها في ترتيب المصحف كأنها نزلت معها أو عقبها»[٥].

المطلب الرابع

بين يدي سورة النحل والرحمن

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن لا علاقة بينهما لوجود بعد زماني ومكاني وكذا في ترتيب المصحف، وبالتالي لا حاجة إلى هذا الربط وهذا العنوان.

ولكن الأمر يحتاج إلى نوع من التأمل حتى يظهر صحة ذلك من عدمه.

فسورة النحل مكية[٦]، وهي من المئين، وترتيبها في المصحف السادس عشر، وسورة الرحمن مكية[٧]، وهي من المفصّل، وترتيبها في المصحف الخامس والخمسون.

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٤.

(٢) محمد أبو النور الحديدي، الضياء في تفسير سورة الإسراء، ص٦-٧، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٣) سورة النحل آية ٦٩

(٤) سورة الإسراء آية ٨٢.

(٥) د.السيد محمد علي نمر سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، ص١٩، المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ. وانظر محمد الحديدي، الضياء في تفسير سورة الإسراء ص٦

(٦) انظر: ابن خليفة عليوي، جامع النقول في أسباب النزول، ص٢٤،مطابع الإشعاع، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٧) وقد ورد في كتب أسباب النزول أن سورة الرحمن نزلت بمكة، كما ورد أن نزولها في المدينة، وهذا مما لا إشكال فيه، لما عليه طبيعة الوحي المنزل منجما علي النبي صلى الله عليه وسلم، انظر ابن خليفة عليوي، جامع النقول في أسباب النزول، ص٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما من حيث ترتيب المصحف فبينهما تسع وثلاثون سورة. هذا من حيث المكان والزمان والترتيب.

أما من حيث الموضوع - وهو المقصود من هذا الربط - فهناك تشابه بينهما في عرض النعم، وهنا ستظهر العلاقة بينهما.

ففي سورة النحل السبق في ترتيب النعم وتنظيمها وتنسيقها، فقدمت أصول النعم على فروعها ومتمماتها، فبدأت بالنعم المعنوية، كالهداية وطرقها ووسائلها، ثم النعم المادية مرتبة على أفواج، المطعومات متمثلة في الأنعام، وكل ما ينبت في الأرض.

ثم فوج المشروبات، ثم المسكونات والملبوسات، وتدعو بعد كل فوج من أفواج تلك النعم إلى شكرها وصرفها في طاعة موليها ومعطيها.

أما سورة الرحمن فقد عرضت أيضا النعم بصورة حسنة فعددت للناس النعم الدينية من الهداية وتعليم القرآن، ثم النعم المادية التي بسطها الله في الكون من بدء الحياة إلى نهايتها ثم جاء دور النعم الأخروية.

إن سورة الرحمن أسلوبها فيه رهبة وتوبيخ، وشدة، وتخويف، وكأن النعم عرضت في سورة الرحمن بشكل تقريري لها.

ولهذا كان إحساس الجن مرهفا عندما سمعوا هذا التقرير والتقريع فأجابوا «ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ولك الحمد»[1]، وذلك بعد سماعهم كل آية فيها قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)[2].

أما سورة النحل فقد عرضت النعم بأسلوب هادئ، وشمول واسع وبعمق أدق، فلا جلجلة فيها ولا صلصلة، مخاطبة كل جارحة من جوارح الإنسان عن طريق العقل والعاطفة، ففي الأول تكمن قوة التفكير، وفي الثاني قوة الوجدان.

كما أن ذكر النعم فيها أوسع، فحوت على نعم لم ترد أصلا في سورة الرحمن كالعسل واللبن، وغيرهما، فإلى العرض الموجز لسورة الرحمن ثم النحل.

بدأت سورة الرحمن باسم من أسماء الله «الرحمن» وهو المنعم بجلائل النعم ولجميع الخلق ، وافتتحت بما يدل على الرحمة والرحموت، وهو إنزال القرآن.

عدد الله في مطلعها آلاءه العظيمة وأولها نعمة الدين والوحي وإنزال القرآن وتعليمه عباده، فهو النعمة الكبرى، ثم أتبعه ببيان خلق الإنسان ليعلم أنه إنما

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير تفسير سورة الرحمن، ج٥، ص٧٣، رقم٣٣٤٥، وضعفه

(٢) سورة الرحمن آية١٣، وقد تكررت هذه الآية أكثر من ثلاثين مرة في السورة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خلق للدين والإفادة من الوحي والموحى به إليه، ثم ذكر ما تميز به الإنسان عن سائر الحيوانات من البيان الذي هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير[١].

ثم أحصى تعالى أصول النعم الظاهرة في الكون من الشمس، والقمر والنجم (النبات) والشجر، والسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الفواكه والثمار والأشجار والزروع والرياحين.

وبعد إيراد تلك النعم خاطب الله الجن والإنس بقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) لتقرير النعمة وتأكيدها. روى الترمذي[٢] بسنده عن جابر[٣] رضي الله عنه قال:« قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن من أولها حتى آخرها فسكتوا، فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ولك الحمد.[٤]

وفي تتابع عرض النعم أضاف الله تعالى آية على قدرته الباهرة بالفصل بين البحر المالح وبين العذب، وإخراج اللؤلؤ والمرجان منهما، قال تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[٥] وإخراج الحب والعصف والريحان من التراب، قال تعالى (فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان)[٦] وتسيير السفن في أعالي البحار، قال تعالى: (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام)[٧].

ثم يطوى عالم الكون بالفناء بآلائه ولا يبقى سوى الحي القيوم، قال تعالى: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[٨].

ثم تبدأ السورة في عرض الصفحة الثانية للكون وهي الحلقة المتممة لحلقة الدنيا، وفيها بيان الجزاء والثواب على الأعمال، قال تعالى:(فإذا انشقت السماء

---

(١) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٢٧، ص١٩٣، باختصار وتصرف.

(٢) ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة صاحب الجامع وغيره توفي ٢٧٩هـ.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام،صحابي ابن صحابي غزا ١٩غزوة مات التقريب ص١٩٢

(٤) سبق تخريجه وضعفه والبديل الصحيح له حديث ابن عمر رضي الله عنه وفيه أنه ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال مالي أسمع الجنّ أحسن جوابا لربها منكم خرجه ابن المنذر والدارقطني انظر الدر المنثورج٧/ ٦٩٠

(٥) سورة الرحمن آية ١٢.

(٦) سورة الرحمن، آية١١-١٢.

(٧) سورة الرحمن آية ٢٤.

(٨) سورة الرحمن، آية ٢٦-٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكانت وردة كالدهان)[١].

وفيها عرض عالم القيامة وما فيه من أهوال جسام ومصير عصيب للمجرمين، قال تعالى: (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام)[٢].

يقابله مشهد النعيم في جنات الخلد لأهل اليمين، قال تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[٣].

أما سورة النحل فقد بدأت عرض النعم بمخاطبة العقل والوجدان لأن الأول يتدبر والثاني يتأثر، فدار محاورها حول عظمة الخلق وعظمة النعمة، وعظمة العلم والتدبر، تتراءى في السورة ظلال النعم وظلال الشكر.

طابع السورة المميز تعداد نعم الله ومشاهد عظمته، والتذكير بما يسر الله للناس من وسائل الرزق وسخر لهم من نواميس الكون.[٤]

ومما يدعو للتعجب ويثير الانتباه مجيء النعم مرتبة في السورة، ذاكرة كل صنف مع ما يناسبه، المطعومات مع المطعومات، وكذا المشروبات والملبوسات والمسكونات،مع تقديم الأهم على المهم ضروريات فحاجيات فكماليات كما يأتي:

١- فبدأت بأصول النعم التي لا يعيش الإنسان دونها وختمتها بقوله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...)[٥].

٢- اتبعت ذلك بأصناف الأشربة من الماء، واللبن، والسكر، والعسل[٦].

ثم ختمت بقوله تعالى: (...أفبنعمة الله يجحدون)[٧].

٣- تلى ذلك نعمة الإمداد: من الأزواج والبنين والحفدة، والتفاضل في الرزق[٨].

---

(١) سورة الرحمن آية ٣٧.

(٢) سورة الرحمن آية ٤١.

(٣) سورة الرحمن آية ٤٦.

(٤) انظر سيد قطب في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٩٥.

(٥) سورة النحل آية ١٨.

(٦) سورة النحل انظر الآيات: ٦٥, ٦٦, ٦٧, ٦٨.

(٧) سورة النحل آية ٧١.

(٨) سورة النحل، انظر الآيات ٧١, ٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ختمت بقوله تعالى: (...وبنعمة الله هم يكفرون)[١].

٤- تبع ذلك بيان تمام النعم وكمالها، من أنواع المساكن والبيوت والأكنان والسرابيل والظلال[٢] ثم ختمت بقوله تعالى:(..كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[٣].

٥- ومع كل هذا البيان والتوضيح ذكر إعراضهم وتوليهم عن النعمة وتوحيد المنعم، وأعقبها بقوله تعالى:(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها...)[٤].

٦- وفي ختام السورة ضرب الأمثال للجاحدين وأنذرهم بعواقب كفران النعمة، قال تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت أمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله...)[٥].

٧- وختمت السورة بذكر نماذج الشاكرين وهو أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه...)[٦].

٨- وإزاء هذه النعم المادية لم تغفل السورة النعم المعنوية كنعمة التوحيد، قال تعالى:(ينزل الملائكة بالروح من أمره علي من يشاءمن عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون)[٧]، ونعمة القرآن، قال تعالى:(..وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...)[٨]، ونعمة الأخلاق، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي..)[٩] كما لم تغفل النعم الجمالية للأشياء مما يرتقي بالذوق الإنساني كما في الآيات: (ولكم فيها جمال..)،(..لتركبوها وزينة..)،(..حلية تلبسونها..)،(..مواخر فيه..)[١٠].

---

(١) سورة النحل آية ٧٢.

(٢) سورة النحل آية ٨٠.

(٣) سورة النحل آية ٨١.

(٤) سورة النحل، آية ٨٣.

(٥) سورة النحل آية ١١٢

(٦) سورة النحل الآيتين ١٢٠-١٢١.

(٧) سورة النحل آية ٢.

(٨) سورة النحل آية ٤٤.

(٩) سورة النحل آية ٩٠.

(١٠) انظر الآيات ٦، ٨، ١٤. من سورة النحل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثاني
أصول النعم

الفصل الأول: نعمة الهداية والرعاية.

الفصل الثاني: إطار النعم.

الفصل الثالث : نعم الله في البر

الفصل الرابع : نعم الله في البحر

الفصل الخامس: أصناف الأشربة

الفصل السادس: نعمة الجمال والذوق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول
نعمة الهداية والرعاية

المبحث الأول: مفهوم الهداية والحاجة إليها.

المبحث الثاني: هداية الله للموجودات.

المبحث الثالث: هداية الله للبشرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:
مفهوم الهداية والحاجة إليها.

الهدى ضد الضلال، وقد هَداه هُدى وهَدْيا وهِدَايةً وهِدية، وهداه للدين، وهداه يهديه في الدين هُدًى، هداه للطريق وإلى الطريق، هدايةً إذا دلّه الطريق.[١]

وهديته الطريق والبيت هداية، أي عرّفته .

والهدى إخراج شيء إلى شيء، وأيضا الهدى الطاعة والورع[٢].

والهدى : بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة[٣].

والهداية تأتي بمعنى الدلالة بلطف[٤].

وتأتي بمعنى البيان كقول الله: (أولئك على هدى من ربهم.)[٥]،أي على بيان.

وتأتي بمعنى الإلهام[٦]كقوله تعالى: (..الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)[٧]

ومن أسماءالله تعالى الهادي، قال ابن الأثير[٨]: (هو الذي بصر عباده، وعرّفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى مالا بد له منه في بقائه ودوام وجوده)[٩].

والهداية في الإصطلاح: (الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي

---

(١)انظر ابن منظور لسان العرب مادة هدى ج١٥ ص٣٥٣-٣٥٤، دار صادر بيروت، ١٩٥٦م

(٢) انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٤٠٧-٤٠٨، دار الجيل، بيروت، بدون تأريخ.

(٣) انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ج٥ ص٣١٢، وانظر القاموس المحيط له ج٤ ص٤٠٥، مادة هدى.

(٤) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٣٥، دار القلم ،دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

(٥) سورة البقرة آية ٥

(٦) انظر يحى بن سلام، التصاريف ص٩٦، الشركة التونسية للتوزيع بدون طبعة ولاتاريخ

(٧)سورة طه آية ٥٠.

(٨) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري يلقب بمجد الدين ويعرف بابن الأثيرولد عام ٥٤٤هـ له مؤلفات كثيرة منها جامع الأصول في أحاديث الرسول، والنهاية وغيرها، توفي عام ٦٠٦هـ رحمه الله (انظرمقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر له،ج١ ص٩.

(٩)الإمام مجد الدين ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثرج٥ ص٢٥٣،تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت،بدون تاريخ ولا طبعة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سلوك طريق يوصل إلى المطلوب)[١].

والله سبحانه وتعالى هدى كل مخلوق إلى مافيه بقاؤه ودوام وجوده.

ومعلوم أن أهم مقصد من مقاصد القرآن، تصحيح العقيدة في النفوس ورد البشرية عما أصابهم من الشرك إلى الفطرة المستقيمة.

كما تميز بأنه كتاب هداية كما جاء ذلك في كثير من آياته قال تعالى: (الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)[٢].

وهدى الله تعالى يلحظ في كل دين سماوي.تقدم الرسالة الخاتمة نقرأه في جوانب من قصة نبي الله آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كما في قوله تعالى: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)[٣]، ويتكرر بنوع من البسط والاسترسال في سورة أخرى قال تعالى:(فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى...)[٤]الآيات.

وعن التوراة قال تعالى:(إنا أنزلنا التورات فيها هدى ونور ...)[٥].

وعن بني إسرآئيل ونبيهم قال تعالى:(وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرآئيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا)[٦].

والقرآن أعظم الكتب السماوية وآخرهاعهدا برب العالمين قال الله تعالى:(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ..)[٧]،أي الطريقة التي أسد وأعدل وأصوب[٨].

وفي الآية إجمال من الله تعالى لجميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها.

---

(١) علي بن محمد الشريف الجرجاني،كتاب، التعريفات ص٢٧٧، مكتبةلبنان، بيروت، ١٩٦٩م ، هذا وقد أضيف للتعريف حرف الجر الأولى «إلى» ليكمل بها المعنى

(٢) سورة البقرة آية ١-٢.

(٣) سورة البقرة آية ٣٨

(٤) سورة طه الآيات ١٢٣-١٢٤.

(٥) سورة المائدة آية ٤٤

(٦) سورة الإسراء آية ٢.

(٧) سورة الإسراء آية ٩.

(٨) انظر عبدالله بن محمد الشنقيطي،عقود الجمان من أضواءالبيان ج١ ص٤٧، دار روضة الصغيرللنشر، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ـ الحاجة إلى الهداية

ما من شك أن حاجة الإنسان إلى الهداية وطلبها تعتبر حاجة ضرورية في جميع نواحي الحياة لحصول السعادتين والنجاتين دنيا وأخرى، إذ هو أحوج إليها من الهواء والرزق والنصر، فهذه الأمور تنقطع بالموت وهي مضمونة له قبل أن يوجد في هذه الحياة، فإذا اهتدى وطلب هذه الأشياء كانت حياته خيرا ورشدا ونصرا، فإذا حضر الموت أو القتل يكون له من تمام النعمة لأن موته وهو مهتد يوصله إلى السعادة الأبدية وإن عاش كان محفوظا بالعناية الإلهية نصرا وتأييدا ومعية،فعاش قرير العين سيدا عزيزا مرفرع الرأس عبدا لله تعالى.

يقول الإمام ابن تيمية[١]:«حاجة العبد إلى سؤال الهداية ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه، بخلاف حاجته إلى الرزق والنصر فإن الله يرزقه فإذا انقطع رزقه مات،والموت لابد منه فإذا كان من أهل الهدى به كان سعيدا قبل الموت وبعده، وكان المؤمن موصلا إلى السعادة الأبدية، وكذلك النصر إذا قدِّر له أنه غلب حتى قتل فإنه يموت شهيدا وكان القتل من تمام النعمة، فتبين أن الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق »[٢].

ولهذا ينبغي أن يتنبه إلى أمرين مهمين هما:

١- حاجة الإنسان إلى الهداية حاجة ضرورية وأساسية بل هي أهم من الماء والغذاء والهواء، قال تعالى:(..بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)[٣]

٢- أن هداية الله للإنسان لا تنقطع عنه في أي لحظة من اللحظات، ولذلك يدعو دائما بقوله تعالى:(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)[٤].

---

(١) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي تقي الدين أبوالعباس، إمام،فقيه مجتهد، محدث، مفسر، أصولي أحاط بمذهب سلف هذه الأمة وخلفها ولد عام ٦٦١هـ له كثير من المصنفات كما درّس وأفتى وفاق الأقران وكان عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان قال :ابن حجر لا أعلم بعد ابن حزم مثله توفي رحمه الله عام ٧٢٨هـ(انظر التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لصديق بن حسن بن علي القنوجي ص ٤٢٠-٤٢٩، دار اقرأ، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ)

(٢) ابن تيمية، التفسير الكبير جمع ،عبد الرحمن عميرة ج٥ ص٣٣٧، دار الكتب العلمية،

(٣) سورة الحجرات آية ١٧.

(٤) سورة آل عمران آية ٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني
هداية الله للموجدات

المقصود بالموجودات ماأوجده الله تعالى وخلقه في هذا الكون الفسيح وقد ذكره الله تعالى في مطلع سورة النحل مرتبا حسب الأشرف فالأشرف فبدأ بذكر الأجرام الفلكية من السموات والأرض ، ثم الإنسان وأحواله ثم الأنعام ثم بقية الحيوانات ، ثم أحوال النبات ، ثم الجمادات وذكر العناصر الأربعة أيضا [١]

ولما كانت الحيوانات أمم مختلفة ذكرت بأنواعها بريه وبحرية وجوية

والسؤال الذى يلوِّح، هوكيف تحققت هداية الله لهذاه الموجدات ؟

«إن مبدع الوجود الذي صور الكائنات كلها على أي أساليب الإيجاد شاء... لم يقطع إمداده لها طرفة عين ، وكيف يعقل ذلك وهى مستمدة وجودها منه، وسابحة في ملكوته سبح النينان في المحيط الزاخر، منه وجدت، وبه تحيا وإليه تؤوب » [٢]

إن تدبير الله تعالى للكائنات التي أوجدها في الكون آخذ في هدايتها إلى كل ما يصلحها في الحياة لأنها مربوبة له ومنقادة لأمره.

وبالمثال يمكن أن يتضح المقال .

«خذ في يدك بذرة تفاحة وتأملها، تجدها تكاد لاتفترق عن الحصاة الميتة. فإن قيل لك ـ ولم تكن رأيت ذلك من قبل ـ إن هذه البذرة توضع في الأرض فتنبت، ويأخذ هذا النبات في النمو حتى يصير شجرة ثم تزهر فتنفرج زهورها عن ثمر التفاح اليانع،في مذاقه الشهي، وأريجه الشذى، ولونه الوردى، وملمسه الحريرى ، لكذبت محدثك واتهمته بالإزراء بك، والسخرية من عقلك، ذلك لأنك لاتعقل أن هذه البذرة الغافلة عن وجودها تنفرج متى غرست في الأرض وسقيت بالماء ...أليس هذا الأمر وحده يدل على هداية الخالق سبحانه لهذا النبات الضعيف وعلى دفعها لكل عضو فيه إلى موضعه »[٣]ورغم ما بين أنواع النبات من تشابه تجد لكلٍ،صفاته وخواصّه المميزة ، والحق إنه النظام الرائع ! والجمال الذي ليس له مثيل ! ولاحدود ! والتوافق العجيب ! كل هذا هو مجمل مايراه الإنسان أينما اتجه في عالم النبات (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت

---

(١) أنظر الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب ج ١٩ص١٧٧ . ١٧٨

(٢) محمد فريد وجدي، الإسلام دين عامر خالد ، ص٨٨ ، مطبعة الإعتماد، القاهرة، ط٢.

(٣) محمد فريد وجدى ، الاسلام دبن عامر خالد ، ص ٨٨ ـ ٨٩، مرجع سابق. بتصرف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)[١]

فمن الذى قدر وأوجد تلك القوانين العديدة التى تتحكم في وراثة الصفات! وفي نمو النبات ؟

تأمل هذا وتدبر ه في جميع شئون المملكه النباتيه لتتيقن أن مدبر الأكوان هو الذي يهدي هذه الكائنات الضعيفه إلى مايصلحها لإنه سبحانه هو الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هداه .[٢]

ولوترك الإنسان المملكه النباتية بأشكالها وألوانها وأنواعها وطعومها وروائحها ، واختلاف أحجامها، ولوتبصر في المملكة الحيوانية لوجدها كذلك «أنهاممتعة بالعلم الذى يحفظ وجودها ويصون نوعها وبالمحاولات التي لاغنى لها عنها في الدفاع عن أنفسها، وفي الاحتيال للخلاص من ورطاتها ، فمن أين أتى هذه الكائنات هذا العلم وهي محرومة من الأعصاب، ومن المخ معا »[٣]

وقد حدد الإمام ابن القيم[٤] معالم هذه الهداية وكيف أنها تشمل كل شيء عندما تحدث عن أنواعها إذ يقول:«فاعلم أن أنواع الهداية أربعة: أحدها الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى:(الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)[٤] أى أعطى كل شئ صورته التى لايشتبه فيها مع غيره، وأعطى كل عضو شكله وهيأته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ماخلقه له من الأعمال ، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ماينفعه ودفع مايضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها »[٥]

---

(١) سورة يس آية ٣٦

(٢) انظر خالد عبدالرحمن العلك ، غايه حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم ص ١١٩ دار الألباب ط،١، ١٤١٢هـ.

(٣) محمد وجدى ، الإسلام دين عامر خالد ص ٩٠بتصرف

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي شمس الدين ابن القيم ولد عام ٦٩١هـ كان فقيها أصوليا نحويا مفسرا محدثا لازم ابن تيمية وتفنن في علوم الإسلام وكان عالما بالسلوك وكلام أهل التصوف أكثر من التصنيف في علوم كثيرة، ت ٧٥١هـ انظر السيد أبيا الطيب القنوجي، التاج المكلل من جواهر مآثرالطراز الآخر والأول ص ٤١٦.

(٤) سورة طه آية ٥٠.

(٥) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، ج٢ص٣٥ دار الفكر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد عرفها الراغب الأصفهاني[١] بقوله: (هي التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شئ بقدر فيه حسب احتماله»[٢]

وفي بيان آية سورة طه يقول الزمخشرى[٣]: « أى أعطى كل شئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي هو يوافق الإستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منهما مطابق لما علق به من المنفعه غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر[٤] زوجين، والبعير والناقه، والرجل والمرأة، فلم يزاوج منهما غير جنسه وما هو على خلاف خلقه »[٥]

وبين ابن القيم أن كل عضو في المخلوق هدي إلى ما خلق له وهُدي الزوجان من كل حيوان إلي التزاوج والتناسل وهَدى النحل إلى اتخاذ البيوت وصنع العسل إلى أن قال رحمه الله «ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم»[٦]

فلقد جهز الله هذه الحيوانات بعناصر البقاء من خلال الأنسجة التي أعدهالها سواء للوقاية والإفراز أو لتنسيق الجسم أو للتكاثر والتناسل ، كى تؤدي

---

(١) الراغب الأصفهاني شهرته بلقبه أوقع الخلاف في اسمه ورجح أن اسمه هو الحسين بن محمد بن المفضل وقيل غير ذلك كما اختلف في تاريخ ميلاده ووفاته لكنه ترك تراثا كبيرا من المؤلفات قيل ولد في حدود ٣٤٣هـ وتوفي في ٤٢٥هـ، انظر الزركلي الأعلام ج٢ ص٢٥٥.

(٢) الراغب الأصفهانى ، مفردات الفاظ القدأن ، ص ٨٣٥ دار العلم دمشق ط ٢، ١٤١٢هـ.

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله ولد عام ٤٦٧هـ كان من أئمة العلم، له باع في التفسير واللغة والأدب له مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب وغيرها وكان معتزلي المذهب مجاهرا بذلك ت ٥٣٨هـ انظر الزركلي الأعلام ج٧ص١٧٨.

(٤) الحجر بكسر الحاء وإسكان الجيم : الأنثى من الخيل .

(٥) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٣،ص٦٧، دار الريان،القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٦) ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ج ٢ص٣٦ دار الفكر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وظيفتها على أحسن حال[١]. قال تعالى (...وماكنا عن الخلق غافلين).[٢]

فالحيوانات ، والحشرات ، والهوام ، والزواحف ، والفقاريات ،والطيور أمم لاتعد ولا تحصى قال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)[٣]، فالله تعالى خلق الحيوانات بدوافع نفسية فطرية أو عضوية ، فطرية ثم ألهمها كيف تعيش ، وكيف تدفع الضرر عن نفسها ، مما لم يطلع الإنسان على تفاصيله ، ولم يحط به علما ، فكانت آية من آياته في الخلق فتأمل عجائب صنع الله وغرائب إبداعه بأنه كيف صور الحيوانات « وسيرها ودبرها ورزقها ، وحمى ضعيفها وأعان عاجزها وسخر لها أسباب الحياة برحمته ، وجعل فيها الغرائز ، ألا يكفى هذا كله لأن يحرك النفوس الهوامد ، والعقول الجوامد، إلي الرضا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ».[٤]

نموذج من عالم الحيوان

ويمكن ضرب مثل حي واقعي يبين هداية الله لكل مخلوقاته بتلك الحشرة الإجتماعية والمنظمة والنظيفة، الطاهرة الملهمة، الطائعة لأمر ربها إنها النحلة

خصها الله تعالى من بين الحشرات بغرائز عجيبة فألهمها لتتخذ بيوتا مسدسة الشكل من الجبال ، ومن الشجر ، ومما يعرشه الناس، ثم ذلل لها سبل الحياة ، وأمرها أن تأكل من كل الثمرات صانعة منه عسلا مصفى ، شراب مختلف الألوان يتميز بأنه غذاء وشفاء للناس

قال تعالى :(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ،ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ...)[٥]

«فعلى الإنسان المقصود بهذا الوحى الإلهى أن يتفكر في هذا النحل العجيب ، إن النحل كالذباب ، فلماذا لا يصنع الذباب والفراش العسل ؟ إن

---

(١) انظر محمد بن صفوك العلى ، رحلة القلب السليم في أثار رحمة الله ص ٨٤ ، مكتبة دار العليان السعودية بريدة ، بدون تاريخ

(٢) سورة المؤمنون آية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣٨

(٤) محمد العلي ، رحلة القلب السليم في أثار رحمة الله ص ٨٦ .

(٥) سورة النحل آية ٦٨ ، ٦٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القضية ليست مص السكر من كؤوس الزهر، ليتساوى في صنع العسل النحل والفراش ، ولكنها غرائز عجيبة خص الله عز وجل بها كل حيوان بما أراد له وجهزه بعد ذلك بما يصلح في جسده لبلوغ الغرض الذي وجهه إليه ، وإلى هذه الغرائز أشار القرآن في ذكر النحل خاصة لأنها أوضح في الدلالة على خلق الله تعالى، وهديه ،ووحيه، وإلهامه »[١]

ومن عالم الحيوان ضرب الله المثل بهدايته الطير السابح في جو السماء، فهو سبحانه يمسكه من السقوط ، ويهديه إلى الحصول على رزقه، فاعطاه بصرا نافذا يستطيع به ـ وهو في حالة الطيران من ـ الإبصار إلى الحبة الموجودة على الأرض فينزل ويلتقطها وفي هذا مصداق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«لوأنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا »[٢] .

ويقول سبحانه وتعالى:(ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء مايمسكهن إلا الله إن في ذلك لأيات لقوم يؤمنون)[٣]

فسبحان من خلق ورزق ، وسبحان من أتقن في صنعه، ولطف في هدايته فله الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كله .

---

(١) محمد العلى ، رحلة القلب السليم في أثار رحمة الله ص٨٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ج٤ ص٤ برقم ٢٤٤٧ وقال الترمذي حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، ج٢ ص١٣٩٤ برقم ٤١٦٤، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٣٠ ، وصححه الشيخ الألباني، .انظر محمد ناصر الدين الألباني،صحيح الجامع الصغير وزيادته ج٥ ص٦٠، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط٣، ١٣٩٩هـ .

(٣) سورة النحل أية ٧٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

هداية الله للبشرية

إن الهداية شيء فوق الخلق والتسوية والإيجاد، وبسببها يكون التصرف والتعليم والعطاء، ولهذا فهي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان بوجه مخصوص، فهي سبب سعادته ونعيمه وراحته[١].فهو مضطر إليها غاية الاضطرار دائما وأبدا، وإذا كان القرآن الكريم ذكر الهداية وما يشتق منها في أكثر من ثلاثة عشر وثلاثمائة موضعا[٢]، فإن نصيب سورة النحل من ذلك كان أحد عشر موضعا، مما يدل على الإهتمام بذلك، فالله تعالى عدّ الهداية ضمن نعمه على عباده، بل هي نعمة النعم كلها، قال تعالى:(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ..)[٣].

والهداية في كتاب الله تنقسم إلى أربعة أنواع وهي:

١- الهداية إلى مصالح الدنيا - بالإلهام - وتشمل جميع المخلوقات، قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام:(..قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)[٤]

٢- هداية الدلالة والإرشاد، قال تعالى:(...وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)[٥]

٣- هداية التوفيق، قال تعالى:(إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يُضِلُّ وما لهم من ناصرين)[٦].

٤- الهداية إلى الجنة، قال تعالى:(إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم)[٧].

فإن الهداية في سورة النحل وردت مقصودا بها:هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام، وقد تمت النعمة على الخلق بهداية الدلالة والإرشاد التي

---

(١) انظر محمد العلي، رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله عز وجل، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٢٥

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٥.

(٤) سورة طه آية ٥٠

(٥) سورة الشورى آية ٥٢.

(٦) سورة النحل آية ٣٧.

(٧) سورة يونس آية ٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمثلت في إنزال الوحي حاملا معه كلمات الله وكتبه، وإرسال الرسل إلى الخلق بشرا من جنسهم قال تعالى:(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[١]، وفي إنزال الكتاب يقول تعالى:(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[٢].

ومن هداية الإرشاد بيان هذا المنزل وتوضيحه، والترغيب فيه والترهيب من مخالفة أوامره قال تعالى:(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه)[٣].

وتمت، أيضا هداية الإرشاد بإقامة حجة الله البالغة على الناس والتي تمثلت في أن الله تعالى«أعطاهم عقولا كاملة، وأفهاما وافية، وآذانا سامعة، وعيونا باصرة، وأقدرهم على الخير والشر،وأزال الأعذار والموانع عنهم»[٤].

ومع ذلك فالله تعالى لو شاء هداية الخلق إلى الإيمان لهداهم جميعا ولكن حكمته اقتضت أن يدع للإنسان حرية الاختيار[٥].

ويبقى فيه الاستعداد «للهدى والإضلال فمن عقل وأدرك ووعى واتعظ اهتدى حتما، ومن عطل مداركه وكذّب بآيات ربه ورسله واتبع هواه ضل حكما، وإضلاله يكون نابعا من نفسه وما زينت له من شهوات وأوهام وأباطيل»[٦].

ولعل المقصود بذلك أن للهداية أسبابا فمن عمل بأسبابها وفقه الله تعالى وهداه كما قال سبحانه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)[٧].

أما هداية التوفيق فتكون بأن يتفضل الله تعالى على بعض خلقه فيخلق القدرة على الإيمان[٨] في قلوبهم، وهذه الهداية بيد الله تعالى وحده لا يقدر عليها

---

(١) سورة النحل آية ٣٦.

(٢) سورة النحل آية ٤٤.

(٣) سورة النحل آية ٦٤.

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج١٥ ص١٨٥، بتصرف

(٥) انظر محمد علي الصابوني صفوة التفاسير ج٢ ص١٥ مرجع سابق

(٦) سميح عاطف الزين، طريق الإيمان، الإيمان بالله عن طريق الفكر المستنير، ص٣٤١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٥، ١٩٨٣م.

(٧) سورة العنكبوت، آية ٦٩.

(٨) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٨، ص١٧٢،جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحد سواه؛ ولذا جاءت آيات كثيرة بإثباتها لله وأخرى بنفيها عن غيره قال تعالى: (..ولو شاء لهداكم أجمعين)[١] وقال تعالى:(..فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)[٢] وقال تعالى:(إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل)[٣] وقوله:(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)[٤] فهداية البيان والدلالة ثابتة للرسول ﷺ ، وهداية التوفيق منفية عنه لأنها خاصة بالله تعالى.

وعلى العموم فالقرآن الكريم أعظم الكتب السماوية وآخرها عهدا بالله تعالى، وفي ثنايا آياته تتكاثر هداية الخلق إلى أقوم الطرق،كما أخبر بقوله:(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات..)[٥].

علاقة الهداية بالنعم

إن الهداية هي نعمة النعم وأعظمها على الإطلاق، بل هي حقيقة الحقائق، ودونها كل فضل وكل نعمة، حتى نعمة الحياة والوجود أصلا تعتبر في حقيقتها دون نعمة الإيمان والهداية.

فالهدية والنعمة متلازمتان لأن كلا منهما من صفة العطاء، لذا كان مطلع السورة يبدأ بقوله تعالى: (..أن أنذروا..).

والإنذار يكون للناس جميعا، فكل الناس في حاجة إلى التبليغ والبيان والتحذير «فالله لا يدع الناس إلى ضلالهم وأوهامهم إنما ينزل عليهم من السماء ما يحييهم وينعمهم، وهذه أولى نعمه وكبراها، فتنزل الملائكة بالروح الذي فيه حياة ومبعث، حياة في النفوس والضمائر، حياة العقول والمشاعر، حياة للفرد وحياة للمجتمع تحفظه من الفساد والتحلل، فهذا أول ما ينزله الله من السماء للناس، وأول النعم التي يمنّ بها على العباد»[٦]،قال تعالى:(...بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)[٧].

إنها نعمة الوحي والنبوة، نعمة كلام الله وهو كتابه، نعمة بيان الحق الذي

---

(١) سورة النحل آية ٩

(٢) سورة النحل آية ٣٦ .

(٣) سورة النحل آية ٣٧

(٤) سورةالقصص آية ٥٦.

(٥) سورة الإسراء آية ٩.

(٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآ، ج٦، ص٣٩٣٦ بتصرف شديد.

(٧) سورة الحجرات آية ١٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يجب اتباعه إنها الرحمة المهداة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)[١].

إنها نعمة الهداية والرعاية، التي تحيا بها القلوب، كما تحيا بالأرواح الأبدان قال تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لاإله إلا أنا فاتقون)[٢]،فقوله: (أن أنذروا) تحذير من عبادة الأوثان، وأصل الإنذار التحذير مما يخافه الإنسان ودل عليه ختم الآية بتقوى الملك الديان.

إنه إنذار أهل الكفر بأنه لا إله إلا الله، ويستشف من ذلك الوحدانية في الألرهية. والتعبير بالروح يشتمل على المعاني المتعددة منها: الوحي، النعمة، الهدى، الصلاح، العقيدة المنجية، الشريعة الهادية رعاية الخلق بتوجيههم إلى عبادة الخالق.

لكن أظهر الأقوال في معنى الروح التي تنزل به الملائكة ـ في سورة النحل ـ هو الوحي لأن به حياة الأرواح[٣]، وكما قال تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)[٤].

وما دام الروح هو الوحي فالموحى به يشمل كل المعاني الأخرى من نعمة وهداية وصلاح وإصلاح، فبه «تحيا القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير»[٥].

ومما سبق يتضح أن سورة النحل تحدثت في مطلعها على نعمة الوحي المشتملة على النعم الأخرى، بل لا قيمة لهذه النعم دونها، فالنفس البشرية تحيا بالوحي، وفي حياتها تنتفع بنعم الأرض كلها.

والله تعالى أفاض من عطائه ورحمته على الناس بلا سبب ولا علة فأكرم الإنسان كرامة لا يكاد يتصورها، بل لا يملك أن يشكرها ولو قضى عمره راكعا ساجدا.

فأوجده من العدم وأمده بالنعم، وأعده ليستمتع بها ويؤدي دوره في الخلافة،

---

(١) سورة يونس، آية ٥٨.

(٢) سورة النحل آية ٢.

(٣) انظر محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآ ن بالقرآن، ج٣، ص٢١٠.

(٤) سورة الشورى آية ٥٢.

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص٦٣١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهيأ الله للإنسان كل الموجودات من الحيوانات، والنباتات، والجمادات، وغيرها، وهداها إلى ما يصلحها، ويصلح الإنسان ، فإذا حصلت الهداية العامة للحيوانات، كان من باب أولى أن لا يُترك الإنسان سُدًى، لأنه الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فكان له التفضيل في الخلق والتكوين، والتكريم. فبعث إليه رسلا من جنسه، وأوحى إليه كلماته وهداه بها إلى أقوم السبل، حتى أصبحت جنبات الوجود كله تتجاوب مع كلام الله في خشوع وابتهال[١]،قال تعالى: (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنَّا له الحديد)[٢].

ويقول الإمام ابن القيم: «فإن من لم يهمل هذه الحيوانات سدى، ولم يتركها معطلة بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني، الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه ؛مهملا وسدى معطلا، لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته بل يتركه معطلا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه، وهل هذا إلا مناف لحكمته، ونسبته له مما يليق بجلاله.

قال تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)[٣].

فنزه نفسه عن هذا الحسبان فدل على أنه مستقر بطلانه في الفطر السليمة، والعقول المستقيمة»[٤].

---

(١) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٩٣٦ وما بعدها.

(٢) سورة سبأ، آية ١٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية ١١٥-١١٦.

(٤) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج٢، ص٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني
إطار النعم

المبحث الأول: حدود إطار النعم
المبحث الثاني: النعم في الآفاق
المبحث الثالث: نعمة خلق الإنسان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول

حدود إطار النعم

الإطار مفرد وجمعه أطر، وأطر الشيء:إطرا جعل له إطار.

و أطرالعود عطفه وحناه، والإطار: كل ماأحاط بالشيء من خارج، ومنه إطار الصورة والعجلة والدف والباب، يقال بني فلان أطار بني فلان:إذا حلوا حولهم[١]، والمقصود بحدود الإطار هنا هو المجال الذي تجري فيه الأحداث والإطار الذي تعرض فيه موضوعات النعم، فهو شامل وواسع فسيح جدا إذ يشمل السموات والأرض وما بينهما وما يجري فيهما من ماء هاطل، وشجرنامي، وليل ساكن، ونهار ساطع، وشمس مشرقة، وقمر منير، ونجوم زاهرة، وبحار متلاطمة، وجبال راسية، ومعالم بارزة، وسبل واضحة، وأنهار جارية،بل يمكن القول أن هذه النعم عرضها الله تعالى في السورة من خلال «الدنيا بأحداثها ومصائرها، والأخرى بأقدارها ومشاهدها وهو الغيب بألوانه وأعماقه في الأنفس والآفاق»[٢].

وبما أن هذه النعم تعرض بهذا الشكل وهذا النمط الذي يدل على ضخامة التوجيه وعظمته، لينتج منه شدة التأثير في عقل الإنسان وضميره، فيبدع في التأمل والتفكير في هذه الموجودات علويها وسفليها ثم يتأمل صفات موجدها من العدم فيؤدي به ذلك إلى عبادة المنعم والشكر له والخضوع لعظمته، والطاعة والانصياع لأوامره ونواهيه، ويبدو في سياق السورة هدوء الإيقاع لمخاطبة كل حاسة وجارحة في الإنسان «إنها تخاطب العين لترى، والأذن لتسمع، واللمس ليستشعر، والوجدان ليتأثر، والعقل ليتدبر، وتحشد الكون كله: سماءه وأرضه، وشمسه وقمره، ليله ونهاره، وجباله وبحاره، وفجاجه وأنهاره وظلاله وأكنانه، نبته وثماره، وأسراره وغيوبه، كلها أدوات توقع بها على أوتار الحواس والجوارح والعقول والقلوب، مختلف الإيقاعات التي لا يصمد لها فلا يتأثر بها الا العقل المغلق والقلب الميت والحس المطموس»[٣].

المقصود أن نعم الله عرضت في إطارين هما:ـ

١ـ إطار الآفاق بكل ما يحتوي عليه أويحمله .

---

(١) انظر ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيطج١ ص٢٠

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٥٨، دار الشروق،بيروت والقاهرة،ط ٩ عام ١٤٠٠هـ

(٣) سيد قطب في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٥٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢- إطار الأنفس، لأن النفس تمثل عالما صغيرا وجد فيها ماهو موجود في العالم الكبير، قال تعالى:(وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[١] والأرض نوع من الآفاق الشاسعة التي فيها بعض آيات الله المنظورة.

إن كلا من الآفاق الكونية والأنفس الإنسانية قد جعلهما الله طرفين لآيات لا حدود لها، وبث فيهما نعمه التي لا نهاية لها وفيهما من خفايا الأسرار وأنواع الاعتبار ما به الكفاية لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد[٢].

إن نعم الله في الآفاق تتمثل: في هذا الكون الهائل في الآيات المعروضة في صفحات الكون المنظور والتي يسر الله للعباد - كل على قدر طاقته - مطالعتهافي كتاب الله المفتوح في كونه الفسيح والذي يعيش فيه الإنسان«وهو يشم هواءه، ويأكل ثماره، ويشرب من أنهاره، ويركب بحاره، ويسير فجاجه، وينظر إلى سمائه، ويستخدم أنعامه»[٣]وهذا ما يجده المتأمل في تساؤل يشدّ، الانتباه ويثير العقل، ويختلج القلب، ويوقظ الضمير، من عرض ماهو مشاهد في الكتاب المنظور إلى الكتاب المقروء قال تعالى:(ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا، وخلقناكم أزواجا، وجعلنا نومكم سباتا،وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النّهار معاشا، وبنينا فوقكم سبعا شدادا)[٤].

إنّ توجيه الأنظار إلي آلآء الله في الآفاق كان موضوع سورة النحل الأساسي،مع التأكيد بأن هذه النعم إنما بثها الله في الكون ليستمتع بها هذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى، وهذا مايؤكده عودة الضمائر إلى الناس في الآيات الآتية: قال تعالى:(خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون)[٥].

وقال تعالى:(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)[٦].

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٠-٢١

(٢) عبد العزيز بن خلف آل خلف آفاق الهداية ج٦ ص٧ بتصرف، مكتبة دار البيان دمشق .

(٣) جمعه أمين عبد العزيز، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ص٨٣ دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، ط١ عام ١٤٠٥هـ

(٤) سورة عم الآيات من ٦-١٣

(٥) سورة النحل آية ٣

(٦)سورة النحل آية ٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال تعالى: (ولكم فيهاجمال حين تريحون وحين تسرحون ،وتحمل أثقالكم)[١]

وقال تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماءا لكم منه شراب ومنه شجر..)[٢]

وقال تعالى: (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب...)[٣].

وقال تعالى: (وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر...)[٤].

فليتأمل في الآيات السابقة إلى الضمير«لكم» والذي يرجع إلى الناس المخاطبين به مما يظهر امتنان الله عليهم بما بث لهم في الآفاق الواسعة من الخيرات الوفيرة، وجعلها تقرأ بكل لغة وتدرك بكل وسيلة، وتنظر بعين البصر والبصيرة.

وكما دعا تعالى إلى التأمل في آلائه المبثوثة في الكون، دعا كذلك إلى التفكير والنظر في نعمه الكامنة في الأنفس، بل جعلهماصنوان،فكثيرا ما يجمع الله الآيات بين السماء والأرض وبين الإنسان أو قل بين الأنفس والآفاق تارة في آية واحدةقال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...)[٥].وتارة أخرى في آيات متتابعة قال تعالى: (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركونهخلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين)[٦].

وقال تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[٧].

إن توجيه نظر الإنسان إلى النعم المخبوءة في نفسه تتمثل في[٨]:توجيهه إلى صفتي الخلق والحكمة فيها وذلك بطريقتين:

١ـ طريقة النظر إلى أصل النوع الإنساني كله، وتعاقبه أجيالا بعد أجيال، مع التأمل في أصل الفرد الواحد من بدء الحياة إلى منتهاها.

٢ـ طريقة النظر إلى أعضائه عضوا عضوا ومعرفة مهام كل عضو ووظائفه بما يستوعب النوع الإنساني في شمول وتكامل ويستوعب الإنسان منها ما يدفعه

---

(١) سورة النحل آية ٦ـ٧

(٢) سورة النحل آية ١٠

(٣) سورة النحل آية ١١

(٤) سورة النحل آية ١٢

(٥) سورة فصلت آية ٥٣

(٦) سورة النحل آية ٣ـ٤

(٧) سورة الذاريات آية ٢٠ـ٢١

(٨) انظر توفيق محمد عزالدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ص ٧٥ـ٧٦،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١،عام ١٤٠٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى الإقرار بربوبية الله وألوهيته قولا وفعلا واعتقادا.هذا وسيرد في المبحثين الآتيين من هذا الفصل مزيدا من الدراسة والتوضيح لنعم الله في الآفاق ونعمه في الإنفس فإلى المبحث الآتي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني

النعم في الآفاق

الآفاق جمع ومفرده أفق، وهو الناحية، والأفق«الهمزة، والفاء، والقاف، أصل صحيح يدل على تباعد بين أطراف الشيء واتساعه وعلى بلوغ النهاية،من ذلك الآفاق، والنواحي والأطراف»[١].

والأفق الناحية، كما يطلق الأفق على خط دائري يرى فيه المشاهد السماء كأنها ملتقية بالأرض، كما يقال للمتوسع في العلم والمعرفة والرأي واسع الأفق[٢].

والمقصود بالآفاق هنا هوالكون، وهو النواحي والجهات التي خلقها الله في هذا الوجود من أرض وما عليها ومن سماء وما فيها وما بين ذلك من مخلوقات الله المختلفة والمتنوعة، المشاهدة منها والمغيّبة، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الأفق يشمل نواحي الأرض كما في حديث تعبير الرؤيا الطويل وفيه « ...وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فأنه الرجل يغدوا من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ... »[٣].

كما يطلق الأفق على مابين السماء والأرض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : أن النبي عليه السلام كان إذا رأى سحابا مقبلا من أفق من الآفاق ترك ماهو فيه وإن كان في صلاة حتى يستقبله فيقول «اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به...»[٤]، كما يقال للناحية من قبة السماء أفق[٥].

يقول عطاء في قوله تعالى:(سنريهم آياتنا في الافاق)[٦]،« يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج١ ص١١٤

(٢) انظر إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١ ص٢١

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ج٨ ص ٨٤ـ٨٦

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر ج٢ ص٢٨٠ رقم ٣٨٨٩، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج٦ ص١٩٠، وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٣٣٧

(٥) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٥ ص ١٩

(٦) سورة فصلت آية٥٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والرعد والبرق والصواعق، والنبات والأشجار والجبال والبحار، وغير ذلك »[١]،

إن مخلوقات الله في آفاقه تنقسم إلى قسمين :

١ـ مخلوقات علوية

٢ـ مخلوقات سفلية[٢]

ويقصد بالمخلوقات العلوية السماء وأبراجها والكوكب ومداراتها والشمس والقمر وما يتصل بكل ذلك من العلوم الفلكية كما يدخل فيه المخلوقات التي أوجدها الله تعالى فيه كالملائكة والجنة والنار وغير ذلك .

أما المخلوقات السفلية فهي الموجودة فيما دون الأفلاك العلوية من النار والهواء والماء والتراب والرياح والسحاب والأرض والجبال والأشجار والبحار والأنهار والحيوانات والإنسان والنبات والطيور والجماد وغير ذلك [٣].

كما أن نعم الله تنقسم إلى قسمين:

١ـ نعم عامة

٢ـ نعم خاصة

فالنعم العامة هي النعم التي تكون في الدنيا وهي على حالين:

١ـ نعم متصلة بالإنسان

٢ـ ونعم منفصلة عنه

فالمنفصلة هي الموجودة في آفاق الأرض، وآفاق السماء قريبة كانت أو بعيدة والمتصلة به هي نعم الله في الأنفس من خلق وإيجاد وما أودع الله في الإنسان من عجائب الصنعة، ودقة العمل، وإحكام التناسق، وحسن القامة، وكمال الشكل، وجمال المظهر والمخبر، ومكان تناولها هو المبحث اللاحق«نعمة خلق الإنسان»، أما هذا المبحث فسيكون الحديث فيه عن نعم الله في الآفاق .

تحفل سورة النحل بالآيات التي تنبه إلى ظواهر الكون العلوية منها والسفلية، مظهرة بذلك عظمة الخالق وقدرته على الخلق، ومبينة رحمته بمخلوقاته، مفصلة لكثير من نعمه في الآفاق والأنفس جامعة ماجاء في آيات سور الكتاب

---

(١) ابو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٢٧٥

(٢) هذا التقسيم قد صار عليه بعض العلماء المتقدمين ومنهم القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.

(٣) انظر فريد إسماعيل التوني، عبودية الكائنات لرب العالمين ص٤٩ مكتبة الضياء ط١ عام ١٤١٣هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العزيز، وقد شملت بعض آيات السورة على حقائق كونية وعلمية في المجالات المتنوعة من فلك وعلوم الأرض، والنبات، والحيوان، والطب،والهندسة،والزراعة، وغيرها كما سيأتي، من أمثال قوله تعالى: (خلق السموات والأرض بالحق..)[1]

وقوله تعالى: (ينبت لكم به الزرع والزيتون والأعناب.)،(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)،(وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه)،(وهو الذي سخرالبحر لتأكلوا منه لحما طريا)،(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم....)[2].

والمعلوم بالضرورة أن عد مخلوقات الله في الكون، والبحث عن الحكمة من وجودها، والنظر في تعداد منافعها وفوائدها، أمر يعسر على كل البشر القيام به لو أرادوا ذلك ناهيك عن فرد واحد وفي مبحث واحد، بل لو اجتمع جميع الخلق على أن يسردوا مخلوقات الله مجرد السرد لأعياهم ذلك فكيف إذا كان الموضوع التأمل في حكمة خلقها، أو البحث عن فوائدها، لا شك أن العجز سيكون أشد، ونظرا لكثرة نعم الله على الإنسان في الآفاق يمكن حصر الحديث في بعضها، وحتى هذا البعض المختار سيتناول الباحث بعض فوائده ونعمه، وذلك لأن الإنسان «لوتأمل العبرة في موضع هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على أحسن نظام وأدقه إنما يدل على كمال قدرة خالقه وكمال علمه وكمال حكمته وكمال لطفه...وجده كالبيت المبني المعد فيه جميع آلاته ومصالحه، وكل ما يحتاج إليه فالسماء سقفه المرفوع عليه والأرض مهاد وبساط وفراش ومستقر للساكن، والشمس والقمر سرجان يزهران فيه والنجوم مصابيح له وزينة وأدلة للمتنقل في طرق هذه الدار، والجواهر والمعادن مخزونة فيه كالذخائر والحواصل المعدة المهيأة كل شيء منها لشأنه الذي يصلح له، وضروب النبات مهيأ لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة لمصالحه، فمنها الركوب ومنها الحلوب، ومنها الغذاء، ومنها اللباس، والأمتعة والآلات، ومنها الحرس الذي وكل بحرس الإنسان يحرسه وهو نائم وقاعد مما هو مستعد لإهلاكه وأذاه فلولا ما سلط عليه من ضده لم يقر للإنسان قرار بينهم ، وجعل الإنسان كالملك المخول في ذلك، المحكم فيه، المتصرف بفعله وأمره، ففي هذا أعظم دلالة وأوضحها على أن هذا العالم مخلوق لخالق حكيم

---

(١) سورة النحل آية ٣

(٢) سورة النحل انظر الآيات ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قدير »[١] ، كما أن فيه الامتنان على الإنسان بأعظم النعم وأجلها، فقد جعله الله سيدا في هذا العالم بل كرمه على كثير من خلقه، وسخر له كل المخلوقات لخدمته، وجعل العلاقة بينه وبين الكون تقوم على الإنسجام والإلف والمودة والرحمة وبهذا حبب هذا الكون إليه ، وأمره بالنظر والتأمل في آفاقه ودعاه لاستخراج كنوزه ونعمه، قال تعالى:(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون)[٢] ، كما اسكن الله تعالى الإنسان الأرض بعد أن خلقه منها وجعل علاقة السماء بالأرض علاقة عطاء وتفضل[٣] ، كما جعل الكون بكل أجزائه وكائناته مسرح ضخم لنشاط الإنسان[٤].

وبعد هذا العرض اليسير فقد وقع الاختيار على جملة من مخلوقات الله في الآفاق، والوارد ذكرها في سورة النحل، وذلك لبيان وجه النعمة فيها على الإنسان، وهي كالآتي:

السماء، الشمس، القمر، النجوم، الليل، النهار، الغلاف الجوي، الأرض. فهذه المخلوقات العظيمة امتن الله بها على عباده وسخرها لهم ، قال تعالى :(خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون)[٥]، وقال تعالى:(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ...)[٦].

وإذا كان الله قد ذكر في الآية الأولى السابقة أنه خلق السموات والأرض بالحق، ذلك أن الحق هو قوام خلقهما، كما أن الحق هو قوام تدبيرهما، فلا يوجد شيء من ذلك كله عبثا ولا جزافا[٧]، ولهذا بين فيما بعد خلق السموات والأرض أنه تعالى سخر لخلقه خمس آيات عظام هي الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وفيها من عظيم نعمته على عباده ما لا يعلمه إلا هو من المنافع

---

(١) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ج١ ص٦٠٢، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ، دون تاريخ ولا ط.

(٢) سورة يونس آية ١٠١

(٣) وذلك لأن الماء ينزل من السماء بقدرة الله فيكون له آثار حميدة في الأرض منها حياة الأرض وانباتها من كل زوج بهيج .

(٤) انظر د. حامد صادق قنيبي، الكون والإنسان في التصور الإسلامي، ص٨٨-٨٩ ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، عام ١٤٠٠هـ.

(٥) سورة النحل آية ٣

(٦) سورة النحل آية ١٢

(٧) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٦٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمصالح بحيث لا يستغنون عنها أبدا[١].

ففي الليل سكن وراحة ونوم، والنهار انتشار وطلب المعاش ومنافع الدين والدنيا، وفي الشمس والقمر ضياء ونور وإشراق، وغير ذلك، وفي النجوم زينة للسماء وهداية في ظلمات البر والبحر، وفي هذه الأمور مجتمعة الوقوف على معرفة الأوقات وحساب الأزمنة وغيرها من المنافع المتنوعة[٢]، فهذه المخلوقات الخمسة «من مظاهر التدبير في الخلق وظواهر النعمة على البشر...وهي وإن لم تخلق له ولكنها مسخرة لمنفعته، فظاهرة الليل والنهار ذات أثر حاسم في حياة هذا المخلوق البشري ومن شاء فليتصور نهارا بلا ليل أوليلا بلا نهار، ثم يتصور مع هذا حياة الإنسان والحيون والنبات في هذه الأرض كيف تكون»[٣].

* **السماء:**

السماء في اللغة هي كل ما علاك فأظلك، وقد يقال لسقف البيت سماء، وعرّفت السماء بأنها «الجسم المحيط بجميع الكائنات والحاوي لجميع الأجرام الكونية»[٤]، وفي علم الفلك هي:«فضاء شاسع ...يحوي على الأجرام السماوية كلها »[٥]،وقد ورد لفظ السماء مفردا في سورة النحل في ثلاثة مواضع[٦]، وورد مجموعا في خمسة مواضع[٧]، مع العلم أن وروده في القرآن الكريم كان في ثلاثمائة وعشرة موضع، وهي مأخوذة من السمو وهوالعلو[٨]

---

(١) انظر محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج٣ ص ٢٢٥

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٤ ص١٨٨، تحقيق محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض، دون تاريخ نشر

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٦٣.

(٤) خالد عبد الرحمن العك ، غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم ، ص ٤٥، دار الألباب بيروت، ط١ عام ١٤١٢هـ

(٥) د. عبد الحميد سماحة، في أعماق الفضاء ص ١٧، دار الشروق، بيروت، ط٣، عام ١٤٠٠هـ.

(٦) انظر الآيات ١٠، ٦٥، ٧٩، من سورة النحل

(٧) انظر الآيات، ٣، ٤٩، ٥٢، ٧٣، ٧٧.

(٨) انظر محمد بن صفوك العلي، رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله، ص ٢١، مكتبة دار العليان، بيروت، دون تاريخ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وللسماء عدة إطلاقات في القرآن الكريم[١] منها:

١ـ سقف البيت،قال تعالى:(فليمدد بسبب إلى السماء)[٢].

٢ـ السحاب، قال تعالى:(هو الذي أنزل من السماء ماءا لكم ..)[٣]

٣ـ المطر، قال تعالى:(يرسل السماء عليكم مدرارا)[٤]

٤ـ الجهة، قال تعالى:(قد نرى تقلب وجهك في السماء...)[٥]

٥ـ الفضاء، قال تعالى:(...فيبسطه في السماء كيف يشاء..)[٦]

٦ـ الجرم بعينه، قال تعالى:(ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات)[٧]

٧ـ الهواء، قال تعالى:(ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء)[٨]

٨ـ سماء الجنة والنار وسقفهما،قال تعالى:(وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك...)[٩].

فالسماء «عالم هائل رهيب لايعرف كنهه ولايدرك عمقه، واسع الأرجاء بعيد الأنحاء بديع التكوين، محكم التنظيم، فراغه هائل،وبناؤه كامل»[١٠]،فهي من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها، وفي سعتها وقرارها، فهي مستوية معتدلة لا صدع فيها ولافطر، ولا شق فيهاولاأمت ولاعوج[١١]، وقد جعل الله لونها أشد الألوان موافقة للأبصار فلا أشعة ولا أنوارا ضارة للناظر، ومعلوم أن النظر إلى الخضرة والزرقة موافق للأبصار ولهذا يجد الإنسان عند رؤيتها نعيما وراحة، وإذا كان الملوك يزيّنون سقوفهم وينقشونها حتى تبهجهم وتبهج الناظرين إلاّ أنه بدوام النظر إليه يمله الناس، ويزول عنهم الإنشراح، بخلاف النظر إلى السماء فإنه لايمله

---

(١) انظر أبو الفرج بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص٣٥٨، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٢ ، ١٩٨٥م. وانظر خالد العك ، غاية حياة الإنسان، ص٥٠.

(٢) سورة الحج آية ١٥

(٣) سورة النحل آية ١٠

(٤) سورة نوح آية ١١

(٥) سورة البقرة آية ١٤٤

(٦) سورة الروم آية ٤٨

(٧) سورة البقرة آية ٢٩

(٨) سورة النحل آية ٧٩

(٩) سورة هود آية ١٠٨

(١٠) خالد العك، غاية حياة الإنسان،ص ٤٩ مرجع سابق.

(١١) انظر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة،ج١ ص٢٠٧،مرجع سابق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الملوك ولا من دونهم، ولهذا عند التضجر يلجأون إلى ما يشرح صدورهم من النظر إلى السماء وسعة الفضاء [١]، فقد ذكر القرآن الكريم السماء وأراد بها الجرم المعهود غير النجوم والكواكب التي نشاهدها، فهي ليست حدودا وهمية بل هي حقيقة، وقد أخبر تعالى في كتابه بأنه بناها بل سماها بناءا فقال: (وبنينا فوقكم سبعا شدادا)[٢]، وقال تعالى: (والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون)[٣]، بل جعلها الله سقفا محفوظا وأقسم بذلك فقال: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)[٤]، كما جعل الله لها أبوابا وأخبر أنها تفتح وتغلق قال تعالى: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر)[٥]، وقال تعالى: (...لا تفتح لهم أبواب السماء...)[٦]، وفي قصة الإسراء أخبر الرسول عليه السلام أن جبريل عندما كان يَصِلُ إلى كل سماء يطلب من حرسها الاستفتاح له، مما يؤكد وجود السماء بحرسها وأبوابها[٧].

ولما كانت السماء من صفحة الكون المفتوح الذي ينطق بالحق ويهدي إلى الحق، اهتم بها العلماء قديما وحديثا حتى أن بعض المتقدمين [٨]منهم عدد بعض فوائدها في القرن الخامس الهجري حسب ما وصل إليه علمه دون الحصول على المناظر التي كشفت على كثير من الفوائد التي لم يقف عليها الأقدمون، وقد وجه الله الأنظار إلى السماء أن تتأمل ويتفكر فيها، بل حض على النظر الشامل فى

---

(١) انظر د. حامد صادق قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية [ص ٢١، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١، عام ١٩٨٤م.]

(٢) سورة النبأ آية ١٢

(٣) سورة الذاريات آية ٤٧

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٢

(٥) سورة القمر آية ١١

(٦) سورة الأعراف آية ٤٠

(٧) انظر ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص٢،دار المعرفة بيروت، ١٩٨٨م.

(٨) كالإمام الغزالي محمد بن محمد المتوفي عام ٥٠٥هـ، في كتابه الحكمة في مخلوقات الله وفي غيره من كتبه الأخرى، حيث ذكر أن النظر إلى السماء فيه فوائد هي:تنقص الهم، ٢-تقلل الوسواس، ٣-تزيل وهم الخوف، ٤-تذكربالله، ٥-تنشر في القلب التعظيم، ٦-تزيل الفكر الرديئة، ٧-تنفع لمرض السوداء. ٨-تسلي المشتاق، ٩-تؤنس المحبين، ١٠-هي قبلة دعاء الداعين، «انظر الحكمة في مخلوقات الله ص ٨٥، مطبوع مع الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢ عام ١٤١٣هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكائنات العجيبة، وذلك حتى تقوى صلة المخلوق بالخالق ويتعرف إليه بآياته ومخلوقاته، لأن عظمة الخلق ودقته تدل على عظمة الخالق وحكمته، قال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)[١] وقال تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء،...)[٢].

الشمس والقمر

أطلق على الشمس هذا الاسم لما لها من قرصة ،أو لما ينتشر عنها من ضوء[٣] وهي التي يصدر عنها ذلك السراج الوهاج والذي يبدد ظلام الليل وينير الأرجاء، فهي مسخرة بتسخير الله لها، نافعة ومفيدة لما على الأرض وما فوقها.

أما القمر فلعله سمي بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به[٤] واسمه يدل على بياضه، وفي الصحاح ليلة قمراء أي مضيئة[٥].

فالشمس والقمر آيتان من آيات الله الكونية التي يشاهدها جميع الخلق، ويدلان على عظمة الخالق وقدرته، قال تعالى: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)[٦]، وقد جعلهما الله من الكائنات المسخرة للإنسان، قال تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجومُ مسخرات بأمره)[٧]، ففي الشمس حياة لجميع الأحياء على وجه الأرض إذ« أودع الله سبحانه في الشمس ما تقوم به حياة الناس وحياة المخلوقات من حيوان ونبات، وكذلك القمر فيه من مصالح الناس أنهم يميِّزون به عدد الأشهر والسنين، وبه يقوم حساب العالم، فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر في منازله تعرف الشهور والأعوام، ولو كان الزمن

---

(١) سورة ق آية ٦

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥

(٣) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص٤٦٤

(٤) المرجع السابق ص ٦٨٤

(٥) الجوهري، الصحاح ج٢ ص٧٩٨-٧٩٩

(٦) سورة فصلت آية ٣٧

(٧) سورة النحل آية ١٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نسقا متساويا سرمدا لما عرف شيء من ذلك»[١]، فالله تعالى جعل الشمس والقمر مذللين، لمعرفة الأوقات، ونضج الثمار والزروع وهما يدوران في فلكهما الذي حدده الله لهما، فالشمس تصدر الضياء والقمر يصدر عنه النور، وفي الضياء والنور تظهر متعة الحياة، وسعادة الإنسان بالدفء والحرارة، ونمو الحيوان والنبات بهما، وبالقمر يعلم الإنسان عدد السنين والحساب، قال تعالى:(هو الذي جعل الشمس ضياءاوالقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ..)[٢] ، فالشمس والقمر لهما ارتباط وثيق بحياة الإنسان على هذه الأرض ولهذا عدد الله على الإنسان بعض نعمهما وفوائدهما له أما الأمور التي خلقت الشمس من أجله فلا يستكمل علمه إلا الله تعالى، فمن حكمة خلق الشمس جعل في حركتها إقامة الليل والنهار في الكرة الأرضية وفي ذلك يسعى الناس في معاشهم ويتصرفون في أمر دينهم ودنياهم[٣].

ولأهمية الشمس في حياة الناس والأحياء ذكرها الله في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا[٤]، وذكرت في سورة النحل في موضع واحد، وهي أبعد من القمر بالنسبة للأرض، ويصل نورها في نحو ثماني دقائق[٥]، وبشروقها تملأ الكون حياة وبهجة وحركة ودفئا، ومن نعمها ظهور الظل، وسيأتي الحديث عنه وامتنان الله به على العباد[٦].

ومن فوائد الشمس على الأحياء ونعمها على الإنسان مايلى:

١- بضوء الشمس نبصر ونسير في الأرض

---

(١) أبي الشيخ عبدالله بن محمد الأصبهاني، كتاب العظمة ج٤ ص١٢٠٧، والنص المنقول من كلام المحقق، رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة،الرياض، ط١ عام ١٤١١هـ

(٢) سورة يونس آية ٥

(٣) انظر محمد بن محمد الغزالي الحكمة في مخلوقات الله ص٨٦،

(٤) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٣٨٧

(٥)ذلك أن بعد القمر عن الأرض يبلغ ٢٣٨٨٦٠ ميل، أما بعد الشمس عن الأرض فبلغ ٩٣ مليون ميل تقريبا، هذا ولما كانت المسافات شاسعة في الآفاق عدل العلماء للحساب بالسنة الضوئية، التي بعد الثانية فيها يقدر بثلاثمائة ألف كم يقطعها الضوء في ثانية واحدة ، فما بالك بالسنة الضوئية ، إنها مسافات هائلة،«انظر د. عبد العليم خضر، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، ص١٧٤ فما بعدها»

(٦) وذلك في الباب الثالث وفي الفصل الثالث من مبحثه الثالث ص ٣٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- بحرارتها وضوئها يتكون من النبات طعامنا وطعام كل كائن حي

٣- بحرارتها تدفء الأرض وتذهب برودتها القاتلة لكل حي

٤- من أشعتها وحرارتها خزن الله للإنسان في الأرض الوقود[١]

٥- ومن الشمس يتعلم الناس عدد الأيام وحساب السنةقال تعالى:(..لتعلموا عدد السنين والحساب)[٢]

٦- للشمس عامل مهم في تعاقب الليل والنهار الذي بهما يضبط الإنسان أوقات الصلاة ،قال تعالى:(الشمس والقمر بحسبان)[٣]،وقال تعالى:(أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودا)[٤]

٧- من نعمها ظهور الظل ذو الفوائد المتعددة للإنسان والحيوان يقول تعالى ممتنا به :(والله جعل لكم مما خلق ظلالاً...)[٥]،لأن الظل تابع للشمس في حركتها فإذا شرقت غرب وإذا غربت شرق فهو يتعاكس مع حركتها[٦].

٨- إضافة إلى نعم الشمس الأخرى الكثيرة التي لا يحصيها إلا خالقها ومسخرها، إذ لولا طلوع وغروب الشمس لأظلمت الدنيا ظلما سرمديا، فيستفاد من أشعتها في قتل بعض الجراثيم، وفي تبخير المياه من على سطح الأرض، والبحار والمحيطات، كما تساعد على نزول المطر بإذن خالقها، كما تحتوي تلك الأشعة على بعض الفيتامينات[٧] المفيدة للإنسان .

أما القمر فهو أقرب الأجرام الكونية للأرض فهو تابع لها يدور حولها مرة

---

(١) انظر النقاط السابقة وغيرها الى عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد ص٣٤٠-١٤١، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢، عام ١٤٠٩هـ

(٢) سورة يونس آية ٥

(٣) سورة الرحمن آية ٥

(٤) سورة الإسراء آية ٧٨

(٥) سورة النحل آية ٨١

(٦) انظر د.عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية ص١٨٥،دار الإعتصام،القاهرة،ط١، ١٩٨٠م.

(٧) هي مركبات غذائية ضرورية لصحة الجسم ونموه فلو نقصت ظهرت على الإنسان أعراض مرضية معينة، والشمس تعطي فيتامين «د» الواقي من الكساح،«انظر عزالدين فراج الفيتامينات ص ٣ وص٤٣، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، بدون ط ولا تاريخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كل شهر قمري، ويرسل إليها ضوءه الهادىء الأبيض المنعكس من ضوء الشمس، [١]، ومن أهم فوائد القمر إضافة إلى النور الذي يهدي الساري في سكون الليل أثره الكبير في إحداث المد والجزر، عند حدوث التجاذب بينه وبين الأرض، وللمد والجزر أهمية في الملاحة البحرية إذ يترتب عليه دخول البواخر في كثير من الموانئ، وخروجها عنه، وفي القمر علم الشهور والسنين وفيه صلاح ونعمة من الله للإنسان، وبسبب القمر تعرّف الإنسان على الزمن، وعلم مواقيت العبادة، من صوم وزكاة وحج، وعرفت النساء فترة الحمل والرضاع، وعرف الإنسان أن يسجل الأحداث الهامة من مواليد ووفيات ومعارك وفي هذه النعم وغيرها مصالح للأفراد والجماعات في الدين والدنيا[٢].

ويمكن تلخيص بعض فوائد القمر للإنسان في النقاط الآتية:-

١- إن القمر يعكس ضوء الشمس فينير الأرض للناس وفيه فوائد للحيوان والنبات

٢- إن القمر يتطور من الضآلة حتى الاكتمال وفي ذلك حكم عظيمة، وقد سأل الصحابة الرسول عليه السلام عن سبب ذلك فأجابهم الله تعالى بما هو أنفع لهم من سؤالهم قال تعالى: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)[٣]،

٣- للقمر تأثير على الغلاف الجوي.

٤- سخرالله القمر ومعه الشمس في ضبط الزمن وحسابه وتقدير الأيام ، والشهور،والسنين .

٥- يستخدم الناس القمر في معرفة مواسم العبادات من صوم وحج وزكاة وغيره[٤]،

---

(١) انظر الأمين محمد أحمد كعوة، مباديء الكونيات ص ٩٢، عالم الكتب بيروت، ط ٣، عام ١٩٧٩م

(٢) انظر د. عبد العليم خضر، المنهج الإيماني للراسات الكونية في القرآن الكريم ص١٥٤،الدار السعودية . جده ط٣، عام ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة البقرة آية ١٨٩

(٤) انظر عبد العليم خضر، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، ص١٥٢-١٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦- إن القمر آية من آيات الله لا ينكسف لموت أحد ولا لحياته [١]،

٧- علم الإسلام أتباعه عند خسوف القمر وكسوف الشمس أن يتقربوا إلى الله بالتوبة والعبادة وأداء صلاة الكسوف.

٨- علّم الرسول عليه السلام أمته أن يدعون الله عندما يرون الهلال، طالبين من الله تعالى أن يديم عليهم نعمة الأمن والإيمان، فكان ﷺ إذا رأى الهلال يقول: «اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله هلال رشد وخير »[٢]، وفي الحث على الصلاة عند كسوف القمرين، والدعاء عند خروج الهلال ما يبرهن على الربط القوي بين هذا المخلوق المكلف، وبين المخلوقات العظيمة المسخرة لخدمته، كما يظهر ربط هذه المخلوقات والإنسان بالله تعالى خالق الجميع، فالإنسان يعبد الله ويسجد له تكليفا وهذه المخلوقات غير العاقلة تسجد لله تسخيرا وانقيادا وخضوعا، وبذلك ينفذ أمر الله تعالى على جميع الكائنات في ملكه .

النجـــــــوم

النجوم جمع ومفرده نجم، وهو الكوكب الطالع، ونَجِم النجم أي طلع فاسمه يدل على طلوع وظهور[٣]، والنجم تارة يطلق اسما على الكوكب وأخرى مصدرا كالطلوع.

والذي ينبغي التأكيد عليه هنا هو أن التأمل في النجوم يشعر الإنسان بضآلته وضآلة عالمه الذي يعيش فيه، فالأرض كوكب صغير، والشمس كوكب متوسط بالنظر إلى البلايين من النجوم التي أوجدها الله تعالى في الكون الفسيح، فعندما ينظر الإنسان إلى السماء في ليلة صافية مظلمة، لا قمر فيها بعيدا عن

---

(١) وهذا قاله عليه السلام في الشمس والقمر عندما ظن الناس أنهما ينكسفان لموت أحد أولحياته، وذلك يوم صادف كسوف الشمس موت ولده إبراهيم فقال معلما أمته « أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينكشف » رواه البخاري ومسلم، انظر صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، ج٢ ص٢٤.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال ج٥ ص١٦٧ رقم ٣٥١٦، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب،

(٣) انظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٣٩٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أضواء المدينة يشاهد أعدادا كثيرة من الأجسام المضيئة موزعة في السماء[١]، إنها النجوم التى تظهر فيها حكمة الله تعالى من حيث كثرتها وعجيب خلقها، واختلاف ألوانها، وأحجامها، وأنوارها، ملفتا إليها العقل، ومنبها إلى حركاتها في السماء، وتسخيرها في مداراتها، ليتوصل الخلق منها إلى آثار رحمة الله وقدرته «ففي النجوم عالم رحب لا حدود له، وأكوان عجيبة تذهل العقول، وتخشع لروعتها القلوب، لأن ما يرى من النجوم ما هو إلاّ حبات منثورة في السماء، كما يظهر للرائي لفرط بعدها، وإلاّ فالنجوم أكبر من الشمس بأضعاف، وإن أصغر نجم فيها يعدل جرم الشمس آلاف المرات »[٢].

ولأهمية النجوم وإلفات النظر إليها سمى الله سورة كاملة «بسورة النجم»، وكرر ذكر النجوم في القرآن في ١٣ موضعا كان نصيب سورة النحل منها موضعين، مرة عندما ذكر الله بأنه سخرها بأمره ضمن مجموعة الليل والنهار والشمس والقمر[٣]، ومرة أخرى جعلها الله علامة للاهتداء بها قال تعالى: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[٤]، ففي الاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر يتجلى فضل الله ورحمته بعباده خاصة عندما يضل الناس طريقهم سواء في الصحاري أو في البحار مع العلم أن وسائل البشر مهما تقدمت واتقنت فإنه يجوز عليها الخطأ أوالخراب[٥]، بخلاف صنع الله الذي أتقن كل شيء، فالنجوم، لا تزال من «المعالم التي يهتدي بها الإنسان في سفره برا وبحرا، ويستفاد من رصدالنجوم لتعيين موقع المسافر، وتحديد اتجاه غايته»[٦]، واستطاع الإنسان أن يتعرف على الزمان والمكان عن طريق النجوم، كما اعتمد عليها في الملاحة البحرية ، يقول أحد السلف: «خلق الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها الله زينة للسماء، وجعلها يهتدون بها، وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى منها

---

(١) انظر د. علي عبنده ود. عبد القادر عابد، السماء في الليل دليل عملي للتعرف على النجوم ص١٥ دار الفرقان ، الأردن،عمان ط١، ١٤٠٥هـ

(٢) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ج٣ ص٢٧٥، بتصرف.

(٣) انظر الآية ١٢ من سورة النحل

(٤) سورة النحل آية ١٦،

(٥) انظر د. حسن محمد باجودة، التفسير البسيط للقرآن الكريم ج٧ ص٢٤٠ منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية، دون ط، ولا تاريخ

(٦) إبراهيم حسن النصيرات، ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم ص٦٨،الناشر فتحي نصيرات، الأردن، ط١ ١٤٠٠هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غير ذلك سفه رأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نفسه وتكلف ما لا علم له به»[١].

وقد يكون للنجوم منافع أخرى غير ماذكر، فالله تعالى ذكر بعض منافعها في كتابه وترك البعض الآخر ليتوصل إليه الإنسان عن طريق التأمل والبحث والدراسة والنظر .

ويمكن إجمال منافع النجوم في النقاط الآتية[٢]:

١- خلقها الله ليهتدي بها الخلق إلى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر، كما في آية النحل السابقة الذكر وكما في قوله تعالى:(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بهافي ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)[٣].

٢- يستدل بها الناس في الليالي المظلمة التي لا قمر فيها على معرفة القبلة، مع العلم أن الاهتداء بها يحتاج إلى العلم بمسالكها ودوراتها ومواقعها ومداراتها[٤].

٣- جعلها الله زينة لسماء الدنيا وجمالا رائعا يأخذ الألباب، كما قال تعالى:(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...)[٥]،وقال تعالى:(ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين)[٦].

٤- ذكر الله من منافعها كونها رجوما للشياطين، قالتعالى:(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)[٧]، وقال تعالى:(وحفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)[٨].

٥- من منافعها التفكر في خلق السموات والأرض، والوصول منه إلى أن الله ما خلق ذلك باطلا قال تعالى:(...ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا

---

(١) أبوبكر محمد بن العربي المالكي، أحكام القرآن ج٣ ص١٢٨، تحقيق محمد بن عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ،١٤٠٨هـ، والقائل هو قتادة بن دعامة السدوسي .

(٢) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج١٣ ص٨٢-٨٣.

(٣) سورة الأنعام آية ٩٧

(٤) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ج٢ ص١١٥٩.

(٥) سورة الملك آية ٥

(٦) سورة الحجر آية ١٦

(٧) سورة الملك آية ٥

(٨) سورة الحجر آية ١٧-١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[١]، فكل مخلوق علوي كان في آفاق السماء أوسفلي في آفاق الأرض لابد أن له حكمة عالية ومنفعة شريفة، فمن دلالة الاهتداء الحسي بها يتوصلون إلى معرفة صانعها ومبدعها، ومن ثم يتوجهون إليه بالشكر والطاعة وحسن العبادة.

٦- الاستدلال بالنجوم على عظمة الخلق وضخامته وتباعد مسافاته الشاسعة ثم مقارنة ذلك بالإنسان الضعيف الصغير ذي العقل الكبير، والوصول إلى عظمة الخالق وسلطانه المطلق في كونه، ولهذا ختم الله آية تسخير تلك الأفلاك للناس بما فيها النجوم بقوله تعالى: (...إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[٢]، فخص هذه الآيات العظام بأهل العقول لأنها أعظم مما قبلها وأدل وأكبر، ولأن العقل هو ثمرة الفكر ونتيجته، ولهذا جاء ختم كثير من الآيات الكونية السابقة على الترتيب الآتي: (لقوم يتفكرون...لقوم يعقلون ...لقوم يذكّرون)[٣]، فقدم الفكر لأنه الباب والمدخل، ووسّط العقل لأنه ثمرة الفكر ونتيجته، وأخر التذكّر لأنه المطلوب من الفكر والعقل[٤].

الليل والنهـــــار

هما آيتان من آيات الله الكثيرة قال تعالى: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن)[٥].

والناس دائما وأبدا يشاهدون الليل والنهار وهما يتعاقبان على الأرض بانتظام ودون انقطاع مع تغيرات تطرأ في حال الظلمة والضياء كل يوم، فقد جاء التعبير عن ذلك بعبارة دقيقة تمثلت في قوله تعالى: (واختلاف الليل والنهار)[٦].

ولأهمية الليل والنهار في حياة الناس والأحياء وصفهما الله تعالى وصفا مستفيضا حتى ذكر الليل وحده في القرآن في أكثر من ٩٠ موضعا، وكان ذكرهما في سورة النحل مرة واحدة، ذلك «لأنهما ظاهرتان ملازمتان للأرض

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٢) سورة النحل آية ١٢

(٣) سورة النحل الآيات ١١، ١٢، ١٣،

(٤) انظر ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،ج١ ص٢١٣،

(٥) سورة فصلت آية ٣٧

(٦) سورة آل عمران آية ١٩٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تتوقف عليهما حياة الناس، وحياة كل من على الأرض، ويحدث الليل والنهار من تسخير الشمس مع الأرض بما أوجد الخالق بينهما من مطاوعة في الخلق»[١]،قال تعالى:(...وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)[٢]، فأخبر تعالى أن الشمس والقمر سخرهما يعملان على حالة دائمة فينتج من عملهما تعاقب الليل والنهار، إثر دوران الأرض حول نفسها بمعدل دورة واحدة كل ٢٤ ساعة، فتكون هناك مناطق مضيئة من الكرة الأرضية وأخرى مظلمة، بمعنى عندما يكون أحدُ نصفي الأرض مضاءا يكون النصف الآخر مظلما، لأن الشمس تضيء النصف الذي في اتجاهها في حين يسود الظلام النصف الآخر[٣]، قال تعالى:(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون)[٤]، ففي الآية بيان من الله تعالى بأن النهار ينسلخ من الليل الدائم في الفضاء كما ينسلخ جلد الشاة من جسدها مع التأكيد بأن الليل هو الأصل بينما النهار طارئ[٥]، بدليل قوله تعالى:(فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)[٦]، فبينت الآية الكريمة أن الإصباح«طارئ وأما الليل فهو سكن دائم تنغمر فيه الكرة الأرضية ويحيط بها من جميع جوانبها كأنه لبس للأرض»[٧]، قال تعالى:(وجعلنا الليل لباسا)[٨].

وإذاكان النهار نعمة من نعم الله علينا، وظاهرة ضوئية تنشأ من سلوك الضوء نفسه الذي أودع الله فيه خواص عجيبة، فالضوء لا يرى بذاته ولكننا نراه بالانعكاس والتشتت على المرئيات ولهذا فالنهار هو ضوء الشمس الذي ينعكس

---

(١) حنفي أحمد، التفسير العلمي في الآيات الكونية في القرآن ص٣٥٣ بتصرف ، دار المعارف مصر، ط٢، بدون تاريخ

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٣

(٣) انظر تيسير صبحي، في رحاب الكون،ص٢٢، دار التنوير العلمي،للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ط١، ١٩٩٢م.

(٤) سورة يس آية ٣٧

(٥) انظر منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي في القرآن ص٢٠٦، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م.

(٦) سورة الأنعام آية ٩٦.

(٧) المرجع السابق ص٢٠٦

(٨) سورة النبأ آية ١٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويتشتت بواسطة الغلاف الجوي حيث يصطدم الضوء أثناء اختراقه جو الأرض بجزئيات الغازات الكونية للهواء وبخار الماء والجسيمات الترابية العالقة بالجو، فيحدث ما نسميه ...تشتت الضوء[١]، عندها ننعم بالرؤية في هذا الكوكب الذي نعيش فيه، بينما تنعدم الرؤية عند تجاوز الغلاف الجوي، فالسماء ظلام دامس رغم وجود الشمس، وهذا ما أخبر الله به في كتابه في قوله تعالى:: (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها)[٢] ، فالله تعالى أخبر أنه أظلم ليل السماء لا ليل الأرض لعودة ضمير «ليلها» إلى السماء، وقد أكد رواد الفضاء هذه الظلمة الحالكة في السماء[٣]، ولهذا يمتن الله تعالى على عباده بجعل الليل والنهار لهم، ويتسم الأول بالراحة والسكون والهدوء والقرار، بينما الثاني للإبصار والحركة والعمل قال تعالى:(الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذوا فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون)[٤]، فإذا كان النهار نعمة ..فنعم الليل أجل وعظم، ذلك أن الليل هو الأصل باعتبار أن الله يسلخ النهار من الليل، فهو أصل والنهار فرع منه.

كما يجد المتأمل أن الآيات التي تحدثت عن الليل وأهميته أكثر من الآيات التي ذكرت النهار وفوائده فهي « ٩٠ موضعا لليل مقابل ٥٥موضعا للنهار».

وحتى في الذكر والترتيب يتقدم الليل على النهار .

وفي الليل أنزل الله نوره وهدايته للعالمين قال تعالى:(إنا أنزلناه في ليلة القدر)[٥]، وفيه أسرى الله بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وبقيام الليل أمر الله نبيه ليخشع له ويركع ويرتل آياته مؤثرا مرضات ربه على راحة نفسه .

كما جعل الله الليل مكانا للقانتين والخاشعين، قال تعالى:(أمّن هو قانت

---

(١) المرجع السابق ص٢٠٢

(٢) سورة النازعات الآيات من ٢٧- ٢٩، ومعنى أغطش ليلها: أي جعله مظلما، وأصله من الأغطش الذي في عينه شبه عمش «انظر الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٨»

(٣) انظر منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي في القرآن ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤) سورة غافر آية ٦١

(٥) سورة القدر آية ١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه..)[١]، إن سكون الليل وهدوءه يأنس فيه العابدون لله تعالى فيفرحون بقدومه لشعورهم بلذة المناجات فيه قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الليل لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة»[٢].

إن في الليل شفافية لاتوجد في النهار لكن لا يعلمها إلا أولوا الألباب ممن صفت قلوبهم وانطلقت من الأسار وتعلقت بالله، وهم الذين عناهم الله بقوله تعالى: (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون)[٣].

وفي الليل من الأسرار الظاهرة والباطنة ما لا يعلمه إلا الله، ومن أعظم نعمه قرب الرب من العبد بنزوله تعالى إلى السماء الدنيا، قال عليه السلام: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»[٤]، ولا يعرف الإنسان قيمة الليل وفضله إلا إذا فقده، أو كان عليه سرمدا، لأنه إذا شعر بقيمته وأهميته قدره حق قدره، ثم شكر موجده ومدبره، لأن في تعاقب الليل والنهار من رحمة الله على العباد ما لايخفى، قال تعالى: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٥].

إن وجود الليل والنهار في الكون إذاً، من النِّعم المتكاملة على الخلق جعل الله الظلمة في الليل ليهدأ المتحرك من الحيوان ويسكن. ولكي يبرد الهواء للأبدان والنبات.

والإنسان إذاكان في ظلام الليل الطويل اشتاق إلى ضوء الفجر ونور الصباح، وإذا لفحه وهج الشمس حن إلى نسمة الليل، ولهذا امتن الله على العباد بتعاقب الليل والنهار[٦]، قال تعالى: (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا

---

(١) سورة الزمر آية ٩

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء ج١ ص٥٢١ رقم ٧٥٧

(٣) سورة الذاريات آية ١٨،١٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ج٢ ص٤٧، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ج١ ص١٥٢ رقم ٧٥٨.

(٥) سورة القصص آية ٧٣

(٦) انظرد. عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية ص٢٠٢،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)[١] ، والجواب لاأحد غيرك ياربنا وياخالقنا.

ولهذا الليل والنهار يسميان الملوين، لأنهما يملآن الآفاق نورا وظلمة.

كما سميا جديدين، لتجددهما بالضياء والظلام على الدوام[٢].

تلك هي بعض نعم الله على الإنسان من تعاقب الليل والنهار.

الغـــــلاف الجـــوي

يطلق هذا الاسم على الغلاف الغازي أو الهواء الذي يحيط بالكرة الأرضية إحاطة تامة،« ويغطي سطحها: يابسه وماءه بسمك لم يستطع الباحثون تحديده حتى الآن تحديدا دقيقا على الرغم من توفر الوسائل الحديثة التي أصبحت تستخدم لدراسة هذا الغلاف وكشف خصائصه سواء في الطبقات العليا البعيدة أو الدنيا القريبة»[٣]، فالأرض محاطة بغلاف جوي كروي يسمى الهواء، وهو متسع الأرجاء دائم الحركة لا يعترف بالحدود بين الدول، وهو وحدة لاتنفصل، ويؤثرّ على جميع أنحاء الكوكب، لأنه تعالى جعله سببا مستمرا للحياة على هذه الأرض، فهو يجوبها ريحا ورياحينا، فلو فني الهواء لفنيت الحياة معه[٤]،« والهواء جسم غازى لطيف شفاف لا لون له ولارائحة، وهو يتألف من عناصر كثيرة أهمها الأزوت«النيتروجين»، ثم الأكسجين، ثم الأرغون، ثم ثاني أكسيد الكربون، ثم تأتي عناصرأخرى ثانوية ولها فوائد كبرى،كالهيدروجين،والهليوم،وكذا النيون، والكريبتون، وهما عنصران اكتشفاحديثا...)[٥]، فالإنسان وكذا بقية الأحياء يعيشون في عمق بحار الهواء، ومن أراد أن يقف على أهميته وسره في الحياة عليه أن يسد أنفه وفمه لمدة دقيقة أو أكثر أو أقل. وسيعرف عظمة نعمة الله عليه بالهواء النقي الطلق ذي الخصائص والمميزات المتنوعة، وأنه لا يمكن أن

---

(١) سورة القصص آية ٧١-٧٢.

(٢) انظر ابن منظور، كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار ص٩ دار مكتبة الحياة ،بيروت،١٤٠٣هـ، بدون طبعة.

(٣) فهمي هلالي أبو العطا، الطقس والمناخ دراسة في طبيعة الجو وجغرافية المناخ ص٧٩ بتصرف، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،بدون ط، ولاتاريخ.

(٤) انظر خالد بن عبدالحمن العك، غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم ص١٦٩

(٥) المرجع السابق ص١٦٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يستغنى عنه لحظة واحدة ولهذا جعله الله ـ من رحمته ـ مشاعا للجميع فلا يستطيع أحد أن يسيطر عليه أو أن يمتلكه، أو يمنعه من الآخرين، ولأهميته أن جميع الأحياء من حيوانات ونباتات وغيرها تحتاجه وتعيش عليه فهو من آيات الله الباهرة، حبسه الله تعالى بين السماء والأرض ويدرك« بحس اللمس عند هبوبه يدرك جسمه ولا يرى شخصه، فهو يجري بين السماء والأرض والطير محتلقة فيه سابحة بأجنحتها في أمواجه كما تسبح حيوانات البحر في الماء، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هيجانه كما تضطرب أمواج البحر، فإذا شاء سبحانه وتعالى حرّكه بحركة الرحمة فجعله رخاءا ورحمة. وبشرى بين يدي رحمته، ولاقحا للسحاب يلقحه بحمل الماء كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل، وتسمى رياح الرحمة المبشرات، والنشر، والذاريات، والمرسلات، والرخاء، واللواقح...ولهذا يخبر سبحانه عن رياح الرحمة بصيغة الجمع لاختلاف منافعها وما يحدث منها: فريح تثير السحاب، وريح تلقحه، وريح تحمله على متونها ،وريح تغذي النبات»[1]، فمن فضل الله على الإنسان خاصة، والأحياء عامة أن جعل للأرض هذا الغلاف الهوائي الذي يحيط بها لمسافة عدة أميال، وهو يتمدد لكن بدرجة لا تمكنه من الإفلات من سطح الأرض، وكلما صعد الإنسان إلى أعلى قل ضغط الهواء وكثافته، والله تعالى قرر في كتابه أن الإرتفاع إلى عنان السماء يصحبه ضيق الصدر والشعور بالاختناق[2]،قال تعالى:(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعّد في السماء..)[3] واكتشف العلماء أن سبب ذلك هو نقص الضغط الجوي والأكسجين الذي تستقبله الرئتان، فيشعر الصاعد بالاختناق التدريجي كلّما صعد إلى أعلى، حتى يصل إلى درجة الاختناق النهائي ثم الموت، بل ذكر العلماء أن دم الإنسان يندفع من مسام الأجسام لو خفّ الضغط عليها، ولهذا يستخدم رواد الفضاء بِدَلاً مكيفة الضغط، وأنابيب أكسجين للتنفس[4]، ومن رحمة الله بعباده أن جعل للضغط

---

(١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ج١ ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) انظر محمد عفيفي الشيخ، القرآن الكريم وعلوم الغلاف الجوي ص٨٧-٨٨، دار الشروق، القاهرة، بدون ط، ولاتاريخ.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٥

(٤) انظر محمد عفيفي الشيخ، القرآن وعلوم الغلاف الجوي ص٨٧، وانظر أيضا منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص٨١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوي توازنا بين داخل الجسم وخارجه، ولولا هذا التوازن لأصبح الإنسان منبطحا على سطح الأرض لا يستطيع التحرك، لأن ما يخص رأسه وكتفيه من الضغط يفوق وزن سيارة صغيرة[١]، فرغم عظم الضغط الواقع على سطح الأرض وثقله لكننا لا نشعر به لأننا اعتدنا عليه، ولكن قد نشعر بما يطرأ عليه من اختلاف عند الصعود إلى مكان شاهق أو النزول إلى مكان سحيق[٢].

ويمكن اجمال بعض نعم وفوائد الضغط الجوي فيما يأتي:-

١- أن الأرض مكسوة بغلاف جوي يحميها الأعداء من خارجها، ويوفر لها الحياة والنماء[٣].

٢- تحصل كل الكائنات الحية على الهواء الجوي دون أي عناء فهو مشاع للجميع دون مقابل.

٣- يكون سمك الغلاف الجوي المحيط بالأرض درعا واقيا لسكانها من الشهب والنيازك، حيث يحرقها هذا الغلاف الجوي عند دخولها فيه ولا يوصلها إلى الأرض ولو وصلت لأحرقت المدن والقرى ولأهلكت الناس[٤]، قال تعالى: (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)[٥].

٤- إنّ الغلاف الجوي يمنع الإشعاعات الكونية المميتة من أن تصل إلى الأرض فتبيد الحياة بجميع أشكالها، وهي تصدرمن الشمس أو تأتي من أعماق الفضاء[٦]

٥- ومن فوائده سماحه للأشعة النافعة والمفيدة للإنسان والحيوان والنبات بالعبور لأنه لا حياة بدونها[٧].

وعلى الهواء ينتقل الطير والطائرات، لأن الأخيرة مستمدة من شكل الطيور

---

(١) انظر منصور حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص١٨١.

(٢) انظر د. نعمان شحادة، الجغرافيا المناخية «علم المناخ» ص ١٥٩، دار القلم، الإمارات، دبي، ط١، ١٤٠٩هـ

(٣) انظر محمد سالم حجازي، ثوب الأرض الأزوني يتمدد ص٣ مكتبة العجيري، الكويت، بدون ط، ولا تاريخ.

(٤) انظر عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد ص٤٨،٤٧ مرجع سابق

(٥) سورة الأنبياء آية ٣٢

(٦) انظر شوقي أبو خليل، الإنسان بين العلم والدين ص١٠٥، دار الفكر، دمشق ط٣، ١٣٩٩هـ.

(٧) المرجع السابق ص١٠٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وطريقة طيرانها، والطيور سخر الله لها جو السماء، قال تعالى: (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله..)[١].

٧- انتفع الإنسان كثيرا بالهواء في تسيير السفن الشراعية عبر القرون المتطاولة.

٨- من فوائد ثاني أوكسيد الكربون في المناخ حفظ الحرارة المشعةمن الأرض

٩- من فوائده ضغطه الشديد على أجسامنا بنحو كيلو غرام على السنتيمتر المربع من سطح الجسم مما يحفظ الماء والدماء فى أجسامنا وكذا سائر الحيوانات.

١٠- أن وجود الغلاف الجوي عامل أساسي لانكسار أشعة الشمس فتصل حرارتها معتدلة لامتصاص الحرارة الزائدة منها[٢].

١١- من فوائد الرياح إثارة الأبخرة وتكثيفها، وتشكيل السحب المتراكمة منها، كما أن حركة الرياح تلطف جو الأرض بما تسوقه من برودة، إضافة إلى تطهيرها المناطق المتعفنة الموبوءة وتشتت شمل الجراثيم التي تفتك في الأحياء.

١٢- إن الرياح تبشر بقدوم الأمطار، قال تعالى: (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته..)[٣].

١٣- من فوائدها نقل مادة اللقاح بين النباتات من ذكورها إلى إناثها، كما تلقح السحب بنوبات التكاثف[٤]، قال تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)[٥].

١٤- إن الغلاف الجوي يساعد على تكوين الزرقة في السماء عند مرور أطياف الشمس عبر ذراته وهذه الزرقة من أزهى الألوان وأجمله التي يرتاح لها الإنسان وتعطي الكون جمالا وبهاء[٦]، فهذه بعض النعم التي وفرها الله تعالى للإنسان والأحياء من خلال إيجاد الغلاف الجوي المحيط بالأرض والدرع الواقي لها ولمن عليها أفلا يستحق الشكر على هذه الآلاء.

---

(١) سورة النحل آية ٧٩

(٢) انظر في النقاط السابقة، عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد ص٤٩، وخالد العك، غاية حياة الإنسان ص١٧١-١٧٢، ونعمان شحادة، الجغرافيا المناخية «علم المناخ» ص١٥٩.

(٣) سورة الروم آية ٤٦

(٤) انظر خالد العك، غاية حياة الإنسان ،ص١٧٢-١٧٣.

(٥) سورة الحجر آية ٢٢

(٦) انظر محمد الشرقاوي، القرآن والكون ص١٣٨-١٣٩،دار الجيل بيروت،ط٣ ،١٤١١هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأرض

هي الجرم الذي نعيش عليه، والله تعالى خلق الكون الشاسع بآفاقه الواسعة فأبدع صنعه، وأورثنا الأرض بعد أن خلقنا من عناصرها، ومكن المخلوقات من الاستقرار عليها وطلب من البشر عمارتها، والانتفاع بمنافعها الكثيرة والمتنوعة، ودعا المكلفين شكره على آلائه.

إن الحديث عن النعم المتوفرة في الأرض واسع ومتنوع بحيث لا يصل الإنسان إلى النهاية فيه، بل إن الأعمار لتفنى دون الإحاطة ببيان فوائد نعمة واحدة من نعم الله على الأرض فكيف بجلها، فلا يفكر أحد بعدِّ نعم الله سردا ناهيك أن يتعرض لبيان فوائدها وحكمها، قال تعالى:(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...)[٢]، فجعل سبحانه الأرض مهادا ليستقر عليها الحيوان إذ لابد له من مستقر كما لا غنى له عن قوت، فجميع الأرض محل لقوته، ومسكن لحفظه من الحر والبرد[٣].

إنّ كوكب الأرض هو دنيا الناس الذي يعيشون فيه، وهو صغير جدا بالنسبة للكواكب الأخرى، لكنه غير عادي، فهو مليء بالعجائب والغرائب، والحياة والأحياء في البر والبحر والجو، المشاهدة منها والمغيبة، حتى قدرت أنواع الحياة الحيوانية والنباتية فيه بالملايين «ويحيا على الأرض وفي مياهها وتحت هوائها من صور الحياة الحيوانية والنباتية ملايين الملايين من الأحياء ينتظمها حوالي ٤١ مليون نوع من أنواع الحياة النباتية، ونحو مليون نوع من أنواع الحياة الحيوانية، تنتظمها أجناس محددة وعائلات ورتب وطوائف وقبائل وممالك)[٤]، وصدق الله القائل في محكم تنزيله :(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)[٤]، فالله تعالى هيّأ هذه الأرض بكل ماتعنيه هذه العبارة، وأعدها للحياة بالماء، والهواء، والطعام، والنبات، والجماد، والجبال، والجاذبية، والأمطار، والرياح، والسحب،

---

(٢) سورة النحل آية ١٨

(٣) انظر محمد الصرايرة، آيات للموقنين ص٦١، مكتبة المنار الأردن، الزرقاء، ط١، ١٤٠٥.

(٤) د. عبد العليم خضر، الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم ص١٨١، الدار السعودية للنشر جده، ط١، ١٤٠٦هـ

(٤) سورة الأنعام آية ٣٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والبحار، والشمس التي هي مصدر الضوء والطاقة اللازمين لحياة الإنسان والحيوان والنبات، كما جعلها سبحانه تجري في مدار محكم دقيق على بعد من الشمس صالح لحياة الأحياء، فلو اقتربت عن هذا الموقع إلى الشمس لاحترقت الأحياء وماتت، ولو ابتعدت لتجمدت وتجمد كل شيء معها، ولو تغير موقعها لتغير الليل والنهار والسنون والأيام، فهي تسير حول الشمس بسرعة مناسبة، وميل محكم للمحافظة على نظام الفصول الأربعة، والمحافظة على التوقيت الدقيق في الليل والنهار اللذان يتعاقبان على الناس كل ذلك من صنع الله الذي أتقن كل شيء[١]، قال تعالى:(والأرض فرشناها فنعم الماهدون)[٢].

يقول ابن القيم:«وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتهامن أعظم آيات فاطرها ومبدعها، خلقها سبحانه فراشا، ومهادا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم، وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ماداموا أحياء، وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات»[٣].

قال تعالى:(ألم نجعل الأرض كفاتا، أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا)[٤].

قال تعالى:(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)[٥].

فقد اهتم تعالى في كتابه بالأرض، ولفت الأنظار إليها كثيرا في خلقها وإيجادها، وامدادها بكل ما تصلح به الحياة ويهنأ به الإنسان حتي جاء ذكرها في

---

(١) انظر عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد ص٢٢٣-٢٢٨.

(٢) سورة الذاريات آية ٤٨

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادةج١ ص١٩٩-٢٠٠.

(٤) سورة المرسلات الآيات من ٢٥-٢٧،ومعنى كفاتا: الكفت القبض والجمع: أي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم «انظر الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص٧١٣.»

(٥) سورة الملك آية ١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرآن باسمها في أكثر من ٤٥١ موضعا[١]،وورد لفظ الأرض في سورة النحل في عشرة مواضع[٢] ، خص منها ثلاثة مواضع لبيان نعم الله في الأرض على الإنسان وما سخره لهم من مخلوقات وما هيأ لهم من منافع وأرزاق استجابة لمتطلبات حياتهم[٣].

إن تهيئة الله تعالى للأرض واصلاحها للعيش والاستقرار تتلخص في الآتي:

١- اتساعها وإثارتها بالحرث،قال تعالى:(إن أرضي واسعة)[٤]وقال تعالى:(وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها..)[٥].

٢-إحياؤها بالماء، قال تعالى:(والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها)[٦].

٣- اخضرارها بحيث تدخل السرور لساكنيها والناظرين إليها، قال تعالى:(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير)[٧].

٤- بركتها وتقدير أقواتها، قال تعالى:(..وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين)[٨].

٥- تثبيتها بالجبال وشقها بالأنهار،قال تعالى:(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون)[٩].

٦- تسخير كل ما فيها للإنسان، قال تعالى:(وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه...)[١٠].

---

(١) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة أرض ص٢٦-٣٢.

(٢) انظر سورة النحل الآيات « ٣، ١٣، ١٥، ٣٦، ٤٥، ٤٩، ٥٢، ٦٥، ٧٣، ٧٧ »

(٣) انظر الآيات «٣، ١٥، ٦٥»

(٤) سورة العنكبوت آية ٥٦

(٥) سورة الروم آية ٩

(٦) سورة النحل آية ٦٥

(٧) سورة الحج آية ٦٣

(٨) سورة فصلت آية ١٠

(٩) سورة النحل آية ١٥

(١٠) سورة النحل آية ١٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧- إيجادالأرزاق والدواب والخزائن فيها، قال تعالى:(وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون)[١] وقال تعالى:(ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات)[٢] وقال تعالى:(وبث فيها من كل دابة)[٣].

كما هيأها تعالى بكل من الروابي، والريحان، والزينة، والسبل، والسهول، والعيون، والمراعي، والمياه، والنبات، وكل صنوف الفاكهة، كما قال تعالى:(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)[٤]، إن خلق الأرض وتهيئتها بما يصلحها ويصلح من يعيش عليها كان لكل الناس مسلمهم وكافرهم، كما قال سبحانه وتعالى:(والأرض وضعهاللأنام[٥] فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذوالعصف والريحان)[٦].

ففي الأرض براهين ساطعة، ودلائل واضحة، ونعم جليلة، تدل على قدرة موجدها وحكمته، الذي نوع في خلقه وأبدع في صنعه وأحسن إلى خلقه فجمّل لهم الأرض بالبحار وبالأودية والأنهار وبالأشجار والأزهار، وبالسهول والجبال ثم دعا عباده إلى التأمل والنظر في نعمه على الأرض الوديعة الذلول لراكبيها، الحلوب بزرعها وثمارها ومعادنها[٧]، قال تعالى:(وفي الأرض آيات للموقنين)[٨].

من الآيات العظام التي دلت على خلق الأرض من العدم على هذا المنوال وبتأملها يصل أهل العقول الراجحة إلى اليقين بالله تعالى :(خلق السموات والأرض بالحق..)[٨]،وجعلها سبحانه ذلولا متواضعة(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)[٩]كما أخرج منها الماء

---

(١) سورة يس آية ٣٣

(٢) سورة النحل آية ١١

(٣) سورة البقرة آية ١٦٤

(٤) سورة الحجر آية ١٩

(٥) معنى الأنام: الخلائق، وقيل الجن والإنس، وقيل كل شيء فيه روح «انظر ابن جرير الطبري، جامع البيان ج١٣ ص١١٩»

(٦) سورة الحمنٌ الآيات ١٠، ١١، ١٢،

(٧) انظر نعمة صدقي، معجزة القرآن ص ١٣ وما بعدها، دار الاعتصام، دون ط، ولا تاريخ.

(٨) سورة الذاريات آية ٢٠

(٨) سورة النحل آية ٣

(٩) سورة الملك آية ١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمرعى للناس والبهائم والزروع: (أخرج منها ماءها ومرعاها)[١]، وقد جعلها الله معلقة في الفضاء فلا دعامة تحتها تمسكها ولا علاّقة فوقها: (إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليما غفورا)[٢]، ومن رحمة الله تعالى بعباده أنّه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحديد فيصعب حفرها والبناء عليها، كما لم يجعلها في غاية الليونة كالطين فيصعب استقرار الحيوان والبناء عليها: (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)[٣]، ولم يجعلها شفافة كذلك، لأن الجسم الشفاف لا يستقر عليه النور ولا الحيوان كما لا ينبت فيه النبات ، ومن مزيد الفضل والامتنان على العباد جعل تربتها أشرف وأنفس من الذهب والفضة، ذلك لأن أشرف الجواهر عند الناس الذهب والفضة والياقوت، فلو كانت الأرض منه لفاتت مصالح العباد والحيوان وتعطلت منافعهم، وبهذا يمكن أن يكون التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع للناس وأبرك لهم، وإن كانت الجواهر أغلى منه وأعز عندهم[٤]، المقصود أن الأرض للأحياء كالأم للرضيع، تضمهم وتحن إليهم فهي لهم مهاد وفراش وقرار بكل ما تعنيه هذه العبارات ولهذا يحن الإنسان عندما يفارق هذه الأرض إلى مكان آخر غيرها لحبه لها وارتباطه بها، وقد أثبت هذا التعلق بالأرض رجال الفضاء الذين فارقوها فقد «أثبتت رحلات الطيران، والفضاء وصعود الإنسان إلى القمر وبعض الكواكب الأخرى في العصر العلمي الحديث مدى تعلق الإنسان بالأرض وحبه لها وحنينه إليها عند بعده عنها»[٥].

هذه هي الأرض وتلك بعض نعمها بالإجمال، أما المنافع المتولدة منها كالمعادن، والنباتات، والحيوانات، وما إلى ذلك فسيأتي الحديث عنها في المباحث اللاحقة لهذا المبحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النازعات آية ٣١

(٢) سورة فاطر آية ٤١

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٠

(٤) انظر ابن قيم الجوزية التبيان في أقسام القرآن ص١٨٥-١٨٦، دار الكاتب العربي، تحقيق طه يوسف شاهين، دون ط، ولاتاريخ، وانظر مفتاح دار السعادة له ج١ ص٢١٧، وانظر أيضا أبا حامد الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله ص٩٢-٩٣.

(٥) وهبه الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ج٨ ص١٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن الذي ينبغي التأكيد عليه هنا هو أن النظر والتفكر في آيات الله ونعمه في الآفاق ينفع المؤمن بزيادة الإيمان .

أما غير المؤمن فينتفع من ذلك بالدخول في الإسلام عندما يحس بآلآء الله عليه في كل نفسٍ وفي كل نبضة قلب.

اللهم اهدنا صراطك المستقيم وارزقنا شكرك وذكرك وحسن عبادتك...آمين.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

نعمة خلق الإنسان

لقد خلق الله الإنسان الأول من التراب بعد أن لم يكن شيئا مذكورا لا في مكان ولا في زمان، وخلق ذريته من بعده من النطف محدثة قصة الخلق العجيب،وشاء الله أن يكون خلق الإنسان من أمرين: المادة ، والروح كما قدر أن يكون مجيئه إلى هذه الحياة في آخر قائمة الأحياء الذين أوجدهم وهم لا يحصون كثرة وتنوعا، ويعيشون على الأرض اليابسة، وفي جو السماء، وفي أعماق البحار.

إن نعمة الخلق للإنسان تتمثل في تكريم الله له على سائر المخلوقات وتمييزه بالعقل عليها، وجعله ذي خصائص وصفات لا توجد في غيره، وتسخير الله له كل ما في السموات وما في الأرض من مخلوقات، والاعتناء بخلقه وإيجاده وإصلاحه بحيث كانت«عناية الله في مجال الإنسان لا يحيط بها عد، ولا تدخل تحت الحصر، فإن الشكل الظاهري، والجمال والتناسق في أعضائه لا يضاهيه جمال، قال تعالى:(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)[١]، وملكة البيان التي يستطيع بواسطتها التعبير عما يريد وما يختلج في نفسه من معان وعواطف، ومشاعر ميزة فريدة للإنسان من بين سائرالمخلوقات»[٢].

فالإنسان إذا عنصر كوني على مستوى الخلق، وعلى مستوى الحركة لأن له جسدا حيا متحركا في هذا الكون الذي كان منه منبته وهو مجال حياته، وصلته تتضح في نقاط ثلاث:

١ـ وحدة الإنسان والكون.

٢ـ مكانة الإنسان في الكون.

٣ـ تسخير الكون للإنسان[٣].

إن أباالبشر الأول آدم عليه السلام خلقه الله من مادة هذه الأرض، أي من ترابها ليكون موافقا لطبيعتها فيحسن تعامله معها لأن الجنس إلى الجنس آلف، ولحكمة يعلمها الله كان خلق آدم بالتدرج من درجة إلى درجة أعلى منها:من

---

(١) سورة التين آية ٤

(٢) د. مصطفي مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ص١٣٧، مرجع سابق

(٣)انظر عبد الجبار النجار،خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ص٣٩، دار المغرب الإسلامي،بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التراب، إلى الطين، إلى الحمأ المسنون، إلى الصلصال، إلى الفخار، ثم التصوير، ثم نفخ الروح فيه.

كما كان خلق ذريته من بعده بالتدرج في بطن الأم: النطفة، العلقة، المضغة، العظام، كسوة العظام لحما، الخلق الآخربنفخ الروح فيه، قال تعالى:(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا..)[١]، وقال تعالى:(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)[٢]، وقال تعالى:(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون)[٣]، وقال تعالى:(فاستفتهم أهم أشد خلقا أمّن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب)[٤]، وقال تعالى:(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)[٥]

كما جاء في السنة النبوية ما يفيد أن الله أخذ قبضة من جميع تراب الأرض فخلق منها آدم، قال صلى الله عليه وسلم :«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوا آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب،والسهل والحزن، وبين ذلك»[٦]، كما أنه تعالى خلق ذرية آدم بالتدرج في بطن الأم فقال تعالى مبينا هذا التدرج في كتابه:(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)[٧].

فتبين من ذلك أن آدم مر في خلقته بسبعة أطوار[٨] حتى صار إنسانا سويا، وكذا ذريته من بعده مرت بسبعة أطوار فكل مرحلة من مراحل خلق آدم يقابلها

---

(١) سورة فاطر آية ١١

(٢) سورة المؤمنون آية ١٢-١٣

(٣) سورة الحجر آية ٢٦

(٤) سورة الصافات آية ١١

(٥) سورة الرحمن آية ١٥

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب القدر ج٤ ص٢٢٢ رقم ٤٦٩٣، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ٣ ومن تفسير سورة البقرة ج٥ ص١٨٧-١٨٨ رقم ٢٩٥٥، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود ج٣ ص٨٨٨.

(٧) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٤

(٨)انظر عزت محمد حسن، نعم الله في خلق الإنسان كما يصورها القرآن ص٤١ فما بعدها مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرحلة من مراحل ذريته على النحو الآتي:-

مراحل خلق آدم	مراحل خلق ذريته
١- التراب.	١- السلالة«الخلاصة»
٢- الطين.	٢- النطفة.
٣- الطين اللازب.	٣- العلقة.
٤- الحمأ المسنون.	٤- المضغة.
٥- الصلصال.	٥- العظام.
٦- التصوير.	٦- كسوه لحما.
٧- نفخ الروح فيه.	٧- الخلق الآخر.

يقول الإمام الراغب الأصفهاني في بيان ذلك:«ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ونبه على أنه خلقه إنسانا في سبع درجات وأشار إلى ذلك في مواضع مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة، فقال في موضع خلقه من تراب إشارة إلى المبدإ الأول،وفي آخر من طين إشارة إلى الجمع بين التراب والماء، وفي آخر من حمإ مسنون إشارة إلى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير، وفي آخر من طين لازب إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الإعتدال يصلح لقبول الصورة، وفي آخر من صلصال كالفخار وهو الذي قد أصلح بأثر من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية حصل في الإنسان أثر من الشيطنة...ثم نبه الله على تكميل الإنسان بنفخ الروح فيه فقال سبحانه:(..إني خالق بشرامن طين فإذاسويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)[1]فهذه سبع درجات نبه عليها كما ترى»[2]

إن عناية الله رافقت الإنسان في كل طور من أطوار حياته سواء كان الإنسان الأول المخلوق من تراب إلى مرحلة نفخ الروح فيه أو كان لذريته من بداية عهده في السلالة إلى أن جعله الله خلقا آخر فكل طور نعمة في ذاتها وفيها تعهد من الله للمخلوق بعميم الفضل وفيض الكرم بالغذاء والنماء والحفظ والرعاية وخلق الأعضاء والأجهزة له وهو لم يحتج إليها في ذلك الوقت، وبعد تمام خلقه وتصويره ومجيء ساعة ولادته هيأ الله له بقدرته الخروج من البطن الضيق بالمكان الضيق إلى دنيا هي أرحب من دنياه كل ذلك بفضل الله ورحمته قال

---

(١) سورة ص آية ٧١-٧٢

(٢) الراغب الأصفهاني: القاسم بن محمد بن المفضل، تفصيل النشأتين وباب السعادتين ص٧٢-٧٣، تحقيق عبد المجيد النجار، دار المغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٤٠٨هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى: (ثم السبيل يسره)[١]، وبعد تيسير السبيل ينزل الجنين من بطن أمه ضعيفا هزيلا ليس له سن تقطع، ولا أذن تسمع ولا عين تبصر، فتتوالى عليه نعم الله، فيكفل الله له الغذاء الذي يحتاجه فينبع في صدر أمه عزقان بهما لبن دافيء في الشتاء بارد في الصيف نسبة الغذاء فيه تتناسب مع مراحل نمو الطفل خلال أشهر الرضاعة، وكلما تكاثرت مشكلاته كلما لا حقته نعم الله فإذا شعر بمرض أو ألم يجد والديه في لهفة إلى راحته فلا يستريحان حتى يستريح، ولا ينامان حتى ينام الطفل كل ذلك لأن الله ألقى محبته في قلب أبويه فيؤلمهما أن يصاب بأي أذي أو يقْضِي لحظة في البكاء، ثم تمضي به الأيام فيكبر ويصبح في حاجة إلى الطعام فينبت الله له الأسنان ليتناول بها ما يحتاج إليه جسمه من الغذاء، وبعد فترة مؤقتة تغير هذه الأسنان بأخرى أقوى منها وتدعم بالأضراس والأنياب لتتحمل وتستمر طويلا ثم هي الأخرى تضعف وتتساقط معلنة نهاية حياة الإنسان[٢].

وهكذا يتجلى الله على الإنسان من بدء حياته حتى نهايتها قال تعالى ممتنا عليه بهذه المراحل: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)[٣].

إنّ الأطوار السبعة رافقت الإنسان في نشأته الأولى، ورافقته جنينا في بطن أمه، وهي لا تزال معه بعد ولادته إذ يمر أيضا بسبع مراحل حتى يهرم وينتقل من هذه الدار إلى ما بعدها وهذه المراحل السبع هي:-

١- مرحلة الرضاعة.
٢- مرحلة الفطام،
٣- مرحلة التمييز.
٤- مرحلة الشباب.
٥- مرحلة الكهولة.
٦- مرحلة الشيخوخة.
٧- مرحلة الهرم[٤].

---

(١) سورة عبس آية ٢٠

(٢) انظر عزت محمد حسن، نعم الله في خلق الإنسان كما يصورها القرآن، ص٦٠ فما بعدها،

(٣) سورة البقرة آية ٢٨

(٤) انظر عزت محمد حسن، نعم الله في خلق الإنسان كما يصورها القرآن ص٦٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي بيان هذه المراحل يخبر الله تعالى في كتابه فيقول: (ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا...)[١].

قال تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)[٢].

فالخلق نفسه نعمة، وخلق الأجهزة والأعضاء والهياكل نعمة أخرى، وهداية كل عضو إلى ما يصلحه نعمة ثالثة، فما أجل نعم الله على الإنسان خلقا وإيجادا وإعدادا وإمدادا وإلهام كل عضو إلى ما خلق له في تكامل وتناسق ودقة يعجز الإنسان عن وصفها أو ملا حظتها بعد معرفتها فكيف به أن يقوم ببيانها؛ يقول ابن القيم«فأعد النظر في نفسك وتأمل حكمة اللطيف الخبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء مواضعها منه وإعدادها لما أعدت له، وإعداد هذه الأوعية المعدة لحمل الفضلات وجمعها لكيلا تنتشر في البدن، ثم تأمل الحكمة البالغة في تنميتك وكثرة أجزائك من غير تفكيك ولا تفصيل...والرب تعالى ينمي جسم الطفل وأعضاءه الظاهرة والباطنة وجميع أجزائه وهو باق ثابت على شكله وهيئته لا يتزايل ولا ينفك ولا ينقص، وأعجب من هذا كله تصويره في الرحم حيث لا تراه العيون، ولاتلمسه الأيدي ولا تصل إليه الآلات فيخرج بشرا سويا مستوفيا لكل ما فيه مصلحته وقوامه من عضو وحاسة وآلة، من الأحشاء والجوارح والحوامل والأعصاب والرباطات والأغشية والعظام المختلفة الشكل والقدر والمنفعة والموضع إلى غير ذلك من اللحم والشحم والمخ وما في ذلك من دقيق التركيب ولطيف الخلقة، وخفي الحكمة، وبديع الصنعة، كل هذا صنع الله الذي أحسن الخالقين في قطرة من ماء مهين»[٣].

---

(١) سورة الحج آية ٥

(٢) سورة الروم آية ٥٤

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ج١ ص١٦٢-١٦٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)[١].

جعل الله الإنسان ذا جسد حي متحرك، ويتركب الجسد من أعضاء ظاهرة عاملة مسخرة لإرادته كالسمع والبصر واليدين والرجلين كما أن له أعضاء باطنة تعمل بغير إرادته كأجهزة التنفس والهضم والدم المتدفق من القلب والمردود إليه، ثم إن وراء هذا مدركات ومشاعر لا يعرف الإنسان لها في كيانه موردا إنها إفرازات من قوى الإدراك، من عالم الوعي، واللاوعي من العقل وماوراء العقل[٢].

إن المادة التي يتكون منها الإنسان تتنوع إلى ملايين الملايين من الخلايا الدقيقة، والأنسجة المعقدة، وأعداد هائلة من الأجهزة والأعضاء والأجزاء، البديعة في صنعها، العجيبة في تركيبها، المعجزة في عملها، وأداء وظائفها في تناسق تام وتعاون عجيب، وأداء متقن يؤدي إلى بقاء الحياة واستمراريتها[٣].

إن كيفية الإيجاد من العدم هو سر الخلق الإلهي الذي لا يستطيع العقل البشري أن يدركه أو يحيط بكل أجزائه وأحواله، قال تعالى: (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا)[٤].

من نعم الله على الإنسان في خلقه أن جعل جسده يتكون من خلايا، وأنسجة، وأعضاء، وأجهزة، أما الخلية فهي «الوحدة التى تتألف منها الأجسام الحية، ومن الخلايا تتألف الأنسجة، كنسيج البشرة، ومن الأنسجة تتألف الأعضاء، كالمعدة، ومن الأعضاء تتألف الأجهزة)[٥].فالخلية في الأحياء هي أول الكشف وأبسطه، فهي وحدة الخلق التى يتألف منها كل مخلوق حي، كالذرة التي تمثل وحدة المادة تماما[٦].

يتضح من مركبات أعضاء جسم الإنسان أن خلاياه المتشابهة تتجمع ليتألف منها الأنسجة، والأنسجة كذلك تتجمع ليتكون منها كل عضو من أعضائه، ولمثل

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٤

(٢) د. عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية ص١٧، بتصرف، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٩م.

(٣) انظر خالد بن عبد الحمن العك، غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم ص٩٠

(٤) سورة الكهف آية ٥١

(٥) د. أحمد زكي، مع الله في الأرض ص٤٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٧م

(٦) المرجع السابق ص٤٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك الأعضاء تتجمع ليتكون منها الأجهزة وهي متعددة ومتنوعة،يتضح من هذا أن جسم الإنسان «مليء بأجهزة متعددة الوظائف، ومختلفة القصد، وكل جهاز منها يدل على نعم الله سبحانه وتعالى التي لا تحصى ولا تعد، فنحن لو مررنا ببعض هذه الأجهزة الموجودة داخل الجسم البشري لرأينا العجب ولعرفنا دقة الصنع التي من المستحيل أن يجاريها أي صانع آخر، ولعرفنا أن وجود الخالق يتمثل في كل خلية، وكل نسيج، وكل جهاز، داخل هذه الآلة البشرية»[١].

إن جهازا واحدا من أجهزة الجسم يتكون من عدة أعضاء كالجهاز الهضمي مثلا يشمل، الفم، البلعوم، المريء، المعدة، الأمعاء الدقيقة، الأمعاء الغليظة، المستقيم، إضافة إلى الكبد، البنكرياس، وغدد إفرازية أخرى[٢]، وإذا كانت هذه مكونات جهاز واحد فمابال الأجهزة الأخرى التي يتركب من مجموعها جسم الإنسان وقد خلقها الله بإحكام واتقان وكل جهاز منها يقوم بوظيفته خير قيام بحيث لا يستطيع جهاز آخر أن يقوم بها أو يؤديها وكلها تشهد بعظمة الخالق وتوافر نعمه على الخلق، ومن باب النظر والتدبر في قوله تعالى:(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[٣]، وكذلك من باب الاستجابة للدعوة الموجهة الى الإنسان بالتأمل في صورته يمكن الإشارة الى بعض الأجهزة التي يتكون منها جسم الإنسان ليقف الإنسان على بعض أجهزة جسده ومعرفة بعض أعضائه كما يحرص على معرفة أجزاء سيارته، لأن هذه المعرفة تدفعه إلى التأمل والتذكر الذي يؤدي به إلى شكر الله على عظيم فضله وامتنانه عليه، لهذا جعل جسمه يتركب من كثير من الأجهزة،أهمها ما يأتي:-

١- الهيكل العظمي.
٢- الجهاز التنفسي.
٣- الجهاز الهضمي.
٤- الجهاز البولي.
٥- الجهاز التناسلي.

---

(١)د. محمد الخطيب، الإسلام والعلم نظرات معجزة ص٢٩، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط١، ١٩٨١م.

(٢) انظر أحمد زكي، مع الله في الأرض ص٤٣، وانظر د. خالص حلبي، الطب محراب الإيمان ج١ ص٤٢، مؤسسج الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

(٣) سورة الذاريات آية ٢١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦- الجهاز الدموي.

٧- الجهاز العضلي.

٨- الجهاز العصبي.

٩- الجهاز الجلدي.

١٠- إضافة إلى الحواس[١]

إن مجموع هذه الأجهزة تتعاون فتشكل كينونة واحدة هي الكائن البشري، وكل جهاز منها يتألف من مجموعة أعضاء تتعاون فيما بينها فتؤدي غرضها الذي وجدت من أجله، وهكذا كل عضو يتكون من أنسجة تعمل في تناسق وتعاضُد يعجز المختصون عن وصفه، ولهذا ما وجد الرسول عليه السلام شيئا أدق يمثل به أدق تمثيل على تعاون المسلمين وتآزرهم إلا جسد الإنسان المعجز الكيان، ليبقى المثل معجزة، والممثل به معجز أيضا إنها ألفاظ خرجت من مشكاة النبوة الطاهرة، وهذا هو العلم الحديث والطب الحديث يكتشف يوما بعد يوم وهو يحدث نفسه بعجزه وضآلة ما وصل إليه مما يتعلق بخلق الإنسان وما يحمله من أجهزة وأعضاء وما تتسم به من تعاون وتشابك، قال صلى الله عليه وسلم:«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[٢].

إن عضو البصر مثلا مهمته الإبصار، وعضو الأذن مهمته السماع، لكن إذا أبصرت العين ما يضرها، أو سمعت الأذن مايؤذيها فلا يستطيع كل منهما أن يدافع أو يهرب مما يضر أو يؤذي لأن هذا ليس من وظائفهما وإنما يرسلان الإنذار إلى الرئيس المختص بتوزيع الأعمال إلى الأعضاء وهو بدوره يصدر أوامره إلى الجهات المختصة فيتقبل الأمر وينفذه بحذافيره دون تأخر أو عصيان وهكذا يظهر تعاون الأعضاء وتكاملها كل في مجال اختصاصه.

إن نعمة خلق الإنسان تتمثل في إيجاده من نطفة وضيعة وماء مهين وتزويده بالعقل والإدراك، والسمع والبصر، إلا أنه مع هذا ينجذب إلى مادته الوضيعة فيصبح خصما للإيمان بالله تعالى خالقه وصاحب الفضل والنعمة عليه

---

(١) انظر د. خالص حلبي، الطب محراب الإيمان، ج١ ص٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، ج٧ ص٧٧، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤ ص١٩٩٧- ١٩٩٨ رقم ٢٥٨٣، واللفظ لمسلم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: (خلق الإنسان من نطفة..) وهذا هو مبدأ الإنسان (فإذا هو خصيم مبين)[١]، وهذا مصيره وقد ربط تعالى الإنسان بين المبدإ والمصير وكأنه لا يوجد بينهما فترة واسعة، ليقف الإنسان متأملا بين المشهدين[٢]، ومن تمام نعمة الخلق أن جعل سبحانه في الإنسان « تسعة أبواب فبابان للسمع، وبابان للبصر، وبابان للشم، وبابان للكلام، والطعام والشراب والتنفس، وبابان لخروج الفضلات التي يؤذيه احتباسها، وجعل داخل بابي السمع مرا قاتلا لئلا تلج فيها دابة تخلص إلى الدماغ فتؤذيه، وجعل بابي البصر مالحا لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم، وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوا ليسيغ به ما يأكله ويشربه فلا يتنغص به لو كان مرا أومالحا »[٣].

وفي الخلق والتدبير دعوة للإنسان إلى التفكر في نفسه التي هي أقرب الأشياء إليه بما ينير له آيات الربوبية لأنه لو وقف كل مع نفسه وقفة تأمل لتذكر تماما مرافقة عناية الباريء له قبل أن يكون شيئا مذكورا فهيأ الله الزوجين وألقى في قلوبهما المودة والسكن والرحمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)[٤]،ومن صلب الرجل وترائب المرأة كانت النطفة الأمشاج التي رافقتها العناية الربانية في الخلق والتكوين والتصوير والإعداد وإمدادها بكل ماتتطلبه في شتى مراحلها، ومن التقلب في بطن الأم طورا بعد طور جاء دور إخراجه إلى الحياة سالما (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)[٥]. ثم رافقته عناية الله من بداية التقام ثدي أمه وهداه الله إلى كل ما يصلح حياته، وبعد سن التمييز كانت له الهداية التي اختص الله بها في قوله تعالى: (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ..)[٦]، ثم مع استقامته على طريق الحق يأتي دور معية الله الخاصة له: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[٧].

---

(١) سورة النحل آية ٤

(٢) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٦٠

(٣)ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن ص٩٠، دار الكاتب العربي .دون ط، ولاتاريخ

(٤) سورة النحل آية ٧٢

(٥) سورة النحل آية٧٨

(٦) سورة النحل آية ٣٧

(٧) سورة النحل، آية ١٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث
نعم الله في البر

المبحث الأول: نعمة الأنعام ومنافعها
المبحث الثاني: نعمة الحيوانات
المبحث الثالث: نعمة الأمطار والمياه
المبحث الرابع : نعمة النباتات
المبحث الخامس: المعادن
المبحث السادس: العناصر الأربعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:
نعمة الأنعام ومنافعها

النَّعم في أصل وضعها الإبل، سميت بذلك لنعومة مشيها ولينه، أولأنها عند العرب أجل النعم، وقد يتوسع في النَّعم فتطلق على الإبل، والبقر، والغنم، إذا أريد بها جماعة الأصناف الثلاثة[١]

وفي اللسان: والنعم واحد الأنعام وهي المال الراعية [٢].

قال ابن سيدة: النعم الإبل والشاء

وقال ابن الأعرابي: النعم الإبل خاصة، والأنعام: الإبل والبقر والغنم [٣].

ولقد ورد لفظ النعم والأنعام في كتاب الله مرادا بهما الأصناف الثلاثة آنفة الذكر،ولأهميته ومنفعته تكرر ٣٣مرةً .

وفي سورة النحل لما ذكر الله خلق السموات والأرض ثم أتبعهما بذكر خلق الإنسان أتبع الله ذلك بذكر ماينتفع به هذا الإنسان من سائر ضروراته وفي مقدمتها بهيمة الأنعام لأنها من أصول النعم التي لا يستغني عنها الإنسان لدخولها في ضرورات المأكل، والمشرب وكذا الملبس، وبهذه الأمور يقوم بدن الإنسان لذا جاء ذكرها وبيان منافعها امتنانا من الله تعالى على عباده.

وقد جاء بيان المقصود بالأنعام في كتاب الله وأنها الأزواج الثمانية من ذكور الإبل، والبقر، والضأن، و المعز، وإناثها، قال تعالى:(ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى علي الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)[٤].

إن الحديث عن الأنعام في سورة النحل جاء في سياق الامتنان على الخلق بها ولهذا عدد منافعها المتعددة التي يحصل عليها الناس ومنها: الدفء، والأكل والركوب، والحمل عليها، والمنافع الأخرى، قال تعالى:(والأنعام خلقها لكم فيها

---

(١) انظر محمد علي النجار، معجم ألفاظ القرآن الكريم ج٦ ص١٣٥

(٢) انظرابن منظور، لسان العرب مادة نعم

(٣) المرجع السابق مادة نعم

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٣-١٤٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)[١].

فالدفء في الآية هو مايدفأ به فيقي من البرد[٢].

والمنافع هي(درها وركوبها، وحملها، والحراثة بها، وغير ذلك وإنما عبر عنها بها، ليتناول الكل مع أنه الأنسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي إلى الأعلى)[٣].

وقد ذكر الله الأكل مع دخوله ضمن المنافع لأنه الأصل الذي يعتمد عليه الناس في معاشهم[٤].

فالله تعالى بعد أن أبدع خلق الأنعام جعلها مذللة للناس منقادة لهم وجعلها مخزنا للمواد البروتينية والدهنية،ومكّن عباده من ضروب الانتفاع بألبانها، ولحومها، وشحومها، وأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، وعظامها، وغير ذلك من الاستخدام في الحرث والزراعة، والركوب، وحمل الأثقال الثقيلة إلى الأماكن البعيدة، فضلا عن استخدامها في التجارة والتصدير، والحصول من ورآء ذلك على الربح الوفير والخير الكثير.

والأنعام مشاهدة منظورة مسخرة مذللة، فليست خافية ولا غامضة بل هي أمام أعين الناظرين يستوي في إدراكها العالم والجاهل، والصغير والكبير، وهي تلبي شتى حوائج الإنسان الضرورية منها والحاجية والكمالية، وكل ذلك من فضل الله وكرمه ورحمته بالناس.

فهل يقدر الناس هذه المنن ويتذكروها تذكر الواعي النبيه، ويشكروا الممتن بها عليهم مع تأدية حقه كما أمرهم ؟ «وحين ينظر الإنسان إلى الأنعام المسخرة لخدمته يحس أنه مغمور بفيض في كل مرة يشرب جرعة حليب، أو يأكل قطعة لحم، أو يتناول سَمْنًا أو جُبْنا، أو يركب دابة، أو يلبس ثوبا من شعر، أو صوف أو وبر»[٥]

---

(١) سورة النحل آية ٦٥

(٢) انظرإبا السعود العمادي، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم ج٣ ص٣٣٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت

(٣) المرجع السابق ج٣ ض٣٣٦

(٤) انظر محمود بن عمر الزمخشري ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج٢ ص ٥٩٤ دار الريان للتراث القاهرة ط٢ عام ١٤٠٧

(٥) مجلة الوعي الإسلامي، العدد، ٢٩٣،جمادي الأولى عام ١٤٠٩هـ ص١٤، الأنعام منافع وجمال، حامد قنيبي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كما يمكن أن يكون الإنسان ابن بادية فيعمل بيتا من خيمة أو يشرب ماء من قربة أو ينزل دلاء في بئر أو يلبس حذاء من جلد أو يصنع حبلا، كل ذلك وغيره من نعمة الأنعام وفوائدها وفي ذلك من اللمسات الوجدانية ما يشعر قلب الإنسان بخالقه ورازقه والتوجه إليه تسبيحا وتحميدا وتهليلا، فمنتجات الأنعام تدخل كل بيت في الريف والحضر على السواء، ولا يستغني عنها أي إنسان في أي عمر وفي أي مكان[١].والمتدبر لهذه الخيرات والمعتبر بها يجب عليه أن يشكر الله ويسجد له آناء الليل وأطراف النهار كلما وقعت له عين على نعمة كما قال سبحانه(كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)[٢].وقال تعالى(ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)[٣].

وإذا كانت كل دابة تدب على وجه الأرض رِزقها على الله جلّت عظمته فإنه سبحانه خص الإنسان والأنعام بالذكر وحدهما في مقام الرزق مقرونين.قال تعالى:(الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتىً كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى)[٤]. وقال تعالى(أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهموأنفسهم أفلا يبصرون)[٥].

هذه الآيات وغيرها جمع الله فيها بين الإنسان والأنعام في مسألة الرزق مما يدل على أن هناك صلة قوية بين الإنسان والأنعام فالأول ينتفع من الثاني، والثاني يستأنس بالأول وأشد لصوقا به«إن المتأمل في الآيات السابقة ليلاحظ أمرا عجيبا وهو أن رزق الأنعام قد تقدم على رزق الإنسان في بعضها مثل قوله:(فيخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) فهلا أدركنا نحن البشر أي مكانة تحتلها الأنعام بيننا؟ إن القرآن الكريم ليضفي على هذه المنزلة الكريمة للأنعام تعظيما وإعزازا حين يكاد يدمج سبحانه في الآية الواحدة بين الإنسان والأنعام دمجا واضحا وصريحا ليس له تفسير ...إلاّهذه المكانة الرفيعة لمثل هذه النعمة السابغة، نعمة الأنعام، حتى أن الله سبحانه وتعالى جعلها في آية من

---

(١) انظر مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٥٠،شوال عام ١٤٠٥هـ

(٢) سورة الحج آية ٣٦

(٣) سورة يس آية ٧٣

(٤) سورة طه آية ٥٣-٥٤

(٥) سورة السجدة آية ٢٧، ونظر أيضا آية ٤٨ ٤٩ الفرقان ،وانظر النازعات الآيات ٣٠-٣٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كتابه الكريم في منزلة البنين بل قدمها عليهم في الامتنان، تأمل جيدا قوله تعالى(واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين)[١]. هل أدركت إلى أي مدى يضع المولى تبارك وتعالى الأنعام بالنسبة للإنسان»[٢].إنه سر يحتاج إلى تفسير. كما يجد المتأمل لآيات الكتاب العزيز أن الله تعالى جعل الكلام على الأنعام يتوسط شطري الكلام على الإنسان وذلك في مثل قوله تعالى(فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[٣].وقوله تعالى(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ...)[٤]. كل ذلك يدل على أهمية الأنعام في حياة الإنسان لذلك جاء لفت أنظاره إليها وإلى منافعها الجمة، ويؤكد هذا الاهتمام تسمية سورة من القرآن بسورة«الأنعام» وتسمية أطول سورة من القرآن بنوع من أنواع بهيمة الأنعام وهو البقر والسورة هي «البقرة» وفي تسميتها بذلك قصة ومعجزة .

وبعد هذا الإجمال في بيان نعمة الأنعام،يحسن أن يقدم الباحث شيئا من التفصيل لكل نوع من أنواع بهيمة الأنعام،المتمثل في الإبل، والبقر، والغنم، ليظهر منه مدى امتنان الله بذلك على العباد.

نعمة الإبل

إنها سفن الصحراء ومراكب السفر، ومال العرب وجمالهم، وفيها غذاؤهم وكساؤهم وشرابهم ودواؤهم،وكانت مركبهم في ترحالهم قال تعالى:(وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)[٥]فكان لهم فيها العز والجاه كما قال عليه الصلاة والسلام(الإبل عز لأهلها)[٦]، والإبل جمع لاواحد لها من لفظها، والذكر منها

---

(١) سورة الشعراء آية ١٣٢-١٣٣

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٥٢ ذوالحجة ١٤٠٥هـ ص ٨٩ -٩٠بتصرف.

(٣) سورة الشورى آية ١١

(٤) سورة الزمر آية ٦

(٥) سورة يس آية ٧٢

(٦) أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، ج ٢ص ٧٧٣ برقم ٢٣٠٥، وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن ابن ماجة،ج٢ ص٣٢ برقم ١٨٦٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جمل، والبعير يقع عليها كما قال الشاعر:

لا نشتهي لبن البعير وعندنا عرق الزجاجة وأكف المعصار[١]

فقد أطلق البعير هنا على الناقة.

وقد ورد لفظ الإبل في موضعين من كتاب الله تعالى[٢]، وورد لفظ الناقة في سبعة مواضع[٣]، أما البدن فقد وردت في موضع واحد هي قوله تعالى(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله....)[٤]، وهذا كله إضافة إلى ذكر الإبل ضمن الأنعام الذي جاء ذكرها في ثلاثة وثلاثين موضعا[٥]، «والإبل من منن الله الجسيمة على خلقه ومما منحهم به من إرفاقه ورزقه»[٦]، قال تعالى:(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)[٧]،وقال تعالى(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)[٨].

والإسلام اعتبر الإبل ثروة عظيمة وأوصى بالمحافظة عليهاوالعناية بها ورعايتها، ولهذا ورد لفظ الإبل في السنة النبوية ٥٠٩ مرة وذكرت البُدُن في ٥٦ موضعا[٩]،ولأهمية الإبل في البيئة العربية نتيجة لتعدد استخداماتها، وفوائدها دعا الله الناس أثناء نزول الرسالة الخالدة إلى النظر والتأمل في آية خلق

---

(١) احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٠ص١٠٣، دار الكتب المصرية القاهرة ط١ عام ١٣٥١هـ، وانظر البيت في الأغاني ج٤ص٣٧٣ ،دار الكتب المصرية ، القاهرة.

(٢) في سورة الأنعام آية١٤٢، (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين)وفي سورة الغاشية آية ١٧(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)

(٣) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة نوق ص٧٢٩، والمواضع السبعةالمقصود بالناقة هي ناقة نبي الله صالح

(٤) سورة الحج آية ٣٦

(٥) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة نعم، ص٧٠٨-٧٠٩

(٦) أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٠ص١٠٣ مرجع سابق

(٧) سورة النحل آية ٥

(٨) سورة يس آية ٧١-٧٣

(٩) انظر محمد الصانع، الإبل العربية، ص٢٨، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي،ط٢، عام ١٩٨٤م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإبل، مشيرا بأنها موجودة بين ظهرانيكم وهي التي تنقلكم وتنقل أمتعتكم قاطعة الصحاري والقفار، وتوفر لكم المأكل والمشرب والملبس من دون الحيوانات الأخرى، أما تفكرتم فيها وفي خلقها وفي تحملها الجوع والعطش والتعب[١].قال تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)[٢].

ولذلك كانت الإبل أجمع المنافع من سائر الحيوان لأن منافع الحيوان أربعة:حلوبة، وركوبة، وأكولة، وحمولة، والإبل تجمع هذه الخلال الأربعة فهي:«إن حملت أثقلت، وإن سافرت أبعدت وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت»[٣]،وللإبل خصائص تُفْرِدها من بين سائر الحيوان«فهي على قوتها وضخامتها وضلاعة تكوينها ذلول يقودها الصغير فتنقاد، وهي على عظمة نفعها وخدمتها قليلة التكاليف،مرعاها ميسر وكلفتها ضئيلة وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع، والعطش، والكدح، وسوء الأحوال»[٤]والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها، فهي عظيمة الجسم، سريعة الانقياد، كثيرة المنافع، جليلة الإنتاج.

منتجات الإبل

للإبل منتجات كثيرة أهمها:ـ

أولا: اللبن وهو يعتبر غذاء أساسيا لسكان الصحراء من قديم الزمان وكذا للبدو والرعاة وأهل الإبل ومازال، وسيأتي الحديث عنه من حيث صفاته ومكوناته، وقيمته الغذائية، ومشتقاته، وذلك في فصل المشروبات[٥].

ثانيا: اللحم، تعتبر الإبل في الماضي المصدر الرئيس للحوم لسكان الجزيرة العربية، وسكان الصحاري، ولكن تناقصت أهميته لتحوّلِ الناس إلى الأغنام، وكذا تحول مربي الإبل إلى الحضر والاستقرار فيه، يقول محمد وردة«يأتي إنتاج اللحم في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد إنتاج الحليب عند الإبل، فالإبل لا تذبح في مناطق تربيتها إلا في مناسبات الزواج والضيافة والأعياد، وتذبح

---

(١) انظر المرجع السابق من ص ١٩-٢٦

(٢) سورة الغاشية آية ١٧

(٣) أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٠ ص١١٥

(٤) محمد عبد الله الصانع، الإبل العربية،ص٢٥ مرجع سابق.

(٥) انظر فصل المشروبات من هذا البحث، ص١٩٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اضطراريا في حالات القحط و الجفاف الشديدين»[١]. أما القيمة الغذائية للحوم الإبل فهي حلوة المذاق وتتميز بانخفاض نسبة الدهون فيها، ومعظم الدهون متجمعة في السنام، وللحمها صفات معينة فهي تمتاز«باحتوائها على أنسجة عضلية كبيرة ومحتوى عال من الماء، ودهن الإبل أبيض، وطعم اللحم حلو ولونه أحمر إلى بُنّي، وتعتبر لحوم الإبل شبيهة بلحوم الأبقار من حيث محتواها العام، فهي تحتوي من البروتين على نسبة ٤ ,٧٣ـ٤ ,٧٦ في المائة، كما أن لحم الإبل في عمر سنتين شبيه من ناحية المذاق بلحم العجول»[٢].

ثالثا : الوبر،يمتاز بكونه خفيفا وقويا وذا ألوان مرغوبة ويغطي رقبة الإبل وسنامها والأكتاف، وهو قليل في الإبل العربية لكنه كثيف وطويل في الإبل ذات السنامين ، يقول محمد ورده«يتميز وبر الإبل بخفته ومتانته وانخفاض ناقليته للحرارة ولونه المرغوب، ويستخدم في صناعة الحبال والملابس والأغطية، كما يخلط مع شعر الماعز عندما يستخدم في خيام البدو»[٣]،وبهذا يتبين أنّ استخدامات الوبر متعددة ومنها:

١- صناعة الملابس

٢- صناعة الأغطية

٣- نسج العباءةالعربية التقليدية

٤- صناعة الخيام مخلوطا مع شعر الماعز

٥- عمل الشمائل والعقل

٦- عمل بعض المنسوجات اليدوية الأخرى.

رابعا: انتاج الجلود، يعتبر جلود الإبل من الجلود القوية السميكة و على الرغم من أنها تشكل أحد منتجات الإبل الهامة فهي لا تستغل اقتصاديا في الدول القائمة على تربيتها كا لصومال ، والسودان، وموريتانيا ويصل وزن جلد الإبل من ٢٢ إلى ٤٧،كيلو غراما، وتستخدم في الصناعات التالية:

١- صناعة الدروع

---

(١) محمد فاضل وردة، الإبل العربية نشأتها وسلالاتها وطرق تربيتها، ص٣٢٧، دار الملاح للطباعة والنشر، ط١، عام ١٤١٠هـ.

(٢) محمد عبد الله الصانع، الإبل العربية، ص١٦٦، مرجع سابق.

(٣) محمد وردة، الإبل العربية نشأتها وسلالاتها وطرق تربيتها ص٣٤٠ مرجع سابق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- الصناعات السياحية

٣- صناعة بعض أنواع الأحذية

٤- صناعة قرب المياه

٥- صناعة دلاء المياه

٦- صناعة الطبول الكبيرة

٧- صناعة بعض الحبال.

وبعد هذا العرض المجمل فيما يخص منافع الإبل للإنسان يمكن إجمال النعم التي تستفاد منها في الآتي:-

١- كان للإبل دور كبير في الحروب والغزوات التي قادها الرسول عليه السلام في صدر الإسلام وكان للمسلمين يوم بدر سبعون بعيرا يتناوب كل ثلاثة منهم في بعير.

٢- كانت وسيلة رئيسة للمواصلات والنقل في الصحاري وبين المدن والدول

٣- كان لها دور في توسيع رقعة الإسلام ونشره إذ بها عبر المسلمون الصحاري والفيافي

٤- كانت عماد الحركة التجارية

٥- كانت مصدرا رئيسا من مصادر الإقتصاد، عبر التجارة أو الحرف اليدوية أو الصناعات البيئية أو الزاعية أو الري أو الرعي أو غير ذلك.

٦- دورها في المسابقات قديما وحديثا، فقد تسابق الرسول عليه السلام مع الصحابة على الإبل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكذا العضباء لا تسبق،[1] ففي صحيح البخاري تعليق عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت العضباء لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها الأعرابي وكأن شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)[2]، أما دورها في السباق في العصر الحديث فلا يخفى

٧- كانت وما زالت وسيلة هامة في حرث الأرض السهلية مثلها مثل الأبقار

٨- دورها في عصر الزيوت في العصارات التقليدية.

---

(١) انظر مطلق العساف السهلي، أخبار الإبل عند العرب بين القديم والحديث ص.٤٠ مطابع الحرس الوطني عام ١٤٠٧هـ

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ج٣، ص ٢٢٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٩- منتجاتها من الألبان واللحوم والجلود والوبر تستخدم في الاستهلاك والتصنيع والتصدير.

١٠- أبوالها وروثها وألبانها تستخدم كأدوية لكثير من الأمراض، فعن أنس[١] رضي الله عنه قال: قدم ناس من عكل أو عرينة فاجتوو المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم....الحديث)[٢]

نعمة الأبقار

البقر واحدته بقرة ويقال في جمعه باقر كحامل وبقير كحكيم وقيل بيقور، واشتق من لفظه لفظ لفعله فقيل بقر الأرض أي شقها ولما كان شقه واسعا استعمل في كل شق واسع [٣]، والبقر حيوان شديد القوة كثير المنفعة وهو أنواع منه أهلي ومنه وحشي، والجاموس يدخل ضمن فصيلته ، والمهم هنا هو الأول ولا مانع من التعريف بالجاموس في حينه.

وقد ورد ذكر البقر بلفظه في آيات عديدة من كتاب الله، إضافة إلى أنه يدخل ضمن الآيات التي تحدثت عن الأنعام ومنافعها للإنسان، كما سميت أطول أسورة ب«سورةالبقرة[٤]»، ويشهد للأبقار بأنها « سمحة مباركة ميمونة تحب

---

(١) هو أنس بن مالك بن ضمضم الخزرجي الأنصاري، صاحب الرسول عليه السلام وخادمه ولد عام ١٠ ق.هـ، روى من الأحاديث ٢٢٨٦ حديثا رحل إلى الشام وكان آخر من مات من الصحابة بالبصرة عام ٩٣هـ. انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص ١٥٤ وانظرالزركلي الأعلام ج٢ ص٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب أبوال الإبل والدواب والغنم ج١ص٦٣-٦٤

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن ص ١٣٨

(٤) لورود القصة العجيبة في ذلك قصة بني اسرائيل في القتيل الذي قتل منهم ولم يعرفوا قاتله فاختلفوا إلى درجة الاقتتال فيما بينهم فأمرهم الله بواسطة نبيه موسى أن يذبحوا بقرة ويضربوا ببعضها المقتول، ففعلوا مع التعنت والمكابرة فقام وأخبرهم بالقاتل والقصة تبدأ من قوله تعالى(وإذقال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...إلى قوله (وما الله بغافل عما تعملون) سورة البقرة الآيات من ٦٧-٧٤.

المرجع«انظر محمد نسيب الرفاعي تيسير العلي القديرلاختصارتفسير ابن كثير،ج١ص ٦٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أصحابها وتهدأ لهم أثناء الحلب»[١] ، قال تعالى:(قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها...)[٢] الآية.

أما الجاموس فجمعه جواميس وهي ضأن البقر، وهو أجزع الحيوان من البعوض وأشدها هربا منه إلى الماء، وهو يمشي إلى الأسد رخي البال رابط الجأش ثابت الجنان، فهو يستطيع أن يقاوم الأسد في النزال بل يقاتله ويتغلب عليه، كما يتغلب على تماسيح البحر ويتمكن منه ويقهره في الماء إذ يعرف بالقوة وعظم البدن، وهو يدخل الماء ويغيب بدنه فيه إلى منخريه.

من منافع الجاموس أن له لبنا لذيذا، فهو من ألذ الألبان وأنفعها وأدسمها كما يتميز بكثرة ألبانه[٣]

أما منافع الأبقار فتتلخص في الآتي:-

١- وجود الحليب الوفير فيها، إذ وصفت بأنها كثيرة اللبن خالصه بلا رغوة.

٢- إنتاج اللحوم.

٣- إنتاج الشعر.

٤- إنتاج الجلود.

٥- القيام بحرث الأرض.

٦- الحمل عليها عند الحاجة خاصة الذكور.

٧- الاستفادة الإقتصادية منها سواء عن طريق البيع والتصدير أو عن طريق بيع منتجاتها .

٨- لها دور كبير في تسميد الأراضي الزراعية.

٩- بأبوالها يدبغ البدو الجلود لتصنيعها قربا وغيرذلك من المنافع الكثيرة.

قال تعالى في وصف بقرة بني إسرآئيل(إنها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونها تسر الناظرين)[٤] ،وقال تعالى(.إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث ..)[٥]

---

(١) احمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٠ ص١٢٠.

(٢) سورة البقرة آية ٧١ .

(٣) انظر احمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٠ ص١٢٤-١٢٥

(٤) سورة البقرة آية ٦٩

(٥) سورة البقرة آية ٧١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نعمة الأغنام

الأغنام والغنم يطلق على الضأن والمعز، وكل منهما زوج فهي أربعة أزواج من الأزواج الثمانية الوارد ذكرها في سورة الأنعام، قال تعالى(ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين...)[١] الآية. وقد جاءت أحاديث صحيحة في فضل الغنم وبركتها، كما وصف الرسول عليه السلام أهلها بالسكينة والوقار ولين الجانب قال صلى الله عليه وسلم (الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)[٢]،كما حث عليه السلام من بين الأنعام على اتخاذ الغنم فعن أم هانئ[٣] رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها:(اتخذي غنما فإنها بركة)[٤]، مما مضى من النصوص يتبين للمتأمل أنه عليه السلام جعل البركة في الغنم «لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الأولاد فإنها تلد في العام ثلاثة مرات، إلى ما يتبعها من السكينة وماتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح ولين الجانب»[٥] بل جعل الرسول عليه السلام الغنم خير مال المسلم في آخر الزمان عن أبي سعيد الخدري[٦] رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)[٧].

ومن منافعها تعلم رعاتها الصبر والرحمة ولذلك هيأ الله رعاة الأمم من الرسل بأن جعلهم رعاة للغنم ليتأهلوا للقيام بمهامهم خير قيام فعن أبي هريرة

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٣

(٢) أخرجه ابن ماجة كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، ج ٢ ص٧٧٣، برقم ٢٣٠٥، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٣٢.

(٣) هي فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية أخت الخليفة الراشد علي بن أبي طالب أسلمت عام الفتح روت ٤٦ حديثا ت ٤٠ هـ،انظر الزركلي، الأعلام ج٥ ص١٢٦.

(٤) أخرجه ابن ماجة، كتاب التجارات،باب اتخاذ الماشية، ج٢ ص٧٧٣، برقم، ٢٣٠٤، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٣٢،

(٥) محمد ابن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج١٠ ص٨٠ دار الكتاب العربي.

(٦) هو سعد بن مالك بن سنان له ولأبيه صحبة استصغر بأحد وشهد ما بعدها من الغزوات روى كثيرا من الأحاديث اختلف في وفاته ما بين ٤٣-٦٥هـ ابن حجر التقريب،ص٣٧١

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن،ج١ ص١٠، وأخرجه غيره انظر المسند ج٣ ص٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم، فقال له أصحابه وأنت يارسول الله قال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)[١]، هذا وقد ورد ذكر الغنم في الكتاب العزيز ثلاث مرات، وذكر الضأن مرة واحدة، وكذا المعز،ولما كان الغنم يشمل الضأن والمعز فقد ذكر الجميع على هذا مرة كذلك، قال تعالى:(ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين..)[٢]وقال تعالى:(وداود وسليمان إذيحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)[٣].

ولبيان النعم المتوفرة في الغنم يمكن الإنتقاء مما ذكره الجاحظ في المقارنة بين فضائل كل من المعز والضأن، حيث أن الضأن تلد مرة في السنة وهي تفرد ولا تلد توائم ومع هذا تتكاثر وتنموا، أما المعز فتلد مرتين في السنة، وقد تلد اثنين أو ثلاثة توائم، ومن فضائل الضأن أن الصوف أغلى وأثمن وأكثر قدرا من الشعر، بينما المعز يفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد، ولبن الضأن أطيب وأخثر وأدسم، وزبده أكثر، إضافة إلى أن الكباش تقدم للهدايا وتذبح في المناسبات، فتلك فضيلة في النجدة فلحمها من أطيب اللحوم ، ومن منافع الأغنام أن جلودها تصلح لصنع القرب والسقاء وقباب الأدم وغيرها[٤].

ومن منافع الأغنام أنها تكون منائح ويعود ذلك على صاحبها بالأجر الوفير في الآخرة، والذكر الحسن في الدنيا، وكانت لرسول الله ﷺ سبع منائح من الغنم وكانت ترعاهن أم أيمن[٥] رضي الله عنها، وفي فضل المنيحة قال ﷺ :(نعم المَنِيحَة اللِّقْحَةُ الصَّفِيُّ مِنْحَة، والشاة الصَّفِيُّ تغدوا بإناءٍ وتروح بإناءٍ)[٦].

---

(١) أخرجه ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الصناعات،ج٢ ص٧٢٧، برقم ٢١٤٩، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٦.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٣

(٣)سورة الأنبياء آية ٧٨.

(٤) انظر الجاحظ، كتاب الحيوان، ج٥ ص١٤٨،ذكر القرطبي أن الغنم تلد٣مرات في السنة، وذكر الجاحظ أنها تلد مرتين وهو المعروف

(٥)أم أيمن هي بركة بنت ثعلبة بنت عمرو،غلبت عليهاكنيتها بابنها أيمن، حاضنة النبي ﷺ صارت إليه ميراثا من أبيه عبدالله، روت بعض الأحاديث وروى عنها أنس، انظر جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال٣/ ١٧٠٠ صورت المخطوط.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الهبة،باب فضل المنيحة،ج٣ص١٤٤،والمنيحة:العطيةوهي عارية ذوات الألبان يؤخذ لبنها ثم ترد، واللقحة:الناقة ذات اللبن القريبة العهدبالولادة، والصفيّ:الكريمة غزيرة اللبن، تغدو بإناء:أي تحلب بالغداة والعشي«انظرابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٥/ص٢٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
نعمة الحيوانات

الحيوانات مفرده حيوان وهو ما دبت فيه الحياة، وفي القرآن الكريم تطلق الحيوانات على أربعة أنواع هي :الدواب، والأنعام، والطيور، والوحوش قال تعالى:(ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)[١] .وعلم الحيوان علم خاص بالبحث عن خواص الحيوانات ودراسة عجائبها ومنافعها ومضارها[٢] ،والمقصود من الحيوانات في هذا المبحث هي البهائم ذات الأظلاف والمنصوص عليها في آية سورة النحل قال تعالى:(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون)[٣] .

وموضوع البحث سيكون في مدى الاستفادة منها والإنتفاع بها بذكر بعض النعم التي تعود على الإنسان منها زينة وركوبا.

فالله تعالى بعد أن ذكر مننه على عباده بالأنعام ومنافعها الضرورية، أتبع ذلك بذكر الامتنان بمنافع الحيوانات التي لا تدخل ضمن بهيمة الأنعام، ولما كان الركوب أعظم منافعها اقتصر عليه، ولا يعني أنه لا توجد منفعة أخرى غير الركوب، فمن مظاهر قدرة الله ورحمته بعباده وإنعامه عليهم أن خلق لهم دواب الحمل والركوب من الخيل والبغال والحمير، ليستخدموها في السلم والحرب، وينتقلوا بها من مكان إلى آخر، إضافة إلى صرف الانتباه إلى التفكير في خلقها، والتأمل في حياتها، واستدلال العبرة منها، ومن مزيد فضله وإنعامه على عباده أن هيأ لهم هذه الحيوانات وكذا بهيمة الأنعام بما يتم به الاستفادة منها والانتفاع بها من الأدوات والإحساس، يقول ابن القيم رحمه الله:(ثم تأمل الحكمة البالغة في إعطائه سبحانه بهيمة الأنعام الأسماع والأبصار ليتم تناولها لمصالحها ويكمل انتفاع الإنسان بها إذ لو كانت عمياء أو صماء لم يتمكن من الانتفاع بها ثم سلبها العقول على كبر خلقها التي للإنسان ليتم تسخيره إياها فيقودها ويصرفها حيث يشاء ولو أعطيت العقول على كبر خلقها لامتنعت من طاعته واستعصت عليه، ولم تكن مسخرة له، فأعطيت من التمييز والإدراك ما تتم به

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.

(٢) انظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج١ ص٦٩٥، المكتبة الإسلامية، طهران، ط١، ١٣٨٧هـ.

(٣) سورة النحل آية ٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصلحتها ومصلحة من ذلك له)[١] قال تعالى:(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)[٢] فالله خلق هذه البهائم ليستعملها العباد في الركوب تارة وللحمل عليها أخرى وتفيد أيضا لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل لأن البغال والحمير محرم أكلها، والخيل لا تستعمل في الغالب للأكل بل ينهى عن ذبحها للأكل خوف انقطاعها وانقراضها، أما من حيث الحكم الشرعي فقد ثبت في الصحيحين وغيرهاأنه عليه السلام أَذِن في لحوم الخيل[٣]، ففي الصحيحين وغيرهما[٤]عن أسماء[٥] رضي الله عنها قالت : نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسا فأكلناه[٦]،وعن جابربن عبد الله رضي الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل[٧]، وأحاديث جواز أكل لحوم الخيل معلومة والحمد لله، وهذا أيضا من منّة الله تعالى على عباده، إذ جعلهم ينتفعون بالخيل في ركوبها حال الطلب والهرب كما ينتفعون بها في حمل الأثقال ،ويستمتعون بها زينة وجمالا، كما قال سبحانه:(لتركبوها وزينة).

وبعد هذا البيان لبعض نعم الأنعام والحيوانات من الغذاء والشراب والدواء والدفء بصناعة الملابس والركوب والحرث وحمل الأمتعة والآلات إضافة إلى الجمال والزينة مما فيه مراعاة لشعور الإنسان واشباعا لأشواقه ختم ذلك بقوله سبحانه:(ويخلق مالاتعلمون)[٨]، أي مماهو مركوب وغير مركوب من مخلوقات

---

(١) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ج١ ص٢٣٤، توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء الرياض.

(٢) سورة يس آية ٧١-٧٢

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل،ج٣ ص١٥٤١ برقم ١٩٤١

(٤) مثل النسائي، وابن ماجة، وابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٥)أسماء بنت أبي بكر الصديق وزوج الزبير بن العوام، أسلمت قديما وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله سميت ذات النطاقين،لأنها صنعت للنبي ﷺ سفرة حين أراد الهجرة فعسر عليها ما تشده به فشقت خمارهاوشدت السفرةبنصفه وانتطقت بالنصف الآخر فسماها الرسول ﷺبذلك، انظر تهذيب الكمال، المزي ٣/١٦٧٧، تصوير المخطوط دمشق

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب النحر والذبح ج٦ ص٢٢٧،ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل ج٣ ص١٥٤١، برقم١٩٤٢

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل ج٣ ص١٥٣١،برقم ١٩٤١.

(٨) سورة النحل آية ٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عجيبة[١]، بعد أن ذكر تعالى أدوات الركوب المعروفة وقت نزول هذا النص وأشار سبحانه في نهاية الآية إلى مركوبات للإنسان سوف يوجدها الله فيما بعد لايعلمها الإنسان حين نزول النص[٢]، وهذا من معجزة القرآن الكريم أنه يذكر الأصول الجامعة التي يدخل فيها مايعلمه الخلق وما لا يعلمونه، لأنه تعالى يذكر في كتابه ما يعرفه العباد أو يعرفون له نظيراً. وهذا من باب تحديث الناس وإخبارهم بما يعرفون[٣].

وكون نعمة المركوبات تختتم بهذا النص المجمل فيه نعمة أخرى من الله للإنسان تسايره في مستقبل حياته وهي مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى إذلم تقف قدرته عند إيجاد هذه الحيوانات المركوبة «بل إنه سيخلق مالا يعلمون غير هذه الدواب، وسيلهم فريقا من عباده ليبتكروا وسائل أخرى للنقل الجوي والبحري والبري لتستخدم في السلم والحرب كالقطر والطائرات والمناطيد والبواخر والبوارج والغواصات النووية والدبابات البرمائية والطائرات النفاثة، والصواريخ وسفن الفضاء وغير ذلك مما سيتوصل إليه الإنسان عن طريق الاختراع والصناعة، وفي هذا دليل على إعجاز القرآن وعلى أن الله الذي أنزله يعلم السر وأخفى، ويعلم ماكان وما سيكون، فهذه العبارة من الآية جمعت وسائل النقل الحديثة من المخترعات التي جدت وستجدُّ مما تقصر المدارك عن معرفة كنهها»[٤].

---

(١) أبوبكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج٣ ص١٠٢،الناشر المؤلف المدينة المنورة،ط٤،١٤١٢هـ.

(٢) انظر سعيد حوى، الأساس في التفسير،المجلد السادس،جزء١٤،ص٢٩٢٣،دار السلام، القاهرة ط١٤٠٥١هـ.

(٣) ولعل هذا خوفه عليهم من أن يفتتنوا فيقعوا في تكذيب الكلام فيهلكوا، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:«حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لايفهموا انظر فتح الباري ج١ ص٢٧٢

(٤) محمد عبد المنعم الجمال، التفسير الفريد للقرآن المجيد ص١٦٤٤، بتصرف في النص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث
نعمة الأمطار

الأمطار جمع ومفرده مطر.

والمطر: الميم، والطاء، والراء أصل صحيح فيه معنيان، أحدهما: الغيث النازل من السماء، والآخر جنس من العدْو. فالأول : المطر، ومطرنا مطرا، قال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب، قال الله تعالى: ﴿أمطرت مطر السوء﴾[١]، وتمطّر الرجل تعرض للمطر، ومنه استمطر طالب الخير، والمطر: الماء المنسكب من السحاب.[٢]

والثاني: قولهم تمطر الرجل في الأرض إذا ذهب،والمتمطر الراكب الفرس يجري به[٣]،

ولا شك أن المقصود من المطر هنا وأنه نعمة من الله للعباد، هو المطر النازل لغيث العباد والبلاد، وهو الذي أكثر من ذكره تعالى بلفظ (ماء) ممتنا به على عباده في آيات كثيرة ، منها هذه الآية في سورة النحل: (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون)[٤].

ونعمة الأمطار تتضح ببيان الله تعالى عظيم منّته بإنزال الماء من السماء وهو السحاب ـ سمي به اشتقاقا من السمو وهو الارتفاع ـ وجعله عذبا صالحا للشرب والسقيا، إذ به قوام حياة الناس وحياة الحيوان، وما يتولد عنه من أقواتهم وأقواتها، وقد جاءت آيات كثيرة تحمل هذا المعنى كقوله تعالى: (أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[٥]، وقوله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا)[٦].

كما بين تعالى أن إنباته بالماء ما يأكله الناس من الحبوب والثمار وما تأكله المواشي من المرعى ـ من أعظم نعمه على بني آدم ـ ومن أوضح آياته الدالة على

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٠.

(٢) انظر ابن منظور: لسان العرب، باب الراء، فصل الميم، ج٥، ص١٧٨.

(٣) انظر أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٣٣٢/٥.

(٤) سورة النحل، آية ١٠.

(٥) سورة الواقعة آية٦٨ , ٦٩.

(٦) سورة الفرقان، آية٤٨ , ٤٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنه المستحق لأن يشكر ويذكر ويعبد وحده دون سواه، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، قال تعالى: (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات)[١].

وقال تعالى: (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)[٢].

وقال تعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جناب وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)[٣].

وفي نزول الأمطار من أعلى إلى الأسفل حكمة بالغة ونعمة سابغة، يقول ابن القيم: «ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها، وتلولها وظرابها وآكامها ومنخفضها ومرتفعها، ولو كان ربها تعالى إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر، وفي ذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها فينشيء سبحانه السحاب، وهي روايا الأرض، ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر، وتلقحها به كما يلقح الفحل الأنثى، ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة الأمطار، وإذا بعدت من البحر قلّ مطرها»[٤].*

وهذا صحيح بالنظر إلى الحضارات القديمة وأماكن تواجدها وسكنها، فلأهمية الماء قامت الحضارات كلها على ضفاف الأنهار والبحر حيث الماء والزراعة والغذاء.

ويختلف المطر من حيث غزارته من وقت لآخر وكذا من مكان لآخر تبعا لعدة عوامل، فيسقط إذا انخفضت حرارة الهواء بصعوده إلى أعلى إلى درجة ما دون نقطة الندى حيث يتكاثف بخار الماء على شكل سحب ثم يسقط على هيئة مطر، يزيد تحجمها كما يزيد حجم هذه الذرات تدريجيا كلما انخفضت حرارة الهواء

---

(١) سورة النحل، آية١١.

(٢) سورة السجدة، آية ٢٧.

(٣) سورة ق الآيات ٩، ١٠، ١١.

(٤) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج١، ص٢٢٣.

* إنّ كلام ابن القيم لا يستدل به كقاعدة على أن البلاد التي لها ساحل في البحار يكثر أمطارها فليس هذا صحيح لمن تأمل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى لا يستطيع حملها فتسقط على شكل مطر[١].

كما تسقط الأمطار إذا حمل الهواء كمية مناسبة من بخار الماء وكلما زادت هذه الكمية زادت كمية الأمطار المتكونة.

ومن نعمة الأمطار وجود الصلة الوثيقة بينها وبين مختلف أنواع الحياة على سطح الأرض، كما أن لها أثرا في تشكيل قشرة الأرض[٢].

ولكن هناك أمرا لا ينبغي إغفاله - بسبب الإغراق في العوامل الفلكية لسقوط الأمطار - وهو أن هذه الأمطار تنزل بإذن الله وقدرته على من يشاء من عباده فيصيب بها من يشاء من العباد والبلاد بفضله ورحمته، ويصرفها عمن يشاء بعدله وحكمته، وهذا ما أخبر به تعالى في كتابه، قال تعالى: (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)[٣].

فالله تعالى يسوق السحاب بعضه إلى بعض متكونا من البخار الذي يرتفع إلى أعلى منساقا، ويؤلف الله بين أجزائه ويجمعها حتى يكون سحابا مرتفعا في طبقات الجو الباردة، وهو معنى (ثم يجعله ركاما) فترى المطر والبرق يخرج من خلال ذلك السحاب[٤].

والماء أهم الموارد اللازمة للحياة على الأرض، وأكثرها شيوعا وروعة على الإطلاق ولذا فالحياة والماء في هذا الكوكب شيئان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر[٥].

وجعل الله الماء سببا لاستمرار الحياة وضرورة لها، فإنه سبحانه خلق الإنسان من طين، والطين ما هو إلا تراب وماء، كما خلق سبحانه كل جنين في بطن أمه من ماء دافق، ومن نطفة أمشاج، وخلق كذلك كل نبات على الأرض من تراب وماء، أي من طين ولم تبدأ الحياة على سطح الأرض إلا من وجود الماء على

---

(١) انظر فهمي أبو العطا، الطقس والمناخ دراسة في طبيعة الجو وجغرافية المناخ، ص٢١١،

(٢) انظر، المرجع السابق ص ٢١٢

(٣) سورة النور، آية ٤٣.

(٤) انظر د. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، ج ١٨ ص٧٨.دار الجيل، ط ٤ ١٣٨٨هـ

(٥) انظر، عبد العليم خضر، الماء والحياة بين العلم والقرآن، ص١٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سطحها ومن جوفها[١].

وهذا مصداق ما أخبر به تعالى في عدة آيات من كتابه، قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)[٢]، وقال تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء...)[٣].

ولما كان الماء يأتي عن طريق المطر، وهي تعتبر قوة عظمى نافعة فيها معنى البركة والشفاء والحياة، وهذا ما عبر به أحد الشعراء قائلا:

وما العيش إلا نومة وتشرق وتمر كأكباد الحرار وماء[٤].

وهنا وقفة تأمل! بين كل من لفظة (مطر، وماء، وغيث).

ثم ما المقصود بهذه الألفاظ في القرآن والسنة ولغة العرب؟

وهل هناك تعارض بين إسقاط المطر بالوسائل العلمية وبين كون نزول المطر من مفاتيح الغيب الخمسة؟

ولماذا احتار الناس وتشككوا عندما ظهر ما يسمى بالمطر الصناعي؟

لا شك أن هناك معان دقيقة بين الكلمات السابقة، أما لفظة (مطر) فقد مضى تعريفها والمقصود بها في بداية هذا المبحث بما أغنى عن إعادتها هنا.

وأما لفظة (ماء) فيعود أصل بنائه إلى (موه) وتصغيره (مويه) فتكون الهمزة في الماء بدلا من الهاء[٥].

والماء والماه والماءة معروف، وجمعه أمواه ومياه، وهو الماء الذي يشرب، والهمزة فيه مبدلة من الهاء[٦].

وأما لفظة غيث فقد قال ابن فارس[٧]: الغين والياء والثاء أصل صحيح وهو

---

(١) المرجع السابق، ص١٦.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٣٠.

(٣) سورة النور آية ٤٥.

(٤) الشاعر هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، راجع ديوان الحماسة، ج٢، ص٤٠٤، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٧م.

(٥) انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٢٨٦، بتصرف.

(٦) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الهاء، فصل الميم، « م و هـ ».

(٧) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ولد عام ٣٢٩هـ كان من أئمة اللغة والأدب له عدة تصانيف منها مقاييس اللغة والمجمل، ت ٣٩٥هـ انظر الزركلي الأعلام ج١ ص١٩٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحيا النازل من السماء، يقال: جاءنا غيث، وهذه أرض مغيثة، ومغيوثة، وغثنا، أي أصابنا الغيث[١].

وقد استخدم القرآن صور المطر والماء والسحاب والرعد استخداما واسعا دقيقا، فهو حياة وبعث، ومادة للحياةوأصل للموجودات، منه خلق كل شيء، وهو الرحمة والطهور، والغيث والبركة، وهو مثل الحياة الفانية ومادة الموت، وموضع النقمة والعذاب[٢].

وبهذا يتبين أن القرآن أطلق لفظ (المطر) لأمرين متضادين: أحدهما النعمة والرحمة والبركة، والآخر النقمة والعذاب والدمار.

وقد جاء هذا اللفظ بتصاريفه في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعا كلها كانت تتحدث عن النقمة والعذاب[٣].

وقد جاءت صورة المطر من حيث هو عنصر متناقض في القرآن الكريم واضحة وضوحا تاما، فهو مادة للحياة، ومادة للموت معا، وكثيرا ما يذكر المطر في القرآن الكريم في موضع الانتقام والعذاب، قال تعالى: (وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين)[٤].

وقال تعالى: (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضوض)[٥]

وقال تعالى: (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين)[٦]

وقال تعالى: (ولقد أتو على القرية التي أمطرت مطر السوء)[٧]

وقال تعالى: (... فأمطِرْ علينا حجارة من السماء..)[٨].

ورسم القرآن الكريم صورا مرعبة للماء في طوفان نوح، وفي تصويره للصواعق الهائلة، والبرق الخاطف الذي يكاد يذهب بالأبصار.

وهاتان الصورتان المتضادتان للمطر أبرزهما القرآن الكريم بوضوح تام في

---

(١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٤٠٣.

(٢) انظر: أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص١٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٨ فما بعدها.

(٤) سورة الأعراف، آية ٨٤.

(٥) سورة هود، آية ٨٢.

(٦) الشعراء، آية ١٧٣.

(٧) الفرقان، آية ٤٠.

(٨) الأنفال، آية ٣٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صورة الرحمة والطهر والنعمة والحياة، وصورة العذاب والنقمة والرعب والموت[١].

وذكر أبو السعود[٢] في تفسيره قولين في معنى مطر، ثم عقب عليها بقوله: قال أبو عبيدة:[٣] مطر في الرحمة وأمطر في العذاب.

وقال الراغب: مطر في الخير وأمطر في العذاب. ثم قال أبو السعود: والصحيح أن أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر[٤].

وقد أحسن الزمخشري الرد على التقسيم مبينا المقصود باختصار قائلا: معنى مطرتهم: أصابتهم المطر كقولهم غاثتهم، وويلتهم وجادلتهم ورهمتهم، ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر، ومعنى (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة. اهـ[٥].

ولعل المقصود بذلك والله أعلم الرد على من يقول:«مطرت السماء في الخير، وأمطرت في الشر، ويتوهم أنه تفرقه وضعية فبين أن أمطرت معناه أرسلت شيئا على نحو المطر، وإن لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء أنواعا من الخيرات والأرزاق كالمن والسلوى لجاز أن يقال فيه أمطرت السماء خيرات، أي أرسلتها إرسال المطر، فليس للشر خصوصية في هذه الصيغة الرباعية، ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيئا سوى المطر إلا وكان عذابا»[٦].

أما لفظ (الماء) فهو الذي يكرره الله كثيرا في القرآن ممتنا بنزوله ومنافعه ونعمه الجمة، وما يترتب على نزوله من الفوائد والخيرات، وقد ورد ذكره في القرآن متكررا في ثلاث وستين موضعا، ولا عجب فهو ضرورة من ضرورات الحياة في النبات والحيوان والإنسان، بل قيل فيه إنه مصدر الحياة، وهو أهون موجود وأعز مفقود.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٠ بتصرف.

(٢) هو محمد بن محمد العمادي ولد عام ٩٠٠هـ وقيل ٨٩٨ قرب القسطنطينية تفقه في علوم الشريعة وأتقن علوم اللغة العربية والفارسية والتركية له عدة مصنفات أهمها تفسيره ت ٩٨٢هـ انظر مقدمة تفسيره ج١ص/د

(٣) معمر بن المثنى التيمي بالولاء أبو عبيدة النحوي ولد ١١٠ هـ كان من أئمة العلم بالأدب واللغة يقال إنه كان إباضيا أبغض العرب وألف في مثالبهم كتبا ت ٢٠٩هـ.الزركلي الأعلام ج٧ ص٢٧٢

(٤) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبو السعود، ج٢، ص٢٤٦.

(٥) محمود الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٢٦.

(٦) أحمد بن المنير الإسكندري، الانتصاف،مطبوع في هامش الكشاف للزمخشري،١٢٦/٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما كان موضوع البحث هو الحديث عن المطر كنعمة من الله على عباده باعتباره الماء النازل من السحاب لغوث الخلق والأرض لزم أن يكون التأكيد على بيان ذلك بأدلة من القرآن نفسه. فالله جعل في الماء حياة للأرض، قال تعالى: (والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها)[١]. بل خلق الماء أصلا للموجودات ومادة للحياة، قال تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء...)[٢]، ومن الماء أنبت الله حدائق ذات بهجة، قال تعالى: (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة)[٣].وجعل الله من الماء منه ما يشربه الخلق ومنه ما هو سقيا للبهائم، ومنه ما ينبت الشجر،ومنه ما ينبت العشب والكلأ، ومنه ما ينبت الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، قال تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون)[٤].

وسمى القرآن الماء رحمة، قال تعالى: (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته..)[٥].فقد قرن سبحانه الرحمة بالقرآن، وقرن الماء بالطهارة والنقاء، قال تعالى: (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته..)[٦]. وقال تعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً طهورا)[٧]. كما وصف الله تعالى الماء بالبركة، قال تعالى: (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد)[٨].

وأما لفظ (الغيث) فيطلق على المطر والكلأ، وقيل الأصل المطر ثم سمي ما ينبت به غيثا[٩].

والغيث: المطر، وقد غاث الغيث الأرض، أي أصابها وغاث الله البلاد،

---

(١) سورة النحل آية ٦٥

(٢) سورة النور، ٤٥.

(٣) سورة النمل، ٦٠.

(٤) سورة النحل، آية ١٠-١١.

(٥) سورة الفرقان، آية ٤٨.

(٦) سورة الشورى، آية ٢٨.

(٧) الفرقان، آية ٤٨.

(٨) سورة ق، آية ٩.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، باب الثاء فصل الغين، ج٢، ص١٧٥، بتصرف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يغيثها غيثا، وغيثت الأرض تغاث فهي أرض مغيثة ومغيوثة[١].

فالغيث يقال للمطر، والغوث في النصرة واستغثته طلبت التغيث منه[٢]، والغوث فغاثتني من الغيث فأغاثني من الغوث، قال تعالى: (فيه يغاث الناس)[٣] من الغيث ليس إلا.

وقال تعالى: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه)[٤]، هو من الغوث ليس إلا. ومعناه أي سأله أن يغيثه بالإعانة.

أما في السنة النبوية فقد أطلق المطر للماء النازل من السماء، وكان عليه السلام «إذا رأى المطر قال اللهم صيبا نافعا»[٥]

وأما الغيث فيطلق على الماء النازل من السماء وفيه غيث ونفع للبلاد والعباد، وفي الدعاء «اللهم أغثنا غيثا مغيثا عاما نافعا غدقا مجللا»[٦].

وأما الماء عند العرب فهو الكلمة الأساسية في لغة الصحراء فهو الحيا، والجدا والجمال، والشباب والخير والنعمة والخصب.

واتخذ المطر في أذهان العرب صورة الغيث من الهلاك فسموه غيثا وصورة الحياة فسموه حيا، وصورة المنجي من العذاب فسموه رحمة[٧].

وهو مادة للتطهير الحسي والمعنوي، قال الشاعر:

إذا المرء لم يغسل من اللوم عرضه ولم ينقه لم يغن عنه بهاؤه[٨]

والمطر يعني: الخير،

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب الثاء فصل الغين، ج١، ص٢٨٩، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢ ١٣٩٩هـ.

(٢) أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ص٤٠٨، دار السيد للنشر، استانبول، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة يوسف، آية ٤٩.

(٤) سورة القصص آية ١٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت ج٢ ص٢١.

(٦) انظر صحيح البخاري كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء ج٢ ص٢٠.

(٧) أنور أبو سليم، المطر في الشعر العربي، ص٣٢، وما بعدها بتصرف واختصار.

(٨) الشاعر هو طرفة بن العبد البكري الوائلي شاعر جاهلي من الطبقة الأولى قتله الملك عمرو بن هند لما هجاه وعمره ٢٦ سنة شعره جمع في ديوان باسمه انظر الزركلي الأعلام ج٣ ص٢٢٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لعلهم أن يمطروني نعمة كما صاب ماء المزن في البلد المحل[١]

والمطر شفاء الروح والنفس ، بل كان الماء في حس العربي يعني الغيث، والحيا ، والرحمة والطهر والنقاء وسر الحياة. كما كان يحمل عندهم معنى السعادة والكرامة والعزة والشرف وطيب العيش.

وقد عبر عن هذه المعاني الشاعر العربي بقوله:

وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا[٢]

بقي أن نسلط الضوء على أمرين وهما:

هل هناك تعارض بين المطر الصناعي، والغيث الإلهي؟

ولماذا احتار الناس عند إسقاط المطر عبر الوسائل الصناعية؟

إن نزول المطر أوقع بعض الناس في حيرة وبالذات المتأكدين من إمكانية إسقاط المطر بالوسائل العلمية، فقد شكّوا في مفاتيح الغيب، وذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر في الحديث الصحيح أن: «مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن إلا الله»[٣] (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام..لآية)[٤].

فجعل الله تعالى نزول الغيث أحد مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا هو، عند ذلك ظهرت وجهتا نظر مختلفة ،أحدها: أنكرت أصلا إسقاط المطر عبر الوسائل العلمية واعتبرتها كذبة، والأخرى أوّلت بعض الآيات وأكدت أن مفاتيح الغيب لا يحيط بها إلا الله وإنّ اسقاط المطرعبر تلك الوسائل ليست من الغيث المراد.

وبعد عرض الرأيين على نصوص الكتاب والسنة ولغة العرب، تبين أن المقصود من الغيث في لغة العرب هو المطر والكلأ.

---

(١) انظر شعربني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق عبد الحميد المعيني، ص٣٣٢، وانظر المطر في الشعر العربي، ص٣٢. والبيت لجويرية بن بدر.

(٢) الخطيب التبريزي، يحيى بن علي، شرح القصائد العشر، ص٢٢٥، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة ط٣ ١٩٨٥م، والبيت لعمرو بن كلثوم .

(٣) رواه البخاري، عن ابن عمر، كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، برقم ٩٩٢، ج١، ص٣٥١، ورواه الإمام أحمد عن بريدة ، المسند، ج٥، ص٣٥٣، ورواه عن ابن عمر، المسند، ج٢، ص٣٤ ,٥٢، ٥٨ , ٨٥ , ٨٦ , ١٢٢.

(٤) سورة لقمان، آية ٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتبين أن المطر النازل من السحاب إن كان نافعا ومفيدا فأنبت الزرع والعشب وأدر الضرع وأحيا الأرض سمي غيثا، وذكرصاحب مختار الصحاح أنه: «ربما سمي السحاب والنبات غيثا»[١]. ولهذا فالغيث غير المطر لما سيأتي بيانه. لكن كلاهما ينزل من السماء فإن كان نعما جزيلة كالمن والسلوى أو كان ماء، فحصل به بركة فهو غيث، وإن حصل منه أذى فهو مطر، ألا ترى إلى قوله تعالى: (...ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم...)[٢].

بل قد مضى أنه لم تأت كلمة مطر إلا ومعها عذاب أو أذى، بينما جميع الآيات التي تزيد على ثلاثين آية في ثلاث وستين موضعاتضمنت نزول الماء من السماء

وبعد كل هذا يمكن أن يجاب على التساؤل المطروح بالقول نعم يستطيع العلماء إسقاط المطر بالوسائل العلمية، ولكن يستحيل إسقاط الغيث، لأن هناك فرقا جوهريا بينهما[٣]. فالمطر عبارة عن ماء لا خصوبة فيه وهو كالمياه الجوفية لا بد من الري المستمر لحياة النبات، ولو توقف أياما قليلة ربما يموت النبات، فالمياه الجوفية والمطر الصناعي كلاهما ماء عادي.

أما الغيث ففيه خصوبة تنشأ نتيجة البرق والرعد، حيث أن النيتروجين والأكسجين إذا مرت بهما الشرارة الكهربائية (البرق) يتحولان إلى أكسير يذوب بماء السحابة فيتخصب الماء، ولهذا فالعلماء الآن يمررون شرارة كهربائية من أجل تخصيب السماد الكيماوي.[٤].

وبعد هذا العرض يمكن تلخيص المبحث في نقاط ليتضح أن الأمطار والمياه منّة جليلة من الله تعالى على عباده.

١- سماه الله تعالى مطرا باعتبار نزوله وسماه ماء يرتوي منه الناس والبهائم وسماه غيثا باعتبار الآثار التي تترتب على نزوله من غوث البلاد والعباد والبهائم.

٢- جعله الله تعالى ينزل من أعلى إلى أسفل ليعم كل أرجاء الأرض سهلها

---

(١) انظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة غيث، ص٤٨٦.

(٢) سورة النساء ١٠٢.

٣) صالح عبد الله العييري، الجغرافيا ولجام الحق، ص٧١، بتصرف.

(٤) انظر المرجع السابق، ص٧١ فما بعدها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجبالها.

٣- من حكمته تعالى إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه أقلع عنها وأعقبه بالصحو، إلا ما كان عقوبة أو ابتلاء.

٤- جعله الله تعالى على أقسام حسب النعم والمنافع التي نزله من أجلها.

- قسم منه جعله لشرب الخلائق.. (...لكم منه شراب...)[١].

- وقسم منه جعله لشرب البهائم والأنعام: (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا)[٢].

- وقسم منه لشرب الأرض لإنباب الكلأ التي تتغذى به البهائم (...ومنه شجر فيه تسيمون)[٣].

- وقسم ينبت به الحبوب والفواكه (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات...)[٤].

- وقسم يبقى على ظهر الأرض ثم يتبخر مع بقية المياه ليعود مرة أخرى على شكل مطر.

- وقسم أسكنه الله باطن الأرض ويخرجه على شكل ينابيع وآبار (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض)[٥]، وقال تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون)[٦].

- فحري بمن كانت هذه أوصافه وأحواله أن يكون نعمة عظيمة يحتاج إلى دوام الشكر لموجده ومنزله جلّ في علاه.

---

(١) سورة النحل، آية ١٠.

(٢) سورة الفرقان، آية ٤٩.

(٣) سورة النحل آية ١٠.

(٤) سورة النحل، آية ١١.

(٥) سورة الزمر، آية ٢٠.

(٦) سورة المؤمنون، آية ١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع
نعمة النباتات

النبات مفرد وجمعه نباتات، وهو من أصل نبت، نبت: النون والباء، والتاء، أصل واحد، يدل على نماء في مزروع[١]، ثم يستعار، فأنبت معروف، يقال نبت وأنبتت الأرض، ونبّتُ الشجر، غرسته، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيرا، ونبتت لهم نابتة، أي نشأت فيهم صغارا لخفوا الكبار، وصاروا زيادة في العدد[٢].

يقول الراغب: النبت والنبات: ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالنجم، ولكن اختص في التعارف بما لا ساق له، بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، وعلى هذا قوله تعالى: (لنخرج به حبا ونباتا)[٣]، ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتا كان أو حيوانا أو إنسانا، والإنبات يستعمل في كل ذلك[٤]. قال تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتا)[٥].

ولما كان النبات عاما في كل ما ينبت تقول العرب (أنبت الله البقل والصبي نباتا)[٦].

قال الراغب: ونبه بذلك أن الإنسان هو من وجه نبات من حيث إنه بدأه ونشأه من التراب، وإنه ينمو نموه، وإن كان له وصف زائد على النبات وعلى هذا نبه بقوله[٧]: (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة..)[٨].

والتعريف الاصطلاحي للنبات هو: «علم يبحث فيه عن خواص نوع النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها» وموضوعه: نوع النبات وفائدته ومن

---

(١) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٣٧٨.

(٢) منظور، لسان العرب، ج٢، ص٩٦.

(٣) سورة النبأ، آية ١٥.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٧٨٧.

(٥) سورة نوح آية ١٧.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٩٦.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن، ص٧٨٧، وانظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٥، ص١٠.

(٨) سورة غافر، آية ٦٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منافعه التداوي به[١]، والنبات يشترك مع الدواب في النمو والتغذية، ولكن ليس له حس ولا إدراك يتحرك به، لذا فهو: «جسم مركب له صورة نوعية أثرها المتيقن الشامل لأنواعها التنمية والتغذية مع حفظ التركيب»[٢]

ثم أصبح للنبات علم مستقل، وأسست له مدارس وكليات خاصة به وأصبحت به تخصصات وفروع، بل يجد المتأمل أن اهتمام الإنسان بالنبات قديم نظرا لوجوده حوله في الطبيعة وللإفادة منه في التدفئة، والبناء والتغذية، ومعالجة الأمراض،فكان ومازال من أجلّ العلوم نفعاوالتي تعودباليمن والبركة على الناس.

وقد ظهر من التعريفات السابقة أن النماء والإنبات عام يطلق على كل شيء نام، فيطلق على الإنسان باعتبار توفر خصائص الأرض فيه فهو نام منها بإذن ربه، ويطلق على البهائم والأنعام وغيرها من الناميات باعتبار كل منها ينمو وينبت.

ولكن المقصود بالنبات هنا ـ والذي سيقدم هذا البحث بعض فوائده ونعمه التي رتبها الله تعالى على إيجاده وامتن بها على عباده رحمة منه وفضلا هو النبات النامي من الأرض والمنقسم في نفسهم من حيث ظهوره إلى من له ساق كالأشجار ، وإلى ما لا ساق له كالنجم.

والنباتات بالتحديد هي «كائنات حية ، تولد وتنمو، وتتناسل، وتموت... »[٣]

فالله جل جلاله ذكر في آيتي سورة النحل امتنانه على عباده بذكر «نعمتين ظاهرتين في الأرض وهما النبات الذي لا ساق له، والذي له ساق، فإن الرزق أصله منه، ولولا النبات لما كان هناك لآدمي رزق إلا ما شاء الله، وأصل النعمة على الرزق... وإنما قلنا ـ والكلام للرازي ـ النبات هو أصل الرزق لأن الرزق أما نباتي وإما حيواني كاللحم واللبن وغيرهما من أجزاء الحيوان، ولولا النبات لما عاش الحيوان والإنسان»[٤].

وتنقسم النباتات من حيث منفعتها للخلق إلى ثلاثة أقسام، قسمان ذكرا في الآيتين، والثالث ذكر هنا ضمنا، وصرحت به آيات أخرى، فقسم تعود منفعته على

---

(١) أحمد مصطفى ،الشهير بطاش كبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم، ج١، ص٣٠٧،دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص٢٤٩.

(٣) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج١٠، ص٣.

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٩، ص٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأرض ذاتها، فتصبح مخضرة وتلبس ثوبا قشيبا وتحيا بعد أن كانت ميتة مقفرة، وهو في قوله تعالى: (ينبت لكم به الزرع...)، والله تعالى ينبت ذلك في الأرض، وصرحت به آيات أخرى مثل قوله تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير)[١]، وقوله تعالى: (...اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)[٢].

فتستفيد الأرض من إنبات الزروع عليها فتخضر وتهتز وتحيا بعد الموت وتنبت حدائق ذات بهجة تسر الناظرين وتلفت المعتبرين المتفكرين.

وقسم من النبات تعرد منفعته على البهائم فهو لرعي الأنعام وأسامة الحيوانات كالأعشاب والأشجار وغيرها.

والقسم الثالث تعود نعمه على الإنسان سواء بالغذاء أو التدفئة، أو البناء، أو العلاج، أو الصناعة، أو التفكه، أو المنظر الخلاب.

يقول الفخر الرازي: «ثم إن النبات الذي ينبته الله من ماء السماء قسمان: أحدهما: معد لرعي الأنعام وأسامة الحيوانات وهو المراد من قوله: (فيه تسيمون)، والثاني ما كان مخلوقا لأكل الإنسان وهو المراد منه قوله: (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات...)[٣]»[٤].

وما من شك أن الإنسان أكرم وأفضل من بقية المخلوقات إذا هو سلك منهج الله، ويكون أهون منها إذا تردى وانحرف عن ذلك.

قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[٥]، وقال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)[٦].

وإذا تحدث القرآن عن الطعام والشراب بالنسبة للإنسان والحيوان فإنه تارة يقدم غذاء الإنسان وأخرى يقدم رعي الحيوان وذلك لحكمة، وفي الآيتين قدم ما

---

(١) سورة الحج ٦٣.

(٢) سورة الحج آية ٥.

(٣) سورة النحل آية ١١

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج١٩، ص١٨٧.

(٥) سورة الإسراء آية ٧٠.

(٦) سورة الأعراف، آية ١٧٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكون مرعى للحيوانات وأعقبه بغذاء الإنسان، وتارة أخرى يقرن بينهما في موضع واحد بالعطف مشيرا بذلك إلى مساوات الجميع في أمر الرتوع والرعي، قال تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات...)[١]، وقال تعالى: (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)[٢].

يقول عبد المنعم عشري نقلا عن الرازي: «وقد بدأ الله هذه الآية بذكر ما يكون مرعى للحيوانات وأتبعه بذكر ما يكون غذاء للإنسان، وفي آية أخرى عكس هذا الترتيب، فبدأ بذكر مأكول الإنسان ثم بما يرعاه سائر الحيوانات، فقال في سورة طه: (...كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى)[٣].

والترتيب المذكور في الآية المتقدمة ينبه على مكارم الأخلاق وهو أن يكون اهتمام الإنسان بما تحت يده من الأنعام أكمل من اهتمامه بحال نفسه[٤]، وأما الترتيب المذكور في الآية الأخرى فالمقصود منه ما هو مذكور في قوله عليه السلام «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»اهـ.[٥].

فالحاجة إلى النبات واضحة جلية إذ لا يستغني كل من الإنسان والحيوان عنه أما حاجة الإنسان فتدرك من مشاهدة المشاريع العظيمة التي تزرع فيه غذاء للبشر كالحب والشعير والذرة والقمح والأرز، وغير ذلك من الأقوات، وتدرك من الحدائق والبساتين المزروعة بالخضر والفواكه المختلفة الألوان والأحجام، والمذاق، يأكل الإنسان منه ما لذّ وطاب.

ومن قصب السكر الذي يصنع منه السكر، ومن النباتات يأخذ الإنسان كساءه عبر تصنيع القطن وغيره، ومن النباتات يستخرج الإنسان الزيوت بأنواعها الكثيرة، ومن جذوع النبات يؤخذ الخشب ذو المنافع المتعددة: في التدفئة، والبناء

---

(١) سورة النحل آية ١٠-١١.

(٢) سورة السجدة آية ٢٧

(٣) سورة طه آية ٥٤

(٤) عبد المنعم السيد عشري، تفسير الآيات الكونية في القرآن، ص٩٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، وانظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٩، ص١٨٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الإبتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة،ج٢ص٦٩٢، رقم ٩٩٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والصناعة والتجارة، والطهي والطاقة، وغير ذلك. وينعم الإنسان من الأشجار بالظل الظليل، كما ينتفع بالأشجار في تلطيف الجو وتنقية الهواء، فيكون صالحا للتنفس، ذلك أنّ النبات يمتص ثاني أكسيد الكربون السام ويحوّله إلى أكسجين.

ويتخذ من أزهاره ذات الألوان الزاهية زينة وجمالا

أما حاجة الحيوان إلى النبات فتتمثل في المراعي الخضراء التي تسرح فيها الأنعام وتمرح وهي واسعة شاسعة منها الوعر ومنها السهل، وتنبت فيها الأعشاب والزروع المختلفة المنافع، والمطاعم والروائح والمآرب التي لا تحصى ولا تعد، وقد جعلها الله مختلفة الألوان والأشكال والطعوم، فأشكالها[١] ما بين طويل وقصير حتى يجد كل بغيته وراحته، وهكذا الألوان والطعوم.

كما أن النبات عامل مهم في استمرار دورتين يطلق على أحدهما دورة النيتروجين، وعلى الأخرى دورة الكربون[٢]

وهنا يحسن ذكر الفرق بين الغذاء النباتي والغذاء الحيواني وأيهما أفضل للوصول من ذلك إلى عظمة منّة الله على عباده بتقديم الفاضل على المفضول

يقول الفخر الرازي: «اعلم أن الإنسان خلق محتاجا إلى الغذاء، والغذاء إما أن يكون من الحيوان أو من النبات، ، والغذاء الحيواني أشرف من الغذاء النباتي، لأن تولد أعضاء الإنسان عند أكل أعضاء الحيوان أسهل من تولدها عند أكل النبات، لأن المشابهة هناك أكمل وأتم، والغذاء الحيواني إنما يحصل من إسامة الحيوانات والسعي في تنميتها بواسطة الرعي وهذا هو الذي ذكره الله تعالى في الإسامة»[٣].وبذلك يتضح للمتبصر أن الله تعالى قدم الأنعام في الذكر ممتنا بها ثم ذكر نعمة الماء، وهو سبب لحصول النعم الجمة، ومن أعظمها نعمة النباتات، ثم قدم تعالى ذكر ما يكون مرعى للحيوانات منها لأن الغذاء الحيواني أشرف من غذاء الحبوب والفواكه إذ أن «البروتين الحيواني أكثر تغذية للإنسان من البروتين النباتي»[٤]، ثم ذكر الفخرالرازي الغذاء النباتي مبينا تقسيماته وفائدة

---

(١) انظر أبا حامد الغزالي، الحكمة من مخلوقات الله ١٤٧.

(٢) دورة النتروجين عبارة عن عنصر من الهواءيبدأ تكونه في التربة كأملاح تذوب في الماء ثم تنتقل إلى النبات فالحيوان، أما الكربون فيتنفسه الحيوان ثم يمتصه النبات ويصنع منه الغذاء لنفسه ولغيره، انظر ص ١٥٤ من هذه الرسالة

(٣) الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج١٩، ص١٨٧.

(٤) عبد المنعم عشري، تفسير الآيات الكونية في القرآن، ص٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل قسم فقال: «وأما الغذاء النباتي فقسمان: حبوب، وفواكه، أما الحبوب فإليها الإشارة بلفظ الزرع، وأما الفواكه فأشرفها الزيتون، والنخيل والأعناب، أما الزيتون فلأنه فاكهة من وجه وإدام من وجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن، ومنافع الادهان كثيرة في الأكل والطلي وإشعال السرج، وأما امتياز النخيل والأعناب من سائر الفواكه، فظاهر معلوم اهـ»[١].

ولما كانت المراكب والزينة تتنوع في كل عصر ومصر فكل زمان له مراكبه وما يتزين به قال تعالى في صفة البقية (ويخلق ما لا تعلمون).

وها هنا لما ذكر الأنواع المنتفع بها من النباتات قال في صفة البقية (ومن كل الثمرات) تنبيها على أن تفصيل القول في أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها لا يمكن حصرها فالأولى الاقتصار فيها على الكلام المجمل[٢].

وهناك لفتة أخرى عند قوله تعالى: (ومن كل الثمرات) أي: ينبت لكم من كل الثمرات مما لم يذكر هنا، والتعريف تعريف جنس، والمراد أجناس ثمرات الأرض التي ينبتها الماء، ولكل قوم من الناس ثمرات تخص أرضهم، و (من) تبعيضية قصد منها تنويع الامتنان على كل قوم بما نالهم من نعم الثمرات[٣].

ففضلت الآية بعض الثمرات وأجملت البعض الآخر وأشارت إلى ثمرات أخرى مدّخرة في الجنة للمؤمنين، منوهة بأن ثمرات الأرض «على اختلاف أصنافها وألوانها وطعومها، وروائحها وأشكالها رزقا لكم تستطيعون به تحقيق قوام الحياة»[٤]

يقول الزمخشري: «فإن قلت لم قيل (ومن كل الثمرات)؟ قلت: لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة»[٥].

ومن عجيب صنع الله وامتنانه على عباده أن جعل «النبات يدخر الغذاء في أماكن مختلفة ومتفرقة منه،... إن بعض النباتات تدخره في ثمره على الشجر، كالبرتقال والتفاح، أو في سنابل قائمة في قمة النبات كالقمح والشعير، أو في أصابع متجمعة كالموز، أو في سباطات من البلح، أعلى النخل، أو على سطح

---

(١) الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج١٩، ص١٨٧.

(٢) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج١٩ ص١٨٧ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٤، ص١١٥.

(٤) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٤، ص٩٨.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٥٩٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأرض كالبطيخ والشمام، أو في باطن الأرض كالبطاطس والبنجر»[١].

فمنه دان، ومنه عال، ومنه وسط يتناوله الإنسان دون مشقة ومنه على الأرض، ومنه تحت الأرض وباطنها، تنوع في الأشكال والألوان، والأحجام والمستويات والأنواع، والبعد والقرب، والخفاء والظهور وكل ذلك في أرض واحدة.

يقول الفخر الرازي إثر حديثه عن آثار نزول المطر: «ثم بعد ذلك يحدث في الأرض الواحدة أنواع من النباتات بحيث يخالف كل واحد منها صاحبه في الشكل والطعم والخاصية فمنه ما يكون قوتا، ومنه ما يكون فاكهة، ومنه ما يكون دواء، ومنه ما يكون إداما، ومنه ما يكون سما، ومنه ما يكون علفا لسائر الحيوانات»[٢].

ولما خص الله تعالى بالذكر في سورة النحل ما منّ به على عباده مما أنبته لهم من ماء السماء من الزروع والزيتون والنخيل والأعناب لزم أن يتطرق البحث إلى الحكمة من تخصيص هذه الأمور الأربعة والبحث عن الفوائد التي ينالها المخلوق منها.

*** الزرع ونعمه:**

الزرع هو الإنبات، وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية دون البشرية، قال تعالى: (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)[٣]، فنسب الحرث إليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه، وإذا نسب إلى العبد فلكونه فاعلا للأسباب التي هي سبب الزرع، والزرع في الأصل مصدر وعبّر به عن المزروع[٤]

فقد اهتم الإسلام بالزراعة وحث عليها وضع الأصول لحماية الأرض وزراعتها

ومن أدلة عنايته بالزراعة تكرر ذكرها في القرآن الكريم مما يشعر بأهميتها وأنها من أعلى الحِرَف للتكسب واستمرار الإنتاج وزيادة النماء بما يمكّن كل فرد من الحصول على حاجته الأساسية.

---

(١) الإشارات العلمية في الآيات الكونية في القرآن الكريم، محمد محمود إسماعيل، ص٩٩، دار الدعوة للنشر، الإسكندرية، ط١، ١٤١١هـ.

(٢) فخر الدين الرازي، عجائب القرآن، ص١٣، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ

(٣) سورة الواقعة آية ٩٤.

(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٧٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر...الآية»[١]، وقال تعالى: (...ينبت لكم به الزرع...)[٢].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٣]

ولأهمية الزراعة وعظم شأنها فقد بوّب الإمام البخاري في صحيحه بقوله: «باب فضل الزرع والغرس»[٤].

واهتم الصحابة - رضي الله عنهم - بالزراعة فباشروا ذلك بأنفسهم، وذلك تأسيا بالكتاب والسنة وحصولا لنعم الدنيا، ونعيم الآخرة، يقول ابن الحاج[٥]: «إن الزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا إذ أن خيرها متعد للزارع ولإخوانه المسلمين وغيرهم، والطير، والبهائم، والحشرات، فما من الصنائع أبرك منها ولا أنجح إذا كانت على وجهها الشرعي»[٦].

وقد استمر المسلمون على مر التاريخ الإسلامي بعد الصحابة والتابعين يباشرونها ويعملون بها ويحثون على ذلك اقتداءً بسلف هذه الأمة[٧].

وكل هذا الاهتمام إنما يدل على أن «الزراعة تجلب الثروة، والثروة تجلب القوة، والقوة تجلب الحرية، ومن أراد أن يخرج من ربقة الاستعباد الاقتصادي فعليه بالزراعة لأنها أم الصناعة والتجارة بل ركن التمدن، وأسس النجاح»[٨].

ولذلك فإنّ الاشتغال بالزراعة من فروض الكفايات لأنه لا يقوم أمر الدين

---

(١) الأنعام، آية ١٤١.

(٢) النحل آية ١١.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، والإمام أحمد، انظر صحيح البخاري، كتاب الحرث، باب فضل الغرس والزرع إذا أكل منه، ج٣، ص٦٦، ومسلم كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ج٣،ص١١٨٨، برقم (١٥٥٢)، والمسند، ج٣، ص٤٧.

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب الحرث باب فضل الزرع والغرس ج٣ ص٦٦.

(٥) هوأبو عبد الله الفاسي محمد بن محمد بن الحاج المالكي صاحب مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة والمتوفي ٧٣٧هـ. انظر حاجي خليفة كشف الظن٢/٦٤٣.

(٦) ابن الحاج، المدخل ج٤، ص٥-٦.

(٧) انظر فهد بن حمود العصيمي، خطة الإسلام في موارد الإنتاج، ص١٩٣، ط١، ١٤١٤هـ، دار النشر الدولي، الرياض.

(٨) متري صائغ، زراعة الأشجار المثمرة، ص٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والدنيا والمعايش كلها إلا بها[١]،ولهذا كانت نعمة عظيمة من الله على عباده.

*** الزيتون ونعمه:**

القرآن الكريم يشيد بأنواع الزراعة المختلفة كالزيتون والنخيل والعنب والتين وغير ذلك مما ذكره الله تعالى في كتابه، بل لأهميته ولفت النظر إلى الزيتون يقسم الله تعالى به في كتابه في قوله: (والتين والزيتون)[٢]،كما نجدأن الله سمى شجرة الزيتون بالشجرة المباركة: (...مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية..)[٣]، وخُص بالذكر في سورة النحل بعد الزرع كما تكرر ذكره في القرآن في سبعة مواضع، وقد أوصى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أمته أن يأكلوا بزيت الزيتون ويدهنوا به وذلك في قوله ﷺ: «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[٤]، لذا كانت هذه الوقفات مع الزيتون للوصول إلى نعمه الغذائية، وفوائده الطبية وأهميته الاقتصادية.

تزرع أشجار الزيتون للحصول على ثمارها بغية استعماله بطريقة مباشرة أو لإنتاج الزيت الذي يعرف بين أنواع الزيوت النباتية (بالزيت الطيب)، وله مكانة ممتازة بينها ، يقول ابن القيم: «وأما الزيتون ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر، فإن عُوده يخرج ثمرا يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور، وصبغ للآكلين، وطيب ودواء، وفيه من مصالح الخلق ما لا يخفى، وشجره باق على مر السنين المتطاولة، وورقه لا يسقط»[٥]، و«الزيتون شجرة عظيمة توجد في بعض البلاد وقد يعتصر من الزيتون أنضج الزيت»[٦].

ومن مواصفات الزيتون في الكتاب والسنة وآثار الصحابة يتضح أن القرآن

---

(١) انظر فهد العصيمي، خطة الإسلامي في موارد الإنتاج، ص١٩٥ بتصرف.

(٢) سورة التين، آية ١.

(٣) سورة النور آية ٣٥

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة. باب ما جاء في أكل الزيوت ج٤ص٢٥١ رقم١٨٥١، وابن ماجة في كتاب الأطعمة باب الزيت ج٤ص١١٠٣ رقم٣٣١٩، والدارمي في سننه كتاب الأطعمة، باب في فضل الزيت ج١ص٥٣٤، رقم١٩٨٠، وصححه الألباني انظر صحيح سنن ابن ماجة ج٢ص٢٣٣.

(٥) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ص٢٨، دار الكاتب العربي.

(٦) ابن سينا، الشيخ الرئيس الحسين بن علي، القانون في الطب، ج١ص٣٠٩، مكتبة المثنى بغداد، تاريخ غير معروف .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سمى شجرته بأنها مباركة في قوله تعالى: (..يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية)[١]، ووصفها بأنها تنتج الدهن والصبغ للآكلين كما في قوله تعالى: (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين)[٢]،

ومن منافع الزيتون يستعمل زيته كإدام ودهان ودباغ، ويسرج بزيته، ويوقد كذلك بحطبه وتفله، فليس فيه شيء إلا وفيه منفعة.

وللزيتون قيمة غذائية تتمثل في ثماره الغنية بالزيت، والأحماض الدهنية، ولاحتوائه على بعض المكونات النافعة للجسم من بروتينات وبوتاسيوم، وكالسيوم ومغنسيوم، وحديد، ونحاس، وألياف، وسكريات وغيرها.

وهذه المواد تحتوي على بعض الفيتامينات التي تحمي الجسم من أمراض سوء التغذية وبعضها يمد الإنسان بالطاقة، كما تقوم بتقوية الجهاز الهضمي لدى الإنسان.

أما فوائد زيته فمتنوعة منها ما يدخل في الطب النبوي ومنها ما يدخل في الطب العربي ومنها ما يدخل في الطب الحديث، ويمكن تلخيصهافيما يلي:

يحتوي زيت الزيتون على بعض العناصر اللازمة للنمو، كما يحتوي على فيتامين (د) الذي يقي الأطفال من مرض الكساح ولين العظام، ويحتوي على فيتامين (أ) الذي يقوي مناعة الجسم، ويحتوي على فيتامين (إ) المخصب والمقوي للنسل، وهو مغذي وسهل الهضم ، كما يستعمل ضد السموم وضد الإمساك ولطرد الديدان من الجسم، ويقوي مناعة الجلد والعضلات فيدهن به من الخارج، وهو أيضا ضد تيبس المفاصل والأوجاع الموضعية[٣].

إضافة إلى كثير من الامتيازات الأخرى مثل حماية الجسم من تصلب شرايين القلب، وهدوء الأعصاب، وانخفاض ضغط الدم المرتفع، وتلطيف البشرة وغيرها. كما أن لأوراق شجر الزيتون بعض هذه الميزات العلاجية «باعتبارها منشطة وطاردة للديدان»[٤]، وأنها مخفضة لضغط الدم، وتليّنٌ الشرايين، وتسهل غزارة

---

(١) سورة النور، آية ٣٥.

(٢) سورة المؤمنون ٢٠.

(٣) انظر:ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تعليق المحقق دار التراث، القاهرة، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ

(٤) أحمد طبال،، معجم النباتات الشافية، ص٢١٧، دار الشمال للطباعة، لبنان، ط١٩٨٩م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البول،وتنقّص السكر في الدم[١].

* الأهمية الاقتصادية للزيتون:

تكمن الأهمية الاقتصادية لشجرة الزيتون في ثمرها، وزيتها، وورقها، وخشبها، فكلها تنتج، أرباحا طيبة على أصحابها، وقد علمت قيمة كل من الثمر والزيت، والورق فلعلك تسأل عن أهمية الخشب!

عندها يقال أن خشبها يستخدم في صناعة أفخر أنواع الأثاث الخشبي[٢]، وهو يمتاز لغناه بالمواد الحافظة التي تمنع تلفه وتسوسه وإصابته بالحشرات أو الأرضة، كما يستخدم في الرقود والطاقة ، ويستخدم مسحوق النوى المتبقي بعد عصر الزيت في علف الدواب وتسميد الأرض.

فحري بمن كان هذا ثمره وزيته وورقه ونواه وخشبه أن يكون به اهتمام، وذكر في القرآن الكريم، وتنبيه على امتنان الله به على عباده كي يؤدوا شكر المنعم على هذه النعم التي أسداها إليهم.

*** النخيل ونعمه:**

حديث القرآن عن النخيل والأشجار والثمار في أكثر من سورة في معرض بيان قدرته تعالى وإثبات وحدانيته يوحي بالأهمية التي تحظى بها الزراعة في الأرض عموما، والاهتمام بالنخيل للامتنان به خصوصا، «فالنخلة من الأشجار المباركة في القرآن والسنة النبوية والعلم الحديث، والمحببة إلى النفوس، تذكر فيذكر الخير كله حتى قيل بيت بلا تمر بيت بلا طعام وبلد بلا نخل بلد بلا خير»[٣].

فهي ملكة جمال أشجار الصحراء، وصديقة الشموس والرياح، تعلمت منها الأمطار أسرار تحدي العطش، خصبة الظل، باسقة الطول نحيفة الحجم، مهيبة المنظر أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ورد ذكر النخلة في سورة النحل مرتين، مرة تنويها بشأنها عطفا على الزرع والزيتون، ومرة امتنانا بثمرها: (..ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب

---

(١) المرجع السابق ص٢١٧.

(٢) مجلة الهداية، البحرين، العدد١٧٩، سنة ١٥، المحرم ١٤١٣هـ مقال بعنوان: الزيتون في القرآن والعلم الحديث، ص٨٢، بتصرف.

(٣) مجلة الهداية،، البحرين، العدد، ١٧٧، السنة ١٥، ذو القعدة ١٤١٢، مقال عن النخل ص٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن كل الثمرات)[١]، وقوله تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا...)[٢].

كما ورد ذكرها في القرآن في غير سورة النحل في تسعة عشر موضعا، باركها الله في القرآن يوم أن أمر مريم أن تهز جذعها ليسقط عليها الرطب، قال تعالى: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[٣].

وباركها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن قال: «من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»[٤]، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «بيت لا تمر فيه جياع أهله»[٥].

والنخلة كلها بركة وكل ما فيها مجند لخدمة الإنسان وقد ظلت كذلك آلاف السنين وحتى يومنا هذا فتمرها من ألذّ الفواكه وأطيب الأطعمة يأكله المقيم، ويتزود به المسافر، ذكر ابن القيم أهمية ثمرها فقال: «وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى»[٦]، ولما كانت النخلة لا يوجد فيها مَالاً يُستفاد منه أوجز أعرابي عن فوائدها فقال: النخلة جزعها نماء، وليفها رشاء، وكربها صلاء، وسعفها ضباء، وحملها غذاء[٧].

يقول الشاعر حسان بن ثابت[٨] مفتخرا بها:

بها النخل والآطام تجري خلالها جداول قد تعلو رقاقا وجرولا[٩].

---

(١) سورة النحل آية ١١

(٢) سورة النحل آية ٦٧

(٣) سورة مريم، آية ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باب العجوة ج٣ ص٣٠١ وسلم، في كتاب الأشربة باب فضل تمر المدينة ج٣ ص١٦١٨ رقم ٢٠٤٧ وغيرهما كالنسائي، وأبو داود وأحمد

(٥) رواه مسلم وأحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة كلهم في الأطعمة عن عائشة، انظر صحيح مسلم كتاب الأشربة،باب في ادخار التمر ونحوه من الاقوات للعيال ج٣ ص١٦١٨ رقم٢٠٤٦.

(٦) ابن قيم الجوزية الطب النبوي، ص٣٤٢.

(٧) عبد الجبار البكر نخلة التمر، ماضيها وحاضرها، ص٧٩٢،مطبعة العاني بغداد، ١٣٩٢هـ.

(٨) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري شاعر الرسول عليه السلام وقد كان مخضرما عاش ٦٠ في الجاهلية و٦٠ في الإسلام وهو شديد الهجاء ت ٥٤ هـ إنظر الزركلي الأعلام ج٢ ص١٧٥،

(٩) ديوان حسان بن ثابت ج٢ ص٤٥، تحقيق وليد عرفان دار صادر بيروت ١٩٧٤م.

ومعنى الآطام:الواحدة، والجرول: الموضع في الجبل كثير الحجارة. والمقصود المدينة المنورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكونات النخلة وفوائدها

١- الجذور ٢- الجزوع ٣- السعف ٤- الجريد ٥- الليف ٦- السلاء ٧- السبائط ٨- الورق ٩- الخشب ١٠- النوى ١١- الثمار.

ولولا الإطالة لذكرت فائدة كل نوع من هذه المكونات، ولكن لا مانع من الإشارة إلى بعض نعمها:

الجزوع: يستفاد منه في أمور كثيرة من أعمال البناء والنجارة، وإقامة أكواخ الفلاحين، وعمدان البيوت، والجسور.

السعف: يستفاد منه في إقامة السقوف، وأكشاك الظل، والزينة وغيرها.

الجريد: يستفاد منه في أثاث المنزل، والأسرة والكراسي والمناضد.

الليف: يستفاد منه في صناعة الحبال و الحصر، وحشوات المقاعد والوسائد.

السبائط: يستفاد منه في المكانس اليدوية.

الورق: يستفاد منه في الوقود، وعمل السجاد اليدوي.

النوى: يستفاد منه في علف الحيوانات، ووقود الأفران، وفحم صياغة الحلي، والمستحضرات الطبية.

الثمار: أما ثمار النخيل ففوائده كثيرة «وقد تفنن الأقدمون في صنع الأشربة كما برعوا في صنع أنواع الأطعمة الشهية اللذيذة من ثمرها»[١].

قيمة التمر الغذائية

والبلح والتمر من الأطعمة سهلة الهضم سريعة الامتصاص والتي تمد الإنسان بالطاقة مع احتوائها على الدهن والبروتين والأملاح المعدنية، والسكر والألياف والماء والمواد الغذائية، والفيتامينات مثل (أ) و(ب)[٢].

ويدخل التمر في الصناعات التالية:

١- صناعة عصير التمر.

٢- صناعة الخل.

٣- خميرة الخبز.

٤- إعداد أكلات من التمر مصنوع ومخلوط بغيره.

٥- المستحضرات والأكلات الحديثة.

---

(١) عبد الجبار البكر، نخلة التمر، ماضيها وحاضرها، والجديد في صناعتها وزراعتها وتجارتها ص٨٠٢، مطبعة العاني بغداد، ١٣٩٢هـ.

(٢) انظر مجلة الهداية، البحرين العدد ١٧٧ ذو القعدة ١٤١٢هـ ص٢٤ فما بعدها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦- صناعة الكحول.

٧- إضافة إلى أكله بشكله الطبيعي، رطبا وبسرا، ويابسا، وبلحا، ويانعا، وتمرا.

وكأمر واقع ملموس أصبح العلم الحديث يستخدم صناعة الكحول في العديد من الأغراض منها:

أ/ الأغراض الصناعية كمادة مذيبة.

ب/ المنتجات العطرية.

ج/ المستحضرات الطبية.

د/ صناعة النسيج الاصطناعي.

كما يجد المتأمل أن الله تعالى ضرب بشجرة النخيل مثلا لكلمة التوحيد[١]، فقال تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء...)[٢].

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم بالنخلة، لما تضمنته من كثرة الخير ودوام الظل وطيب الثمر، فعن ابن عمر[٣] رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس إذ أُتي بجمار نخلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من الشجر شجرة مِثْلُها مِثْل الرجل المسلم، لا يسقط ورقها أخبروني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي فوقع في نفسي أنها نخلة. الحديث»[٤].

كما مثل صلى الله عليه وسلام المؤمن الذي لا يقرأ القرآنه بثمرتها، في حديث طويل منه قوله: «...ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح

---

(١) كلمة التوحيد هي الشهادتان (لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(٢) سورة إبراهيم، آية ٢٤.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أكثرمن رواية الحديث وكان رضي الله عنه أكثر الناس اتباعا للأثروفي عام ٧٣هـ.انظر تقريب التهذيب لابن حجر ص ٥٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باب الجمّار ج٦ ص ٢١١ وانظر فتح الباري، ج٩، ص٥٦٩، وتتمة الحديث: «فأردت أن أقول هي النخلة ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سنا فسكت، فقال عليه السلام هي النخلة فذكرت ذلك لعمر فقال: لأن تكون قلت أحب إلي من كذا وكذ».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لها وطعمها حلو»[١]

وقد استنبط ابن القيم من حديث تشبيه المسلم بالنخلة أمورا عشرة إليكها مختصرة بما يأتي:

١- ثبات أصلها واستقراره.

٢- طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها، كذلك المؤمن طيب الكلام والعمل ومنفعته له ولغيره.

٣- دوام لباسها وزينتها، كذلك المؤمن لباسه التقوى لا يزول عنه.

٤- سهولة تناول ثمرتها ويسره،، كذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن أراد تناوله.

٥- ثمرتها من أنفع ثمار العالم.

٦- أنها أصبر الشجر على الرياح والجهد، وكذا المؤمن صبور على البلاء لا تزعزعه الرياح.

٧- كلها منفعة لا يسقط منها شيء، ثمرها، جزعها، سعفها، ليفها.

٨- كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله.

٩- إن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه، وكذا المؤمن قلبه من أطيب القلوب.

١٠- إنها لا يتعطل نفعها بالكلية أبدا، وكذا المؤمن إن أجدب في جانب أخصب في آخر.

إضافة إلى هذا فهي تمتاز بجمال الثمرة وحسن الهيئة وبهجة المنظر، وهي الشجرة التي حن جزعها إلى الرسول ﷺ لما فارقه شوقا إلى قربه وسماع كلامه[٢].

الأعناب ونعمه:

لقد اعتنى القرآن الكريم بالعنب وامتن به على عباده فذكره في سورة النحل مرتين وفي كليهما جاء معطوفا على النخيل[٣]. وورد ذكره في القرآن في أحد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باب ذكر الطعام ج٦ ص ١٦٠، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة حافظ القرآن ج١ ص ٥٤٩ رقم ٧٩٧.

(٢) انظر أبابكر البيهقي دلائل النبوةباب ما جاء في حنين الجزع الذي كان يخطب عنده، ج٦ ص ٦٦،وفيه «فصاحت النخلة صياح الصبي فنزل فضمها إليه....»

(٣) انظر آية ١١و ٦٧ من سورة النحل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عشر موضعا مع الموضعين السابقين في النحل[١]، وعده تعالى ضمن نعمه التي أنعم بها على عباده في هذه الدار، وفي الجنة «وهي من أفضل الفواكه، وأكثرها منافع وهو يؤكل رطبا ويابسا وأخضر ويانعا،، وهو فاكهة مع الفواكه، وقوت مع الأقوات، وأدم مع الإدام، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة»[٢].

وتسمى شجرته بشجرة العنب، وهي الحَبَلة - بفتح الباء - كما أن العرب كانت تسميها الكرم، لكثرة منافعها وخيرها، فكره عليه السلام تسميتها بذلك كما ثبت في صحيح مسلم أنه قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقولن أحدكم للعنب الكرم، الكرم الرجل المسلم».

وفي رواية: «إنما الكرم قلب المؤمن» وفي أخرى «لا تقولوا الكرم، وقولوا: العنب والحبلة»[٣].

وقد حقق ابن القيم في معنى الحديث وبين أن الرسول عليه السلام لم ينف فيه فوائد شجر العنب وثمرته خلافا لمن ظنه كذلك، فقال: «وإنما أخبر عنه أن قلب المؤمن أغزر فوائد وأعظم منافع منها» وقال أيضا: «فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن قلب المؤمن أحق منه بهذه التسمية لكثرة ما أودع الله فيه من الخير و البركة والرحمة والعدل والإحسان والنصح وسائر أنواع البر والخير التي وضعها الله في قلب المؤمن فهو أحق بأن يسمى كرما من شجر العنب، ولم يُرِد عليه السلام إبطال ما في شجر العنب من المنافع والفوائد»[٤].

والعنب له دور فعال في بناء الجسم وتقويته، وترميم أنسجته بالإضافة إلى احتوائه على الفيتامينات (أ)، (ب)، (ج) وهو غني بالمعادن كالبوتاسيوم والفسفور، والحديد، عرفه الإنسان قديما وأكله فاكهة سريعة الهضم، غنية بالسكريات تعطي الجسم الطاقة اللازمة للحركة والنشاط، والهمة كما أنه مفيد في حالات سوء الهضم، والقبض والبواسير، ومن العنب يصنع الزبيب ويحفظ إلى

---

(١) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٨٩،

(٢) ابن قيم الجيوزية، الطب النبوي، ص٣٨٧.

(٣) أخرجه البخري في كتاب الأدب باب قوله عليه السلام إنما الكرم قلب المؤمن ج٧ ص١١٥ .ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهية تسمية العنب كرما،ج٤ ١٧٦٣،رقم٢٢٤٧.

(٤) ابن قيم الجوزية الطب النبوي، ص٢٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيام الشتاء[١]. قال ابن القيم عن العنب: «وغذاؤه كغذاء التين والزبيب.. وهو أحد الفواكه الثلاث - التي هي ملوك الفواكه - هو والرطب والتين»[٢].

ويمكن تلخيص فوائد العنب في النقاط التالية:

١- يعتبر العنب مفضلا على كثير من الفواكه الأخرى عند كثير من المستهلكين.

٢- ثمار العنب فيه نسبة عالية من الماء والسكريات كما فيه البروتينات والدهون.

٣- يحتوي على كثير من الفيتامينات منها (أ)، (ب١)، (ب٢)، (ب٣)، (سي).

٤- فيه ثمانية أنواع من العنصر المعدني منها: (بوتاسيوم، كالسيوم، فوسفور، حديد، صوديوم، مغنسيوم)

٥- هو غذاء ودواء لكثير من الأمراض كالتهابات الكبد والسكري.

٦- أوراقه تستخدم في غذاء الناس، وعلف الحيوانات، وكمنتجات صيدلانية.

٧- فروع شجره يُستخدم للتدفئة والشوي، ويطحن كعلف للخيول.

٨- له أهمية اقتصادية عند بيعه طازجا أو مجففا.

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع دنيا النبات في كتاب الله تعالى الذي كان التركيز فيه عن منافعه لبني الإنسان وتغطيته الضروريات والحاجيات والكماليات له مع عدم إغفاله للجانب الجمالي الذي فيه إشباع لغريزة الأشواق بهجة ومنظرا وسرورا.

يمكن ختم هذا الموضوع الذي تمثلت فيه حاجة الإنسان إلى النباتات فيما يأتي من النقاط:

١- غذائه.	٢- دوائه
٣- هوائه	٤- تدفئته
٥- بنائه	٦- أدوات منزله
٧- ظله	٨- زينت
٩- علف بهائمه	١٠- طاقته

---

(١) انظر ابن القيم، الطب النبوي، ص٣٨٧، الهامش.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣٨٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١- أهميته في استمرار دورتي النيتروجين والكربون[١]

١٢- صناعته الخشبية ١٣- منظره الخلاب وجماله

١٤- إعطاء الرياحين الطيبة.

إضافة إلى اعتماد القرآن على التمثيل بالنبات على الدنيا، وأخذ العبرة من النبات في سرعة القيامة والموت،وقيامه بأداء العبادة لله طاعة وتسبيحا وسجودا.

هذه هي النباتات التي امتن بها خالقها على الناس إكراما لهم وعناية بأمرهم وتفضيلا على غيرهم من الموجودات، أفيجمل بك بعد كل هذا أن تشتغل بهذه النعم وتغفل عن المنعم وعن شكره وحسن عبادته.!

---

(١) يمتص النبات ثاني أكسيد الكربون السام الذي يتكون في الجو من التلوث بالاحتراق أو التعفن أو التنفس، ليصنع منه الغذاء لنفسه وللإنسان والحيوان ويطلق بدلا منه الأكسجين الخالص في عملية إلهية تدعى التمثيل الضوئي الكلوروفيلي، فيعوض بذلك ما ينقص من أكسجين الهواء فتظل نسبته ثابتة تقريبا في الجو بصفة دائمة، انظر منصور محمد حسب النبي الكون والإعجاز العلمي في القرآن ص ١٨٢ دار الفكر العربي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الخامس
نعمة المعادن

المعادن مأخوذ من العدن وهي الإقامة تقول: عدن فلان بالمكان أي أقام فيه، وعدنت البلد توطنته، ومركز كل شيء معدنه، وجنات عدن: جنات إقامة لمكان الخلد، ومنه المعدن - بكسر الدال - وهو المكان الذي يثبت فيه الناس لأن أهله يقيمون فيه، والمعدن: مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه، وفي الحديث: « ...فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا نعم»[١] أي أصلها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها.

والمعادن: المواضع التي يستخرج منها جواهر الأرض[٢].

وبهذا يتحدد أن لفظ «معدن» تطلق على عدة معاني منها:-

أصل الشيء ومبدؤه.

مكان الإقامة لأي شيء ومستقره الثابت فيه .

المستقر الخاص بالمادة المعدنية.

المادة المعدنية نفسها، وهي المقصود تناولها في هذا المبحث.

وفي الاصطلاح: «ما خرج من الأرض مما يخلق فيها من غيرها مما له قيمة مثل الذهب والرصاص والمعادن الجارية»[٣] ، فالمعادن إذا هي ما أودعه الله في هذه الأرض من موادها البرية والبحرية ظاهرة أو باطنة لينتفع بها الناس وتشمل الحديد والنحاس والبترول والذهب والفضة وغيرها من المواد المختلفة[٤].

تأتي الدعوة وتكرر بالتأمل إلى جميع نعم الله تعالى التي أوجدها للإنسان في هذا العالم من المعادن والنباتات والحيوانات فقد جعلها الله مهيأة للانتفاع بها والاستفادة منها قال تعالى :(وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون)[٥] يقول الإمام إسماعيل بن كثير رحمه الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت..ج٤ ص ١١٩-١٢٠.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب مادة عدن ج١٣ ص٢٧٩ دار صادر بيروت، وانظر الرازي مختار الصحاح ص٤١٨ وانظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة ج٤ ص٢٤٨.

(٣)ابن قدامة المقدسي، المغني ج٣ ص٢٣

(٤) انظر محمد بن علي السميع، ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية ص١٤٧، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٥) سورة النحل آية ١٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى[١] لما نبه تعالى على معالم السماء نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والخواص[٢]، فالله تعالى خلق الإنسان وخلق له ما يعيش به وعليه من النعم الجليلة منها ما هو على ظهر الأرض ومنها ما هو في باطنها مما أودعه من مختلف المعادن التي تقوم بها حياة الناس في بعض الجهات أو في بعض الأوقات كما هو مشاهد ومنظور في العصر الحديث من تفنن الناس في استخراج المعادن المتنوعة بالآلات الحديثة وكلما ظن الناس أن نوعا ما من المعدن نفد إلاّ وقد ظهر لهم نوع من كنوز الأرض التي خبأها الله لهم[٣]

ولأهمية المعادن وقدرتها على تلبية حاجة الإنسان قرنت كثير من العصور القديمة والحديثة بأسماء طائفة منها، فهناك ما يعرف بالعصر الحجري، ثم عصر النحاس، وجاء بعد ذلك ما عرف بعصر البرونز، ثم عصر الحديد، وسمي هذا العصرالذي تألقت فيه الصناعات بعصر المعادن فقد أصبحت فيه الثروة المعدنية عماد الصناعة بل شكلت المعادن العمود الفقري لهذه الحضارة التي يحياها الإنسان اليوم، ولذلك لا يخلو يوم من حياتنا بل ساعة بل دقيقة دون استخدام مباشر أو غير مباشر للمعادن، حتى قيل لو اختفى كل ماله صلة بالثروات المعدنية لانهارت هذه الحضارة[٤].

والمعلوم بالضرورة أن الإنسان تعرف على المعادن واستخدمها منذ أكثر من ستة آلاف سنة قبل الميلاد حسب ما ذكره علماء المعادن[٥] وقد استخدمها في أغراضه المتنوعة كصناعة أدواته، وبناء مسكنه، وتبادلها في التجارة، وكان يستخدم بعضها في التزين والتجمل، ويرى آخرون أنّ اكتشاف بعض المعادن قديم قدم الإنسان نفسه مثل الحصول على ملح الطعام فهو أول معدن استخدمه

---

(١) هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي،تأتي ترجمته في ص ١٧٠

(٢) إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٦٥ مكتبة الرياض الحديثة

(٣) انظرسيد قطب، في ظلال القرآن ج٤ ص ٢١٦٣

(٤) انظر محمد فتحي عوض الله، الإنسان والثروة المعدنية ص١٧٧، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٠هـ بدون ط، وانظر محمود المظفر الثروة المعدنية وحقوقالدولة والفرد فيها ص٧

(٥) انظر سلمان السغبيني، تشكيل المعادن ص٣، منشورات جامعة حلب كلية الهندسة، ١٤٠١-١٤٠٢هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسان.

إن نظرة متأنية إلى ما حولنا من استخدامات المعادن في الصناعات المختلفة تجعل العاقل اللبيب يخر ساجدا شكرا لله على مننه الجسيمة ونعمه الجليلة، انظر إلى الأقمار الصناعية، الطائرات النفاثة، السيارات المتنوعة، السفن الضخمة، الإتصالات السلكية، واللاسلكية، الأدوات الكهربائية، الأدوات الطبية، الأدوات المنزلية، الصناعات المختلفة، الأجهزة الكيميائية، والفيزيائية، والمعامل الكبيرة والعوازل الحرارية، وغيرها الكثير والكثير مما هو حول الإنسان، وفوقه، ودونه، وتحته، وفي الأنفس وفي الآفاق، مما هو جليل، وحقير، عظيم،وصغير.

وقد يعجب المرء من تتبع الجيولوجيين وتعرفهم على المعادن فقد ذكروا أن المعادن المكتشفة بلغت أكثر من ٢٠٠٠معدن، وأما العلم الحديث فقد استطاع أن يتعرف على أكثر من ٣٠٠٠ صنف من المعادن المتنوعة[١] ولكن الذي يهم من هذا كله التعرف على المعادن الداخلة في نطاق الاستغلال الواسع، والتي لها قيمة اقتصادية فهي التي تنمي الحضارة، وتفيد الإنسان وقدأوصلها المختصون بعلم المعادن والصناعات إلى ١٠٠صنف.

والله تعالى خبأ هذه المعادن للإنسان في أماكن متفرقة من الكرة الأرضية، برها وبحرها، ومحيطها، وبحيراتها، فضلا منه ونعمة ولا حصر لفوائدها ونعمها، منها ما يعود على الأرض بالجمال والزينة، ومنها ما يساعد على بناء الإنسان والحيوان والنبات، الأول في طعامه الذي يحتوي على بعض المعادن حتى يكون صحيا صالحا، والحيوان يجد المعادن في علفه، وأما النبات فيجد المعادن في تربته التي ينمو فيها، وقد تفنن الإنسان في تسخير المعادن لنفسه ولغيره فاستخدمها في حاجاته الضرورية والحاجية والكمالية.

إن وجود بعض المعادن في بعض المواقع يغير من شكل تلك الأماكن وألوانها قال تعالى:(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)[٢]، فالآية دلت على مواطن خامات العناصر التي تستخرج منها المعادن ودلت عليها بألوانها وفي ذلك جمال لمنظر الأرض.

---

(١) انظر محمد المظفر، الثروة المعدنية وحقوق الدولة والفرد فيها ص.٤٠، منشأة المعارف بالإسكندرية ط١ ١٤١٠هـ.

(٢) سورة فاطر آية ٢٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن العلماء من قسم المعادن إلى جامدة وجارية ثم قسموا الجامدة منها إلى منطبعة وغير منطبعة، والجارية تتناول المعادن السائلة منها كالزئبق، والبترول، وسائر الزيوت المعدنية، ومن العلماء من صنفها اعتمادا على خواصها وطرائق تكوينها إلى صنفين هما:- معادن فلزية، ومعادن لا فلزية ثم جعلوا تحت كل صنف أقساما[١].

فالمعادن الفلزية تشمل أربع مجموعات هي:-

١- مجموعة الفلزات الثمينة مثل الذهب والفضة والبلاتين.

٢- مجموعة المعادن غير الحديدية مثل النحاس والصاص والزنك.

٣- مجموعة المعادن الحديدية مثل الحديد والمنجنيز والنيكل.

٤- مجموعة المعادن النادرة مثل المغنسيوم والزئبق والراديوم.

أما المعادن اللافلزية فتشمل المجموعات التالية[٢]:-

١- معادن الوقود مثل الفحم والبترول والغازات الطبيعية.

٢- معادن الخزف مثل الطفل والفلسبار.

٣- معادن البناء مثل الرمل والحصى والحجر الجيري والاسفلت.

٤- معادن التكسير والتعدين مثل الجرافيت.

٥- المعادن الكيميائية مثل الأملاح والمحاليل ومركبات الصوديوم.

٦- المعادن المستخدمة في الصناعات مثل رمل الزجاج.

٧- معادن التسميد مثل البوتاس والنترات والفوسفات.

٨- معادن الزينة مثل الياقوت والزبرجد.

إن هذه التقسيمات والتصنيفات إن دلت فإنما تدل على كثرة المعادن وتعدد منافعها للناس بتعدد أنواعها ودخولها في كثير من مجالات حياة الناس، وهذا الذي قصده الباحث من إيراده لبعض تقسيمات هذه المعادن للدلالة بها على أهميتها وللوصول منها إلى فضل الله وعظيم سعته على عباده بما هيأه لهم وخبأه في باطن أرضه وما ذرأه لهم في ظاهرها من الخيرات الوفيرة، وقد ذكر تعالى في كتابه أسماء طائفة منها ممتنا بها على الخلق وملفتا الانتباه إلى فوائدها مثل

---

(١)انظر محمد فتحي عوض الله، الإنسان والثروة المعدنية ص١٨٤

(٢)انظرعبده شطا الثروة المعدنية في الوطن العربي ص٣٢ ومابعدها، معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٧٠موانظر محمد فتحي عوض الله ، الإنسان والثروة المعدنية ص١٨٤ وما بعدها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديد، والنحاس والذهب، والفضة، وغيرها.

فقد حكى تعالى في كتابه قصة ذي القرنين عندما طلب منه وضع سد منيع بين القوم وبين يأجوج ومأجوج، فطلب منهم الحديد والنحاس فعلى لسانه قال تعالى:(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أُفرغ عليه قطرا)[١]،فدل هذا على «أن الحديد والنحاس من مرتكزات الصناعات الثقيلة قديما وحديثا فقد كانا أداة بناء السد المنيع على يد ذي القرنين وهما الآن المادة الأساسية في الصناعات المختلفة الحربية والسلمية»[٢]

وقد أكد القرآن أهمية الحديد وخصه بالإنزال بل لأهميته البالغة في حياة الناس سميت سورة من القرآن بـ«سورة الحديد»، قال تعالى:(...وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصُره ورُسُله بالغيب إن الله قوي عزيز)[٣].

فالحديد يعتبر من أعظم المعادن ضرورة وأهمية بل هو العمود الفقري لهذه الحضارة الحديثة من حيث دخوله في معظم الصناعات والاختراعات، ولو تدبر الإنسان إلى آية سورة الحديد لوجد فيها تنبيها دقيقا لأنه تعالى خلق الحديد وهيأه مع المعادن الأخرى ثم علم الناس صناعته وجعله رادعا لكل من يأبى الحق ويعاند، يقول وهبة الزحيلي:«وفيه منافع للناس ينتفعون به في كثير من حاجاتهم ومعايشهم كأدوات الطعام ومرافق المنازل وإقامة المباني والعمارات، ومرافق الحياة الإقتصادية، وآلات الزراعة، وأدوات الصناعة السلمية والحربية، الخفيفة والثقيلة من آلات وأسلحة وبواخر وقاطرات وسيارات وغيرها»[٤].

وقد أشار عليه السلام إلى أهمية الحديد في حديث ابن عمر الذي قال فيه:«بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٥] بل ألان الله تعالى الحديد على يد نبي من أنبيائه وهو نبي الله داود عليه السلام حتى صار في يده كالعجين أو الشمع من غير نار ولا مطرقة، وفيه

---

(١) سورة الكهف آية ٩٦

(٢) وهبة الزحيلي، التفسير المنير ج١٦ ص٣٢

(٣) سورة الحديد آية ٢٥

(٤) وهبة الزحيلي، التفسير المنير ج٢٧ ص٣٣٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الرماح ج٣ ص ٢٣٠،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دليل على إلانته لغيره من الخلق بوسائل أخرى يهديهم إليها وقد أشارت إلي تلك الوسائل آية سورة الرعد في قوله تعالى:(...ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله...)[١].

وأما النحاس فنعمة لاتخفى، ويدخل في الصناعات المتنوعة مثل الأسلاك والمسامير والصفائح النحاسية، والأجهزة اللاسلكية، والذخائر الحربية، والعملة، والأغراض الكيميائية، حتى ذكر أنه يستعمل في أكثر من ٦٠٠ مادة متنوعة، وهو موصل جيد للكهرباء ويستخدم في المولدات والموتورات ولوحات التوزيع والأجهزة المختلفة[٢].

أما الذهب والفضة فهما من نوع المعادن الثمينة وقد عرفهما الإنسان قديما كمواد نفيسة يتزين بهما ويكنزهما، وقد صنفهما الله تعالى في آيات كتابه ضمن ما زين للناس حبهما قال تعالى:(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)[٣].

وقد نهى تعالى في آية أخرى عن اكتنازهما من غير تداول، وأمر باعطاء حق الله فيها قال تعالى:(...والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)[٤]، لأن المقصود من الذهب والفضة تداولهما بين الناس لقضاء حوائجهم فمن كنزهما فقد أبطل الحكمة التي خلقهما الله تعالى من أجلها[٥]، ويعتبر الذهب والفضة من «أشرف نعم الله تعالى على عباده إذ بهما قوام أمور الدنيا ونظام أحوال الخلق فإن حاجات الناس كثيرة وكلها تنقضي بالنقود فإن النقدين يباع بهما كل شيء ويشترى بهما كل شيء لرواجهن بخلاف سائر الأموال فإنها لا يرغب فيها كل أحد رغبته في النقود»[٦].

كما أنّهما يستخدمان في بعض الصناعات كصناعة الحلي والمجوهرات

---

(١) سورة الرعد آية ١٧

(٢) انظر محمد عز الدين حلمي علم المعادن ص ٢١٤، مكتبة الأنجلوا المصرية ط٣ ١٩٧٤م.

(٣) سورة آل عمران آية ١٤

(٤) سورة التوبة آية ٣٤

(٥) انظر زكريا القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص٢٤٤، دار الآفاق الجديدة ،بيروت، ط٣، ١٩٧٨م.

(٦) المرجع السابق ص٢٤٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والعملات الذهبية أو الفضية، وصناعة الأسنان، والأجهزة العلمية، كالكيميائية، والفيزيائية، والطبية، وغيرها.

وهكذا يجد المتأمل أن آيات سورة النحل تفصل نعما وتجمل أخرى، وأما النعم المجملة فيها فتأتي مفصلة في آيات سور أخرى من آيات الكتاب العزيز بدقة وعمق.

وهذا ما يلاحظ في مثل قوله تعالى:(...ويخلق ما لا تعلمون)[١]، وذلك عندما ذكر نعم بعض الحيوانات المنتفع بها فقد أجمل نعما أخرى، كذلك لما ذكر تعالى بعض الأنواع المنتفع بها من النباتات أجمل الأخرى بقوله تعالى:(...ومن كل الثمرات)[٢] كذلك الشأن هنا في نعمة المعادن فقد أجملت وفصلت في آيات أخرى قال تعالى:(وماذرألكم في الأرض مختلفا ألوانه)[٣].

وفي هذا كله تنبيه على أن تفصيل القول في كل الحيوانات والنباتات والمعادن من حيث الأجناس والأنواع والصفات والمنافع يحتاج إلى مجلدات كثيرة لذا اقتصر بالإجمال عن التفصيل[٤] .

---

(١) سورة النحل آية ٨

(٢) سورة النحل آية ١١

(٣)سورة النحل آية ١٣

(٤) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج١٩ ص١٨٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث السادس
العناصر الأربعة

العناصر جمع ومفرده عنصر: وهو الأصل الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطباع[١]، والعناصر إذا أطلقت يقصد بها أصل عناصر تكوين المادة.

وهذا الأمر بدأ عندما كان الإغريق والرومان قادة الفكر قبل ميلاد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فقد قال طاليس:إن الماء هو أصل كل شيء ثم جاء بعده من يقول بل الهواء هو أصل الكائنات، وجاء بعدهم من يقول إن النار هي أصل كل شيء ثم ظهرت فكرة العناصر الأربعة والتي تقول بأن كل ما في الكون مركب من أربعة عناصر هي: الماء، والهواء، والنار، والتراب[٢].

وهذه الأمور الأربعة تارة تعرف بالعناصر، وأخرى تعرف بالأصول، كما يطلق عليها أحيانا الأركان الأربعة، وذلك في تسميات بعض العلماء كالفخر الرازي، والقزويني، والجرجاني، وابن القيم[٣] ولا شك أنها نعم تفضل الله بها على الإنسان وكرر تعالى ذكرها في كتابه في آيات منه ممتنا بها على العباد.

ففي نعمة الماء:ـ قال تعالى:(أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجا فلو لا تشكرون)[٤]

وفي نعمة الهواء قال تعالى:(...ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعد في السماء...)[٥]

وفي نعمة النار:ـ قال تعالى:(أفرأيتم النار التي تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين)[٦].

وفي نعمة التراب:ـ يكفي أنّ الله تعالى أخبرنا أنه خلق أصل البشرية من تراب، قال تعالى:(ياأيهاالناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة..)[٧].

---

(١) انظر الجرجاني، التعريفات ص ١٥٧

(٢) انظر إمبابي أحمد، قصة العناصر، ص ٩، إقرأ دار المعارف للطباعة والنشر،مصر، ١٩٥١م

(٣) انظرالفخر الرازي مفاتيح الغيب انظرج١٩ص١٧٧، والقزويني في عجائب المخلوقات ص٢٤١، والجرجاني في التعريفات ١٥٧، وابن القيم في التبيان في أقسام القرآن١٨٨

(٤) سورة الواقعة الآيات ٦٨، ٦٩، ٧٠

(٥) سورة الأنعام آية ١٢٥

(٦) سورة الواقعة الآيات ٧١، ٧٢، ٧٣

(٧) سورة الحج آية ٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقصود أن هذه العناصر الأربعة من نعم الله على العباد ولكن لها أماكنها التي ترد فيه لبيان فوائدها على الناس.

أما المقصود بالعناصر في هذا المبحث فهو ذكر العلائق الموجودة بين كل من نعمة التراب، ونعمة المعادن، ونعمة النبات، ونعمة الحيوان، فكل نوع من هذه الأنواع الأربعة يعد عنصرا له خصائصه وسماته التي يتميز بها، وسيتناول هذا المبحث الفوائد التي تتوفر في كل عنصر منها لما يأتي بعده مع بيان الفائدة العظمى التي تعود من هذه العناصر على الإنسان.

إن من ينظر إلى الإنسان وخلقه، وينظر إلى هذه العناصر وتكوينها يرى عجبا، فهناك تدرج في خلق الإنسان الأول من مادة هذه الأرض، من التراب إلى الطين، إلى الصلصال، إلى الحمأ المسنون، إلى الفخار، إلى أن يأتي دور نفخ الروح فيه والذي به جعله الله خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولما كان خلق هذا الإنسان وخلق ذريته من بعده تسير على التدرج كانت نعمة رزقه كذلك تسير على التدرج، انظر إلى تبخر مياه البحار والمحيطات إلى طبقات الجو العليا، ثم تكون السحب الركامية، ثم نزول المياه على الأرض ثم تقبلها له وإنبات الزرع والعشب الكثير، ثم يتغذى الحيوان على ذلك، ثم يأتي الإنسان ليتغذى على الحيوان والنبات، هذه هي الحياة على بساطتها .

فسبحان من هذه حكمته في خلقه وفي تدبيره، تراب يتقبل المياه، ومعادن يسمده ويغذيه، ونبات ينبت ويخضر فيه، وحيوان يتغذى على النبات، وإنسان يستفيد من كل ذلك ويتنعم به .

وبعد تقدم البشرية وتطورها الحضاري في المجالات المختلفة استخدم الإنسان هذه العناصر الأربعة ـ التراب، المعدن، النبات، الحيوان ـ وسخرها لخدمته بما وهبه الله تعالى من الملكات الفطرية والعقلية فاستفاد من ذلك بما يعود عليه بالنفع الكبير والخير الجزيل .

وكل عنصر هام وضروري في استمرار الحياة، كما أن انعدامه يؤدي إلى تعطل بقية العناصر، وبالتالى تعطل الحياة التي ينتج عنها تنغّص النعم المعطاة للخلق، وهذه العناصر متدرجة من الأدنى إلى الأعلى، مثلها مثل تدرج خلق الإنسان، وكل عنصر منها يفيد ويغذي الذي يليه فالمعدن يتكون في التراب منه ومن غيره، والنبات ينبت في التراب ويتغذى من المعدن وغيره، وبعد ذبوله يفيد التراب ويتحول إلى معادن، كما أنه لا حياة للبهائم دون النبات .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد لا يرى الإنسان - إن لم يتأمل - للتراب فائدة وإن كان نافعا ونفيسا، يقول ابن القيم «وأشرف الجواهر عند الإنسان الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد، والحيوان منها، وتعطلت المصالح المقصودة منها وبهذا يعلم أن جواهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك وإن كانت تلك أغلى وأعز فغلاؤها وعزتها لقلتها وإلا فالتراب أنفع منها وأبرك وأنفس»[١].

مما تقدم يتبين أن كل عنصر فاضل في نفسه ومفيد لغيره وتنقّصه أوعدمه يؤدي إلى تعكر الحياة وتنقصها، أما القلة في بعض المعادن الثمينة فتعود إلى كنز الناس لها واهتمامهم بها وإلا فبعضها موجود اليوم بكثرة.

وهذا التدرج من الأدنى إلى الأعلى والإرتباط الوثيق بين هذه العناصر يتضح فيما ذكره القزويني[٢] في قوله:«فأول مراتب هذه الكائنات تراب، وآخرها نفس ملكية طاهرة، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب، أو الماء، وآخرها بالنبات، والنبات متصل أوله بالمعادن، وآخره بالحيوان، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان، وآخرها بالنفوس الملكية»[٣].

والإنسان نفسه يتكون من عناصر الأرض، ويعيش عليها وفيها، ويترزق من رزق الله الكامن فيها فكانت منة من الله عليه فقد خلقه الله من عناصر الأرض وجعله يعيش على ظهرها وبعد الموت ينتقل ويدفن في بطنها قال تعالى:(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[٤].

والله تعالى مكن الإنسان في الأرض ووهبه العقل ليكون خليفة قادرا على تسخيرها يحسن التعامل معهاقال تعالى:(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[٥].

---

(١) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن ص١٨٦.

(٢) هو زكريا بن بن محمد بن محمود الأنصاري مؤرخ جغرافي من القضاة ولد بقزوين عام٦٠٥هـ ورحل الشام فولي القضاء له بعض المصنفات مثل آثار البلاد وعجائب المخلوقات ت٦٨٢هـ«انظر الزركلي الأعلام٣/٤٦» أقول له غرائب في الكتابه من الإيمانيات ووصف عالم الغيب كالملائكة فلا يرجع إليه فيه.

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص٢٤١ دار الوفاق،بيروت، ط٣، ١٩٧٨م.

(٤) سورة طه آية ٥٥

(٥) سورة الإسراء آية ٧٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فبتوافق الأجناس بين هذه العناصر حصل التآلف بينها وبالتسخير حصل التنعم، حتى صار هذا الإنسان بحق صفوة العالم وزبدة الكون الذي جمع ما تفرق فيه لأن كل ما تفرق في هذا الكون اجتمع في الإنسان بنسب ضئيلة،ثم إن تفضيل الإنسان على كثير من المخلوقات المنعم بها عليه والمسخرة له أدى إلى تكليفه بعمارة الأرض وعبادة الله تعالى وفي ذلك فضل عظيم على الإنسان لأنه إن استجاب إلى هذه الدعوة سيكون له الجزاء الأوفى يوم التغابن.

ولما كان التراب نفسه يختلف من حيث نوعه ولونه وشكله وطعمه وطبيعته وخصائصه أصبح هذا الاختلاف ينتقل إلى كل عنصر من العناصر الأخرى: من المعادن، والنبات، والحيوان، والإنسان وبهذا حدث التوافق بين كل تلك العناصر، كل نوع مع ما يوافقه من النوع الآخر فكانت الأنواع مع الأنواع، والألوان مع الألوان والخصائص مع الخصائص وهلم جر .

ولذلك يجد المتأمل إن كل معدن يختص ببقعة معينة يتواجد فيها وأن كل حيوان يناسبه نوع معين من النبات يتغذى عليه، وأن كل نبات يناسبه نوع معين من التربة ينبت فيها ، وهكذا الإنسان يتغذى على ما يعيش في أرضه من الحيوان وما ينبت فيها من نباتات.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع
نعم الله في البحر

المبحث الأول: نعمة البحر وأحيائه
المبحث الثاني: الحلية وأشواق الناس
المبحث الثالث: تسخير الفلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
نعمة البحر وأحيائه

البحر: الماء الكثير ملحا كان أو عذبا، وهو خلاف البر سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب وجمعه أبحر وبحور وبحار[١]

أطلق عليه البحر إما لملوحته تقول ماء بحر: أي مالح، وإما لسعة مائه وكثرته، وإما لانبساطه، ومن تأمل هذه الإطلاقات وجدها تنطبق عليه فهو مالح وواسع كثير ومنبسط، وقد غلب إطلاق البحر على المالح منه دون العذب، وقد سمى الله العذب بحرا في كتابه: (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج...)[٢]، وإنّما سمى العذب بحرا لكونه مع الملح، كما يقال للشمس والقمر: قمران[٣]. وقد أطلق العرب على الماء العذب بحرا، قال الشاعر:

ونحن منعنا البحر أن يشربوا به وقد كان منكم ماؤه بمكان[٤].

وإذا أطلق البحر على الرجال فإنه الواسع المعروف، الواسع العلم، وفي الخيل إذا أطلق: فهو الواسع الجري، الشديد العدو.

وفي الاصطلاح:

أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير[٥].

بعد أن فصّل تعالى بعض النعم المتعلقة في البر شرع في نوع آخر من النعم، وهو الذي يتعلق بالبحر، قال تعالى: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٦].

إن نعمه تعالى مظهر من مظاهر ربوبيته، فقد ذلل لكم البحر لتتمكنوا من

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الراء فصل الباء، وانظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة بحر، ج١، ص٤٢.

(٢) سورة فاطر آية ١٢.

(٣) انظر سميح عاطف الزين، مجمع البيان الحديث تفسير مفردات ألفاظ القرآن، ص١٠٧، ط١، ١٩٨٠، دار الكتاب اللبناني.

(٤) انظر البيت في لسان العرب مادة بحر ج٤ص٤١ والشاعر هو تميم بن أبي ابن مقبل، انظر خليل أحمد عمايرةفهارس لسان العرب ج٣ ص٨٨٠،مؤسسة الرسالة،بيروت ط١، ١٤٠١هـ.

(٥) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٢، ص٢٢٥.

(٦) سورة النحل، آية ١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الانتفاع به ركوبا، وغوصا واصطيادا لحيواناته وتنقيبا لمعادنه، وبحثا عن حليه وجواهره.

يقول الشنقيطي«ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه سخر البحر أي ذلله لعباده حتى يتمكنوا من ركوبه والانتفاع بما فيه من الصيد والحلية وبلوغ الأقطار التي تحول دونها البحار للحصول على أرباح التجارات ونحو ذلك»[(١)].

فالامتنان بتسخير البحر يتناول عدة أمور:

١- تذليل البحر نفسه للناس بسكونه.

٢- وتيسير الركوب فيه.

٣- إباحة حيواناته حيا وميتا في الحل والحرم.

٤- خلق اللآلئ والجواهر النفيسة فيه.

٥- إنبات المرجان في قيعانه.

٦- تيسير استخراج كل ذلك للناس.

٧- تسخير جريان الفلك فيه.

٨- كل ذلك جعله الله تعالى رزقا منه لعباده

إن من وقف على شاطئ البحر متأملا أو سافر عبره ونظر بعمق شديد في طول البحر وعرضه وعمقه وظلمته، في هدوئه أحيانا وفي هيجانه وتلاطم أمواجه أحيانا أخرى، ثم تمعن في المخلوقات التي أودعها الله فيه والتي لا تحصى كثرة وتنوعا لعلم قدر النعمة العظيمة التي أودعها الله تعالى فيه.

فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض من يابس وماء، وجعل الماء ثلاثة أرباع اليابس منها ولذا: «تتحدى البحار الإنسان تحديا يداني في جسامة ما يتحداه به الفضاء الخارجي، فإن ما نعلمه اليوم عن كثير من مناطق المحيطات يقل عما وصلنا إليه من معلومات عن سطح القمر»[(٢)].

وقد توصل الإنسان إلى معرفة المعالم الكبرى داخل البحار والمحيطات، ففيها منخفضات ووهاد وأخاديد وأعماق وجبال مغمورة، وهضاب متسعة وسهول سحيقة، فيوجد في قيعانها ما يوجد على سطح الأرض من معالم.

الله أكبر ما أعظم البحار ذلك المشهد البهيج للنفس والممتع للنظر، أطرافه مترامية، وأمواجه متلاطمة، وأعماقه غائرة، وشكله رائع، مليئ بحيواناته

---

(١) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣، ص٢٢٨،

(٢)روبرت كارون، البحار وما فيها، ص٣٣، ترجمة عبد الحافظ حلمي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونباتاته، غني بمعادنه، زرقته تأخذ ألباب الناظرين.

يقول عبد الرزاق نوفل: «إن البحر يباري الزمان في دوامه ويطاول الخلود في بقائه تمر آلاف الأعوام بل وعشرات الألوف والملايين، وهو في يومه هو أمسه وغده، تنقلب الجبال أودية، والأودية جبالا، ويتحول التراب شجرا، والشجر ترابا، والبحر بحر لا يتحول ولا يتغير»[١].

ومن لطف الله بعباده أن سخر لهم ما في الأرض، وسخر لهم الفلك، وأمسك عنهم السماء من أن تقع على الأرض، كما أمسك البحر وحبسه من أن يغمر الأرض ويغرقها، قال تعالى: «ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم)[٢].

كم من قوة وكم من ثروة سخرها الله للإنسان وهو غافل عن نعم الله التي يتقلب فيها آناء الليل وأطراف النهار، فهو الذي أوجد النواميس التي تسمح بجريان الفلك في البحر، ثم هدى الإنسان إليها لينتفع بها في مصالحه[٣]، وأمسك البحر عن إغراقه، كما أمسك السماء من أن تقع عليه لأنّه تعالى بالناس رؤوف رحيم، قال تعالى:(..إنّ الله كان بكم رحيما)[٤]، فالرحمة هي أظهر ما تستشفه القلوب في مثل هذه المواقف

عن عمر[٥] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف منها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه عز وجل»[٦]

ومعناه أن البحر يستأذن ربه ليغرق الآدميين من كثرة ما يرى من معاصيهم لله تعالى، ولكن الله تعالى بقدرته يمسكه، وفي هذا أثر من آثار مدافعة رحمة

---

(١) عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، ص٨٣، الناشرون العرب، القاهرة، ١٩٧١م.

(٢) سورة الحج، آية ٦٥

(٣) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ج٤ ص٢٤٤٠

(٤) سورة الإسراء آية ٦٦.

(٥) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى يقال له الفاروق له مناقب جمة ولي الخلافةعشر سنين ونصفا واستشهد عام ٢٣هانظر العسقلاني التقريب ٧١٧.

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند، ج١، ص٤٣، والحديث فيه رجل مبهم لم يسم، يقول أحمد البنا: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد، قال ابن الجوزي: فيه العوام عن شيخ كان مرابطا بالساحل والعوام ضعيف، والشيخ مجهول. (انظر بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، ج٢٠، ص١٢.) دار الشاب القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله لغضبه وغلبتها له[١].

وقد أورد ابن كثير[٢] الخلاف الوارد في معنى قوله تعالى: (والبحر المسجور)[٣]، وأن أحد الأقوال منها المراد به البحر الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها[٤]،فلولا أنه تعالى يحبس البحر ويمسكه لفاض الأمر.

فسبحان من سخر هذا البحر وكف شره عن عباده بل جعل لهم فيه خيرات وفيرة فهو كما وصفه أحد علماء الغرب «ككيس لعبة الحظ مملوء بالنفائس التي لم ينل منها الإنسان سوى القليل الذي استطاعت أن تبلغه يداه وهو يدسها فيه مغمض العينين في معظم الأحوال»[٥].

إن فوائد البحر ونعمه لا تقع تحت حصر سواء من خلال تسخيره أو من خلال الموجودات المتوفرة فيه ولذا كثيرة هي الآيات المذكّرة بذلك.

قال تعالى: (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره)[٦]، وقال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر)[٧] وقال تعالى:(ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنّه كان بكم رحيما)[٨]

فالبحار منذ القدم «مصدر من مصادر الثروة الدائمة وينبوع فياض من ينابيع الرحمة، وعنصر أساس في ثراء كثير من الأمم، فهي خزائن للرزق والرغد والغذاء الذي يمكن أن يجلب دون سابق زرع أو ري أو حصاد»[٩].

---

(١) انظر بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، ج٢٠، ص١٢.

(٢) هو أبو الفداء إسماعيل ابن كعمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي ولد ١٠٧هـ ورحل في طلب العلم كان حافظا فقيها مؤرخا مفسرا له مصنفات كثيرة، ت٧٧٤.

(٣) سورة الطور، آية ٧.

(٤) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٧.

(٥) روبرت كارون، البحار وما فيها، ص٤٠٩.

(٦) سورة فاطر، آية١٢.

(٧) سورة الإسراء آية ٧٠.

(٨) سورة الإسراء آية ٦٦

(٩) محمد إسماعيل، الإشارات العلمية في الآيات الكونية في القرآن، ص٨٢، ط١، ١٤١١هـ دار الدعوة للنشر، الإسكندرية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- أما نعمة أحياء البحار فتتمثل في:

ثرواته المتنوعة سواء كانت حيوانية أو نباتية أو معدنية، وقد بين تعالى هذه النعمة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (لتأكلوا منه لحما طريا...)[١]، وقوله: (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة...)[٢].

فاللحم الطري نعمة من نعم البحر الكثيرة، وهو يشمل أصناف الأسماك المختلفة صغيرها وكبيرها، وفيها إشارة إلى سرعة أكله لسرعة فساده.

يقول عبد المنعم عشري: «وتعتبر الأسماك غذاء عظيم القيمة لأن المواد البروتينية في السمك أسرع هضما من مثيلاتها في اللحوم الأخرى، ومن ثم كانت الأسماك غذاء مفيدا لكل إنسان»[٣].

إن أحياء البحار لا يعلم عددها وأنواعها وأجناسها وأشكالها ومقاديرها وأحجامها وألوانها إلا خالقها وموجدها، ولكن لا بأس من بيان بعض مجاميعها ليتبين فضل الله ومنته على عباده.

١- هناك نباتات البحر التي تنقسم إلى قسمين:

أ/ أعشاب مائية أو طحالب.

ب/ القسم الثاني نباتات مائية صغيرة الحجم.

ومن مهامها: تغذية بعض الحيوانات البحرية آكلة الأعشاب، وهي أيضا المصدر الرئيس لغاز الأكسجين في البحار.

٢- أدق حيوانات البحر - وهي لا ترى إلا بالميكروسكوب - وتعرف أنواعها بالحيوانات الأولية.

٣- الحيوانات الإسفنجية - كانت إلى عهد قريب تصنف ضمن النباتات إلى أن أعيد تصنيفها مع الحيونات عام ١٨٢٥، وهي أنواع منها دقيق الحجم ومنها كبير.

٤- قناديل البحر.

٥- ديدان البحر مثلها مثل ديدان البر.

٦- مراجين البحر، وهي من عجائب مخلوقات الله، وهي حيوانات مرجانية كأزهار البحر، تستعمل طريقة النباتات للإبقاء على نوعها.

---

(١) سورة النحل، آية ١٤.

(٢) سورة المائدة آية ٩٦.

(٣) عبد المنعم عشري، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ص١٤٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧- الحيوانات شوكية الجلد، وهي أنواع، منها ما يعرف بنجوم البحر، وأخرى تعرف بقنافذ البحر، ومجموعة ثالثة تعرف بخيار البحر.

٨- الحيوانات القشرية وهي أنواع أيضا:[١]- السرطان، الرخويات، الأسماك، ولكل نوع منها مجاميعه المتعددة.

لو تأمل المتأمل في الأسماك، وهي نوع من الحيوانات القشرية لاحتار أمره، فهي تعتبر أهم كائنات البحر التي تباع في الأسواق، والمختصون كادوا أن يعجزوا عن حصر أسماء الذي يقطن البحار منها فضلا عن المياه العذبة، فهي ذات أجناس وأشكال وأنواع كثيرة جدا منتشرة في كل أجزاء البحار، وقد حاول الباحث أن يعدد بعضا من أنواعها فبلغ مائة وخمسة أنواع، وذكر عبد العليم خضر أن صنوفها تبلغ نحوا من ثلاثين ألف نوع[٢]، هذا في فصيلة الأسماك، فكيف في غيرها من الحيوانات الأخرى.

ولعل هذا يعود إلى كثرة نسل الأسماك لحاجة الجميع إليها، يقول ابن القيم: «فتأمل الحكمة البالغة في كون السمك أكثر الحيوان نسلا، ولهذا ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، وحكمة ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى السباع لأنها في حافات الآجام جاثمة تعكف على الماء الصافي، فإذا تعذر عليها صيد البر، رصدت السمك فاختطفته فلما كانت السباع تأكل السمك، والطير تأكله، والناس تأكله ودواب البر تأكله، وقد جعله الله سبحانه غذاء لهذه الأصناف اقتضت حكمته أن يكون بهذه الكثرة»[٣]. وقال أحد الغربيين في عدد ما تصنع الأسماك من بيض: «وقد تصنع سمكة موسى مليون بيضة، وسمكة (البكلاة) البقلة تسعة ملايين بيضة، وسمكة الشمس ٣٠٠ مليون بيضة»[٤].

وسبق إلى هذا علماء الإسلام كابن القيم عندما قال: ترى في جوف السمكة

---

(١) انظر: ماكسويل ريد، قصة البحر، ترجمه: محمود رمضان، ص ١٥١ و ص ١٦٠دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

(٢) انظر: عبد العليم خضر، المياه والحياة بين العلم والقرآن، ص٨٥، الدار السعودية، جدة، ط١٤٠٥هـ

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص٢٥١/٢٥٢.

(٤) فرديناند لين، كل شيء عن البحر، ص٨٨، ترجمه محمود رمضان، دار المعارف، ط٤، ١٩٨١م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما لا يحصى كثرة من البيض، وبهذا يتضح أن الأحياء البحرية أكثر بكثير من الحيونات البرية بل لا مقارنة بينهما البتة.

ويتجلى بذلك نعم الله الوفيرة في البحار والمشار إليها بقوله تعالى: (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة)[١].

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن ماء البحار فيجيب بما يشفي ويكفي، إذ يقول: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[٢].

---

(١) سورة المائدة، آية٩٦.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، ج١، ص٢١، رقم٨٣، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر، أنه طهور، ج١، ص٤٧، رقم٦٩، والنسائي في كتاب الطهارة، باب ماء البحر، ج١، ص٥٠، وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، ج١، ص١٣٦، رقم٣٨٦، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير، ج٦، ص٩١، رقم٦٩٢٥، وصحيح سنن أبي داود رقم٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
الحلية وأشواق الناس

الحُلِيُّ: جمع، وتكون الواحدة منه حِلْية، والجمع حُليّ، والحلية، والحلي ما تُزيّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة، وحَلّيتُ المرأة أحليها حليا، وحلوتها إذا جعلت لها حُليًا.[١].

والمراد بالحلي المستخرج من البحار حسب ما ورد في القرآن الكريم اللؤلؤ والمرجان، قال تعالى: (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)[٢]، وقال عز وجل: (وتستخرجون حلية تلبسونها)[٣]، وكما قال: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[٤]، فقد جعل الله تعالى استخراج الحلي من البحار نعمة منه على عباده، فهو سبحانه يخلق هذه الحلي من اللآلئ والجواهر الثمينة، ثم يسهل للعباد استخراجها من أعماق البحار ليتحلوا ويتزينوا بها وكذلك ليستعملوها في التجارة والمكسب بما يعود عليهم بالربح الوفير.

ومن الخيرات التي تخرج من البحر ويتحلى بها:

١- اللؤلؤ: سمي لأنه يدل على صفاء وبريق فهو يتلألأ ويلمع[٥].

٢- المرجان: وأصل المرج الخلط وهو الجوهر المختلط ، مأخوذ من مرجت الشيء إذا خلطته[٦].

٣- الأصداف: مفرده صدف، وهو عرض من الأعراض ويسمى بالمحارة.

٤- الدر: كبار اللؤلؤ ، سمي بذلك لاضطراب يؤدي فيه لصفائه كأنه ماء يضطرب[٧].

٥- القواقع البحرية.

وهذه الأنواع من اللآلئ البحرية متنوعة المصادر منها ما يؤخذ من المعادن، ومنها ما يؤخذ من النباتات، ومنها ما يؤخذ من الحيوانات،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة حلي.

(٢) سورة النحل، ١٤.

(٣) سورة فاطر: ١٢

(٤) سورة الرحمن آية ٢٢.

(٥) انظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٩٩.

(٦) أبو الحسن الماوردي، النكت والعيون، تفسير الماوردي، ج٤، ص١٥١، وزارة الأوقاف ، الكويت، ١٤٠٢هـ.

(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٢٥٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول محمد فتحي: «تمدنا المملكة المعدنية بكثير من معادن الزينة اللافلزية، مثل الماس والزبرجد، وتمدنا المملكة الحيوانية باللؤلؤ والمرجان، والعاج، وتمدنا المملكة النباتية بالكهرمان الأصفر والأسود»[١].

ونعمة البحر وأحيائه تلبي كذلك ضرورات الإنسان وأشواقه، فمنه السمك الطري وغيره للطعام، وإلى جواره الحلية من اللؤلؤ والمرجان، وغيرهما من الأصداف والقواقع التي يتحلى بها أقوام حتى الآن[٢].

ولقد بين الله تعالى منافع البحر بتقديم الأهم فالمهم، فقدم منفعة الضرورة أولا وهي الأكل، ثم حاجاتهم بإيجاد ما يتخذوه للزينة والحلي مما يعود عليهم براحة الأبدان، واسترواح النفوس، وغاية الحلية اللبس ولها منافع أخرى غيره.

وتلبسونها المراد به: «تلبسها نساؤكم لأنهن من جملتكم ولأن إقدامهن على التزين بها إنما يكون من أجلكم فكأنها زينتكم ولباسكم..»[٣]. وتبع ذلك نعمة جريان الفلك بكل ما يحتاجون إليه مع تأكيد طلب فضل الله الواسع رجاء شكر النعم بعد معرفتها وتقديرها.

فهذا الحلي الذي امتن الله على العباد بلبسه للتزين والجمال قد بينته آية سورة الرحمن، أنه اللؤلؤ والمرجان، وهما من عجائب مخلوقات الله في البحار، فاللؤلؤ عبارة عن حيوان عجيب يهبط إلى أعماق البحار، وهو داخل صدفة من المواد الجيرية لتحميه من الأخطار وهو يختلف عن الحيوانات الأخرى في هيئته ومعيشته «..إنه شبكة دقيقة كشبكة الصياد عجيبة النسج تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء إلى جوفه وتحول بين الرمال والحصى وغيرها، وتحت الشبكة أفوه الحيوان، ولكل فم أربع شفه، فإذا دخلت ذرة رمل أوقطعة حصى أو حيوان ضار عنوة إلى الصدفة سارع الحيوان إلى إفراز مادة لزجة يغطيها بها ثم تتجمد مكونة لؤلؤة»[٤].

وتتوقف قيمة اللآلئ على حجمها وشكلها ولونها وتركيبها ومدى توافرها

---

(١) محمد فتحي عوض الله، معادن الزينة، ص١١٥، دار المعارف، ١٩٨٢م.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٦٣، دار الشروق، القاهرة، وبيروت، ط٩، ١٤٠١هـ.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٧.

(٤) عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، ص٩١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واللآلئ جميعا أهدأ لونا وأقل صلادة وأكثر مسامية من الأحجار الكريمة[١].

أما المرجان فقيل عنه: «هو صغار اللؤلؤ، وقيل كبار الدر وصغاره، وقيل الخرز الأحمر، والمشهور أنه عروق حمر كأصابع الكف تستخرج من قاع البحر... والمرجان في حقيقته هو مأوى يبنيه لنفسه الحيوان المسمى البوليبوس»[٢].

وللمرجان ألوان منه الأحمر وهو المعروف أكثر، ومن ألوانه الأبيض والأسود، ويعيش في مستعمرات يطلق عليها الشعاب المرجانية، و«يستعمل المرجان الثمين في صنع العقود وغيرها من الحلي، وتفوق بعض أنواعه النادرة الذهب في قيمتها»[٣].

وهناك هدايا بديعة من البحر تقذف بها في البر أثناء المد والجزر، يهواها كثير من الناس عند ذهابهم إلى الشواطئ، فيجمعوا ما يجدوا منها من أصداف وقواقع غريبة في أشكالها ومختلفة في أحجامها، ويزينون بها بيوتهم كما يحلون ببعضها أنفسهم، وكذا بهائمهم ويحتفظون بما يعجبهم منها.

والأصداف نوع من هياكل خارجية تحتمي بها بعض الحيوانات البحرية من أعدائها، كما أن كثيرا منها يستخدم في أغراض مختلفة كالأطباق الفاخرة والأواني والكؤوس، ويوجد بعضا منها في المتاحف كعرض ليراها الزائرون، ويستمتعون بمناظرها.

وفي لبس الحلي والتجمل به، وفي تزيين البيوت والمرافق ببعض معادن الزينة وقواقع البحار راحة للأبدان ومتعة للأرواح، وامتنان من الله تعالى، فهل نقدر فنشكر!

---

(١) عبد المنعم عشري، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ص١٤٩.

(٢) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر، العشرين، ج٨، ص٧٢١، دار المعرفة بيروت، ط٣، ١٩٧١م.

(٣) عبد المنعم عشري، تفسير الآيات الكونية في القرآن، ص١٤٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث
تسخير الفلك

التسخير في اللغة التذليل[١].

وسخرته قهرته وذللته، وكل مقهور مدبّر فهو مسخر، وسخرت السفينة: أطاعت وجرت وطاب لها السير، والله سخرها تسخيرا، وسفن سواخر إذا أطاعت وطاب لها الريح[٢].

والفلك: بالضم السفينة، تذكر وتؤنث[٣]، وسميت فلكا لأنها تدار في الماء[٤] والسفينة هي التي تسفن وجه الماء أي تقشره، قيل لها سفينة لأنها تسفن الرمل، إذا قل الماء، وقيل سميت لأنها تسفن على وجه الأرض، أي تلزق بها[٥]، قال تعالى: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر...)[٦].

والفلك والسفينة والبواخر بمعنى واحد، والباخرة تجمع على بواخر، وهي سفينة كبيرة تسير بالبخار[٧].

وتسخير الفلك: تذليله للناس وتمكينهم من الانتفاع به في بلوغ أمانيهم فكل ما ذلّ وانقاد وتهيأ لك على ما تريد فقد سخر لك.

إن تيسير الفلك نعمة كبرى، قال تعالى: (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره)[٨]، وقال تعالى: (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس)[٩]، وقال تعالى: (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون)[١٠].

يخبر الله تعالى أنه سخر بحكمته الفلك التي هي السفن الجواري التي تجري

---

(١) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة سخر، ص٢٩٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، باب الراء، فصل السين، ج٤، ص٣٥٣-٣٥٤.

(٣) المرجع نفسه، باب الكاف، فصل الميم.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٤٥٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، باب النون، فصل السين.

(٦) سورة الكهف، آية ٧٩.

(٧) انظر أسامة مرعشلي، ونديم مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، تجريد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، ج١، ص٧٣، دار الحضارة العربية بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

(٨)سورة إبراهيم، آية ٣٢.

(٩) سورة البقرة، آية١٦٤.

(١٠) سورة الزخرف، آية١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في البحار والأنهار بدفع المياه أو الرياح، وفي ذلك منافع عظيمة لهم وقضاء مصالحهم، قال تعالى: (وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[١].

فالكل يرى السفن تمخر عباب البحار شاقة الماء والهواء بصدرها السنم مع صدور الصوت قاطعة المسافات البعيدة حاملة الأثقال الكبيرة من الأشخاص والتجارات والزراعة والصناعات وغيرها مما فيه نفع للناس من المطاعم أو المشارب أو الملابس أو الأدوية، أو بما يعود عليهم بالضرر أو النفع كأسلحة الدمار الشامل، فالله تعالى أرشد عباده إلى صنع السفن بهذا الشكل بتعليم أبيهم نوح - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - بذلك، ثم ورثت ذريته من بعده قرنا بعد قرن[٢]، قال تعالى: (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا)[٣].

المقصود أن السفن تجري بأمر الله في المياه مسخرة للعباد يطلبون بها «الأرزاق التي أوجدها تعالى بأقدار معينة موزعة في بقاع مختلفة من الأرض يفصل بينها الماء، وجعل جريانها وفق سنته الحكيمة في الخلق بحيث تطفو على الماء ولا تغرق برغم زيادة كثافتها على كثافة الماء»[٤].

تأمل قوله تعالى: (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)[٥].

فالله تعالى لم يوضح للناس كيفية حمل الماء للسفن بل أخبر أن ذلك بأمره ونعمته وتسخيره، فقد ترك أمر بحث ذلك إلى الناس ليتوصلوا إلى عجائب صنعه بما يؤدي إلى تقديرنعمه واستقبالها بما تستحق من حمد وشكر.

يقول ابن القيم: «انظر إلى عجائب السفن وسيرها في البحر تشقه وتمخره بلا قائد يقودها ولا سائق يسوقها، وإنما قائدها وسائقها الرياح التي يسخرها الله

---

(١) سورة النحل، آية ١٤.

(٢) انظر: محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن، ص٢٤٠، بار ابن تيمية، ط١، ١٤٠٥هـ

(٣) سورة المؤمنون آية ٢٧

(٤) حنفي أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، ص٤٣٥، بتصرف، دار المعرفة القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٥) سورة لقمان، آية ٣١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لإجرائها فإذا حبس عنها القائد والسائق ظلت راكدة على وجه الماء»[١]، قال الله تعالى: (ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، إن في ذلك لأيات لكل صبار شكور)[٢].

إن قدرة الله على إيقاف السفن في البحر قائمة وتسخيره للبحر والفلك مستمر ونعمه على العباد متتابعة رغم ادعاءات التقدم العلمي، والاعتماد على ذلك. فلو شاء الله أسكن الريح فركدت الفلك فوق الماء، ولو شاء لجمد الماء، ولو شاء لأغرق السفن بما شاء، يقول عبد العليم خضر: «والله سبحانه هو الذي خلق الجاذبية وقوة الدفع، وقوة الضغط في الماء والهواء، إن يشأ سبحانه يسكن الريح التي تدفع السفينة على الماء فتظل راكدة لا تتحرك، لا بالقوة الدافعة من بخار وغيره وبأي قوة من القوى إلا بإذن الله سبحانه وتعالى»[٣].

*** سنة الله في طفو الأجسام:**

ولله تعالى في كونه قوانين عامة ومنها ما يسمى بقانون الطفو «الذي يقضي بألا يغوص من السفينة إلا القدر الذي يكفي لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة، عندئذ يكون دفع الماء للسفينة إلى أعلى مساويا بالضبط ضغط السفينة على الماء إلى أسفل، فإذا زيد في حمولة السفينة غاص منها جزء يكفي لإزاحة قدر جديد من الماء وزنه يساوي بالضبط وزن الزيادة في الحمولة، والعكس صحيح، فالغاطس منها يزيد أو ينقص بحيث يتحقق دائما التساوي بين السفينة بحمولتها ووزن الماء الذي يزيحه غاطسها، ودفع الماء السفينة إلى أعلى، فمهما تحقق هذا التساوي بين هذه الثلاثة تحقق الطفو على الماء للجسم أو السفينة»[٤]. فالفلك تجري في الماء وفق نواميس أودعها الله البحرفالتكوين الخاص للماء، والتكوين الخاص للسفينة والتكوين الخاص لطبيعة الهواء فوق الماء والسفن هو الذي يسمح للفلك أن تطفوا فوق سطح الماء، ولو اختلت نسبة ضغط الهواء أوالتيارات المائية أودرجة الحرارة أو اختلفت نسبة واحدة منهاأدنى اختلاف

---

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص٢٠٥.

(٢) سورة الشورى، آية٣٢-٣٣.

(٣) د. عبد العليم خضر، الماء والحياة بين العلم والقرآن، ص٢٢٦.

(٤) عبد العليم خضر، الماء والحياة بين العلم والقرآن، ص٢٣١، بتصرف واختصار، وانظر: أحمد الكرداني، نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن، ص٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما أمكن أن تتم الملاحة التي عرفتها البشرية قديما وما تزال تعتمدعليها جل الاعتماد[١].

* **تطور نعمة الفلك وتنوعها:**

بدأ الإبحار في البداية باستخدام الإنسان جذوع الأخشاب الغليظة يعلوه ويسير به في الشواطئ، ثم ترقى وأدخل فيه بعض التعديلات حتى تستوى به داخل الماء، ثم ترقى أكثر فاستخدم الألواح والمسامير.

والله سبحانه وتعالى وصف سفينة نوح بذلك في قوله: (وحملناه على ذات ألواح ودسر)[٢].

ثم بدأت الضرورات تدفع الناس شيئا فشيئا لتلمس الأرزاق بعيدا عن أوطانهم فتجرأوا على خوض عباب البحار وتطورت السفن من فلك صغيرة إلى ما يشبه مدنا بحالها « حتى بلغت في أيامنا هذه درجة لم تكن تمر بخلد أكبر الملاحين السابقين »[٣].

وقد يجد المتأمل أن في كتاب الله إشارات دقيقة إلى هذا التطور في هندسة السفن منها قوله تعالى: (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون)[٤]، ففي حمل الذرية والأصول على الفلك في الأزمان الغابرة تلميحات في المستقبل بأن فروعهم سيطورونها، كما أن في تشبيه الجواري بأنها كالجبال في قوله تعالى: (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام)[٥]، وقوله تعالى: (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام)[٦]، ففي ذلك ـ والله أعلم ـ إشارة إلى أن هذه الجوار ستتقدم صناعتها، وستصبح يوما ما مثل الجبال الشامخات.

إضافة إلى أن السفن تنوعت تخصصاتها ووظائفها و اختلفت أحجامها، وأحوالها من حيث الفخامة والصغر ومن حيث السرعة والبطء، فمنها الصغير في حجمه السريع في سيره، ومنها كبير الحجم متوسط السرعة، ومنها ما خصص للقضايا العسكرية، ومنها ما جعل للأحوال الأمنية، ومنها ما هو لنقل الركاب،

---

(١) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ج٥ ص ٢٧٩٧.

(٢) سورة القمر آية ١٣.

(٣) محمد فريد، دائرة المعارف القرن الرابع عشر، العشرين، ج٥، ص١٧٦.

(٤) سورة يس، ٤١.

(٥) سورة الشورى، آية ٣٢.

(٦) سورة الرحمن، آية ٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأخر لنقل البضائع المختلفة والمتنوعة، وقد عددها ربيع عبد الله الملط بقوله:

١- سفن الركاب.

٢- السفن الخطية للبضائع، تصمم بحيث تحمل أنواعا مختلفة منه.

٣- البواخر الجوالة للبضائع، تحمل بضائع كبيرة مثل التراب والحبوب والسكر وغيره.

٤- ناقلات البترول، مخصصة في نقل النفط أو أي سائل آخر.

٥- حاملات الصب، تحمل نوعا محددا من البضاعة وبكميات كبيرة.

٦- الفحامات، تستخدم في النقل الساحلي.

٧- حاملات الغاز، متخصصة فيه ولها صهاريج لحفظه.

إضافة إلى السفن الحربية والأمنية والتجسسية والغواصات والفرقاطات وغيرها[١].

*** سورة النحل وتعداد النعم:**

يظهر ذلك في بيان تسخير الفلك بين آيتي النحل وفاطر، قال تعالى: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٢]، وقال تعالى: (...ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر..)[٣].

والسؤال: لماذا كرر في آية النحل لفظ «منه» مرتين وأخّر لفظ «فيه» على «مواخر» بينما في آية فاطر لم تأت لفظة «منه» وتأخرت لفظة «فيه» على «مواخر»؟

كل ذلك بينه بدر الدين بن جماعة[٤] فقال: «إن آية النحل سيقت لتعداد النعم على الخلق بدليل تقديم قوله تعالى: (وهو الذي سخر البحر) وآية فاطر سيقت لبيان القدرة والحكمة بدليل قوله تعالى: (والله خلقكم من تراب)، فتكرر (منه)

---

(١) ربيع عبد الله الملط، بناء السفن، ص٣، وما بعدها، باختصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٢م.

(٢) سورة النحل، آية ١٤.

(٣) سورة فاطر، آية١٢.

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن سعدالله اشتهر بابن جماعةولد ٦٣٩هـ له مصنفات كثيرة في علوم الشريعة كالحديث والفقة والأصول والتفسير وغيرها ت٧٣٣هـ،انظر الذهبي تذكرة الحفاظ ص١٠٧ وابن كثير البداية والنهاية ج١٤ص١٦٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في النحل لتحقيق المنّة والنّعمة ، ولذلك عطف (ولتبتغوا) بالواو العاطفة لمناسبة تعدد النعم كما تقدم، وقدم (مواخر) على (فيه)، لأنه امتن عليهم بتسخير البحر فناسب تقديم (مواخر) أي شاقة للماء.وأما آية فاطر، فحذف (منه) لدلالة (من كل تأكلون) عليها، وقدم (فيه) على (مواخر) لأن شق الفلك الماء لجريانه فيه آية من آيات الله تعالى ، فالتقدم فيه أنسب للفلك»[١].

* **نعمة البحر والشكر:**

هناك سؤال يتبادر إلى الذهن من تخصيص هذه النعمة بالشكر، وهو: لماذا جاء التعقيب بالشكر بعد نعمة تسخير البحر مع أنه سبقها وأعقبها نعم كثيرة؟

إن هذا التعقيب جاء للتوجيه والتحريض إلى الشكر لكي يشعر[٢] المنعم عليهم بأن واجب التقدير للنعمة يستلزم شكرها وتقديرها حتى يكون ذلك داعيا إلى استمرار المزيد منها، فأنتم عاجزون عنها أيها البشر لولا تسخير الله لكم إياها. يقول الألوسي[٣]: ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر لأنها أقوى في باب الإنعام، من حيث أنه جعل ركوب البحر - مع كونه مظنة الهلاك - ... سببا للانتفاع وحصول المعاش، وهو من كمال النعمة لقطع المسافة الطويلة في زمن قصير مع عدم الاحتياج إلى الحل والترحال والحركة مع الاستراحة والسكون[٤].

والحقيقة أن من يتدبر الآيات التي وردت في بيان تسخير البحر، وتسخير الفلك فيه فإنه يجد أن أكثرها ختم بالحث على الشكر، قال تعالى: (...ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٥]، وقال تعالى: (ألم تر أن الفلك تجري في البحر

---

(١) بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص٢٢٦، تحقيق عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) انظر أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج١، ٢٢٤، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٣) هو شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسين الألوسي البغدادي ولد عام ١٢١٧هـ كان مفسرا، أديبا من المجددين تقلد الإفتاء ثم انقطع للعلم له مصنفات منها تفسيره روح المعاني ت ١٢٧٠هـ انظر الزركلي الأعلام ج٧ ص١٧٦-١٧٧

(٤) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج١٣، ص١١٤، مكتبة دار التراث، القاهرة.

(٥) سورة النحل، آية ١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)[١]، وقال تعالى: (وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٢]، وقال تعالى: (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)[٣]، وقال تعالى: (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٤].

يقول أبو السعود في هذا التعقيب بالشكر في الآية: «من حيث إنّ فيها قطعا لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع أنها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للإيذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا»[٥].

ولعل هذا يدل على لفت الانتباه إلى أهمية هذه النعمة وعدم الغفلة عنها - وكل نعم الله عظيمة - وعجز المنعم عليهم وعظمة المنعم المتفضل بذلك وقدرته على تيسير كل عسير مما يدفع إلى تقرير وحدانيته وشكره وحسن عبادته.

---

(١) سورة لقمان، آية ٣١.

(٢) سورة فاطر، آية ١٢.

(٣) سورة الشورى آية٣٢، ٣٣.

(٤) سورة الجاثية، آية١٢.

(٥) أبو السعود محمدبن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٥، ص١٠٣، دار إحياء التراث العربي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس
أصناف الأشربة

المبحث الأول: غيث القلوب والأرض
المبحث الثاني: نعمة اللبن
المبحث الثالث: نعمة العسل
المبحث الرابع: السكر وذكره مع الرزق الحسن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول
غيث القلوب والأرض

الغيث يطلق على السحاب، والمزن،والماء، والنبات، والغوث يقال في النصرة، والغوث في المطر.

والغيث المطر والكلأ، وقيل الأصل المطر ثم سمي ما ينبت به غيثا[١].

وكل ما يغيث البلاد والعباد سمي غيثا سواء كان ماديا أومعنويا.

والمقصود بغيث القلوب في هذا المبحث هو القرآن، أما غيث الأرض فهوالماء فما أنفع الغيثين وأبركهما للإنسان، فالقلوب تستقر عليها أنوار القرآن وعلومه وما يحمله من الخير والهدى والنور والسلام والإيمان.

والأرض تستقر عليها المياه النازلة من السماء، وتأخذ منها ما يليق بسعتها وحاجتها، والمخلوق يطلب الغيث ممن يقدر عليه ليصل إليه ويحصل عليه فيغيثه حسا أومعنى، طلبه الإسرائيلي من نبي الله موسى عليه السلام فوجده قال تعالى:(....فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه)[٢]، وطلبه المؤمنون من ربهم فحصلوا عليه - سواء كان نصرا أو ماء أو رزقا- ففي يوم بدر قال الله تعالى:(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملئكة مردفين)[٣]، وفي غيث البلاد والعباد قال تعالى:(وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد)[٤]، فانظر إلى هذا التلاحم بين إنزال الكتاب من السماء وإنزال الماء منها في قوله تعالى:(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون)[٥].

يقول عبد العليم خضر:«لقد ارتفع ضوء هذه الحياة ومرشدها وراء الماء وارتفع من الظمأ وعلومه نحو استشراق المنبع، إلى أن اتحد في السماء نزول

---

(١) انظرابن منظور، لسان العرب باب الثاء فصل الغين مادة غيث.

(٢) سورة القصص آية ١٥

(٣) سورة الأنفال آية ٩

(٤) سورة الشورى آية ٢٨

(٥) سورة النحل آية ٦٤-٦٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغيث بنزول الوحي، ونور البرق بنور الكتاب، وما تحيا به الأجسام بما تحيا به الأنفس، وصنع هذا الاتحاد اللغة، وقال الله يذكرهم بما في السماء من رزقهم وهدايتهم»[١]:(وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)[٢]. إن الإنسان مكون من جسد وروح، وبالجسد يتحرك ويحس، وبالروح يدرك ويعي، ويفكر، ويعلم ويختار، ولكل مقوماته، فمقومات البدن الطعام والشراب وغيرهما ومقومات الروح، الإيمان بالله، وتنفيذ أحكامه[٣].

والله تعالى ذكر إنزال الكتاب أولا وهو خير ما أنزله للناس إذ به حياة الروح ومقوماتها وذكر بعده إنزال الماء من السماء وفيه حياة الأجسام وعليه تقوم مقوماتها (...منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون)[٤].

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ ،وكان يتمثل دور الغيث الذي يثري الأرض، وينبت الأزهار مع فرق واحد هو أن الغيث يغير وجه الأرض، أما القرآن فيغير وجه القلوب[٥].

يقول محمد الراوي: «والأرض الطيبة لا تبقى على سكونها إذا استقبلت الماء، بل تهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج..والنفوس لا تبقى على حالها، إذا استقبلت ما نزل من الحق بل تخشع وترجو وتشفق وتنبت وتعمل عملا صالحا وتتبع صراطا مستقيما»[٦].إن طبع الماء لا يتغير، ونفعه لا يبطل، بل يقدمه للحياة والأحياء، والله تعالى جعله سببا للحياة دون انتقاص منه أو تغيير في خصائصه، كذلك لا تتغير قطرة الحق بل يقذف به على الباطل ويدفعه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)[٧] فالحق يصرع الباطل ويتغلب على

---

(١) د. عبد العليم خضر الماء والحياة بين العلم والقرآن ص٢١

(٢) سورة الذاريات آية ٢٠-٢٣

(٣) انظر السيد سابق، عناصر القوة في الإسلام ص٣٧ دار الكتاب العربي، بيروت ط١، عام ١٣٩٨هـ

(٤) سورة النحل آية ١٠.

(٥) عبد المؤمن محمد النعمان، قبسات قرآنية، ص٢٣، ط١، ١٤٠٣هـ. بدون ناشر.

(٦) محمد بن عبد الرحمن الراوي، كلمة الحق في القرآن الكريم موردها ودلالاتها، ج١، ص١٦-١٧، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٩.

(٧)سورة الأنبياء، آية ١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشهوات فيبقى قويا شامخا والله تعالى يحفظه نورا للحياة، وهدى يهدي به من شاء من العباد.

يقول سيد قطب: «فوظيفة الكتاب الأخير والرسالة الأخيرة هو الفصل فيما شجر من خلاف بين أصحاب الكتب السابقة وطوائفهم، إذ الأصل هو التوحيد، وكل ما طرأ على التوحيد من شبهات، وكل ما شابه من شرك من صورة من الصور ومن تشبيه وتمثيل كله باطل جاء القرآن الكريم ليجلوه وينقيه وليكون هدى ورحمة لمن استعدت قلوبهم للإيمان وتفتحت لتلقيه»[١]، ويقول في غيث الأرض: «والماء حياة كل حي والنص يجعله حياة للأرض كلها على وجه الشمول كل ما عليها ومن عليها»[٢].

وختمت الآية بمخاطبة من يسمعون سماع انتفاع، فيتدبرون ويعقلون لما يسمعون فيعون ويستجيبون، وتكون أثر تلك الاستجابة ظاهرة في نفوسهم وأفعالهم تنفيذا لأوامر المنعم وشكرا له على ما تفضل به وأكرم.

تمثيل الهدى بالغيث

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبه الهدى الذي جاء به، بالغيث الذي يقع على الأرض، وكما تنقسم الأرض في تقبله، فكذلك انقسم الناس في تقبل هدى الله الذي به تحيا القلوب، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب[٣] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا، وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[٤] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٥].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص٢١٨٠.

(٢) المصدر نفسه. ج٣، ص٢١٨٠.

(٣) أجادب: لا تنبت الكلأ ولكنها تمسك الماء فلا يسرع اليه النضوب.

(٤) قيعان: أرض مستوية ملساء لا نبات فيها، (والفقه) الفهم.

(٥) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج١،ص٣٠، رقم ٢٠، وسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي عليه الصلاة والسلام من الهدى والعلم، ج٤، ص١٧٨٧، رقم٢٢٨٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالمقصود أنه عليه الصلاة والسلام مثّل الهدى الذي جاء به إلى الناس بالغيث، ولما كانت الأرض ثلاثة أنواع في تقبل الغيث، فكذلك الناس كانوا مثلها، فمن الأرض من ينتفع بالغيث فيحيا بعد أن كان ميتا، ومنها ما لا تنتفع به لنفسها ولكنها تمسكه لغيرها، ومنها الأرض السباخ لا تنبت زرعا ولا تمسك ماء، وكذلك الناس في تقبل الهدى، فمن الناس من يقبل الهدى والعلم فيدخل قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره، ومنهم من يحفظه دون فهم ولا رسوخ علم، لكن يوصله إلى من يفيد منه ويستفيد ومنهم من لا قلب له ولا وعي فلا ينتفع في العلم ولا في العمل[١]، .

وإذا أراد العاقل اللبيب أن يعرف أهمية الغيث في حياة القلوب والأبدان والأرض فلا بد أن يتأمل حالة الناس قبل وقوعه ونزوله إليهم وبعده. فكيف كان حال الناس عندما اشتد الظلام وعم الضلال؟ وكيف كانت حالتهم عندما تأخر نزول الغيث وما وصلوا إليه من حالة القنوط؟ ففي الأولى يبحثون عن بزوغ فجر جديد يغيث قلوبهم وأرواحهم، وفي الثانية يبحثون عما يحيي أرضهم وأجسادهم.

«لقد مر على الناس حين من الدهر وهم يتخبطون في مهمة من الضلال، ويسيرون في غمرة من الأوهام، ومضطرب فسيح من فوضى العقائد والأخلاق وتنازع الأهواء»[٢]، وكيف لا يحدث لهم ذلك وقد «امتدت بهم القرون، وطال عليهم الأمد فأخذوا يخلطون الحق الذي توارثوه بكثير من الباطل الذي تسلل إليهم، شأن سائر الأمم والشعوب عندما يغشاها الجهل، ويبعد بها العهد، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون»[٣].

فأرسل الله إليهم رسولا صنعه على عينه، فجاءهم «فأطفأ هواجرالقلوب بعذب زلال بعثته، وشفى غليل صدورهم بغيث آيات الله معجزات رسالته، فبدد عنهم الظلمة، ورفع الغواية وأنار السبيل»[٤] فالقرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو امتداد للحنيفية السمحة التي بعث بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة السلام.

---

(١) انظر صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٨٧، الهامش.

(٢) محمد صفوك العلي، رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله، ص٩، مكتبة دار العليان، بريدة، السعودية.

(٣) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص٣٦-٣٧، دار الفكر، ط٥، ١٣٩٣هـ.

(٤) انظر، محمود شكري الألوسي، الماء وما ورد في شربه من الآداب، ص٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والماء هو المصدر الأول والوحيد للحياة، وقطب الرحى في حياة الإنسان، فكان لزاما على المُنْعَم عليهم المسارعة بشكر المنعم على كلا الغيثين.

فمن أعظم نعم الله على الإطلاق، بعد أن تفضل عليهم بنعمة الوجود، إنزال الكتاب المبين، يغيث قلوبهم، ويهدي أرواحهم، ويعلي منزلتهم، بل كان «الفيصل بين الحق والباطل، وهو الصراط المستقيم، الذي جعله الله مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فهو الدستور الدائم لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية أهل الأرض، وهو حجة الرسول عليه السلام وآيته الكبرى، وهو ملاذ الدين الأعلى يستند إليه في عقائده، وعباداته، معاملاته، وآدابه، وأخلاقه، وحكمه، وتشريعاته كلها، إنه منهج الله تعالى الذي لا تصلح الحياة إلا به، ولا تسعد البشرية إلا إذا اهتدت بهديه»[١]، قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[٢].

ومن الذي يستطيع أن يتحدث عن القرآن ويعطيه حقه، فهو معين لا ينضب وقرة عين لا تنقطع، فيه العقائد والأحكام، والقصص والأخبار، والمواعظ والأمثال،وكل علم له أصوله وتوجيهاته في القرآن، كيف لا ومنزله هو مدبر الكون وخالق الإنسان (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[٣].

يقول محمد الراوي: «ليس في وسع بشر أن يحيط بشأن القرآن وما احتواه من أسرار التنزيل إذ هو كتاب الدهر كله، وما الفرد في جيل إلا ذرة في فضاء، وما الجيل في زمن إلا لبنة في بناء، فكيف الإحاطة وعقول البشر جميعا تلتقي عليه فتجد نفسها مع الكون جميعه ومع الدهر كله»[٤].

والحديث عن القرآن وعظمته ليس من شأن هذا المبحث بل شأنه أن يبين أن القرآن هو غيث للقلوب والأرواح.

والماء نعمة عظيمة من نعم الله كاد الناس أن ينسوها لوجودها بكثرة، فضرورته كضرورة الهواء، إذ الهواء أولا لأنه لا يستغني عنه إنسان ولا حيوان

---

(١) شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والعلوم الإسلامية، ج١، ص٨١، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

(٢) سورة الإسراء، آية٩.

(٣)سورة الملك آية١٤.

(٤) محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ص٩٧، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١١هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لحظة، ولا يمكن الحياة دونه، لذا جعله الله مشاعا في كل مكان، وجعله واسعا عاما ممتدا في كل أقطار العالم ولولا الهواء لاختنق العالم، ولوأمسك الإنسان بفمه وأنفه حابسا دخوله ثوان معدودة لعلم قدر نعمة الله عليه.

فالمقصود أن الماء يلي الهواء من حيث الضرورة والانتشار، وتظهر أهميته عند فقده أو تأخر نزوله من السماء غيثا، عندها يتضرع المسلمون إلى الله تعالى بطلبه.

كيف لا وهو «أصل كل مشروب، وهو أهوناموجود وأعز مفقود، قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)[١]. الماء روح العالم وبالروح حياة كل قالب، ...فوق السماء ماء، وتحت الأرضين السبع ماء، فالعالم بين الماء والماء، فالتدبير تدبيره والتقدير تقديره، فلا السماء تبيد العالم بالماء من فوقه، ولا الأرض تميد بالماء تحتها، ينزل من السماء ماء بقدر، وينبع من الأرض ماء بقدر»[٢]

فالماء والحياة قرينان يذكر فترد في الخاطر معه، وهو منه خلق الله الإنسان والحيوان والنبات، قال تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء..)[٣] كما أنه العلة السببية في دوام حياة الأحياء واستمرارها[٤]. قال تعالى ممتنا بشربه (أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولا تشكرون)[٥].

فالناس يكونون في كرب «حين ينقطع عنهم موارد الماء، ويغير وجه الأرض، ويتهددهم القحط والموت، ففي هذه الحال يغشى الناس هم ثقيل، وينزل بهم كرب كارب، فإذا هم وقد أبلسوا وجمدوا في أماكنهم، فلا حس ولا حركة، وقد أسلموا أنفسهم لبأس قاتل، فإذا طلعت عليهم رحمة الله بعثوا بعثا جديدا»[٦]. تأمل

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٠.

(٢) محمد بن عبد الرحمن البخاري، محاسن الإسلام وشرائع الإسلام، ص١٠٦-١٠٧، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

(٣) سورة النور آية ٤٥.

(٤) انظر: محمود الألوسي، الماء وما ورد في شربه من الآداب، ص أ، مقدمة المحقق محمد بهيج الأثري.

(٥) سورة الواقعة، آية ٦٨-٧٠.

(٦) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآني، ج٤، ص٤٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها)[١].

يقول سيد قطب: «انظر إليها في النفوس المستبشرة بعد القنوط، وفي الأرض المستبشرة بعد الهمود، وفي الحياة التي تدب في التربة، وتدب في القلوب، إنها حقيقة واقعة منظورة»[٢]، فالغيث من رزق الله، وينزل بقدر الله فيما يريد الله، ومن آثاره الخصب والنماء والخير الكثير، فتبتهج النفوس وتتفتح القلوب، وتنفرج الأسارير ويفيض الرجاء.

ولأهمية الماء جعله عليه السلام أمرا مشاعا بين الناس فقال: «المسلمون شركاء في ثلاث،، الماء، والكلأ، والنار...»، وقال عليه السلام: «ثلاث لا يمنعن، الماء والكلأ، والنار»[٣].

كما جعل التصدق به من أعجب الصدقات فعن سعيد أن سعدا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أي الصدقة أعجب إليك: قال: الماء»[٤]، وسئل عن أفضل الصدقة فقال: الماء، فعن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل؟ قال: «الماء» قال: فحفر بئرا ، وقال: هذه لأم سعد»[٥].

ورتب في تيسيره للأحياء أجرا عظيما عندما سئل «وإن لنا في البهائم أجرا؟» قال: في كل كبد رطبة أجر»[٦].

وفي المقابل شدد الوعيد على من منعه ممن هو بحاجة إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ـ وذكر منهم ـ رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل...الحديث»[٧].

---

(١) سورة الروم، آية ٥٠.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٧٧٥.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاد في ثلاث، ج٢، ص٨٢٦، برقم٢٤٧٢-٢٤٧٣، وصححهما الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء، ج٢، ١٢٩-١٣٠، رقم ١٦٧٩، مكتبة الرياض الحديثة،وحسنه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود ج١ ص٣١٥.

(٥) المصدر نفسه، والكتاب، والباب، ج٢ ص١٣٠، رقم ١٦٨١، وحسنه الشيخ الألباني ج١ص٣١٥

(٦) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء ج٣ ص٧٧، رقم٢٢٣٤.

(٧) صحيح البخاري كتاب المساقاة،باب إثم من منع ابن السبيل من الماء، ج٣ ص٧٥ رقم٢٢٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل هذا وغيره جاء فيه لأنه شريان الحياة، هو «مادة الحياة، وسيد الشراب، وأحد أركان العالم بل ركنه الأصلي فإن السموات خلقت من بخاره والأرض من زبده، وقد جعل الله تعالى منه كل شيء حي»[(١)].

ولا يزال كتاب الله يذكّر به وبأهميته كثيرا «وقد بلغ عدد الآيات الكريمة التي اشتملت على لفظة (الماء) خمسا وستين آية، هذا فضلا عن الآيات التي ذكر الماء فيها ضمنيا أو إشارة عند الحديث عن الرياح أو البحار أو الأمطار أو الأنهار مثلا»[(٢)].

وماذا يساوي ملك عريض أو مال مديد عندما يفقد الإنسان شربة ماء، فانظر أيها اللبيب إلى هذه المحاورة: «دخل على الرشيد[(٣)] ابن السماك[(٤)] يوما فاستسقى الرشيد فأتي بقلة فيها ماء بارد، فقال لابن السماك: عظني، فقال: يا أمير المؤمنين، بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعتها؟ قال بنصف ملكي، فقال: اشرب هنيئا، فلما شرب، قال: أرأيت لو منعت خروجها من بدنك، بكم كنت تشتري ذلك؟ قال: بنصف ملكي الآخر، فقال: إن ملكا قيمة نصفه شربة ماء، وقيمة نصفه الآخر بوله، لخليق أن لا يتنافس فيه فبكى الرشيد»[(٥)].

هذا هو غيث الأرض وأهميته وذاك هو غيث القلوب وضرورته، فالحاجة إلى هذا كالحاجة إلى ذاك، ولكل موضعه ومكانته، وإن كان فقد الماء يؤدي إلى الموت والهلاك، فإنّ عدم الثاني يؤدي إلى العذاب والهلاك أيضا. إن غيث القلوب بعد الضلال وغيث الأرض بعد القنوط أدعى إلى شكر المنعم واستعمال هذه النعم في مرضات الله سبحانه وتعالى.

---

(١) محمود شكري الألوسي، الماء وما ورد في شربه من الاداب، ص٤،

(٢) محمد عبد الله الشرقاوي، القرآن والكون، ص٨٤، دار الجيل بيروت، ط٣، ١٤١١هـ.

(٣) هو هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر ولد عام١٤٩ بالري ونشأ في دار الخلافة ببغداد بويع بالخلافة بعد أخيه الهادي كان خامس خلفاء الدولة العباسية وأشهرهم ،ازدهرت الدولة في عهده ،كان عالما بالحديث والفقه والأدب وأخبارالعرب عرف بالحزم والكرم والتواضع كان يحج سنة ويغزو سنة أكرم العلماء والأدباء والكتاب ت١٩٣هـ انظرالزركلي، الأعلام ج٨ص٦٢.

(٤) ابن السماك هو عبد الله بن أحمد الهروي انظر معجم المولفين ج٢ ص٣٨.

(٥) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٢٢٤، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ، والحافظ أبي بكر بن أحمد البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٨، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني
نعمة اللبن

اللبن: سائل أبيض يكون في إناث الآدميين والحيوان[١]، وهو ما يستخلصه الجسد من بين الفرث والدم مما يجري في العروق وجمعه ألبان[٢].

وليس لكل إناث الحيوانات ألبان فيمكن تعريفه بما يجعله جامعا مانعا: «هو السائل الناتج من إفراز الغدد الثديية لإناث الحيوانات ذات الثدي وإناث الآدميين»[٣].

فهو سائل أبيض ناتج عن إفراز طبيعي للغدد الثديية أو ضرع إناث الحيوانات ذات الثدي، فتنتجه كل أنثى ذات الثدي، ويكون إفرازه بعد الولادة بفترة قصيرة وذلك ليتغذى عليه المولود، وهو أمثل غذاء طبيعي أعده الخالق سبحانه وتعالى.

وأهميته تكمن في أنه «أنفع المشروبات للبدن الإنساني لما اجتمع فيه من التغذية، والدموية، ولاعتياده حال الطفولية، وموافقته للفطرة الأصلية»[٤].

* اللبن في الكتاب والسنة

والله تعالى يمتن على عباده بإخراج اللبن لهم من بين تلك الأخلاط قال تعالى: (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين)[٥]، ففي الآية خطاب للناس بالتبصر إلى موضع العظة والعبرة التي تدل على قدرة الله ولطفه بعباده، إذ أوجد لهم الأنعام ذات الأزواج الثمانية وهيأ فيها ما فيه طعامهم وشرابهم وكساؤهم وامتن هنا بما يسقيهم منها «مما يخرج من بطونها من اللبن الخالص من الشوائب السائغ شربه في الحلق فلا يغص به أحد، اللذيذ طعمه، السهل هضمه، الذي يخلقه الله لبنا خالصا وسيطا بين الفرث: وهو الزمل الذي ينزع من الكرش، والدم المحيطين به بأن يتخلص الدم

---

(١) انظر إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص٨١٤، مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف، مصر ط٢، ١٣٩٣هـ.

(٢) انظر بن منظور، لسان العرب، مادة (لبن)، ج١٣، ص٤٧٢، دار صادر.

(٣) عمر البارودي، اللبن مستخرجاته ومستحضراته، ص٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

(٤) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٤، ص٣٨٦، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.

(٥) سورة النحل آية ٦٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بياضه وطعمه وحلاوته في باطن الحيوان من بين خلاصة المأكول في الكرش والأمعاء والدم في العروق فإذا هضم الغذاء في المعدة صرف من عصارته دم إلى العروق ولبن إلى الضرع ، وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج ، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير أو يتأثر به»[١].

قال تعالى: (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون)[٢]، كما امتن تعالى على أهل الجنة بعدم تغيير طعم لبنهم قال تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه)[٣].

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتي ليلة أسري به بقدح من خمر، وقدح من لبن، فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك»[٤].

وعنه ﷺ أنه قال:«..فأتيت بإنائين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقال هديت الفطرة. أو أصبت الفطرة. أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك»[٥].

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كان لأم سليم قدح من عيدان، فقالت: «سقيت رسول الله ﷺ كل الشراب، الماء ، العسل، اللبن، النبيذ»[٦].

وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه، وارزقنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا ليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزئ من

---

(١) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٤، ص١٦٩.

(٢) سورة المؤمنون آية ٢١.

(٣) سورة محمد آية ١٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس، ج٦، ص٢٤٠-٢٥٠.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السموات وفرض الصلوات،ج١ ص١٤٥، رقم ١٦٨.

(٦) سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب ذكر الأشربة المباحة، ج٨، ص٣٣٥، وأورده الألباني في صحيح سنن النسائي، وقال عنه: «صحيح» ج٣، ص١١٥٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطعام والشراب إلا اللبن»[١]

فالرسول عليه الصلاة والسلام أحب اللبن، واختار ه في إسرائه إذ هداه الله إليه لموافقة الفطرة ،وشربه كثيرا ، ولم يعدل عليه شيء من الطعام والشراب، بل عده غذاء كاملا، وكان دعاؤه بعد شربه بطلب الزيادة منه، مما يدل على أهميته «وإن كان بسيطا في الحس، إلا أنه مركب في أصل الخلقة تركيبا طبيعيا من جواهر ثلاث: الجبنية، والسمنية، والمائية، فالجبنية: باردة رطبة مغذية للبدن، والسمنية: معتدلة الحرارة والرطوبة ملائمة للبدن الإنساني الصحيح، كثيرة المنافع، والمائية: حارة رطبة، مطلقة للطبيعة، مرطبة للبدن، واللبن على الإطلاق أبرد وأرطب من المعتدل»[٢].

ومن نعم الله على الإنسان أن جعل اللبن غنيا بمركباته المتنوعة، ويمكن أن يستغنى به كغذاء أساسي لفترات طويلة إذ يحتوي «على المركبات النشوية والسكرية، والدهنية المولدة على النشاط والحركة والعمل، كما يحتوي على المركبات البروتينية، وهي مركبات النمو، وبناء الخلايا والأنسجة داخل الجسم الضرورية لتعويض ما تهدم في الجسم من خلايا ولبناء أنسجة جديدة»[٣].

*** مكونات اللبن:**

لا شك أن قيمة اللبن الغذائية تكمن في تعدد مكوناته، وتنوع الفيتامينات والمعدنيات والبروتينات التي يحتوي عليها ، فهو يتركب من «ماء، ودهن، وبروتين، وسكر، وأملاح معدنية، وفيتامينات»[٤].

ويمكن بيانها مختصرة، أما الماء فهو الذي يعطي اللبن المظهر السائل، وأما الدهن فيوجد في اللبن على صورة حبيبات دقيقة ميكروسكوبية، وهي التي تجعل مظهره معتما غير شفاف، ولقيمة الدهن الحرارية العالية، استخدم في التغذية

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة، باب ما يقول إذا شرب اللبن،ج٣، ص٣٣٩، وأخرجه ابن ماجة واللفظ له، في كتاب الأطعمة باب اللبن، ج٢، ص١١٠٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ج٢، ص٢٣٣.

(٢) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ٢٩٩، دار الكتب العلمية، وانظر زاد المعاد، ج٤، ص٣٨٤.

(٣) عز الدين فراج، اللبن الحليب، وصناعة الجبن والزبدة والقشدة والزبادي...، ص٣، مكتبة النهضة المصرية.

(٤) انظر المرجع السابق ،ص٢١، وانظر حياة الطيب النجار، التغذية وعلم الأطعمة التجريبي، ص١٩٠-١٩٧، بدون دار نشر، ١٩٧٢م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كمصدر للمجهود والحرارة، إضافة إلى احتوائه على فيتامين (أ) و (د) وعلى مجموعة من الأحماض الدهنية بنسبة موافقة لحاجة الجسم.

أما البروتينات فضرورية للنمو، فهي تبني أنسجة الجسم المختلفة ، وتعوض المفقود منها، وتمتاز بروتينات الحليب بكمال تكوينها، وأهمها (الكازين) ولا يوجد في أي مصدر آخر غير اللبن، وتفوق في قيمتها الغذائية ما عداها من بروتينات الأغذية الأخرى بسبب تركيبها الداخلي المخصوص.

وسكر اللبن يعرف ب (اللاكتوز) ولا يوجد مصدر آخر يمكن أن يتحصل منه سوى اللبن الحليب، ولذلك يعطي اللبن طعم حلو خفيف، أقل بكثير من درجة حلاوته من سكر القصب، وهو ثنائي التسكر، يتكون جزؤه من سكر الجلوكوز، وجزؤه الآخر من سكر الجلاكتوز، ومن فوائده يندر إصابة الأطفال الذي يتغذون على اللبن الإنساني بمرض الكساح.

أما الأملاح المعدنية، فتفيد في تركيب الأنسجة ، وفي تكوين الدم والعظام والأسنان، لكن بعض الأملاح يوجد بكميات كبيرة، مثل الكالسيوم، والفوسفور، والبوتاسيوم، والصوديوم، والمغنسيوم، والكلورد، والكبريت، والبعض الآخر يوجد بكميات أقل، مثل: الحديد، والنحاس، واليود، والمنجنيز، والزنك، ،وهو مفيد مع قلته.

ولما كان اللبن الغذاء الطبيعي للصغير والذي لا يمكنه أن يعيش بدونه، خاصة في بداية حياته، فقد هيأه الله تعالى وأكمل تركيبه بحيث يصبح غذاء كاملا كافيا لكل احتياجات جسمه الضرورية للتغذية، فتتوفر فيه مالا تتوفر في أي غذاء آخر طبيعي، وهذا يؤكد قوله عليه السلام في وصف اللبن: «...فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن»[1]. لأنه يحتوي على الفيتامنات الضرورية (أ، ب١، ب٢، ج، د، هـ)[2].

واللبن بعد حلبه يصبح أنواعا عدة، منه اللبن المتجانس، ومنه المتخمر، والمركز، والمجفف، سواء كان كامل الدسم أو خالي الدسم.

وللألبان قيمة غذائية هامة ولها عدة مشتقات يمتاز كل منها بخصائص معينة

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وابن السني، وأبو نعيم، وأحمد، والبيهقي في الشعب، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع، ج١، ص٦٤،سبق تخريجه في ص١٩٥.

(٢) انظر حياة الطيب النجار التغذية وعلم الأطعمة التجيربي ص١٩١ وما بعدها وانظر عز الدين فراج اللبن الحليب وصناعة الجبن والزبدة والقشدة والزبادي ص ٣ فما بعدها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي كالآتي: القشدة، والزبد، والجبن، والزبادي، والسمن.

فالجبن مثلا له قيمة غذائية عالية مثل قيمة اللبن الغذائية، وهو مصدر جيد للبروتين الحيواني في التغذية، وكذا لبقية مشتقات اللبن أهمية كبيرة في تغذية الجسم وتنميته. والألبان محببة إلى النفوس ، لأن طعمها لذيذ، وهضمها سهل، ورائحتها مقبولة، ولونها جذاب، إضافة إلى غناها بكل ما يحتاجه الجسم من المركبات، فليس هناك غذاء واحد يمكن أن يقوم بكل احتياجات الجسم من المواد غير اللبن، لأنه تعالى بوأه هذه المكانة الفريدة في عالم المطعومات والمشروبات، ولفت الأنظار إليه بقوله:(...لبنا خاصا سائغا للشاربين)[١]، أي «سهلا في شرب لا يشجى به شاربه ولا يغص، وقال بعضهم: سائغا أي لا تعافه النفس، وإن كان قد خرج من بين فرث ودم»[٢]، و(الشاربين) لفظة عامة تعم جميعهم.

إن من يتدبر الآيتين الواردتين في بيان نعمة اللبن في كل من سورة النحل، وسورة المؤمنون: (...نسقيكم مما في بطونه)[٣]، (...نسقيكم مما في بطونها)[٤]، يتضح له أن سورة النحل نظمت أياتها للامتنان على الخلق، إذ «لم يكن في آية المؤمنون التنبيه إلى الحيوان ذي اللبن الخالص السائغ ، بل تحدثت عن الأنعام في جملتها، وعما يجنيه الناس منها من ثمرات ليس اللبن إلا بعضا منها وليس في الآية ما في آية سورة النحل من إلفات خاص إلى اللبن الصافي السائغ الذي يخرج بقدرة الله وتدبيره من بين الفرث والدم»[٥].

ففي سورة النحل لفت الأبصار والبصائر إلى هذه الظاهرة العجيبة، وفيها الامتنان على العباد بتخليصه من هذه المتناقضات، وإخراجه من بين هذه الأخلاط دون تغير لونه أو طعمه أو ريحه، فيذهب الفرث إلى المعى ثم إلى خارج الجسم ، ويذهب اللبن إلى مجراه(الضرع)، ويسير الدم في مساره (العرق) دون الاختلاط أو الامتزاج[٦]، فسبحان من دبر هذا وقدر (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير

---

(١) سورة النحل، أية ٦٦.

(٢) أبو الفرج بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٤، ص٤٦٣، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٣٨٤هـ.

(٣) سورة النحل، أية ٦٦.

(٤) سورة المؤمنون، أية٢١.

(٥) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣، ص٣٢٠.

(٦) انظر المرجع السابق، ج٣، ص٣٢٠, ٣٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بما تفعلون)[١].

وبهذا يتبين أن للبن فوائد عظيمة لا تعد ولا تحصى ، ومن أجلها جعله الله نعمة جليلة فذكر به، في آيتين لأهل الدنيا ، وفي آية لأهل الجنة[٢].

فهو يصلح كمادة غذائية أساسية للصغار والكبار، فكل الناس يتذوقونه وينسجمون معه.

«وهكذا يتجلى لنا بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى قيمة اللبن الغذائية في زمن لم يكن يدرك الناس، وقتئذ تركيب اللبن، وما يحتوي عليه من عناصر ومركبات الغذاء الحيوي الهام التي لا تجتمع في شراب غيره»[٣].

---

(١) سورة النمل، آية ٨٨.

(٢) الآيتان هما في سورة النحل آية٦٦، وسورة المؤمنون آية٢١، أما آية أهل الجنة فهي قوله تعالى :(....وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) سورة محمد آية ١٥

(٣) علي أحمد علي الشحات، أوجه من الإعجاز العلمي، اللبن، ص٩، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

نعمة العسل

العسل: كلمة عسل لها معنيان في الأصل، أحدهما: الاضطراب، والثاني: طعام حلو، وهو العسل[١].

والعسل في الدنيا هو لعاب النحل، والعرب تُذكِّره وتؤنثه، والتذكير والتأنيث لغتان معروفتان، والتأنيث أكثر. وعسل النحل: هو المنفرد بالإسم دون ما سواه من الحلو المسمى به على التشبيه[٢].

النحل: ذباب العسل، واحدته نحلة، وسمى نحلا لأن الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها[٣].

والعسل : مادة لزجة ذو مذاق وطعم حلو، ورائحة عطرية غني جدا بمكوناته الغذائية، من طاقة، وبروتينات وأملاح، وفيتامينات، وإنزيمات ملونة ومواد حيوية مضادة إلى غير ذلك[٤].

وبهذا نعلم أن العسل مادة غذائية، دوائية، شفائية غنية بالطاقة ذات الفوائد المتنوعة الطبية والاقتصادية.

إن نعمة العسل تتخللها نعم أخرى كثيرة، منها نعمة النحل نفسه ونعمة إلهامه، وأهمية ما يفرزه من عسل، وغيره.

ومن النحل يستفيد الإنسان عبرا وفوائد جليلة، فعلى رغم صغر حجم النحل هيأها الله لتقوم بأعمال يعجز عنها عقلاء البشر فهي من الكائنات الحية التي لا تعيش إلا في ظل نظام جماعي، والقيام على تقسيم الأعمال على الأفراد، إضافة إلى بناء الخلايا المسدسة، وإفراز العسل المصفى، وسيرد كثير من عجائبها في هذا المبحث، فهي حقا لها غرائب «أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تخفى، والغرض أن امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة، الدالة على الذكاء

---

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٣١٣، بتصرف.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الغين، ج١٣، ص٤٤٤.

(٣) انظر:ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل النون، وانظر: حسان شمس باشا، معجزة الإشفاء بالعسل، ٣١.

(٤) انظر سلامة داود شقير الحديث في تربية النحل وأهمية العسل في التغذية والعلاج، ص٢٨، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والكياسة حالة شبيهة بالوحي، بمعنى الإلهام»[١].

أما أهمية العسل في حياة الناس فلا تخفى فهو: «غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية ، ومفرح مع المفرحات، فما خلق لنا شيء في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريبا منه، ولم يكن معوّل القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة، ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد حدث قريبا»[٢].

* **العسل في الكتاب والسنة:**

جاء كتاب الله تعالى مبينا أهمية العسل وفوائده بيانا شافيا، قال تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)[٣]. وفيما وعد الله للمتقين في الجنة أنهارا أربعة، ومنها (...وأنهار من عسل مصفى...)[٤].

وقد وردت في السنة النبوية عدة أحاديث تذكر فوائد العسل وأهميته في العلاج، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان يعجبه الحلواء والعسل»[٥]، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي»[٦].

كما كان - عليه الصلاة والسلام - العلاج بالعسل من هديه، فقد وصفه للصحابي الذي جاء يشكو استطلاق بطن أخيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أخي استطلق

---

(١) الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج١٤، ص٨٨، هامش تفسير الطبري، دار الحديث القاهرة، ١٤٠٧هـ.

(٢) ابن قم الجوزية، زاد المعاد، ج٤، ص٣٤.

(٣) سورة النحل، ٦٨-٦٩.

(٤) سورة محمد، آية ١٥.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب الطب، - وغيره - باب الدواء بالعسل، ج٥، ص٢١٥٢، رقم٥٣٥٨. وأخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، ج٢، ص١١٠١، رقم١٤٧٤.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاثة، ج٥، ص٢١٥١، برقم ٥٣٥٦-٥٣٥٧. ومسلم، كتاب السلام باب لكل داء دواء، ج٤، ١٧٣٠، برقم٢٢٠٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بطنه فقال: «اسقه عسلا» فذهب فسقاه عسلا، ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلا، فما زاده إلا استطلاقا، قال: «اذهب واسقه عسلا» فذهب فسقاه عسلا، ثم جاء فقال: يا رسول الله، ما زاده إلا استطلاقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلا» فذهب فسقاه عسلا فبرئ.[١]

«قال بعض العلماء بالطب: كان هذا الرجل عنده فضلات، فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت، فأسرعت في الاندفاع، فزاده إسهالا، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره، وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه، واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام»[٢].

فالعسل آية من آيات الله لمن تدبر تكوينه ومكوناته وخصائصه فهو يدخل كل بيت إما كغذاء أو كدواء أو كحلوى أو لكل ذلك، فهو للمرضى، شفاء وللأصحاء غذاء، وينفع الجسم أكثر مما ينفع غيره من الفواكه.

فهو «كالصيدلية الكاملة لما يضم من مواد سكرية، ومواد بروتينية، وأحماض عضوية ومواد معدنية وكلها مما يحتاج إليه الجسم سواء في الصحة أو في المرض، وسواء في الشباب أو الشيخوخة: كل هذا من أجلك أيها الإنسان وواجبك تجاه هذه النعمة الكبرى أن تتوجه بالشكر إلى الله»[٣].

ويمكن إجمال فوائد النحل فيما يأتي:

١- التعليم والاقتداء.

٢- العسل: مكوناته، خواصه، فيتاميناته، شفاؤه.

٣- الغذاء الملكي.

٤- الشمع.

٥- التلقيح.

٦- الصمغ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، وباب قول الله (فيه شفاء للناس) برقم ٥٣٦٠، ج٥، ص٢١٥٢، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التداوي بالعسل، برقم ٢٢١٧، ج٤، ١٧٣٦-١٧٣٧.

(٢) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٥٩٧، ط١، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣) عبد المنعم قنديل، التداوي بعسل النحل، ص٤٤، دار الجيل بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧- سم النحل.

٨- التوافق والتجاذب.

التعليم والإقتداء

امتن الله على عباده بأن أوحى إلى النحل وحيا فيه إلهام وهداية وتعليم ودروس عظام، لكل من يتفكر في شأنها فيأخذ من ذلك «درسا بليغا في الجد والجلد، والإخلاص والتضحية والترتيب والدقة... ووفرة ما تجود به على صاحبها من الذهب السائل»[(١)].

ومما يمكن ملاحظته في مملكة النحل ما يأتي:

أ/ أن النحل من الكائنات الحية التي لا تعيش إلا في نظام جماعي.

ب/ من طبعها توزيع الأعمال والمهام على أفرادها

ج/ تستخرج من لعابها الشمع والعسل، أحدهما ضياء، والآخر شفاء وغذاء.

د/ تحذر من النجاسات والأقذار.

هـ/ تتميز بطاعتها لأميرها أمرا ونهيا، ويتميز الأمير بالعدل بينها.

و/ بنا البيوت على أشكال هندسية سداسية متساوية الأضلاع.

ز/ من طبعه النظافة وعدم التبرز في الخلية.

ح/ يأكل من العسل قدر شبعه فقط، وإذا قل العسل في الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا من نفاده.

ط/ يطرد البطال في عمله ويبعده عن الخلية، لأنه يضيق المكان أولا ، ويفني العسل ثانيا، ويعلم النشيط الكسل ثالثا، فلا يوجد بينها عاطل عن العمل.

ي/ تحفظ العسل بالشمع وتحافظ عليه.

ك/ من حصيلة العمل بين الذكور والإناث والجنود والعمال والملكة ورعاتها يتكون شراب العسل.

ل/ لا يوجد لها أميران في آن واحد بل يتقاتلان فيبقى واحد حتى لا يحدث افتراق أولكل تبع.

م/ لا يوجد حق الفيتو ولا التصويت، بل الكل يرضى بالقرار الذي يتوصل

---

(١) محمد خليل الباشا، الموسوعة في علم النحل، ص٦، باختصار، الدار العربية للموسوعات بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إليه مجموعة منها.

فهذه بعض فوائد النحل نفسه وكونه يعمل دون كلل أو ملل ففيه مثال يحتذى إضافة إلى إنتاجه من العسل والشمع وغير ذلك.

أما خصائصه فتكمن في لونه، ولزوجته، وصفائه، ورائحته، ومكوناته، وفي نجاحه في كثير من أنواع الأدواء التي عالجها «ويدخل في تركيبه أكثر من سبعين مادة مختلفة ، وذات أهمية حيوية كبرى، للعضوية، ويعتبر منبع المواد السكرية الأكثر أهمية...وهو سيد المحليات...ومنتج غذائي غني بالطاقة»[١]، ومن خواصه أنه يحتوي على أكثر من «٢٩» تسعة وعشرين معدنا.

أما أهم الفيتامينات الموجودة في العسل فهي (ب٢، ب٣، ب٤، ب٥، ب٦، سي، ج، ه، ب سي، ك)[٢].

وعلى العموم فالعسل «فيه منافع عظيمة: فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء، وغيرها، محلل للرطوبات، أكلا وطلاء؛ نافع للمشايخ وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه باردا رطبا، وهو مغذ، ملين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين، ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منق للكبد والصدر، مدر للبول، موافق للسعال الكائن من البلغم، - إلى أن قال رحمه الله - وإن لطخ به البدن المقمل والشعر قتل قمله وصئبانه، وطول الشعر وحسنه ونعّمه، وإن اكتحل به جلاّ ظلمة البصر، وإن استن به بيض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويدر الطمث، ولعقه على الريق يذهب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها»[٣].

وهذا الوصف والتقرير يدل على أن فوائد العسل كانت معلومة للناس من قديم الزمان، لأنه «يشفي كثيرا من الأمراض مع اختلاف أسبابها، ويزيد من نشاط الجسم، ويصقل الأسنان ويحفظ صحتها وضمة اللثة، ويذهب السموم، ويصرف بقايا الأدوية الكريهة من الجسم ويطهره منها، ويفيد في تحنيط جثث

---

(١) محمد نزار الدقر، العسل فيه شفاء للناس، ص٤٦، ط٣، دار المعاجم، دمشق، ١٩٩٢م.

(٢) انظر سلامة سقير، الحديث في تربية النحل، ص٢٧-٢٨، وانظر محمد محمود عبد الله، عسل النحل عذاء وشفاء، ص٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص٢٥-٢٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموتى ويقتل القمل والطفيليات»[١].

الغذاء الملكي: هو سائل أبيض اللون يشبه القشدة تفرزه الشغالات، وله خواص فريدة في عالم الطب والتغذية، فليس هناك «بين النحالين من لا يعرف هذا الغذاء العجيب الذي تصنعه النحلة في النخروب الملكي تتغذى به اليرقة الملكية فتنمو وتكبر حتى تزيد في يومها السادس ما يوازي وزنها يوم خروجها من البيضة عدة آلاف من المرات»[٢].

وهذا الغذاء غني بالفيتامينات والهرمونات التي تجدد أنسجة الخلايا ولذلك أظهر سرعة نمو اليرقة، وكبر حجمها على مثيلاتها، وثقل وزنها، وخصوبتها، إذ تبيض كل يوم قرابة ألفين بيضة، إضافة إلى طول عمرها فهي تعيش ٦ سنوات، بينما العاملة تعيش سبعة أسابيع، ومن فوائده أنّه لا يحتاج إلى هضم فلا يتعب المعدة، ويقتل الميكروبات، ويفتح الشهية، وينشط حركة الأمعاء، وله استخدامات واسعة في الطب النفسي، والأمراض العصيبة[٣].

الشمع يصنعه النحل من العسل عن طريق غدد عنده معبر فتحتان توجدان جانب أسفل جسم النحلة وتعرضه للهواء فيتجمد ثم تمضغه فيلين ويقبل التشكيل، فتغطي به الخلايا المسدسة، وهو «أغلى وأقيم أنواع الشموع، وكانت له أهمية كبيرة جدا في العصور السالفة، ولكن قلت هذه الأهمية في العصر الحديث، بعد اكتشاف المواد الشمعية الأخرى والمواد الشبيهة بالشمع والتي حلت محله في كثير من الصناعات»[٤].

وكان يستعمل في إضاءة المساكن والمعابد وتحنيط الموتى، ولا زال يستخدم في صناعة المواد الطبية وأدوات التجميل.

---

(١) عبد الكريم نجيب الخطيب، عسل النحل شفاء نزل به الوحي، ص٥١-٥٢، بتصرف واختصار، الدار السعودية للنشر جدة ط

(٢) محمد خليل الباشا، الموسوعة في عالم النحل، ص٢٢٢،

(٣) انظر: محمد كمال عبد العزيز ، عليكم بالشفائين، العسل والقرآن، ص١٤٠-١٤٢، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٤) مجلة الهداية، عدد١٤١، ذو القعدة سنة١٤٠٩هـ ص٨٠، مقال بعنوان عسل النحل في القرآن والطب عرض وتحليل د.كارم السيد غنيم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* **التلقيح** يكون للأزهار من قبل النحل، فهي من أهم الوسائل لإتمام عملية التلقيح وأصحاب مزارع الفاكهة أصبحوا يرون وجوب توفر النحل في مزارعهم، بل منهم من يستأجرها وقت المواسم ثم يعيدها مع دفع الأجرة شاكرا كما حصل في أمريكا، فالنحلة تقدم هدية التلقيح للأزهار مع أخذها رحيقه وكانت التجربة[١] على فرعين من شجر الكمثرى أحدهما غطي بشبكة أسلاك فامتنع وصول النحل إليه، والآخر ترك مكشوفا له، فكانت النتيجة أن المكشوف أنتج ثلاثا وثلاثين ثمرة، والمغطى لم ينتج ولا ثمرة واحدة، أرأيت دور النحل ، مع العلم أن الفائدة كلها تعود إلى الإنسان لأنه يجني خير النحل والزهر، فالنحل إذا يقوم بجانب كبير من تلقيح الأزهار كما للرياح دور آخر في ذلك قال تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح...)[٢].

الصمغ مادة يجعلها النحل من قلف الأشجار وبراعم النباتات، ويستعملها في تضييق مداخل الخلايا في الشتاء، وتلصيق الخشب، وتحنيط الآفات الحيوانية، التي تأتيه وذلك بعد قتلها باللسع، ومن فوائدها للإنسان أنها تدخل في استعمالات طبية هامة لا تقل عن واحد وأربعين استعمالا، مثل حفظ الضغط ، وتوسيع العروق، وإدرار البول، ولها تأثيرات على الغدد الصماء وغير ذلك.[٣]

سم النحل عبارة عن سائل شفاف له رائحة عطرية وطعم مر ويوجد في الإبرة اللاسعة، تخرجه أثناء اللدغ دفاعا عن نفسها وعن غذائها، وقد تبين أن له خواصا علاجية، فاستخدم في علاج التهاب الأعصاب، وأمراض المفاصل، وأمراض الجلد، والملاريا، وأمراض العيون، وهناك أبحاث نشرت تبين فوائده.

التوافق والتجاذب هذا يتم بين جماعة النحل وبين الأزهار فتحس بوجود التآخي بينهما، بل إن معالم الحياة كلها متماسكة ومترابطة، فالنبات، والحيوان،

---

(١) انظر محمد حسين الحمصي، النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع، ص١٥٩-١٦١، ط٥، دار الرشيد، دمشق، ١٣٩٧هـ.

(٢) سورة الحجر، آية ٢٢.

(٣) انظر مجلة الهداية، عدد١٤١،ذو القعدة سنة١٤٠٩هـ ص٨١، نحل العسل في القرآن والطب، عرض كارم غنيم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والإنسان، خيوط ثلاثة تؤلف بين الحياة، فالنحلة تمتص الرحيق، والزهرة تحصل على التلقيح، والأزهار أنواع وألوان، حسب طبيعة الأرض وألوان التربة، وأنواع الأشجار، وهذا بدوره يؤثر في إنتاج النحل، فالعسل يخرج مختلف ألوانه تبعا لذلك.[١]

وهكذا يظهر التوافق والتجاذب بين النحل والزهر بل وكل ما في الكون يسير في تناسق تام لأن الله تعالى جعل التآلف والاندماج والتعاون بين مخلوقاته كلها.

المشابهة بين المؤمن والنحلة

إن المتتبع لتكوين النحل وسلوكياته وأعماله تظهر له جليا تلك المشابهة، سواء في الفطنة، أو المنفعة، أو القناعة، والسعي في طلب الرزق، والبعد عن النجاسات، وطيب المأكل وغير ذلك.

فالمؤمن ينفع من صَاحبَه أو سَارَرَه أو جالسه، وكذلك في النحل منافع عظيمة[٢]، قال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن مثل النحل، لا تأكل إلا طيبا، ولا تضع إلا طيبا»[٣].

كما أخبر عليه السلام أن النحلة لا تضع إلا طيبا ولا تأكل إلا طيبا ولا تؤذي مانزلت عليه، فعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيبا، وإن وضعت وضعت طيبا، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره..»[٤].

---

(١) انظر حسان شمسي باشا، معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي، حقائق وبراهين، ص١٨١-١٨٣، ط٢، مكتبة السوادي، جدة.

(٢) جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج٣، ص٣٩٣، ط دار الفكر العربي، تحقيق محمد علي البخاري.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ج١، ص٢٠٨-٢٠٩، برقم٢٤٧، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، ط١، مؤسسة الرسالة، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي رزين، ج١٩، ص٢٠٤، تحقيق حمد السلفي، ط٢، وأخرجه الحاكم، وصححه الألباني بتعدد طرقه، انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم٥٧٢٣، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم٣٥٥، ج١، ص٧٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٢، ص١٩٩، وأخرجه الرامهرمذي في الأمثال، ج٥٠، ص١-٢، والأصفهاني في الترغيب، ج١١، ص٢، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير، انظر رقم٥٧٢٣، وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، انظر ج٥، ص٣٦٠، برقم٢٢٨٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال ابن الأثير: «وجه المشابهة بينهما: حذق النحل في فطنته، وقلة أذاه، وحقارته، ومنفعته، وقناعته، وسعيه في الليل ، وتنزهه عن الأقذار، وطيب أكله، لأنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوله، وطاعته لأميره، وإنّ للنّحل آفات تقطعه عن عمله، منها الظلمة والغيم، والريح، والدخان، والماء، والنار، وكذلك المؤمن له آفات تفتره عن عمله ظلمة الغفلة ،وغيم الشك، وريح الفتنة، ودخان الحرام، وماء السعية، ونار الهوى»[1].

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص٢٩-٣٠، المكتبة العلمية بيروت، تحقيق محمود الفتاحي، وطاهر الزاوي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع

السكر وذكره مع الرزق الحسن

السكر: السين والكاف والراء أصل واحد، يدل على الحيرة. من ذلك السُكر من الشراب، يقال سَكِر سُكرا ورجل سكير، أي كثير السكر[١].

والسكران خلاف الصاحي، والسكر نقيض الصحو، سكر ، يسكر، سُكرا، وسَكْرا، وسَكَرا، فهو سَكِر[٢].

وفي المعجم الوسيط: السكر: غيبوبة العقل واختلاطه من الشراب المسكر وقد يعتري الإنسان من الغضب أو العشق أو القوة أو الظفر. والسكر: نقيع التمر الذي لم تمسه النار[٣].

فمن معاني السكر في اللغة: الحيرة، والاضطراب، والاختلاط، والخمر، والخل، والامتلاء، والنبيذ، والطعام، والتغطية والسد، والحبس والمنع، والغياب، واستعمل غالبا في الدلالة على تغيب العقل.

وفي الاصطلاح:

السكر: غيبة العقل من تناول خمر أو ما يشبه ذلك[٤].

وعرفه الجرجاني: هو الذي من ماء التمر أي الرطب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد[٥].

ويمكن أن يعرف بأنه:«تناول كل ما يفقد التمييز من الأشياء كليا أو جزئيا»

وهنا تتضح العلاقة للمتأمل بين المعنى اللغوي والشرعي، فعبارات اللغويين تدل على تغيب العقل وحبسه ومنعه سواء كان كليا أوجزئيا، والسكر يفقد صاحبه التمييز «لأن الشأن في السكر، أنه يغطي على العقل ويحبسه عن التفكير، ويسدد أمامه باب التأمل والنظر، ويصيره متحيرا لا يدري ما يأتي ويدع»[٦].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٨٩، مادة سكر.

(٢)ن منظور، بسان العرب، باب الراء فصل السين، ج٤، ص٣٧٢.

(٣) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة سكر، ج١، ص٤٣٩.

(٤) فكري أحمد ركاز، الخمر في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، ص٤٤، المختار الإسلامي للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

(٥) الجرجاني، التعريفات، ص١٢٠.

(٦) أحمد علي طه ريان، المسكرات آثارها وعلاجها في الشريعة الإسلامية ص١٣، دار الاعتصام، بدون تاريخ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرزق الحسن: الرزق ما ينتفع به، والرزق، العطاء، ورزقه: أوصله إليه وأعطاه.

الحسن: ضد القبيح، وهو نعت لما حسن[١]. والرزق الحسن: العطاء الطيب وكل ما ينتفع به من الحلال.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: السكر ما حرم، من ثمرتها، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتها.[٣]

قال تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون)[٤].

فالله يمتن على العباد بهذه الثمرات النامية والمنبثقة عن الحياة التي بثها الله بواسطة الماء النازل من السماء، فقد بين تعالى في صدر السورة أن من آثار الماء (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات)[٥] فذكرت هناك استدلال بها، وذكرها هنا امتنانا.

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: (سكرا) على عدة أقوال: منهم من قال: هو مايسكر مصدر سمي به الخمر، ومنهم من قال: إنه العصير الحلو، ومنهم من قال: إنه ما يسد الجوع مأخوذ من سكرت النهر إذا سددته، ومنهم من قال: إنه الطعم الذي يعرف من ذلك كله، ومنهم من قال: إنه النبيذ[٦]، فإن قيل: وهل يمتن الله على عباده بالسكر؟

قد اختلف العلماء إزاء هذه الآية إلى عدة أقوال، يمكن عرضها ومناقشة كل رأي، والخروج بما تطمئن إليه النفس، وبما يترجح أنه أقرب إلى الحق. كما يأتي:

١- من العلماء من يرى أن الله امتن عليهم بالرزق الحسن، ولم يمتن عليهم بالسكر لأنه فَصَله عن الرزق، فكيف يمتن به ثم يحرمه.

---

(١) بن منظور، لسان العرب، باب القاف فصل الراء، ج١٠، ص١١٥، باب النون، فصل الحاء، ج١٣، ص١١٤.

(٣) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص ١٣٤

(٤) سورة النحل، آية ٦٧.

(٥) سورة النحل آية ١١.

(٦) انظر: ابن العربي المالكي، أحكام القرآن، ج٣، ص١٣٤-١٣٥، تحقيق محمد عطار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.، وانظر: عبد الرحمن الدرويش، فقه وتفسير آيات الخمر ص٧٠-٧٢، ط١، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ١٤١٣هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢- ومنهم من قال: جمعت الآية بين الامتنان والعتاب.

٣- ومنهم من قال: امتن عليهم بالسكر والرزق الحسن لأنه كان مباحا قبل التحريم.

أصحاب القول الأول يرون أن الآية جاءت إخبارا بما كان عليه الناس حين نزول القرآن، وأن الله امتن بخلق الأشياء ومنها ثمرات النخيل والأعناب فاتخذ الناس منها الرزق ، واتخذوا منها أيضا السكر، فمدح الرزق ولمّح بالسكر إشارة إلى فساده وتقبيحه، «..وأنت تعلم أن الاستدلال بالامتنان بالآية لا ينهض، فإنه إن كانت الآية قبل تحريم الخمر تدل على أنها غير مرغوب فيها، إذ جعل الله السكر غير الرزق الحسن وذلك كاف في تقبيحها»[(١)].

أو يكون المعنى «أنعم الله عليكم بثمرات النخيل والأعناب تتخذون منها ما حرم الله عليكم، اعتداء منكم، وما أحل الله لكم اتفاقا أو قصدا إلى منفعة أنفسكم»[(٢)].

والصحيح أن نزول الآية كان قبل تحريم الخمر، فهي مكية بالاتفاق، والخمر حرمت في المدينة، فقد يكون امتن عليهم به لأنه من أشربتهم، ولهم فيه منافع حسب شهوتهم، ولكن صرح لهم بالفصل بين ماتستحسنه الشريعة عما تستحسنه العقول والشهوة.

أما من قال إن الآية جمعت بين الامتنان بالرزق الحسن، والعتاب في اتخاذ السكر من تلك الثمرات، فيرون أن هناك استفهام وتبكيت لهم بفعلهم ذلك «..على أن الآية قد جُمع فيها بين اتخاذ السكر، والرزق الحسن، من ثمرات النخيل والأعناب، فيجوز أن يكون ذلك جمعا بين العتاب في اتخاذ السكر، والامتنان بالرزق الحسن ويكون المعنى: أتتخذون منه سكرا ورزقا حسنا؟

وإن كان بعد التحريم ففي مقابلة السكر بالرزق الحسن، ما يرده إلى المحرم ويكون ذلك تقريعا شديدا لمن يقدم عليه»[(٣)].

ويمكن أن يقال في مثل هذا أن الله امتن على العباد بما خلق لهم وعدد ذلك ضمن نعم سبقته كالماء واللبن،ونعم لحقته كالعسل، فيكون جاء الامتنان بخلق الأشياء لمنافع الإنسان.

---

(١) محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، ج٣، ص٥٢، مطبعة محمد علي صبيح.

(٢) ابن العربي المالك، أحكام القرآن، ج٣، ص١٣٤.

(٣) انظر أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٥، ص٥١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتأمل قول الله تعالى في التدرج في تحريم الخمر (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)[١]، هذا منطوقه، وأما المفهوم فهو لا حرج عليكم إن سكرتم في غير وقت الصلاة!!

وقيل إنّ الله امتن عليهم بالسكر وبالرزق الحسن معا؛ لأنه كان مباحا وقت نزول هذه الآية لما يلي:

أ/ خاطبهم وهم يومئذ مشركون، والسكر من أشربتهم، وفيه منفعتهم فامتن عليهم بما هو نافع لهم.

ب/ إن الله تعالى خلق لهم الأشياء جميعا وامتن بها وهو من ضمنها.

ج/ أن الله امتن عليهم بما فيه لذتهم المرغوبة لديهم والمتفشية فيهم ، فيكون الامتنان بما كان مباحا وقت نزول الآية[٢].

ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

١- أن السكر ذكر للامتنان باعتبار ما كان، ولأنه توسط نعمتي الماء واللبن وذكر بعده العسل الذي فيه شفاء للناس.

٢- إن ثمرات النخيل والأعناب عطفت على الأنعام في قوله تعالى: (وإن لكم في الأنعام لعبرة)[٣] التي يخرج منها اللبن وهو منة، والله بلطفه يسقيه الناس فيكون عطف منة على منة.

٤- كما يستأنس لذلك بما جاء في ختام الآية (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون)[٤]، وإن كل المنن التي جاءت في الآيتين عدّها كلها علامة دالة لمن يعقل عن الله نعمه باستعمال العقول بالنظر والتأمل فيها، فنعم الأشربة ختمت كل بما يناسبها، (لقوم يسمعون، لقوم يعقلون، لقوم يتفكرون)[٥].

٥- ومن قال إن الامتنان جاء في البداية بالسكر لمنافعه لهم ولو حسب شهوتهم وشربهم إياه، وميولهم إليه، واستحسانهم له، ولكن مع الحط من شأنه،

---

(١) سورة النساء، آية ٤٣.

(٢) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٥٥، وانظر محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤، ص٢٠٠-٢٠٢، وانظر محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، ج٣، ص٥٢.

(٣) سورة النحل، آية٦٦.

(٤) سورة النحل آية ٦٧.

(٥) سورة النحل، آية ٦٥، ٦٧، ٦٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان أول تلميح لما جاء بعده من التدرج في التحريم.

إذا علم هذا فإليك ما ذكره الشنقيطي حيث يقول: «جمهور العلماء على أن المراد بالسكر في هذه الآية الكريمة الخمر، لأن العرب تطلق اسم السكر على ما يحصل به السكر من إطلاق المصدر وإرادة الاسم، ومن قال بأن السكر في الآية الخمر: ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وأبو رزين، والحسن ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن أبي ليلى، وابن جبير، وأبو ثور، وغيرهم، وإذا عرفت أن الصحيح هو مذهب الجمهور، وأن الله امتن على هذه الأمة بالخمر قبل تحريمها، فالعلم أن هذه الآية مكية نزلت بعدها آيات مدنية بينت تحريم الخمر، وهي:

١- قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعها)[١].

٢- قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)[٢].

٣- قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون... إلى قوله ...فهل أنتم منتهون)[٣].

- إلى أن قال - : وهي أتم آية في تحريمها، وصفها بأنها رجس، وأنها من عمل الشيطان، وأمر باجتنابها أمرا جازما، وعلق رجاء الفلاح على اجتنابها، ويفهم منه من لم يجتنبها لم يفلح»[٤].

وبهذا يتضح أن الله تعالى امتن على الناس في هذه السورة بهذه النعم والرزق الحسن هو: «جميع ما يؤكل ويشرب من الرزق الحلال ، فيدخل فيه الخل والطعام، والعصيرالحلال، وغير ذلك ، مما يؤخذ من النخيل والعنب كما روي عن ابن عباس وغيره، ويكون المراد بالسكر الخمر، فتكون الآية قد عمت جميع ما يؤخذ من النخيل والأعناب، للأكل والشرب الحسن منه وغير الحسن، وهو

---

(١) سورة البقرة، آية ٢١٩.

(٢) سورة النساء، آية ٤٣.

(٣) سورة المائدة آية ٩٠-٩١.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٢، ص٣٠٥-٣٠٦، باختصار.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السكر»[١]،وليس في هذا امتنان، بل فيه عتاب فكأنه يقول لهم كان عليكم أن تقدروا نعمة ثمارالشجرتين وتتخذوامنهما الرزق الحسن وتتركوا ما فيه ضرر لكم.

بعد هذا العرض يتضح للمتأمل أنّ الذي تطمئن إليه النفس هوأن الله تعالى امتن على الخلق في السورة، ولكن ليس بالسكر بل بأصل ثمرتي النخيل والأعناب أوجدهما لهم وامتن بذلك عليهم امتنانا عاما، فالمنة حاصلة وهي بأصل الشيء المخلوق وليس بما يكون بعده من عمل الإنسان وتغييره، ولهذا يجد الإنسان اليوم ما يدخل في صناعة ثمار الشجرتين من العصيرات المتنوعة وما يمتاز به ذلك من الفوائد الجمة ففي ثمارهما نعم متعددة فالنخيل فاكهة وقوت، والأعناب فيه قوت وهو فاكهة، ولوكان فيها امتنان في البداية لما تحرج بعض الصحابة من شربها، بل العقلاء من الناس ما كانوا يقربون الخمر أبدا حتى في الجاهلية، لما كانت تسببه للشارب من الحالة السيئة والمنظر المشين الذي ما كان يحب أن يصير إليه

نعمة العقل

وتظهر من النعم كذلك، نعمة العقل والحفاظ عليه، ومن محاسن الشريعة تحريم الخمر الذي بدأ بالتلميح هنا ثم تدرج إلى المنع النهائي لأنّ الإنسان شرّفه الله بالعقل على سائر المخلوقات، وحتى يعقل عن الله شرائعه التي جاءت بها الرسل، والعقل لطيفة ربانية أودعها الله الإنسان، ليدرك بها حقائق الأشياء «العقل أساس الدين، وصنع العلم ومطلعه، وهل جرى علم أو ازدهر فن إلا على أساس العقل؟ وهل يستقيم دين بلا عقل؟ وهل يعرف إنسان ما أمر الله وما نهى عنه إلا بالعقل؟ لهذا لا عجب إذا ورد ذكره في كتاب الله ، وعلى لسان نبيه الكريم، فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته، وعظم الرسول عليه الصلاة السلام العقل..»[٢].

ولهذا فهو يعتبر مناط التفضيل، وسر التخصيص، وآلة المؤمن ومطيته «إن الباري عز اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه وأنه أعظم نعم الله علينا وأنفع الأشياء لنا، وأجداها علينا، فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق، حتى ملكناها وسسناها، وذللناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها،

---

(١) عبد الرحمن الدرويش، فقه وتفسير آيات الخمر، ص٧٣.

(٢) قدري حافظ طوقان، مقام العقل عند العرب، ص١٧، دار المعارف، بمصر، بدون تاريخ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا »[١].

ولمنزلة العقل الكبيرة التي سما بها نهي الله تعالى عن كل شيء يتسبب في تعطيله عن وظيفته ومهامه، ومنها السكر الذي يفقد العقل تمييز الأشياء ويحبسه عن التفكير ويقطع عليه باب التأمل، فيأتي دور محاسن شريعة الإسلام بتحريم الخمر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخمر من هاتين الشجرتين، النخلة والعنبة »[٢].

ولعل الحصر هنا يفيد بيان الجودة أو الكثرة ـ والله أعلم ـ فيكون أن أجود الخمر أو معظمه منهما، وهو مثل قولهﷺ :«الحج عرفة »[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام »[٤] بل وصفها عليه السلام بأنها مفتاح كل شر، بقوله: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر »[٥]، وحرم قليلها وكثيرها بقوله: «ما أسكر كثيره فقليله حرام »[٦] وأوضح علة التحريم بأنها الإسكار.

ولخطورة الأمر نجده عليه السلام يلعن في الخمر عشرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها،

---

(١) محمد زكريا الرازي، الفخر الرازي، الطب الروحاني، ص٤٥، منشورات دار الحكمة، بيروت و دمشق، ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة باب بيان أن جميع ما ينبذ مما يتخذ من النخل والعنب يسمى خمرا، ج٣ ص١٥٧٣ رقم ١٩٨٥.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة ج٢ ص١٩٦، رقم ١٩٤٩، وأخرج ابن ماجة، في كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة الجمع ج٢ ص١٠٠٣، رقم ٣٠١٥، واللفظ له،وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن أبن ماجة ج٢ ص١٧٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا ج٧ ص١٠١، وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة باب بيان أ نّ كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ج٣ ص١٥٨٥ رقم ٢٠٠٣، واللفظ له.

(٥) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأشربة باب الخمر مفتاح كل شر ج٢ ص١١١٩، رقم ٣٣٧١، وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن ابن ماجة ج٢ ص٢٤١

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة باب النهي عن السكر، ج٣ ص٣٢٧ رقم ٣٦٨١، وأخرجه ابن ماجة، في كتاب الأشربة باب ما أسكر كثيره فقليله حرام، ج٢ ص١١٢٥، رقم ٣٣٩٤، وقال فيه الشيخ الألباني حسن صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٢٤٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومستقيها»[١].

وما أحسن ما ذكره سيد قطب في هذا المقام حيث يقول: «إن غيبوبة السكر - بأي مسكر - تنافي اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله في كل لحظة، مراقبا لله في كل خطرة، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملا إيجابيا في نماء الحياة وتجددها، وفي صيانتها من الضعف والفساد، وفي حماية نفسه وماله وعرضه، وحماية أمن الجماعة المسلمة، وشريعتها ونظامها من كل اعتداء، والفرد المسلم ليس متروكا لذاته، للذاته، فعليه في كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة، تكاليف لربه، وتكاليف لنفسه، وتكاليف لأهله، وتكاليف للجماعة المسلمة التي يعيش فيها، وتكاليف للإنسانية كلها ليدعوها ويهديها وهو مطالب باليقظة الدائمة لينهض بهذه التكاليف»[٢].

ولحكمة يعلمها الله كان تحريم الخمر في الشريعة الإسلامية، بعد أن مضى أكثر من منتصف عهد الرسالة،فإن قال قائل لم لم تحرم الخمر في ابتداء الإسلام؟ قيل كان في ذلك حكما عظيمة، منها تعلقهم الشديد بالخمر وتقديم حبها علي حب كل شيء آخر سواها، ولو حرمت عليهم لهلكوا بوقوعهم في الرفض ومخالفة النهي الصريح لأن من خالف أمر الله عاقبه، ومنها أن الله أراد أن يطلعهم على الفساد العريض الذي يحدث لكل من يشربها، فإذا جاء التحريم تحققوا من مضارها وعلموا منة الله عليهم بالتحريم، ومنها أن الله تعالى أراد أن يعلّم عباده التدرج في الأمور وعدم التسرع في كل شيء، وغير ذلك من الحِكم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة باب العنب يعصر للخمر، ج٣ ٣٢٦ رقم ٣٦٧٤، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الأشربة باب لعنت الخمر لعشرة أوجه ، ج٢ ص١١٢١، رقم ٣٣٨٠، واللفظ له وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٢٤٣.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٧٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد حَدَثَ الكثير من هذا الفساد كما روي ذلك عن عدد من الصحابة[١]، «روي أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، قد شربوا في بعض الأوقات، فنزل بهم من البغضاء والآفات ، حتى تضرع عمر رضي الله عنه بالدعوات، ليلحق الخمر بالمحرمات، فأجاب الله تعالى دعاءه وأتم شفاءه، وأشاع في الخلق بهجته وبهاءه»[٢]، كأنه يشير بذلك إلى قول عمر رضي الله عنه متضرعا إلى الله: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، وذلك بعد نزول آية البقرة والتي فيها بيان بأن الخمر إثمها أعظم من نفعها وبعد نزول آية النساء والتي فيها النهي عن قرب الصلاة في حال السكر، قال ذلك الدعاء في الأمرين حتى نزلت آية سورة المائدة، فدعي فقرئت عليه فلما (بلغ فهل أنتم منتهون)، قال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا[٣].

---

(١) منها ما حدث بين حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقد قتل حمزة ناقتين مسنتين لعلي رضي الله عنهم، والقصة رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما، ففي البخاري«..عن علي رضي الله عنه أنه قال أصبت شارفا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر قال وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفا أخرى فأنختهما يوما عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخرا لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع فاستعين به على وليمة فاطمة، وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت معه قينة فقالت: ألا يا حمز للشرف النواء* فثار إليهما حمزة فجبّ أسنمتهما وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما ،قلت لابن شهاب ومن السنام قال قد جبّ أسنمتهما فذهب بها قال ابن شهاب قال علي رضي الله عنه فنظرت إلى منظر أفظعني فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيّظ عليه ،فرفع حمزة بصره وقال هل أنتم إلا عبيد لآبائي فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج عنهم وذلك قبل تحريم الخمر»، أخرجه البخاري في كتاب الشرب والمساقات، باب بيع الحطب والكلأ، ج٣ ص٧٨، ومسلم. في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبسر ..، ج٣ ص١٥٦٨، رقم ١٩٧٩.

(٢) محمد بن عبد الرحمن البخاري، محاسن الإسلام وشرائع الإسلام، ص١٠٨.

(٣) انظر أصل النص عند النسائي، في سننه، كتاب الأشربة باب تحريم الخمر ج٨ ص٢٨٦-٢٨٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل السادس
نعمة الجمال والذوق

المبحث الأول : الكون وجماله.
المبحث الثاني: الأنعام وجمالها.
المبحث الثالث: الخيل والبغال وزينتها.
المبحث الرابع: التنشئة في الحلية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل السادس

نعمة الجمال والذوق

الجمال كلمة عذبة، وسمة واضحة في الصنعة الإلهية، أينما اتجهت ببصرك وجدت هناك ما يجذبك بلونه الأخاذ، أو بصنعته المحكمة ودقته المتناهية، أو بتناسق أبعاده وتوازنها، أو بتآلف ألوانه وتداخلها، فالجمال مسحة الرحمن على كل الكائنات، متحركها وجامدها، وناطقها وصامتها، وغيبها وشهودها.

ظهرت آثاره في عوالم الأرض والسماء، تجده في العطف والحنان، وتجده في الود الخالص، تجده في ضحكة الطفل البرئ، ظل ضوءا باهرا لكل ذي بصيرة ثاقبة، وقلب صاف، وروح طاهرة.

لقد أثّر في كل العصور، فحيّر، وغيرّ، وطور، وأزهر فنونا خالدة ما كانت لتبقى في عصرنا لولا وجوده في الأنفس، وإثرائه للفضول، يتجلى في الإنسان، وفي الحيوان، وفي النبات، وفي الماء، وفي كواكب السماء، وفي الجبل الأشم، وفي الحجر الأصم، تراه في سطح غابة إذا استوت أشجارها بساطا أخضر، وتلمحه ورودا تتفتح أكمامها ألوانا، إنه في السهول الواسعة والجبال الجرداء، والصحاري العطشى.

فالجمال عنصر أصيل وهو مقصود في الكون يلبي أشواق الناس ويملأ حواسهم ويعمق وجدانهم، ويفرح شعورهم، انظر إلى جمال الكون وحسنه، وانظر إلى الأنعام وجمالها، وانظر إلى الخيل والبغال وزينتها، وانظر إلى حسن الإنسان ذكره وأنثاه، زينتهم المكتسبة وجمالهم المتصل.

فالجمال زي الكمال،، وعين الآمال، يُسرُّ معناه، ويَلْذُّ مسمعه، ويحسن ترداده، كيف لا والإحساس به أمر فطري أصيل في جبلة الإنسان، سبحان الذي أبدع الجمال في كائناته، وأنعم به على جميع مخلوقاته.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
الكون والجمال

الكون: كون الشيء ركبه بالتأليف بين أجزائه، وكون الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود، واكتان الشيء وتكون أي حدث.

الكون : الحدث، وقد كان كونا وكينونة، والكائنة من الأمر الحادث وكوّن الشيء أحدثه، والله مكون الأشياء أي يخرجها من العدم إلى الوجود[١]

والكون: الوجود المطلق العام للمخلوقات، وهو اسم لما يحدث دفعة كحدوث النور عقب الظلام مباشرة[٢].

الجمال: مصدر الجميل، والفعل منه جمل، قال ابن سيدة[٣]: الجمال:الحسن يكون في الفعل والخَلْق، والجميل ضد القبيح ويقع على الصور والمعاني[٤].

والجمال في الأصل استخدم للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصورة أيضا، وهوصفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس السرور والرضا[٥] ولما كان الجمال معنى من المعاني لا يقوم بنفسه بل يقوم بغيره حيث نراه في الإنسان والأشياء والكون والأفعال، فقد صعب ضبطه وصفا وكما وكيفا، ولهذا صعب تعريفه، وقد تعرض بعض الفلاسفة لتعريفه عن طريق آثاره ومنها:الجمال بمعنى:«الكمال الذي يمكن أن يدركه، أو يدرك موضوع منظور أو مسموع أو متخيل»[٦]، كما عرف بأنه«قيمة إيجابية باطنية ذات وضع محسوس، أو المتعة النابعة من صفة شيء من الأشياء»[٧].

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب باب النون ،فصل الكاف ج٣ ص٣٦٣-٣٦٤

(٢) انظر إبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط مادة كون ج٢ص٨٠٦

(٣) هو علي بن اسماعيل المعروف بابن سيدة أبو الحسن إمام في اللغة وآدابها ولد بمرسية شرق الأندلس عام ٤٥٨هـ وكان ضريرا من مصنفاته المخصص والمحكم والمحيط الأعظم ت ٤٥٨هـ انظر الزركلي الأعلام ج٤ ص١٦٣-١٦٤

(٤) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الجيم.

(٥) انظر انظر أبو عبد الله القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج١٠ ص٧٠ وانظر أبو هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، الفروق في اللغة ص٢٥٧ الدار العربية للكتاب، ط٦، ١٤٠٣هـ، وانظر إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيطج١ ص١٣٦.

(٦) قاله هيغل «وهو فيلسوف ألماني تعمق في علم الجمال وله كتب في الجمال» منها المدخل الى علم الجمال انظر ص٩٠، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، لبنان، بيروت.

(٧) عبد الفتاح الديدي، علم الجمال، ص٤٠، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط١، ١٩٨١م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المقروء، والكون كتابه المفتوح، وهو يشمل كل شيء في السموات والأرض وما بينهما، وما يعلمه الناس من الكون لا يمثل إلا شيئا يسيرا بالنسبة للمجهول منه، وفي كلا الكتابين درر وجواهر، جمال وزينة، حسن وبهجة، ظاهرا وباطنا، وقد تناول القرآن الجمال إما بألفاظه، أو بوسائله، أو بآثاره، وقد اشتملت سورة النحل على قدر وافر من ذلك، فالجمال بلفظه يمثله قوله تعالى:(ولكم فيها جمال..)، أما بوسائله فيمثله قوله تعالى:(لتركبوها وزينة...)، أما أثر الجمال فيستمد من قوله تعالى:(حلية تلبسونها...)[١].

إن حديث القرآن عن جمال كل شيء وكماله واسع يأخذ الألباب، وفي سورة النحل جاءت منه إشارات قوية منها، الحديث عن جمال الكون، المتمثل في الأرض، والتربة، والمعادن، والنبات، والحيوان، والإنسان نفسه، والبحار، والأودية، والأنهار، والأشجار، والأزهار، والسموات، والشموس، والنجوم، والبدور، والضحى، والظلمات،كل ذلك يجده المتأمل في أمثال قوله تعالى:(خلق السموات والأرض بالحق...)،وقوله:(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم..)، وقوله :(وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه..)، وقوله:(وهو الذي سخر البحر لتأكلوامنه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه..)، وقوله:(وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون، وعلامات وبالنجم هم يهتدون)، وقوله:(أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون)، وقوله:(..وجعل لكم من الجبال أكنانا)[٢].

هذا الكون الجميل لا تجد فيه خللا، ولا نقصا، ولا اضطرابا، كيف لا وقد قال منشئه:(الذي أحسن كل شيء خلقه...)[٣]وقال سبحانه:(..ماترى في خلق الرحمن من تفاوت..)[٤]، إنه عالم الكمال الذي يرافقه الجمال، فمن تأمل فيه بفكره، ونظر إليه بعين البصيرة تفتحت له أبواب السموات والأرض يتجول في أقطارهما، لأنه تعالى جمل كونه ببحر، وزين يابسه بواد ونهر، وكسى أرضه بأشجار وزهر، كما جعل سماءه يتناثر فيها النجوم الزاهرات، والبدور النيرات،

---

(١) انظر سورة النحل الآيات ٦، ٨، ١٤.

(٢) انظر الآيات السابقة من سورة النحل على الترتيب، ٣، ١٥، ١٣، ١٤، ١٥،١٦، ٤٨، ٨١.

(٣) سورة السجدة آية ٧

(٤) سورة الملك آية ٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكل ذلك من صنع الله تعالى وخلقه،زينة وبهاء،

إنّ السماء بزرقتها توافق الأبصار وترتاح لها النفوس،ذلك أن الإنسان يستمتع بالنظر إلى الخضرة من تحته وإلى الزرقة من فوقه، ولهذا يسعى الناس بتزيين الحدائق والبساتين، كما أن الملوك وأصحاب الغنى يضعون النقوش في السقوف والمجالس للنظر إليه والإنشراح به، لكنه أنى له أن يصل إلى جمال الكون، فالناس يملون ما عملته أيديهم، ولكنهم لا يملون ماصنعه الله تعالى قال تعالى:(صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون)[1].

إن الإلف يصرف عن جمال الكون وروعته، ولهذا حث القرآن الكريم على النظر إثر النظر بجدية وتفحص، بل تحدى بذلك لإثارة الإهتمام في النفوس، ودعوتها إلى الجد والتأمل.

قال تعالى:(الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)[2]، هذا الأسلوب فيه التحدي للخلق ليثير فيهم الاهتمام والجد في النظر والتأمل إلى السموات والأرض بل إلى كل خلق الله في كونه الرائع«الذي لاتشبع العين من تملي جماله وروعته، ولا يشبع القلب من تلقي إيحاءاته، ولا يشبع القلب من تدبر نظامه ودقته، والذي يعيش فيه من يتأمله بهذه العين في مهرجان إلهي باهر رائع، لا تخلق بدائعه، لأنها أبدا متجددة للعين، والقلب، والعقل، ومن ثم يكل القرآن الناس إلى النظر في هذا الكون، وإلى تحلي مشاهده، وعجائبه...فهذا الفضاء الوسيع الذي لا يمل البصر امتداده، ولا يبلغ البصر آماده، إنه الجمال...الذي يملك الإنسان الذي يعيشه، ويتملاه، ولكن لا يجد له وصفا فيما يملك من الألفاظ والعبارات...والقرآن يوجه النفس إلى جمال السماء، وإلى جمال الكون كله، لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك خالق الوجود »[3].

ثم يأتي دور التوجيه إلى جمال السموات بعد أن وجه النظر إلى كمالها

---

(١) سورة النمل آية ٨٨

(٢) سورة الملك آية ٣-٤

(٣) جمعه أمين عبد العزيز، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ص٨٥، باختصار، دار الدعوة للطبع والنشر،الاسكندرية، ط١، ١٤٠٥هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى:(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح..)[١]، وقال تعالى:(وزيناها للناظرين)[٢]وقال تعالى:(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)[٣]، إنّ جمال الكون واضح للعيان، يدركه صاحب العين البصيرة في تأمل الليل الهادئ، والسماء الصافية، والنجوم المتلألئة، في تأمل البحر: في سكونه وفي هيجانه،وفي تلاطم أمواجه، وفي عجائب مخلوقاته، وفي تأمل«القمر وقد أطل من علياء سمائه، يبدد بنوره ظلمة الليل الحالك، فإذا بالأرض يغمرها ضياء فضي ينساب في كل جنباتها يطغي عليها الحب والحنان، ومع اشراقة الشمس، حيث تلامس خيوطها الذهبية تلك اللآلئ البراقة اللامعة من الندى، وقد توّجت أوراق الشجر، وبراعم الورد يحكي جمال القصة، وتلك الفراشة، وذلك الطائر تعانقت فيهم الألوان تعبيرا عن إتقان الصانع»[٤].

تأمل الأرض وما عليها، قال تعالى:(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها)[٥]، تجد أن الجمال مقصود في الصنعة الإلهية في خلق كل شيء وإيجاده كما أن كماله ينبئ عن جماله، قال تعالى:(الذي أحسن كل شيء خلقه..)[٦]، والمقصود بالإحسان في خلق كل شيء أن يبلغ الغاية في أداء المهمة التي خلق وأعد من أجلها ذلك الشيء، وكما لا يخفى أنّه يوجد في هذا تأكيد على مراعاة جانب الحسن والجمال، يقول سيد قطب:«والعين المفتوحة، والحس المتوفر، والقلب البصير، ترى الحسن والإحسان في هذا الوجود بتجمعه، وتراه في أجزائه وأفراده، والتأمل في خلق الله حيثما اتجه النظر، أو القلب، أو الذهن، يمنح الإنسان رصيدا ضخما، من ذخائر الحسن والجمال، ومن إيقاعات التناسق والكمال، إن هذا الوجود جميل وأن جماله لا ينفد، وإن الإنسان ليرتقي في إدراك هذا الجمال، والاستمتاع به إلى غير ما حدود، قدر ما يريد، وفق ما يريده له مبدع الوجود، إنّ عنصر الجمال مقصود قصدا في هذا الوجود، فإتقان الصنعة يجعل كمال الوظيفة في كل

---

(١) سورة الملك آية ٥

(٢) سورة الحجر آية ١٦

(٣) سورة ق آية ٦

(٤) إبراهيم بن عبد الله الحازمي، الجمال، فضله، حقيقته، أقسامه ص٩،دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

(٥) سورة الكهف آية ٧

(٦) سورة السجدة آية ٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شيء يصل إلى حد الجمال »[١] ،إن جمال الكون مقتبس من جمال وكمال مكونه وخالقه، فله تعالى الجمال والكمال، وله الجلال والإحسان، ومن أسمائه الحسنى، «الجميل» وفي الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:«إن الله جميل يحب الجمال»[٢] ،يقول ابن القيم:«ومن أعز أنواع المعرفة، معرفة الرب سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليس كمثله شيء في سائر صفاته، ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورة، وكلهم على تلك الصورة، ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه، لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال»[٣] ، فلنور وجه الله أشرقت الظلمات، قال تعالى:(الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة...)[٤] ،فجمال الله تعالى على مراتب أربع:جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء[٥] ، فأسماؤه حسنى، وصفاته عليا، وأفعاله كلها حسنة وحكمة، وذاته جل في علاه لا يدركها أحد سواه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:«إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، «وفي رواية أبي بكرحجابه النار»، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه

---

(١) سيد قطب في ظلال القرآن ج ٥ ص٢٨٠٨ ـ ٢٨٠٩

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان. باب تحريم الكبر وبيانه ج١ ص٩٣، رقم ٩١

(٣) ابن قيم الجوزية، الفوائد ص٢٣٤ـ٢٣٥، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ

(٤) سورة النور آية ٣٥

(٥) انظر ابن قيم الجوزية، الفوائد ص٢٣٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما انتهى إليه بصره من خلقه»[١]، فينبغي أن يعرف سبحانه وتعالى بالجمال الذي لا يماثله فيه أحد، كما يعبد بالجمال الذي يحبه قولا، وفعلا، وخلقا.

ومن تأمل في آيات الله المنظورة والمتلوة أدرك إتقان الله في صنعه، وتزيينه لأرضه وسمائه، ودعوت عباده للنظر والتأمل في جمال الخلق ليصلوا منه إلى جمال خالقه، قال تعالى:(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)[٢]،وقال تعالى:(بديع السموات والأرض ...)[٣] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدعو العباد إلى الاعتبار مما في الكون أرضه وسمائه، وفي ذلك آيات وآيات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد،

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام وقوله حجابه النور ج١ ص١٦١ رقم ١٦٩،

ومعنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه،

ومعنى الحجاب:الستر والمنع، والمراد به المانع من رؤيته،

ومعنى النور أوالنار: ما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما.

ما انتهى اليه بصره: أي جميع خلقه، لأن بصره محيط بجميع الكائنات، «انظر صحيح مسلم ج١ ص١٦٢ الهامش».

(٢) سورة يونس آية ١٠١

(٣) سورة البقرة آية ١١٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني
الأنعام وجمالها

الأنعام :جمع ومفرده نَعَمٌ، وهي المال الراعية، وتشمل الأنعام: الإبل والبقر، والغنم، والمعز، قال تعالى:(ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءآ لذكرين حرم أم الأنثيين ..)،(ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين..)[1]الآية، وهي البهائم التي يتألفها الناس وينتفعون بها في وجوه كثيرة، قيل سميت بذلك لنعومة الوطء عندها، ولا يدخل فيها من له حافر[2].

لما سبق الحديث عن بيان الفوائد التي يتحصل عليها الإنسان من الأنعام، بقي هنا الحديث عن جمالهاونعمه لأن الله تعالى لم يغفله بل ذكره بجانب النعم الأخرى من الأكل، والدفء، وغيرها، قال تعالى:(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)[3]، فالمراد بالجمال: جمال الأنعام في منظرها رائحة غادية، حيث تكون أبهى منظرا، وأعلى أسنمة، وأكثر لبنا، فتملأ محل الرواح بأصواتها، وتملأ العين جمالا، والنفس أنسا وسرورا، خاصة إذا كانت سمينة وكثيرة، إن منظر الأنعام غادية رائحة يبعث في النفوس الأنس والانشراح[4]، إنه جمال تقر العين بمنظره، وتطرب الأذن بسماعه فقد«منّ بالتّجمل بها كما منّ بالإنتفاع بها، لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها، لأنّ الرعيان إذا روّحوها بالعشي وسرحوها بالغداة ـ فزينت بإراحتها، وتسريحهاالأفنية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء ـ آنست أهلها، وفرحت أربابها، وأجلّتهم في عيون الناظرين إليها، وكسّبتهم الجاه والحرمة عند الناس»[5]، وقد قسم القرطبي الجمال إلى ثلاثة أقسام: جمال في الصورة وتركيب الخلقة، وجمال في الأخلاق الباطنة، وجمال في الأفعال، ثم قال:« وجمال الأنعام والدواب من جمال الخلقة وهو مرئي بالأبصار، موافق للبصائر، ومن جمالها كثرتها، وقول الناس إذا رأوها هذه نَعم فلان...ولأنها إذا راحت توفر حسنها، وعظم شأنها، وتعلقت القلوب بها، لأنها إذ ذاك أعظم ما

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٣ـ١٤٤

(٢) انظر الفخر الرازي، مفاتتيح الغيب ج١١ ص٩٩

(٣) سورة النحل آية ٦

(٤) انظر محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، مجلد ٢، ج ١٤، ص ٢٧.

(٥) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ج٢ ص ٥٩٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تكون أسنمة وضروعا »[١].

والجمال محبوب للإنسان بالطبع، وهو يتذوقه، لكن تذوقه له يخضع لعاملين مهمين، وهما: أولهما: اعتدال مزاج المتذوق، فلا ينظر إلى الغريب المتطرف، والشاذ المنحرف، وثانيهما: تناسب أعضاء الشيء بعضها إلى بعض في الشكل واللون، وسائر الهيئات، وهذا يتوفر في الأنعام في هيأتها، ومنظرها، وأحجامها، وألوانها، وأحوالها، إضافة إلى امتلاء البطون، وارتفاع الأسنمة، ونزول الضروع، لكن أكثر من يتذوق هذا الجمال هم أهل المواشي والأنعام أكثر من أهل المدن، وإن كان أهل المدن يدركونه كذلك لأنه أمر منظور ومشاهد تتعلق به النفوس من غير معرفةٍ بوجه ذلك ولا بسببه[٢].

والله تعالى أذن لعباده أن يستمتعوا بالجمال، لأنه يوضح القيم الحقة للأشياء، ويخاطب شعورهم،فينفض عنها غبار الإلف، ويلبي أشواقهم الزائدة، ولهذا كان جمال الأنعام يظهر جليا عند الإراحة، وعند السروح أكثر من أي وقت آخر مثل الدخول في الحظائر، أو الانتشار في البراري، ولهذا جاءت الآية الكريمة بالتأكيد على جمال الرواح، والسروح،(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)[٣]، وفي تقديم الرواح على السروح حكمة «..لأن الجمال في الإراحة أكثر لأنها تقبل ملأى البطون، حافلة الضروع، ثم اجتمعت في الحظائر حاضرة لأهلها، بخلاف التسريح، فإنها عند خروجها إلى المرعى تخرج جائعة، عادمة اللبن، ثم تأخذ في التفرق والإنتشار، فظهر أن الجمال في الإراحة أكثر منه في التسريح »[٤].

ويجد المتأمل أن كتاب الله تعالى استعمل«لفظ»الجمال في حدودضيقة، فقد وردت في ثمانية مواضع، وكانت ترد بأنها صفة لموصوف معنوي كالأخلاق مثلا[٥]

---

(١) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٧١، وانظر أبا جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٨ ص٨٠، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ

(٢) انظر أبابكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن،تحقيق، محمد عبد القادر، ج٣ ١١٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ

(٣) سورة النحل آية ٦

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ج١٩ ص١٨٢

(٥) وذلك مثل قوله تعالى:(فاصبر صبرا جميلا)، سورة المعارج آية ٥ . وقوله تعالى:(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)، سورة يوسف آية ١٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي سورة النحل وردت بصيغة المصدر لبهيمة الأنعام، وإن كان يرى البعض حتى المذكور في سورة النحل هو من باب الوصف المعنوي[١]،« إن الجمال هو ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق، ومن كثرة المال والجسم، وليس هو من الحسن في شيء، ألا ترى أنه يقال لك في هذا الأمر جمال، ولا يقال لك فيه حسن...والحسن في الأصل الصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصور»[٢].

ومن جمال الأنعام أن الإبل إذا وردت على الذرى يتوافر حسنها، ويعظم شأنها، ويتعلق بها قلوب أصحابها، قال صلى الله عليه وسلم:«الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»[٣] وهكذا جاءت فوائد الأنعام ونعمها مرتبة في السورة حسب أهميتها للإنسان، الضرورات، ثم الحاجيات، ثم الكماليات، والجمال مقصد من مقاصد الشريعة،وعنصر أصيل فيها، لأن النعمة لا تقتصر علي تلبية الضرورات فقط من طعام، وشراب، وكساء وركوب، بل في تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات نعمة أخرى على الإنسان وهي التي لم يغفلها القران الكريم، ومن هذا يتضح أن الأمور لا تصل إلى الكمال والتمام إلا بوجود التحسينات فيها الذي منه الجمال، فبوجوده تصل الأشياء إلى قمتها صنعة وإتقانا.

---

(١) انظر أبا هلال العسكري، الفروق في اللغة ص٢٥٧، وانظر صالح أحمد الشامي،الظاهرة الجمالية في الإسلام ص١١٤.

(٢) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة ص١١٤، ونظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٧٠.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية ج٢ ص٧٧٣، رقم ٢٣٠٥، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجة ج٢ ص٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

الخيل والبغال والحمير وزينتها

الخيل: «الخاء،والياء، واللام، أصل واحد يدل على حركة في تلون ومنه الخيل المعروفة، وسميت لاختيالها، وهذا صحيح لأن المختال في مشيته يكون في حركته ألوانا »[١]،والخيل اسم للأفراس والفرسان جميعا،والخيل جمع لا واحد له من لفظه، وسميت الأفراس خيلا لخيلائها في مشيتها، ولذا قيل إنّه لا يركب أحد فرسا إلا وجد في نفسه نخوة[٢].

البغال: «الباء،والغين، واللام، يدل على قوة في الجسم، ومن ذلك البغل، قيل سمي بذلك لقوة خلقه، سمي به من التبغيل، وهو ضرب من السير[٣]، والبغل هو الذي يتولد بين الحمار والفرس[٤].

الزينة: ما يتزين به،والزين خلاف الشين، وجمعه أزيان، والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به[٥].

إنّ التزين بالخيل والبغال ذكره الله تعالى في معرض الإمتنان على العباد بإيجاد هذه الحيوانات لهم للركوب والزينة، وليحملوا عليها أمتعتهم، فيدفعوا عن أنفسهم ضرر التعب والمشقة، قال تعالى:(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة..)[٦]، فهذه المركوبات المذكورة كانت عند المخاطبين بهذا القرآن أثناء نزوله كانت«دواب الركوب والحمل،ومراكب البهجة والمتعة، حيث يستوي الإنسان على ظهورها، فيجد لذلك ما يبهجه ويشرح صدره، ويعلي في الناس منزلته وقدره»[٧].

الزينة في الخيل

الخيل من الخيلاء والزهو، الذي يبدوا منها في وقوفها وجريها، حيث تتيه بنفسها عجبا، والله تعالى أعطاها تناسقا في الأعضاء، وجمالا في الخلقة، كما أنّ اسمها يقارب لفظ الخير، قال تعالى - حكاية على لسان نبيه سليمان عليه

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢ ص٢٣٥.

(٢) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص٣٠٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج١ ص٢٧

(٤) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٦

(٥)ابن منظور، لسان العرب،باب النون فصل الزاء،ج١٣ ص٢٠١

(٦) سورة النحل آية ٨

(٧) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ج١٣ ص٢٧١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السلام ـ: (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب)[١].

وقد قدم الله ذكر الخيل على البغال والحمير في سورة النحل لأهميتها لأن راكب الخيل يجد في ركوبها من الترويح والمتعة ما لا يجده راكب البغال والحمير،إضافة إلى أن الخيل تثير في الناس مشاعر العز والرفعة كما تثير مشاعر الولاء لخالقها عند الناس فيتحدثون بنعم الله ويثنون على عظيم آلائه، لأن الخيل كانت وما زالت حتى في عصر الآلة الحديث زينة محببة إلى الناس، لأن فيها الجمال والقوة، حتى من لم يركبها أعجب بمشهدها[٢].

إنّ العرب عُرفوا بحب الخيل وإكرامها، وكانت لهم من أسباب العز والجمال، فكانوا يقهرون بها الأعداء، ويتفاخرون بامتلاكها، ثم جاءهم الشرع ومدحها لهم وحث على الاعتناء بها فوافق توجيه الشرع إلى اقتنائها، حب الطبع الذي كان سائدا عندهم، فلأجل هذا كان الركوب المحمود لها ما كان فيه كبح جماح الأعداء وصد عدوانهم، فكانوا يربونها ويحافظون عليها ولو بالتقصير في حق الأولاد حتى إن الرجل يبيت طاويا ويشبع فرسه يؤثره على نفسه وولده[٣].

ومما يدل على أهمية الخيل ومكانتها عند العرب قبل الإسلام وبعده ما يأتي:

١ـ إن الله تعالى أقسم بها في كتابه العزيز،قال تعالى:(والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا)[٤]،وفيه إشارة إلى أنه ينبغي أن تقتنى الخيل للأغراض النبيلة، من كر وفر وسفر، طلبا وهربا ونجاة، في ميادين البطولة والشجاعة.

٢ـ إن الله تعالى عدّها ضمن ما حببه للناس من شهوات، قال تعالى:(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا...)[٥]، فالخيل المسومة

---

(١) سورة ص آية ٣٢

(٢) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ج١ ص٣٧٤، وانظر محمد إبراهيم نصر، الخيل والفروسية في الإسلام ص٢٨، دار الكتاب السعودي، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر احمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مجلد ١٠، ج ٣٠، ص ٢٢٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، وانظر محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ص٦، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٣هـ

(٤) سورة العاديات الآيات، من ١ـ ٥،

(٥) سورة آل عمران آية ١٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هي: المدربة والمزينة،المرعية في المسارح، والمعدة للجهاد والغزو، وقد أشاد الله بها إذ ذكرها بعد القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، لأن صاحبها كان ينال بها العز والمجد بين الناس، ولما كانت حسانا معلمة كانت من شهوات النفس الإنسانية، التي سعت للحصول عليها، والسعادة بوجودها، فقد أشركها الإنسان العربي معه في حياته وقاسمها اللقمة، واعتنى بها ورعاها، حتى سعدت به، وعز صاحبها في ظلها[١]، ولهذا أمر الله المؤمنين على اقتنائها والتقوي بها ضد أعدائه وأعدائهم، يتضح ذلك في قوله تعالى:(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم...)[٢]، فإن من أعظم مهام الخيل، درء الأخطار، وحماية الديار،

وقد تمثلت العناية النبوية بالخيل في كثير من الأحاديث التي جاءت عنه عليه السلام حثا على اقتنائها، وترغيبا في زيادة أجور المحتبسين لها في سبيل الله، قال صلى الله عليه وسلم:«من احتبس فرسا في سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، فإن شبعه، وريّه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة»[٣]، وقال عليه السلام:«الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٤].

ففي الخيل زينة وبهاء، ومركب وسرور، فكانت ولا زالت مما يأنس بها الإنسان، مصداقا لقوله عليه السلام، بأن الخير والخيل لا يفترقان إلى قيام الساعة، فلها السلوك الحسن، والشجاعة النادرة، والسرعة الفائقة، والقدرة على التحمل، والطاعة للأصحاب، إضافة إلى تزينها بأعراف حميدة، والله تعالى خلقها لتكون مراكب البشر، وزينة لهم، لأن المقصود أنها في ذاتها زينة، زيّن الله بها الأرض، وتزين بها مقتنيها، لما لها من تعدد الخصائص والصفات الحميدة[٥]،

---

(١) انظر،محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص٣٢٣، وانظر محمد بن إبراهيم نصر،الخيل والفروسية في الإسلام،ص٢٤-٢٥، مرجع سابق.

(٢) سورة الأنفال آية ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا، ج٣ ص ٢١٦

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب حدثني محمد بن المثنى...،ج٤ ص١٨٧، وأخرجه مسلم في كتاب الأمارة، باب الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة، ج٣ ص١٤٩٢ - ١٤٩٣، رقم ١٨٧٢.

(٥) انظر ، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٤ ص١٠٧، وانظر مهند الغبرة، العماد في علوم الخيل وفنون الفروسية، والجواد العربي، ص٧٢، طلاسدار للدراسات والترجمة، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذلك ظلت محل افتخار عند أصحابها، وموضع احترامهم، ومصدر عشقهم، فظلوا يكرمونها، ويحتفون بها، ومن قرأ أخبارهم عرف أحوالهم.

الزينة في البغال

البغال: هي نتاج بين الفرس والحمار، ولا يوجد لها نسل من جنسها ، وكل نتاج يكون بين جنسين فلا نسل له من جميع الحيوان، إن ورود البغال بين الخيل والحمير فيه إشارة علمية، وهي : أن المخلوق عن طريق التهجين ليس له ذرية منه،وهي من المراكب النفيسة ،عند الناس والتي يتزينون بها، وما جاد منها وحسن صلح لركوب الملوك، والبغال أصبر من الخيل على الكد، وحمل الأثقال كما أنها أزين من البراذين[١].

وللناس في البغال حاجة، لذلك لا يستغني عنها صاحب الحرب ولا صاحب السلم، وكذا يحتاجها صاحب السفر، وقد كانت تستخدم قديما في حمل الهدايا النفيسة، والطرف العجيبة، وكان الملوك والخلفاء والرؤساء يتخيرونها للركوب، في أحوال كثيرة، بل كانوا يغالون في أثمانها، مثل أثمان الخيل العتاق، كما كان عليه الصلاة والسلام يركب البغال في السلم والحرب فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: «شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلقد رأيته وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو راكبها ، وأبو سفيان لا يألو أن يسرع نحو المشركين»[٢]، ومن المعروف أن ركوب البغال واستخدامها للحروب لا يغني عن الخيل ولا يصل إلى مقامها، لكن كان يركبها بعض قادة الجيش أحيانا في الحروب عند منازلة العدو لإبعاد الفرار عن نفسه[٣]، وقد بين العرب مهام حيوانات الركوب بقولهم:«الإبل للحمل والزمل، والبغال للأسفار والأثقال، والخيل للطلب

---

(١) انظر، علي بن داود بن عمر الرسولي، الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل ص٣٦٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣ ص٢٥٥، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

(٣)انظر، محمد بن طاهربن عاشور،تفسير التحرير والتنوير ج١٤ ص١١٠،وانظر، علي بن داود الرسولي، الأقوال الكافية..،ص٣٦٧ ، مرجع سابق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والهرب»[1].

إن زينة البغال تتمثل في ركوب الأشراف عليها ملوكا، وقادة، وأمراء، وساسة، وكذلك حمل الهدايا الثمينة عليها، كما انتفع بها الممتن عليهم من العرب والمسلمين في البريد والرسائل عبر المدن، وكانت آلة من آلات السلطان.

وأما الحمير فقد ذكرت في الآية بعد الخيل والبغال، وإن كانت الزينة فيها وبها أقل من سابقاتها، ولكن لها فوائدها لأهل القرى والبدو لحمل الأمتعة والركوب عليها، والسقي بها كما استخدمها من فقد غيرها في عصر الزيوت، والحرث وغير ذلك من المنافع والحوائج المتعددة.

---

(١) القائل هو: خالد بن صفوان، انظركلامه في كتاب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، القول في البغال، ص٢٠، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلب، مصر، ط١، ١٣٧٥هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البحث الرابع
التنشئة في الحلية

التنشئة: من نشأ الشيء نشأً ونشوءا، ونشأة:أي حدث وتجدد، ونشأ الصبي: شب ونما، يقال نشأة في بني فلان، ونشأ فلان نشأة حسنة.

ونشّأ الصبيّ: أي رباه، يقال نشّيء في النّعيم.

فالتنشئة: من النمو والتربية،تقول نشأ أي تربى، وكبر، وشب، ونمى.

الحليَة، والحَلْيُ: ما يتزين به من مصوغ المعدنيات، والحجارة.

وحلّى المرأة حَلْياً: أي جعل لها حُليا، وزينها بالحُليِّ.

والحَليُّ: كل حِلْية حلّيت بها امرأة، أو سيف أو نحوه، والجمع حُليٌّ.

والحُليُّ: اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة وغيرهما[١].

وتأتي الحلية بمعنى الخِلقة، كما تأتي بمعنى الصفة والصورة، فالحِلية من الرجُل بمعنى صفته وخِلقته وصورته[٢].

وقد امتن الله تعالى على العباد باستخراج الحلية من البحار، قال تعالى:(...وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)[٣].

إن التنشئة في الحلية عده تعالى من نعمه على بعض خلقه وهو من شأن النساء فقد ميزهنّ تعالى وركب في فطرتهنّ«الميل إلى الزينةوالحرص عليها، ولو كان ذلك على حساب التلذذ بالمأكل والمشرب، حرصا منها على الوفاء بحق الزوج، والظهور بمظهر الغاية في الجمال والرقة له»[٤]، قال تعالى:(أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)[٥]، فلما كان الحلي اسم لما يستحسن به من الذهب والفضة وغيره ذكره تعالى كوسيلة من وسائل التجميل، ويدخل معه اللؤلؤ والمرجان، في الزينة والتجمل، كما كرر الامتنان باستخراجها من البحار في آيتي

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الألف، فصل الحاء، ج١٤ ص١٩٥-١٩٦، وانظر، إبرهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١ ص١٩٥وج٢ ص٩٢٠،

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الألف، فصل الحاء، ج١٤ ص١٩٦.

(٣) سورة النحل آية ١٤

(٤) د. عبد الله بن محمد الطيار، زكاة الحلي في الفقه الإسلامي،ص٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تاريخ نشرغير معروف.

(٥) سورة الزخرف آية ١٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سورة فاطر وسورة الرحمن، قال تعالى: (..وتستخرجون حلية تلبسونها..)[١] وقال تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[٢].

وقد نبهت سورة الزخرف إلى قضية وهي إحساس المرأة بالنقصان والسعي منها لتكميل ذلك النقص، فالذي يربى في الحلية يكون ناقص الذات، إذ لو لا ذلك لما احتاجت إلى التزين وحرصت عليه أشد من حرصها على الطعام والشراب، لأن التزيين يكون بالزيادة المنفصلة عن الأصل، إن الزينة المكتسبة هي ما تحاول المرأة أن تحسن نفسها به كالثياب، والحلي، والكحل، والخضاب[٣]، فمن طبيعة المرأة وجبلتها أنها تنشأ في الحلية والدعة والنعومة، كما دلت الآية على أن التحلي للنساء مباح، ومحرم على الرجال، لأنه تعالى جعله من المعايب، وموجبات النقصان، فإن أقدم الرجل عليه فقد ألقى نفسه في الذل، ذلك أن من طَبْعِ الرجال الجلد، والتجلد، والخشونة والرجولة.

ثم إنّ اسناد لباس الحلي إلى ضمير جمع الذكور في الآية (تلبسونها)، كان للتغليب، والمقصود «تلبسها نساؤكم، لأنّهنّ من جملتكم، ولأنّ اقدامهنّ على التزين بها إنما يكون من أجلكم فكأنها زينتكم ولباسكم»[٤].

والله تعالى جبل النفس الإنسانية على الميل إلى الجمال، والإقبال عليه، بل جعل تعالى الحسن والزينة محبوبين إلى الناس بالطبع، مرغوب فيهما، حتى أن الرسول عليه السلام كان يستوفد الحسان في أسمائهم، وكذا في وجوههم، وكان ينقل الأسماء المستكرهة في الناس والبقاع إلى الأسماء المستحسنة،

كما كان عليه الصلاة والسلام يكرم حسان الخلقة من الصحابة، ويقربهم منه، ويبتسم لهم، ويدعوهم عند قدوم الوفود إليه، فقد فعله مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وقد كان كامل الجمال، حتى قال فيه الخليفة الراشد عمر: هو يوسف هذه الأمة، كما أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان ينزل بالوحي أحيانا

---

(١) سورة فاطر آية ١٢

(٢) سورة الرحمن آية ٢٢

(٣) انظر أبا عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥ص٣٩٣ وج١٦ص٧١

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠ ص٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على صورة دحية الكلبي[١]، وقد كان من أجمل الصحابة[٢].

المقصود أن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، ومفطور على حب الحسن، قال تعالى:(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)[٣]، وقال تعالى:(...وصوركم فأحسن صوركم..)[٤]، إن حسن التقويم يشمل جميع محاسن الإنسان الظاهرة منه والباطنة، كحسن صورته وانتصاب قامته، وكمال عقله، وحسن تمييزه، فالله تعالى أبدع صورة الإنسان وأحسنها،ثم إضافة ـ في الجمال والحسن ـ أعد للناس حلية الذهب والفضة وغيرهما،وهيأ لهم من الأسباب ما يساعدهم على الحصول عليها، والتزين بها، وقد أباح تعالى التحلي للنساء وامتن بذلك فعن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ«أخذ حريرا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي»[٥] وفي رواية«حل لإناثهم»، وقال عليه السلام:«حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم»[٦]، وبهذا يتبين أن التنشئة في الحلية مما يتمشى مع فطرة المرأة وجبلتها فقد أصبح من حاجتها الضرورية، وقد أباح لها الإسلام أن تتزين وتتحلى بأي أنواع الحلى شاءت ذهبا وفضة ، أو لؤلؤا ومرجانا، كي تتجمل لبعلها حتى يراها في صورة حسنة، فتزيد على جمال الظاهر والباطن جمال الحلي، مع العلم أن الإسلام لم يجعل تزينها هدفا بل هو وسيلة تلبي به نداء الفطرة فينبغي الإعتدال فيه حتى لا تنشغل به عن الأساس الذي خلقت من أجله، كما أن التجمل والتزين ليسا خاصين بالنساء بل خصوصية المرأة تكون في التحلي، فعلى الرجال أيضا أن يتزينوا لنسائهم بما أباحه الله لهم

---

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي بعثه الرسول عليه السلام برسالة الى قيصر يدعوه للإسلام، وحضر كثيرا من الوقائع كان يضرب به المثل لحسن صورته توفي في الشام ٤٥هـ،انظر الزركلي الأعلام ج٢ ص٦٥.

(٢) انظر، إبراهيم الحازمي، الجمال، فضله، حقيقته، أقسامه، ص٢٥ ـ ٢٦، وانظر، سيد صديق عبد الفتاح، أسرار الجمال بين الأقوال والحكم والأمثال، ص١٧، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٠هـ

(٣) سورة التين آية ٤

(٤) سورة التغابن آية ٣

(٥) أخرجه أبو داود، في كتاب اللباس، باب لبس الحرير والذهب للنساء ج٢ ص٥٠، رقم ٤٠٥٧، وصححه الشيخ الألباني، انظرصحيح سنن ابن ماجة ج٢ ص٢٨٢.

(٦) أخرجه النسائي في كتاب الزينة، باب تحريم الذهب والفضة، ج٨ ص ١٦٠ رقم ٥١٤٤، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن النسائي، ج٣ ص ١٠٥١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لأنه من تمام شكر الله تعالى على نعمه، قال

عليه السلام:«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[١]، وهذا من الجمال الذي يحبه الله تعالى، لأنه تعالى يدعو عباده إلى جمال الباطن المتمثل في التقوى، وحسن الخلق، والصمت، والأدب الرفيع، في حين أنه لم يغفل جمال الظاهر في اهتمام الإنسان ببدنه وهندامه، وهذا ما جاءت به آيات الكتاب العزيز، قال تعالى:(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)[٢]، وكما أباح الله تعالى الطيبات من الرزق أباح كذلك ما يتزين به عباده بما يحسن هيئاتهم، قال تعالى:(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة..)[٣].

إن المقام لا يتسع لعرض كل ما جاءفي سورة النحل من الجمال المادي أو المعنوي، ولو تدبر الإنسان ما تناولته السورة من الحديث عن الآفاق لأدرك بعض أسلوب القرآن في العرض وعدم إغفال الجانب الجمالي ففي مثل التعبير بالفلك ومخورها في البحار امتاع للبصر قبل الركوب والانتقال، وكذا ما تناولته من الحديث عن الأنهار الجواري، والجبال الرواسي، والأكنان، والسرابيل، والطيور السابحة في جو السماء، كل ذلك وغيره مما يوصل الإنسان إلى اليقين بأن كتاب الله يُعنى بالنواحي الجمالية، وهذا عن جمال الظاهر.

وقد تحدثت السورة عن جمال الباطن كذلك وأكدته، ويأتي في قمته التجمل بالخلق الحسن، وقد اشتملت السورة على أصول الأخلاق، قال تعالى:(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)[٤]،فجمال الباطن يدعو الإنسان أن تكون سريرته خير من علانيته، وقلبه خير من لسانه، وكل هذا يؤخذ مما جاء في ثنايا السورة، كمجيء الإحسان بعد العدل، والدعوة إلى المجازات بالأحسن، واستخدام الموعظة الحسنة في الدعوة

---

(١) أخرجه الترمذي، في كتاب الأدب،باب ما جاء أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ج٥ ص١١٤ رقم ٢٨١٩، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن الترمذي ج٢ص٣٦٨.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٦

(٣) سورة الأعراف آية ٣٢

(٤) سورة النحل آية ٩٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى الله، والمجادلة بالأحسن[١]، وبكل ذلك وغيره يصل الإنسان إلى التقوى والإحسان الذي ينال بهما معية الله ومرافقته: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[٢]، فبالتقوى والإحسان ختمت السورة، وهما ناشئان من جمال الباطن لما يتمتع به من اتصف بهما من صفات الكمال، فالخير، خير لكنه إذا زين بالجمال كان أقرب إلى الكمال، والحق أحق أن يتبع، فإذا زين بالجمال كان أدق في تحقيق العدل الذي ينشده الجميع، ومما ينبغي أن يعلم أن الزينة الحقيقية تتمثل فيما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله، في الدنيا والآخرة، اللهم زينا بزينة الإيمان وارزقنا جمالا لا يبطرنا، وغنا لا يطغينا، وأعنا على أداء الواجبات، وحسن المعاملات، واهدنا إلى ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

---

(١) ومما جاء في السورة مايبين هذه المعاني،قال تعالى:(إن الله يأمر بالعدل والإحسان..)،آية ٩٠، وقوله:(ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون) آية ٩٦، وقوله:(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة،،)، آية ١٢٥، وقوله:(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك الا بالله..)، آية١٢٦-١٢٧

(٢) سورة النحل آية ١٢٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثالث
نعام النعم التي يطيب بها العيش

الفصـــل الأول : نعمة الإمـــداد
الفصل الثاني : الامتنان بالحرية وأدوات العلم
الفصل الثالث : نعمة البيوت والظلال والسرابيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول
نعمة الإمداد

المبحث الأول: نعمة الأزواج.
المبحث الثاني: نعمة الأولاد والأحفاد.
المبحث الثالث: نعمة التفاضل في الرزق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول
نعمة الأزواج

الأزواج جمع، ومفرده زوج.«الزاي، والواو، والجيم، أصل يدل على مقارنة شيء لشيء، من ذلك الزوج، زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها، وهو الفصيح»[١].

ويطلق الأزواج على القرناء، والأضراب، والنظراء، والأمثال، والأصناف، والنكاح، والصنف من كل شيء.

بل أوقعه العرب على الجنسين المختلفين، مثل أبيض وأسود، صيف وشتاء[٢] ليل ونهار، ويدل عليه قوله تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)[٣]، والمقصود منه في هذا المبحث اقتران الزوج بالزوجة.

وفي الاصطلاح: «عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح أو تزويج»[٤]، فالزواج يراد به النكاح وإنشاء علاقة بين الزوجين بعقد شرعي ذي الشروط والأركان[٥]، فهو عقد بين طرفين يتضمن إباحة الوطء باستيفاء الشروط والأركان.

والله تعالى نوه بالزواج لأهميته، وامتن به على عباده ونظمه في عقد الطيبات التي رزقها إياهم وأنعم بها عليهم، قال تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون)[٦]، كما جعله تعالى منقبة يمتدح بها رسله الكرام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)[٧].

فالله تعالى يبين هذه المنة، يُذكّر عبيده «بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة، والرحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا، وجعل الإناث أزواجا

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٥.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الجيم، فصل الزاي، ج٢، ص٢٩١.

(٣) سورة النجم آية٤٥.

(٤) محمد رأفت عثمان، عقد الزواج أركانه وشروط صحته في الفقه الإسلامي، ص٢٥، ط١، ١٣٩٨هـ، دون ناشر.

(٥) انظر: د. محمد الأحمدي، منهج السنة في الزواج، ص٢٩، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ

(٦) سورة النحل، آية٧٢.

(٧) سورة الرعد، آية٣٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للذكور»[١]. قال تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)[٢].

فقوله تعالى: (جعل لكم من أنفسكم أزواجا): «زوج المرأة هي ثانيته، فإنه فرد فإذا انضافت إليه كانا زوجين، وإنما جعلت الإضافة إليه دونها لأنه أصلها في الوجود، وقوامها في المعاش، وأميرها في التصرف، وعاقلها في النكاح، ومطلقها من قيده، وعاقل الصداق والنفقة عنها فيه، وواحد من هذا كله يكفي للأصالة، فكيف بجميعها»[٣].

فالزواج «رزق من رزق الله الذي جعله حظا مشاعا في عباده جميعا وهو أنه سبحانه جعل بين الذكر والأنثى في عالم الإنسان، كما هو في عالم الحيوان، إلفا ومودة، بما بينهما من مشاكلة وتوافق في الطباع، الأمرالذي به يتم اجتماعهما، وتآلفهما، ثم يكون من هذا الاجتماع، والتآلف من ثمرات طيبة يقسمان منفعتهما معا..»[٤].

والزواج في الإسلام عهد وميثاق بين الزوجين، قال تعالى: (وأخذن منكم ميثاقا غليظا)[٥]، كما أن العلاقة بينهما علاقة سكن فيها تستريح النفوس، بالمودة والرحمة، والأنس مقصود في الزواج، فيه تبني الأسر، وعلى أساس الأسر تقوم المجتمعات.

فالله تعالى امتنّ «على عباده بالنكاح قدرا وأباحه شرعا، بل أحبه ورضيه، وحث عليه لما يترتب عليه من المصالح الكثيرة، رتب عليه أحكاما كثيرة وحقوقا متنوعة تدور كلها على الصلاح، وإصلاح أحوال الزوجين، ودفع الضرر والفساد، وهي من محاسن الشريعة،ـ والشريعة كلها محاسن ـ وجلب للمصالح ودرء للمفاسد»[٦].

وفي طبيعة العلاقة الجنسية بين الزوجين تتحد كيفية التجاوب والتفاعل،

---

(١) الحفظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٥٩٩.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٩.

(٣) ابن العربي، أحكام القرآن، ج٣، ص١٤١.

(٤) عبد الكريم الخطيب،التفسير القرآني للقرآن، ج٣، ص٣٢٩.

(٥) سورة النساء، آية٢١.

(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص١٠٣، ط٢، ١٤٠٩هـ، بدون ناشر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والجذب والانجذاب، وهذا لم يخصص به الإنسان دون سواه، بل هو عام في كل شيء (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)[١] ،وكما قال سبحانه: (...جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه...)[٢].

«وهذه العلاقة توثق بعقد النكاح وهو عقد يبنى على أسس متينة كي يبقى ما بقيت حياة الإنسان، وليس هدف هذا العقد مجرد تهدئة الرغبات النفسية المؤقتة، قال تعالى: (فانكحوهن بإذن أهلهن، وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان...)[٣].

وفوائد هذا الرباط أنه يمنح الأنس والمودة، ويقوي عاطفة الإيثار والتضحية، وبه يحسن السكن والصبر في مواجهة مشاق الحياة»[٤].

ففي الزواج يكمّل كل طرف صاحبه، فهو «أمر تكامل إنساني يحتاج إلى مشاركة وتعاون في التعبير عن شوق كل منهما إلى الآخر، ورغبته فيه وميله، وعاطفته نحوه، ليتحقق مقصود الزوجية، وتنطلق طاقات النفس الإنسانية، في مجالات الحياة، متوافقة مع نفسها، من خلال راحة الزوجين وسكونهما إلى الزوجية الصحيحة»[٥].

وهذا التكامل يتم بوجود تجاذب فطري بين الزوجين والذي يحتاج إلى «توفير المرأة لزوجها في نفسها وبيتها كل ما يجذبه نحوها، وأول ما يجتذب الرجل نحو المرأة الأنوثة وخصائصها، من رقة، وحياء، ولين وتلطف، وحنو، وكل ما يعف الزوج عن غير العلاقات الزوجية، حتى يجد الرجل في زوجه وحدها حصنه وسكنه، وراحة جسده، ونفسه»[٦] ولأنّ الله تعالى يقول:(ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف..)[٧]فيلزم الرجل أن يوفر لزوجه ما يقربها إليه ويحببها منه فيوفر لها «كل ما يرضي خصائصها، وأول ما يرضي المرأة احترام الرجل طبائعها الأنثوية،

---

(١)سورة الذاريات، آية ٤٩.

(٢) سورة الشورى، آية١١.

(٣) سورة النساء، آية٢٥.

(٤) محمد تقي الأميني، الإسلام تشكيل جديد للحضارة، ص٢٣٠-٢٣١ باختصار، ترجمة مقتدي حسن ياسين، دار العلوم، الرياض ١٤٠٤هـ.

(٥) د. عمارة نجيب، الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، ص٣١، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٠

(٧) سورة البقرة ،آية ٢٢٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في مقابل إبرازه لرجولته، وخصائصها كالخشونة والقوة، والقدرة على توفير أسباب الأمن، والحماية، والإرضاء الجنسي، وكل ما يكفي لإعفاف المرأة، حتى تجد فيه وحده حصنها، وسكنها، وراحة جسدها ونفسها»[١].

يجد المتأمل لكتاب الله تعالى، أنه يستعمل لفظ الأزواج في مواضع، كما يستعمل لفظ المرأة في مواضع أخرى، وأيضا لفظ النساء، والنسوة. قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها..)[٢]،وقال تعالى: (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن..)[٣]، وقال تعالى:(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين..)[٤]، وقال تعالى: (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا...)[٥].

فما الفرق بين الزوج والمرأة؟

«لو أننا تأملنا الآية الأولى نجد أن شرط الزواج هو السكن، والمودة، والرحمة، وهي مناط الموقف، وهي البقية وأمنية الزواج ولعل في قوله (من أنفسكم) يؤكد امتزاج الزوج والزوجة، لدرجة شديدة للغاية، فجعل النفس واحدة للطرفين كل منهما لباس للآخر (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)[٦]. سبحان الله.

ومن هنا يجلو للذهن أن الزوجة هي التي تقوم بواجب الزوجية من الإخلاص والسكن إليها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريا تنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)[٧].ولذلك كانت زوج آدم ليست امرأة.

أما إذا تعطلت آية الزوجية من السكن والرحمة والمودة فهي امرأة وليست زوجة وذلك سواء في هذا أو في تباين العقيدة، أو الخيانة الزوجية»[٨].

ويمكن أن تتعطل الزوجية كليا ،باختلاف العقيدة أوالوفاة،أو جزئيابالعقم، أو

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠.

(٢) سورة الروم، آية٢١.

(٣) سورة الأحزاب، آية٥٩.

(٤) سورة التحريم، آية ١٠.

(٥) سورة يوسف، آية٣٠.

(٦) سورة البقرة، آية١٨٧.

(٧) سورة الفرقان، آية ٤.

(٨) د. السيد الجميلي، الإعجاز الفكري في القرآن، ص٥٨-٥٩، ط دار ابن زيدون، بيروت،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالنشوز،فإذا اختلفت عقيدة الزوجة تسمى امرأة، قال تعالى:(..امرأة نوح وامرأة لوط...) وقال تعالى:(وضرب الله مثلا للذين ءامنوا امرأة فرعون..)[١]،وكذلك في حال الخيانة تسمى امرأة (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه)[٢].

ولما كان غرض الزواج ليس مجرد التمتع العابر ، بل هو تمتع هادف يعمل على بقاء النسل، والمحافظة عليه، ولهذا كان عليه السلام يحث أمته على التزوج بالودود الولود ، حيث يقول: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[٣].

وإذا تعطل الإنجاب بالعقم يحول الزوجة إلى امرأة، ولذلك دعا نبي الله زكريا عليه وعلى نبينا أفضل السلام ربه أن يزيل العقم عن امرأته فتتحول إلى ولود ، ومن ثم تكامل الزوجية بينهما (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا)[٤]، فلما استجاب الله دعاءه وجاء المولود صلح الحال وتكاملت الزوجية، قال تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه)[٥].

فالزواج إذا سنة ماضية، ومأرب نفسي، وضرورة اجتماعية، يتوقف عليها بقاء النوع الإنساني، ويخلد أثر الإنسان، وتنتظم غريزته، فهو الطريق الصحيح، والأمثل لبناء أسر متماسكة، وهو باب من أبواب السعادة، ومتعة من خير متع الدنيا ، ومحبب إلى ذوي الفطر السليمة، إضافة إلى أنه من سنن المرسلين، قال صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٦]، وقال عليه السلام: «ما استفاد المسلم بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها

---

(١) سورة التحريم انظر الآيتين، ١٠-١١

(٢) سورة يوسف، آية ٣٠.

(٣) أخرجه أبو داود، في كتاب النكاح،باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ج٣، ص٢٩٧. والنسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، ج٢، ص٧١، والحاكم في المستدرك، ج٢ ص١٦٢، وصححه وأقره الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح السنن ج ٢ص٩٦٨

(٤) سورة مريم آية ٥.

(٥) سورة الأنبياء، آية ٩٠.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ج٢، ص١٠٩٠، والنسائي، في سننه كتاب النكاح، باب المرأة الصالحة، ج٢، ص٧٢-٧٣، وابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب فضل النكاح، ج١، ص٥٩٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»[١].

وقد جعل عليه السلام الزواج من المسلك المحبب إلى النفوس فقال: «حبب إلي من الدنيا النساء ،والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة»[٢].

وقد كان هذا كذلك لأن حب النساء لا يعلو عليه حب شيء آخر من متاع الدنيا، لأنهنّ مطمع النظر، وموضع الرغبة، وسكن النفس، ومنتهى الأنس؛ لذلك جعلهنّ الله مما زين للناس من الشهوات[٣] قال تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...)[٤].

والله جل جلاله أوضح في غير آية من سورالقرآن أن الزواج نعمة ولعظمها عدها آية من آياته الباهرة، فبين أنه خلق الأزواج من نفس واحدة، وجعل كل طرف منهما يسكن إلى الآخر، وجعل بينهما المودة، كما أوجد بينهما الرحمة، ويكون في الاتصال بينهما عبر وآيات للمتفكرين، قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[٥].

«فهذه الآية تنبه الرجل والمرأة إلى أن من أعظم دلائل قدرة الله وآيات كرمه أن خلق للرجل زوجة من جنسه ليسكن إليها، والسكون النفسي المذكور في هذه الآية، هو تعبير بليغ عن شعور الشوق والحب والرغبة الذي يشعر به كل منهما نحو الآخر، والذي يزول به أعظم اضطراب فطري، في القلب والعقل، لا ترتاح النفس وتطمئن في سريرتها بدونه، كذلك من دلائل كرمه التي حدثتنا به الآية أنه جعل بين الزوجين مودة حب ورحمة عطف ثابتين، لا تبليان كما تبلى مودة غير

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب النكاح، باب فضل النكاح، ج١، ص٥٩٦، في سنده علي بن زيد ، قال البخاري منكر الحديث، وأخرجه النسائي من طريق أبي هريرة، كتاب النكاح، باب المرأة الصالحة، ج٢، ص٧٢.

(٢) أخرجه النسائي في السنن، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ج٢، ص١٥٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب النكاح، وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

(٣) انظر، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣، ص٢٣٩، دار المعرفة، بيروت، ط٢ بدون تاريخ.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٤.

(٥) سورة الروم، آية٢١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الزوجين ممن ألّفت بينهما الشهوات»[١].

فأين إذاً تتجلى نعمة الله في الزواج؟

لما جعل الله المودة والرحمة آية من آيات الله في الزوجين كانت النعمة «تتجلى في رجل اقترن بامرأة ليست من قراباته ولا من بلدته، بل قد تكون من قطر غير قطره، لا يمضي زمن قليل حتى يكون بين الزوجين من أواصر المودة، ووشائج الرحمة ما يجعل كل واحد منهما كالجزء من الآخر، وقد تنسى المرأة بذلك الإزدواج أهلها وأبويها، وليس ذلك كفرانا لجميل الأهل، أو قطعا لرحم الأبوين، وإنما هو مظهر من مظاهر تقليب الله تعالى للقلوب، وتصريفه للنفوس. فبدل ما كان بين الزوجين من وحشة إلى أنس، ومن بعد إلى قرب، وذلك لحكمة كبرى، وغاية سامية، هي وضع أساس صالح لبناء الأسر والبيوت، والتعاون، على تربية النسل، فتعمر الدنيا، وتنتظم هذه الحياة»[٢].

فمن آيات الله ما فطر عليه المرأة من ترك أبويها، وإخوتها[٣]، والرضا بالاتصال بالغريب عنها تصاحبه، وتساهم معه في الحياة، أنسا وسكنا، أكثر من أنسها مع أهلها، فتركها لهم لا تقدم عليه إلا وهي واثقة بقوة صلتها بهذا الزوج، وهناءة عيشها معه، فلو قيل لأي امرأة ستكونين زوجة لفلان من الناس، فأول شيء يخطر ببالها - وإن لم تبح به - أنها ستكون عنده أفضل مما هي عليه عند أبويها، وأهلها، وهذا من الميثاق الذي استفرغ في فطرتها، فتحس أنها في سعادة لا يعلوها شيء من متع الحياة، وإن لم تر ذلك الزوج أو تسمع له كلاما.

وإذا أراد أن يهنأ الإنسان بالحياة السعيدة السوية فعليه بذات الدين،والمنبت الكريم، والبيئة الصالحة، وليعلم أن جمال الظاهر يفنى، وجمال الباطن يبقى، فالمرأة الجميلة تسر العين، ولكن المرأة الفاضلة تسر القلب، وللأسف ما أكثر ما تُغْري الأعين بجمال يخفي وراءه قبيح النفوس، فلينظر الإنسان إلى تقديم أي المسرتين شاء.

---

(١) خيرالله طلفاح، كيف السبيل إلى الله، الإسلام دين ودولة، ج٣، ٢٧٩، ط٢، ٧٥-١٩٧٦م، دون ناشر.

(٢) محمد أمين العدوي، آيات الله في الأفاق، ص٣-٤، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دون تاريخ.

(٣) انظر، محمد رشيد رضا، تفسر المنار، ج٤، ص٤٦١، دار المعرفة، بيروت، ط٢، تاريخ غير معروف، للاستزادة في هذا الموضوع.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد هذا العرض لأهمية الزواج في حياة الإنسان يمكن بيان بعض المصالح التي تتحقق به ومنها:-

المحافظة على النوع الإنساني

حدوث السكن الروحي والنفسي بين الزوجين

تنامي المودة والرحمة بينهما.

إشباع الغريزة، وكسر الشهوة.

تعاون الزوجين في بناء الأسرة.

تأجيج عاطفة الأبوة والأمومة.

سلامة المجتمع من الإنحلال الخلقي.

سلامة المجتمع من الأمراض.

المحافظة على الأنساب

#تكثير الأمة، بإنجاب الأبناء الذين يعتبرون من أهم ثمار الزواج وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث اللاحق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
نعمة الأولاد والأحفاد

الأولاد جمع، ومفرده ولد. «الواو ، واللام، والدال أصل صحيح، وهو دليل النجل والنسل، ثم يقاس عليه غيره، من ذلك الولد وهو للواحد، والجمع»[١].

«الولد اسم يجمع الواحد، والكثير ، والذكر والأنثى، الولِد، والوُلَد، بالضم ما ولد أيا كان، وهو يقع على الواحد والجمع، والذكر والأنثى، وقد جمعوا، فقالوا: أولاد، وولِدة، وإلدة»[٢].

الأحفاد جمع ومفرده حفيد، «حفد، يحفد حفدا وحُفدانا، واحتفد خف في العمل وأسرع، وحَفد يحفد حفدا: خدم، والحفد والحفَدَة: الأعوان والخدمة، واحدهم حافد، وحفدة الرجل: بناته، وقيل أولاد أولاده، وقيل الأصهار، والحفيد ولد الولد والجمع حفداء»[٣].

في الاصطلاح:

الأولاد: هم البنون والبنات من صلب الرجل. والحفدة: هم أولاد الأولاد[٤].

قال تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون)[٥].

المتأمل لهذه الآية الكريمة يجد أن الله تعالى رتب فيها النعم الغرار التي لا يستغني عنها أحد من البشر، فامتن عليهم أولا أنه جعل لهم من جنسهم وشكلهم أزواجا، ثم امتن بأن جعل من أزواجهم بنين تبع ذلك الامتنان بجعل الحفدة من البنين، ومن كرمه تعالى رزق الأزواج والبنين والحفدة من الطيبات وفيه مشاكلة بين الرزقين ليقوموا بالثناء عليه بذكر إحسانه وإنعامه.

*** نعمة الأولاد:**

الأولاد هم أشطار القلوب وفلذات الأكباد، ورياحين الدنيا، وثمرات الحياة، تحيا بهم المنازل، وبهم تعمر الدور، فهم قرة عين الآباء والأمهات، يسهران لراحتهم، ويجوعان لشبعهم ويفديانهم بالمهج والأرواح،يحسان أن حياتهم امتداد

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص١٤٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، باب الدال، فصل الواو، ج٣، ص٤٦٧.

(٣) المرجع السابق، باب الدال، فصل الحاء، ج٣، ص٤٦٧ باختصار.

(٤) انظرابن العربي، أحكام القرآن،ج٣،ص١٤٢ وانظر الشنقيطي، أضواء البيان،ج٣، ص٣١٧.

(٥) سورة النحل آية ٧٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لهما[١].

فالأبناء والذرية من نعم الله العظمى التي امتن بها على عباده في هذه السورة (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)[٢].

والأبناء أمنية كل نبي ورسول، وبهم يدعو المؤمنون، فالشوق إليهم فطرة فطر الله كل الخلق عليها، إشباعا لغريزة حب البقاء، واستمرارالنوع البشري، وامتدادا للعمر، ويتحقق ذلك بصلاح الأولاد بعد إيجادهم، وهو ما يطلب الأنبياء والصالحون (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا)[٣]وفي دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام (رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم)[٤]، وبهذا كانت دعوة المؤمنين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)[٥].

فعباد الرحمن يرجون الله دائما أن يعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وتقر بهم عينهم في الدنيا والآخرة «وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله، وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجه اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة، ونظر وحوطة، أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، معانون له على وظائف الدنيا، لم يلتفت إلى زوج أحد، ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتد عينه إلى ما ترى، فذلك قرة العين، وسكون النفس»[٦].

إن نص آية سورة النحل ظاهر في تعديد النعمة في الأبناء، والزوجان السبب في وجودهم أضيف إليهما وإن كان الله تعالى هو الذي خلق المولود فيهما.

والأولاد مما يتزين به الوالدان في الحياة، وتستمر الزينة مع صلاحهم إلى ما بعد الممات، ولما كانت في المركوب زينة، وكذا في الملبوس والمسكون، كانت الزينة في الموهوب أتم وأكمل، ولذلك توارث المسلمون عن سلفهم أن يباركوا لكل

---

(١) انظر: معوض عوض إبراهيم، الإسلام والأسرة، ص٩٧، سلسلة الثقافة الإسلامية، تاريخ، نشر غير معروف

(٢) سورة النحل آية ٧٢.

(٣) سورة مريم، آية٥-٦.

(٤) سورة الصافات، آية ١٠٠-١٠١.

(٥) سورة الفرقان، آية٧٤.

(٦) أبي عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٨٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من رزق بمولود بعبارات عظيمة المعاني عميقة الدلالات، - وإن نسيت في واقع كثيرين اليوم - «بورك الموهوب، وشكرت الواهب، ورزقت بره، وبلغ أشده»[١].

فالأولاد إذن من حرث الدنيا وزينتها، وللآخرة حرثها (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)[٢].

ففي تقديم المال على البنين دلالة بأنه المطلوب الأول للإنسان فالكل يتفق عليه ، وليس كل إنسان يطلب الولد، فقد تجد من يعيش بغير سكن إلى زوجة، ولكن لا يوجد من يستغني عن طلب المال، ومع هذا إذا حصل الولد تعلق به القلب وقدم على المال، وفي الآية تأكيد على أنهما زينة فقط، وليس لهما قيمة فيتمتع بهما كما يتمتع بالزينة في حدود الطيبات[٣].

ففي نشوء الأولاد على الصلاح وتربيتهم على الأخلاق الحميدة والآداب الفاضلة بسلوك طريق العلم والعمل، يكونون مفخرة لوالديهم وعونا لهم، وهذا من زينة المؤمن في حياته[٤]، والأبناء زينة فاخرة وشهوة إلى النفس محببة، وزهرة يانعة، وقرة عين، لهذا يكون لهم الآباء كالأرض الذليلة تواضعا وكالسماء الظليلة، يعطونهم إذا طلبوا، ويرضونهم إذا غضبوا، ويمنحونهم الود والحنان، لأنهم امتداد للحياة، وحماة للأمجاد، وحملة للأسماء والأنساب.

إنّ نعم إنجاب الأبناء تحقق الثمار الآتية:

١- امتداد حياة الآباء، وتسلسل البشرية .

٢- مساعدة الوالدين.

٣- التمتع بالنظر إلى الأبناء وأبنائهم كحفدة.

٤- رجاء حصول شفاعتهم يوم القيامة إن ماتوا صغارا

٥- بقاء العمل الصالح للوالدين بعد موتهما.

٦- الدعاء للوالدين والبر بهما .

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص٢٠، ونسبه إلى الحين البصري، دار اكتب العلمية، بيروت، ط٣.

(٢) سورة الكهف، آية ٤٦.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٤١٣، وعبد الكريم الخطيب التفسير القراني للقرآن، ج٣، ص٦٢٧،

(٤) انظر ناجي الطنطاوي، كلمات نافعة، ص١٠٩، ط١، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٨هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن تسلسل البشرية وامتدادها يبقى ما بقي التزاوج والتوالد، إلى أن يشاء الله تعالى، ولو عزف كل إنسان عن الزواج لانقرض النوع الإنساني، ولكن من رحمة الله بالخلق جعل الإنسان يعمل ويكد ويتزوج وينجب ويربي ويكبر ثم يسلم الراية لمن يأتي بعده، فكل يؤدي دوره في بقاء النوع واستمرارها، وبناء المجتمع وتطويره، وإضافة لبنات جديدة في صرح الحضارة، ثم يمضي إلى سبيله، فحكمة التناسل والإنجاب لإبقاء الجنس البشري مما فطر الله الزوجين عليه، ويمثل له بأن سيدا أعطى عبده بذرا وآلات حراثة، وأرضا صالحة للزراعة، ووكل به رقيبا يستحثه فإن تراخى العبد في الحرث والزرع، ونحى ذلك الوكيل الدافع الملح، فقد استوجب غضب سيده وإبعاده، والله تعالى خلق الزوجين الذكر والأنثى، وزود كل منهما بخواصه، وجعل الشهوة تدعو المرسل والمستقبل إلى إظهار حكمة الله في كثرة النسل[١].

وقد حث الشرع على مناكحة المرأة الولود.

عن معقل بن يسار[٢] رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»[٣]

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعا بلفظ «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[٤].

---

(١) انظر، أبي حامد الغزالي، الزواج الإسلامي السعيد وآداب اللقاء بين الزوجين، ص٢٢-٢٣، تحقيق محمد عثمان الخشاب، مكتبة القرآن، بدون تاريخ طبع.

(٢) معقل بن يسار بن عبد الله المزني له صحبة ورواية، روى له الجماعة مات بالبصرة في آخر خلافة معاوية، انظر المزي تهذيب الكمال ج٣ص١٣٥٢

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم تلد من النساء، ج٣، ص٢٩٧، والنسائي، في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، ج٢، ص٧١، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، ج٢، ص١٦٢، وأقره الذهبي، وهو صحيح لغيره،

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٣، ص١٥٨، والبيهقي في السنن الكبرى، ج٧، ص٨١-٨٢، وابن حبان في موارد الظمآن، ص٣٠٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي هذا حث منه صلى الله عليه وسلم بالزواج من المرأة المحبة الولود[١]، لأن في ذلك تكثير للأمة، ولتحقق ذلك لا بد من الاهتمام بالتربية والعمل على إيجاد ذرية تحمل في كيانها دين الإسلام.

ومن نعم الأولاد قيامهم بمساعدة الآباء المتمثلة فيما يأتي:

١- دعم اقتصاد الأسرة.

٢- الحاجة إليهم في النصرة.

٣- قيام البنات بالخدمة في البيوت ومعاونة الأمهات في تدبير شؤون المنزل.

فالأبناء يعتبرون من كسب الآباء، قال صلى الله عليه وسلم: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم»[٢] وقوله: «أنت ومالك لوالدك»[٣] لمن شكا إليه والده بأنه يجتاح ماله.

فيعاون الأبناء الآباء ماديا خاصة إذا زادت أعباء الوالدين أو ضعفا عن العمل والإنتاج، والأبناء الذين يتربون على الإيمان، والعمل الصالح، يؤدون واجبهم نحو والديهم دون ملل أو تبرم، معتقدين أن ذلك مما يمليه عليهم دينهم، وحق واجب للآباء لأنهما السبب في وجودهم[٤]، وتربيتهم ولذلك جاء شكرهما مقرونا بشكر الله تعالى

قال تعالى:(...أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير)[٥]، وقد أمر الله تعالى بعد عبادته بالإحسان إليهما، قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

---

(١) قال الخطابي: ويعرف هذان الوصفان، يعني الودود والولود في الأبكار من أقاربهن، إذ الغالب سراية طباع الأقارب بعضهن إلى بعض، انظر الخطابي معالم السنن ج٣ ص٢٠٧.

(٢)أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده، ج٢، ص٢٥٩، وكذا النسائي، باب الحث على الكسب، ج٢، ص٢١١، والترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده، وقال عنه صحيح، ج٣، ص٦٣٩.

(٣)أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده، ج٢، ص٢٥٩،وحسنه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن أبي داود ج٢ ص٦٧٤.

(٤) انظر محمد الأحمدي أبو النور، منهج السنة في الزواج، ص٩٥، دار التراث العربي للطباعة والنشر القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

(٥) سورة لقمان، آية١٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبالوالدين إحسانا...)[١].

ودور الآباء في النصرة معروف في الجاهلية والإسلام، بل كانوا يتفاخرون في الجاهلية بكثرة الأولاد، وتأمل عودة الرسول عليه السلام من الطائف إلى مكة وطلبه من مطعم بن جبير[٢] أن يجيره حتى يبلغ دعوة ربه، وقبول مطعم بذلك واستنهاض أبنائه بحمل السلاح ووقوفهم عند أركان البيت يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣]، ففي القصة استنصار الوالد بأولاده.

ومن نعم الله في الأبناء أن يرجو الوالدان شفاعتهم عند الله، فهذا يعتبر من الرصيد الذي يدخره الله للمؤمن يوم الشدائد إن صبر واحتسب، واسترجع، فيشفع هؤلاء الأبناء ويقون والديهم من عذاب النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلة القسم»[٤].

ومن ثمار الأولاد عندما يتعهدهم الوالدان بالتربية القويمة يكونون امتدادا لعملهم الصالح بعدهم إذا ماتوا، فيلحق الآباء من الثواب بعد وفاتهم الشيء الكثير بسبب أولادهم قال صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٥].

فأخبر عليه السلام أن جميع أعمال بني آدم تنقطع عنه بموته إلا ثلاثة أمور يستمر ثوابها له ومنها الولد الصالح لأن صلاحه يدفعه للبر بالوالدين بعد موتهما

---

(١) سورة الإسراء، آية ٢٣.

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل القرشي رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفِجَار أجار الرسول كما أجار سعد بن عبادة وهو أحد الذين مزقوا صحيفة قريش بمقاطعة بني هاشم مات على الكفر قبل وقعة بدر انظر الزركلي ،الأعلام ج٧ ص٢٥٢.

(٣) ذكر القصة ابن جرير في تأريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٨٢-٨٣، ونظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٣٧.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجنائز، باب الحسبة في المصيبة، ج١، ص٢٣٥، والبخاري كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ج٣، ص٩٥-٩٦، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ج٤، ص٢٨.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٣، ١٢٥٥، برقم١٦٣١، وأبو داود في كتاب الوصايا باب ما تجاء في الصدقة عن الميت، ج٢، ص١٠٦، والترمذي كتاب الأحكام، باب الوقف، ج٣ ص٦٦٠، وقال حسن صحيح، والنسائي في كتاب الوصايا، باب فل الصدقة للميت، ج٢، ص١٢٩، برقم٣٦٨١، وأحمد في المسند، ج٢، ص٣٧٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بكل أنواع البر من صدقة وإحسان ودعاء وقد أخبر عليه السلام بقوله: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي»[١].

وعن أبي أسيد قال جاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتهما شيء؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما[٢] والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهذا الذي يقي عليك»[٣].

فعلى الأبناء أن يقوموا بحق الآباء من البر بهما والشكر لهما وطاعتهما، ولو كانا مشركين، لكن في غير معصية الله، مع تقديم حق الأم لما لاقت وتعبت فحقها ثلاثة أضعاف حق الأب في البر، فينبغي الإحسان إليهما، وعدم الجهاد إلا بإذنهما، بل الجهاد فيهما بالبر والرعاية والعناية، وعدم التضجر منهما ولو بأقل كلمة، وخفض الجناح لهما مع الذل والرحمة، والدعاء لهما دائما بالرحمة والمغفرة، ومن تمام البر صلة الرجل أهل ود أبويه بعد موتهما، قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)[٤].

إن نعمة الأبناء تلزم الآباء أن يقوموا بحقوقهم نحوهم قبل وجودهم وبعده، حتى يجدوا الثمرة الطيبة في الدنيا والآخرة ومن هذه الحقوق أن يحسنوا اختيار أمهات أولادهم أولا، ثم بعد الزواج وعند التقاء الزوجين ينبغي أن يتعوذا بالله من الشيطان الرجيم، فإنه إن قدر بينهما مولود لم يضره الشيطان،[٥] ثم إن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، رقم٢٥٥٢، ج٤، ص١٩٧٩، وأخرجه أبو داود في كتاب الأب، باب في بر الوالدين، ج٤، ص٣٣٧.

(٢) المراد بالصلاة عليهما الدعاء لهما بالرحمة كما أمر الله به بقوله (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الإسراء آية ٢٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٣، ص٤٩٨، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، ج٤، ص٣٣٦، برقم٥١٤٢.

(٤) سورة الإسراء، آية ٢٣-٢٤.

(٥) لقوله عليه السلام: «لو أن أحدكم أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره» رواه مسلم كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ج٢ ص١٠٥٨ رقم ١٤٣٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منحهما الله مولودا عليه أن يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى[١]، حتى يكون أول ما يتقاطر إلى أذنه ذكر الله والشهادتين، ثم يتخير له الأسماء الحسنة[٢]، ويتصدق عنه يوم سابعه بشاة للأنثى وشاتين للذكر فهي من السنن المؤكدة، فعلها الرسول عليه السلام وفعلها من بعده أصحابه[٣]، ثم يختتنه إن كان ذكرا اتفاقا، وفي ختان الأنثى خلاف.

وعلى الوالد أن يهذب أبناءه في السنين الأولى، ثم من سن السابعة يدربهم على الصلاة ويأمرهم بها[٤]، ويفرق بينهم في المضاجع، وعليه أن يؤدبهم بالأدب الإسلامي، وأن يعلمهم آداب الخروج والدخول، والاستئذان[٥] وأن يعول الوالد الذكور حتى يستطيعوا الكسب، والإناث حتى يتزوجن[٦]، وعليه أن يهتم بمصاحبة الذكور ومشاورتهم ومرافقتهم في السفر حتى يكتسبوا الخبرة في أمور الحياة ويتعلموا الرجولة والمسئولية[٧]، وأن يهتم بالعدل بينهم ذكورا وإناثا في العطاء

---

(١) لقوله عليه السلام: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان، رواه ابن السني عن الحسين بن علي، وقد فعله عليه السلام بالحسن والحسين، كما رواه أبو داود والترمذي عن أبي رافع، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة، انظر سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه ج٤ ص٣٢٨ رقم ٥١٠٥، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح السنن ج٣ص٩٦١.

(٢) لقوله عليه السلام: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم» رواه أبو داود، في كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء ج٤ ص٢٨٧ رقم ٤٩٤٨، قال أبو داود ابن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء اهـ. لعله يشير الى انقطاع السند.

(٣) لقوله عليه السلام «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى» رواه أصحاب السنن،انظر سنن أبي داود كتاب الأضاحي باب في العقيقة ج٣ ص١٠٦ رقم ٢٨٣٨، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن ج٢ ص٥٤٧

(٤) لقوله عليه السلام: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناءلعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب متى يؤمرالغلام بالصلاة ج١ ص١٣٣ ورواه الإمام أحمد في المسند،ج٢ ص١٨٠.

(٥) لقوله تعالى: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم...) سورة النور آية ٥٧.

(٦) لقوله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» رواه أبو داود في كتاب الزكاة باب في صلة الرحم ج٢ ص١٣٢ رقم١٦٩٢، وحسنه الألباني في صحيح السنن ج١ ص٣١٧،

(٧) انظر طه عبد الله العفيفي، حق الآباء على الأبناء، ص٧٥-١٢٣، بدون ناشر ولا تاريخ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المادي والمعنوي، وفي الوصية وفي النظرة والمعاملة، فبهذا يستطيع أن يتملك قلوبهم ويدخل السرور في نفوسهم، فينبتون نباتا حسنا، ويصبحون جيلا قويا نافعا ذكورا وإناثا، يعمرون الأوطان ويبنون الأمة فلن يقتصر نفعهم على الوالدين فحسب بل يتعداه إلى الأمة والأجيال الممتدة.

*** الامتنان بالأحفاد:**

ذكر الله تعالى الأحفاد على سبيل الامتنان بهم بعد الامتنان بالأزواج والبنين، وقد وقع خلاف بين العلماء في بيان الحفدة وفي المعنى المقصود به في قوله تعالى: (...وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)[1].

فمنهم من قال المقصود به الخدم، ومنهم من قال: الأعوان ، ومنهم من رأى أنه ولد ولد الرجل، وقيل: إنهم الأختان، وقيل:إنهم الأصهار[2].

وقد ساق الإمام الطبري هذه الأقوال منسوبة إلى قائليها بأسانيده ثم رجح منها ما رآه راجحا، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: أن الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة، والحفدة في الكلام العربي: جمع حافد .. والحافد في كلامهم: هو المتخفف في الخدمة والعمل، والحفد: خفة العمل، وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل المتخففون فيها، وكان الله تعالى ذِكْرُه - أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذي يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا، من أزواجنا، وخدمنا من مماليكنا، إذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل، على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة، دون نوع منهم وكان قد أنعم بكل ذلك علينا لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فكل الأقوال - التي ذكرنا عمن ذكرنا - وجه في الصحة، ومخرج في التأويل، وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بينا

---

(١) سورة النحل آية ٧٢

(٢) انظر ابن العربي، أحكام القرآن، ج٣، ص ١٤١-١٤٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الدليل»[١].

وقد رجح الشيخ الشنقيطي بأن المقصود بالحفدة هم أولاد الأولاد فقال: «الحفدة جمع حافد، اسم فاعل من الحفد، وهو الإسراع في الخدمة والعمل، وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يكون في نفس الآية قرينة دالة على عدم صحة قول بعض العلماء في الآية، وفي هذه الآية الكريمة قرينة دالة على أن الحفدة أولاد الأولاد لأن قوله (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) دليل ظاهر على اشتراك البنين والحفدة في كونهم من أزواجهم، وذلك دليل على أن كلهم من أولاد أزواجهم، ودعوى أن قوله: (وحفدة) دليل ظاهر على اشتراك البنين والحفدة في كونهم من أزواجهم، وذلك دليل على أن كلهم من أولاد أزواجهم. ودعوى أن قوله (وحفدة) معطوف على قوله أزواجا غير ظاهرة، كما أن دعوى أنهم الأختان، وأن الأختان أزواج بناتهم، وبناتهم من أزواجهم، وغير ذلك من الأقوال - كله غير ظاهر - وظاهر القرآن ما ذكر، وهو اختيار ابن العربي المالكي[٢]، والقرطبي[٣] وغيرهما، ومعلوم أن أولادالرجل وأولاد أولاده من خدمه المسرعين في خدمته عادة والعلم عند الله»[٤].

وإذا كان المقصود بالحفدة هم أولاد الأولاد بترجيح من سبق من العلماء، فإن ابن البنت يطلق عليه سبط[٥]، ويطلق على ابن الابن حفيد، وقد أطلق القرآن على أبناء الابن وأبناء البنت بأنهم حفدة[٦]، كما ذكر في آية أخرى بأنهم نافلة قال تعالى: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة)[٧].

«والحافد أصله المسرع في الخدمة، وأطلق على ابن الابن لأنه يكثر أن يخدم جده لضعف الجد بسبب الكبر، فأنعم الله على الإنسان بحفظ زوجه، ثم كون أبناء

---

(١) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن ج٨ ص١٤٦-١٤٧، دار الفكرط١٤٠٨هـ

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ج٣، ص١٤١-١٤٢.

(٣) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٤٤.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣، ص٣١٧-٣١٨.

(٥) كما كان يطلق على الحسن والحسين أبناء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم أسباطه، «..سبط رسول الله وريحانته»

(٦) انظر الموسوعة الفقهية، ج١٧، ص٣٢٧.

(٧) سورة الأنبياء، آية٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أبنائه من أزواجهم فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع»[١].

وبهذا يكون الامتنان بالحفدة على الإنسان فيه زيادة في مسرة العائلة قال تعالى: (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)[٢].

وإزاء هذه النعم التي تتزامن مع الأولاد والحفدة لا ينسى المرء أنه قد يكون في الأبناء من يفتن فيوقع في المخالفة والمعصية، بل منهم من يتجاوز ذلك إلى العداوة، فقد جاء كتاب الله منبها من ذلك تارة ومحذرا أخرى، وذلك أن من الأولاد من يدفعون إلى الفتنة، وإلى المجبنة، كما يدفعون إلى المبخلة، والمحزنة، والمهرمة والإلهاء عن ذكر الله، قال تعالى: (يا أيهاالذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم، إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وقد سأله رجل عن هذه الآية ـ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا أصحابهم قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله هذه الآية[٤].

«يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد، بمعنى أنه يتلهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)[٥]

ولهذا قال (فاحذروهم) قال ابن زيد يعني على دينكم.. وقوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)[٦]، يبين تعالى أن الأموال والأولاد

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٤، ص٢١٨-٢١٩.

(٢) سورة هود، آية٧١.

(٣) سورة التغابن، آية١٤-١٥.

(٤)أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب ما جاء في سورة التغابن، ج٥، ص٣٩١، وقال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ج٢، ص٤٩٠، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) سورة المنافقون، آية٩.

(٦) سورة التغابن، آية١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتنة أي: اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه»[١].

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الولد مبخلة مجبنة»[٢]. وأخرج الحاكم بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حسينا ثم أقبل عليهم، فقال:«إن الولد مبخلة مجبنة، مجهلة، محزنة»[٣].

ففتنة الإنسان في ولده تكون بسبب محبته أولاده وشغفه بهم وشفقته عليهم، ربما اكتسب المال من الشبهات، وربما ترك كثيرا من الطاعات والخيرات لانشغاله بأمورهم وشؤونهم»[٤].

فمن تمام نعمة الله بالأبناء أن يهتدي الابن إلى طريق الحق فيكون قرة عين لوالديه في الإيمان، ويحفظ لهما الصلة بنقائها، وهذا يتطلب تضافر الجهود منهما بالتربية والرعاية، وعدم إرخاء حبال المودة له، حتى لا ينسى ذكر ربه فينفلت ويصعب إقامته بعد العوج، لذا جاء الكتاب العزيز يحذر من ذلك وينبه على خطورة الافتتان بهم فدل على أنّ الأساس الذي يقوم عليه علاقة الوالد بولده هو الإيمان والعمل الصالح[٥].قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٧٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات، وصححه الألباني في صحيح السنن، ج٢، ص٢٩٥، ومعناه مظنة البخل والجبن، لأجله يبخل الإنسان ويجبن، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٤، ص١٧٢، وعنه أخرجه الحاكم، وعن الحاكم أخرجه البيهقي، انظر المستدرك، ج٣، ص١٦٤، وللحديث شواهد منها حديث الأشعث بن قيس مرفوعا عن طريق مجالد، وهو مختلف فيه، وفي الحديث: « ..لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين وأجرا إذا قبضوا،ثم قال : ولئن قلت:إنهم لمجبنة محزنة» والشاهد الآخر عن أبي سعيد مرفوعا من طريق ابن أبي يعلى عن عطية، وهو ضعيف مدلس، ولفظ الحديث: «الولد ثمرة القلوب وإنهم مجبنة مبخلة محزنة»، فالحديث حسن لشواهده، انظر أحمد العيسوي، أحكام الطفل، ص٣٨. ط١، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٣) أخرجه الحاكم، في المستدرك، ج٣، ص٢٩٦، وفيه محمد بن الأسود مختلف فيه، فيصلح شاهدا للحديث السابق، انظر أحمد العيسوي، أحكام الطفل ، ص٣٩-٣٩.

(٤) ناجي الطنطاوي، كلمات نافعة، ص١١٠.

(٥) انظر محمود محمد عمارة، تربية الأولاد في ظل الإسلام،ص٦٣، ط٢، دار التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)[١] ، ووضع كتاب الله هذه العلاقة في إطارها الصحيح قال تعالى: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)[٢]

---

(١) سورة المنافقون، آية٩.

(٢) سورة سبأ، آية٣٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

نعمة التفاضل في الرزق

التفاضل: التمايز، التنافس، والتفاوت، «الفضل والفضيلة، ضد النقص والنقيصة. والفضال والتفاضل: التمايز في الفضل، وفضله مزاه، والتفاضل بين القوم: أي أن يكون بعضهم أفضل من بعض»[١].

«والفضل: الإحسان ابتداء بلا علة، فاضله مفاضلة وفضالا: غالبه في الفضل، فضّله على غيره عدّه، أفضل منه، وتفاضل القوم: تنافسوا في الفضل»[٢]

الرزق مصدر من رزق : «الراء، والزاي، والقاف، أصل واحد يدل على عطاء لوقت، ثم يحمل عليه غير الموقوت، فالرزق عطاء الله جل ثناؤه، ويقال رزقه الله رزقا»[٣].

«الرزق : بالفتح مصدر، وبالكسر اسم الشيء المرزوق، وهو كل ما ينتفع به ويجوز أن يوضع كل منهما موضع الآخر، والرزق ما ينتفع به مما يؤكل ويلبس، والرزق ما يصل إلى الجوف ويتغذى به، والعطاء أو العطاء الجاري»[٤].

* التفاضل في الرزق:

بعد النظر والتأمل في المعاني اللغوية للعبارتين وبعد ضمهما إلى بعضهما يمكن الخروج بالتعريف الآتي:

التفاضل في الرزق هو« التفاوت الذي يقع بين الناس في مختلف الأحوال والأمور المادية والمعنوية من حظوظهم».

والله جل جلاله فاوت بين الناس في أرزاقهم وجميع أحوالهم، فتجد فيهم الغني، والفقير، وبين ذلك، كما تجد القوي والضعيف، والصحيح، والسقيم، وغير ذلك، فقال سبحانه مبينا هذا التفاوت: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الفاء، ج١١، ص٥٢٤.

(٢) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم المسيط، ج٢، ص٦٩٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٨٨.

(٤) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص٣٤٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يجحدون)[١].

ولله التصرف المطلق في كونه ومخلوقاته، ومن رحمته هيأ الرزق وأوجد أصله لكل مخلوق، لكنه جعل تفاوتهم فيه لا حسب رغباتهم ولا على استحقاقهم، بل حسب قسمته تعالى لهم، فليس لأحد منهم فضل فيما أوتي من الرزق، لأن الله هوالرزاق الذي يبسط الرزق، وفضل بعضهم على بعض فيه[٢].

«وهذه هي حظوظهم التي بين أيديهم من الدنيا هي بيد الله يعطي منها ما يشاء لمن يشاء، فليست حظوظهم منها على سواء، فكل له منها ما حكم الله له فبعضهم غني واسع الغنى كثير المال، وبعضهم فقير لا يملك شيئا، وبعضهم كثير المال لا ولد له، وبعضهم كثير الأولاد لا مال له، وبعضهم سقيم امتلأت يداه بالمال، وبعضهم صحيح صفرت يداه من المال، وهكذا هم في معيشة الحياة الدنيا درجات بعضها فوق بعض، وذلك لأمر أراده الله، وهو أن يعيش الناس في هذه المستويات المختلفة حتى يملؤ كل فراغ فيها، وحتى تتدافع بهم تيارات الحياة»[٣].

إن تولي الله قسمة معيشة العباد فيما بينهم، وإيجاد التفاوت بينهم في الرزق جاء في مواضع أخر، من كتاب الله كقوله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون)[٤]، وقوله تعالى: (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)[٥]، وقوله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)[٦]، وقوله تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم...)[٧].

وذكر الحافظ ابن كثير أن هذا التفاوت بين الخلق يتناول جميع ما أعطاهم الله من الأموال والأرزاق، والعقول، والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة

---

(١) سورة النحل، آية٧١.

(٢) انظرمحمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج١٤، ص٢١٣، ومحمد عبد المنعم الجمال، التفسير الفريد للقرآن المجيد، ج٢، ص١٦٧٥.

(٣)عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٥، ص١٢٧.

(٤) سورة الزخرف، آية٣٢.

(٥) سورة الإسراء، آية٢١.

(٦) سورة الرعد، آية٢٦.

(٧)سورة الأنعام، آية١٦٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والباطنة، كما يتناول الأخلاق والمحاسن والمساوئ، والمناظر، والأشكال والألوان، ولله في ذلك حكمة بالغة منها ما جاء في قوله (ليبلوكم) وفي ذلك اختبار وامتحان يختبر به الغني في غناه،ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره[١].

ومن حكمة هذا التفاضل والتفاوت في الأرزاق ما أوضحه الله بقوله (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)[٢].

«ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض، لأن نظام العالم في الدنيا، يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل وعلا، أن يجعل هذا فقيرا مع كونه قويا قادرا على العمل، ويجعل هذا ضعيفا لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دَراهم، يؤجِّر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدراهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي، فتنتظم المعيشة لكل منهما، وهكذا..»[٣].

وهذا الاختلاف والتفاوت هو الذي جعل للناس وظائف وأمكنه وتخصصات ودرجات، كل يخدم الآخر، ويُخْدَم من الآخرين أيضا، «فهذا خادم وذلك مخدوم، وذلك مرءوس، وهذا رئيس، هذا ينسج وذلك يلبس، وهذا يخبز وذاك يأكل، وهكذا كل إنسان يخدم ويُخدم من طريق مباشر أو غير مباشر»[٤].

وإذا سأل سائل فقال: أين المنة بالتفاضل في الرزق؟

يمكن أن يقال له هناك منة عظيمة لمن تدبرها ، فقوله تعالى: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)[٥] ذكرت على سبيل الامتنان بإيجاد الله تعالى أصل الرزق للناس جميعا، ثم يأتي بعد ذلك أمر التفاضل فيه، فهناك من يملك القناطير المقنطرة، وهناك من يملك كسيرة خبز عشاه، وهذا من قسمة القسام بينهم، «ولذلك أُسند التفضيل في الرزق إلى الله تعالى لأن أسبابه خارجة عن إحاطة عقول البشر...وتفيد وراء الاستدلال معنى الامتنان لاقتضائها حصول الرزق للجميع مجملة (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) مقدمة للدليل، ومنة

---

(١)انظر الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٣٦، وج٢، ص٢٠٨.

(٢) سورة الزخرف، آية٣٢.

(٣) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن، ج٧، ص٢٤٣.

(٤) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٥، ص١٢٨.

(٥) سورة النحل، آية٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المنن لأن التفضيل في الرزق يقتضي الإنعام بأصل الرزق»[١].

* وقفات مع الفخر وسيد، وابن عاشور:

يقول الفخر: «اعلم أن هذا اعتبار حال أخرى من أحوال الإنسان، وذلك أنا نرى أكيس الناس وأكثرهم عقلا وفهما يفني عمره في طلب القدر القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك، ونرى أجهل الخلق، وأقلهم عقلا وفهما تنفتح عليه أبواب الدنيا، وكل شيء خطر بباله ودار في خياله فإنه يحصل له في الحال، ولو كان السبب جهد الإنسان وعقله لوجب أن يكون الأعقل أفضل في هذه الأحوال، فلما رأينا أن الأعقل أقل نصيبا، وأن الأجهل الأخس أوفر نصيبا علمنا أن ذلك بسبب قسمة القسام...واعلم أن هذا التفاوت غير مختص بالمال، بل هو حاصل في الذكاء، والبلادة، والحسن والقبح، والعقل ، والحمق، والصحة، والسقم، والاسم الحسن، والاسم القبيح، وهذا بحر لا ساحل له...»[٢].

يقول ابن عاشور: «ووجه الاستدلال به على التصرف القاهر أن الرزق حاصل لجميع الخلق، وأن تفاضل الناس فيه غير جار على رغباتهم ولا على استحقاقهم، فقد تجد أكيس الناس وأجودهم عقلا وفهما مقترا عليه في الرزق، وبضده ترى أجهل الناس، وأقلهم تدبيرا موسعا عليه في الرزق، وكلا الرجلين قد حصل له ما حصل قهرا عليه، فالمقتر عليه لا يدري أسباب التقتير، والموسع عليه لا يدري أسباب تيسير رزقه، ذلك لأن الأسباب كثيرة متوالدة، ومتسلسلة، ومتوغلة في الخفاء، حتى يظن أن أسباب الأمرين مفقودة، وما هي بمفقودة ولكنها غير محاط بها...ولذلك أسند التفضيل في الرزق إلى الله تعالى، لأن أسبابه خارجة عن إحاطة البشر...»[٣].

ويقول سيد قطب: «ورزق المعاش في الحياة الدنيا يتبع مواهب الأفراد وظروف الحياة، وعلاقات المجتمع، وتختلف نسب التوزيع بين الأفراد والجماعات وفق تلك العوامل كلها، تختلف من بيئة إلى بيئة ومن عصر لعصر، ومن مجتمع لمجتمع، وفق نظمه وارتباطاته، وظروفه العامة كلها، ولكن السمة الباقية فيه، والتي لم تختلف أبدا - حتى في المجتمعات المصطنعة بمذاهب موجهة للإنتاج

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤، ص٢١٤.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٦٣-٦٤.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤، ص٢١٣-٢١٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والتوزيع ـ أنه متفاوت بين الأفراد، وتختلف أسباب التفاوت، ما تختلف بين أنواع المجتمعات، وألوان النظم، ولكن سمة التفاوت في مقادير الرزق لا تختلف أبدا، ولم يقع يوما ـ حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة ـ أنْ تساوى جميع الأفراد في هذا الرزق أبدا»[١]، قال تعالى: (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)[٢].

الحكمة في هذا التفاوت الملحوظ في الرزق هي (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)،وله أسباب تخضع لسنن الله لم يطلع عليها أحد من الخلق، لأن رزق الإنسان مقسوم له وهو في بطن أمه، فلا يزيد عن المقسوم ولا ينقص ومع ذلك فالسعي والحركة والعمل مطلوب منه شرعا وعقلا.

ويقول في الرزق: «والتفاوت فيه ملحوظ، والنص يرد هذا التفاوت إلى تفضيل الله لبعضهم على بعض في الرزق، ولهذا التفضيل في الرزق أسبابه الخاضعة لسنة الله، فليس شيء من ذلك جزافا ولا عبثا، وقد يكون الإنسان مفكرا عالما عاقلا، ولكن موهبته في الحصول على الرزق وتنميته محدودة، لأن له مواهب في ميادين أخرى، وقد يبدو غبيا جاهلا ساذجا، ولكن له موهبة في الحصول على المال وتنميته، والناس مواهب وطاقات فيحسب من لا يدقق أن لا علاقة للرزق بالقدرة، وإنما هي مقدرة خاصة في جانب من جوانب الحياة»[٣].

وبهذا يتبين أن كتاب الله قرر حقيقة واقعية يراها الناس عيانا بالمشاهدة، ويعيشونها، إنها التفاوت في الأرزاق المادية والأرزاق المعنوية من عقول راجحة ومواهب عالية وغيرها.

«وإذا كنا لا ندرك السر في تفضيل بعض الناس على البعض الآخر لحكمة إلهية خفيت عنا في ذلك، فإننا نستطيع أن نتبين أسباب هذا التفاضل ونعلله بالنسبة لكثير من الحالات الأخرى، التي تكون اختلاف المواهب والاستعدادات فيها من أهم العوامل الظاهرة، المؤدية إلي التفاضل في الأرزاق، ولا سيما

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٣١٨٦-٣١٨٧.

(٢) سورة الزخرف، آية٣٢.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٨٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأرزاق المادية»[١].

ولما كان التفاوت في الرزق أمرا مسلما به كان ينبغي عدم البخل بالمال، بل لا بد من الإنفاق وسد حاجات المحتاجين، والله تعالى ابتلى الأغنياء بالفقراء، وأنّ تصدقهم عليهم ليس منًّا منهم، بل هو من عطاء الله تعالى أولا، ثم من تمام شكر نعمه ثانيا. ولهذا أشارت آية سورة النحل إلى هذا المعنى من وجه، قال تعالى: (فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء..)[٢]

فيكون المعنى أن الله تعالى هو رزاق السادة والمماليك جميعا فهم في رزقه سواء، فلا يحسبنّ السادة أنهم يردون على مماليكهم من عند نفسهم شيئا من الرزق وإنما ذلك رزق الله أجراه للفقراء بواسطة الأغنياء، لأن الله هو الرزاق، وأن السيد المالك لا يرزق العبد لأنه مستخلف في المال بل الله رازق الجميع[٣].

التفاضل في الدنيا والآخرة

إذا كان الناس وهم خلق من خلقه تعالى لم يطبعهم على صورة واحدة، ولم يقمهم في الحياة على درجة واحدة، بل خالف بينهم في كثير من الأحوال، فدل تفاوتهم في حظوظ الدنيا على تفاوت أعظم منه في الآخرة لتباين درجاتهم وتفاوت حظوظهم، فريق في الجنة وفريق في السعير، أهل الجنة درجات، وأهل النار دركات ، وهذا ما أخبر الله به[٤] (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)[٥].

كما أن في ذلك إشارة إلى البون الشاسع والتفاوت العظيم بين الخالق والمخلوق، فالخالق رازق متصرف قاهر، والمخلوق مرزوق ضعيف مقهور.

ولهذا فآية سورة النحل مكية وختمت بعتاب المخاطبين بها من الكفار، فكأنه قيل لهم: «إنكم لا ترضون شركة عبيدكم لكم بشيء لا يختص بكم، بل يعمكم وإياهم من الرزق الذي هم أسوة لكم في استحقاقه، وهم أمثالكم في

---

(١) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج٣، ص٣٤٠-٣٤١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) سورة النحل، آية٧١.

(٣) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٦٤.

(٤) انظر عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣، ص٣٢٨و٤٦٩.

(٥) سورة الإسراء، آية٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البشرية، والمخلوقية لله عز سلطانه، فما لكم تشركون به فيما لا يليق إلا به»[١].

ولعل المقصود بآية تفاضل الرزق «أن الله ضرب فيها مثلا للكفار بأنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق، وأن المالكين لا يرضون لأنفسهم أن يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله، ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في حقه على خلقه، الذي هو إخلاص العبادة له وحده، أي إذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم فكيف تشركون عبيدي معي في سلطاني؟!!»[٢].

وشهد له قوله تعالى: (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون)[٣].

المقصود أن التفاوت حاصل بين الخلق في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يكون في الأمور المادية والمعنوية، وحصوله بينهم في الآخرة أعظم وأكبر، لأنها مكان حصول التفاضل بين الخلق.

بل يحصل التفاوت حتى في الأعمار والآجال، فهذا يموت طفلا، وذاك شابا، وذلك شيخا فانيا هرما، بلغ من العمر أرذله، حتى فقد جميع ملكاته، وهذا ما بينته الآية التي سبقت آية التفاضل في الرزق، وهي قوله تعالى: (والله خلقكم ثم يتوفاكم، ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير).[٤]

فهذه الآية السابقة تعتبر كمقدمة لبيان التفاوت بين الناس،وأنه لايقتصر على جانب دون جانب بل يشمل جوانب متعددة، وفيها دليل على أنه لا سبيل

---

(١) محمد الألوسي، روح المعاني، ج١٤، ص١٨٨.

(٢)لشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج٣، ص٣١٤.

(٣) سورة الروم، آية٢٨.

(٤) سورة النحل آية٧٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى المساواة بين الناس في أعمارهم[١] وآجالهم ، وفي الآية التي تليها وهي قوله تعالى: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)[٢] لا سبيل إلى المساواة بينهم في أرزاقهم ومواهبهم، وكل ذلك من رحمة الله وحكمته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[٣].

---

(١) انظر الشيخ محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج٣، ص٣٤٢.

(٢) سورة النحل آية٧١.

(٣) سورة الحديد آية٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني
الامتحان بالحرية وأدوات العلم

المبحث الأول: حدود الحرية.
المبحث الثاني: الغيوب الثلاثة.
المبحث الثالث: أدوات العلم عند الإنسان
المبحث الرابع: دور أدوات العلم في المخترعات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول
حدود الحرية

حدود: «حد: الحاء والدال في المضاعف له أصلان، الأول: المنع، والثاني: طرف الشيء، فالحد: الحاجز بين الشيئين، وفلان محدود إذا كان ممنوعا»[١].

الحرية: «الحر خلاف العبد، يقال: حرٌّ بيّن الحرورية والحرورة، والحرّية ضربان، الأول من لم يجر عليه حكم الشيء نحو: (الحر بالحر)[٢]، الثاني: من لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية، والتحرير جعل الإنسان حرا[٣] (فتحرير رقبة مؤمنة)[٤].

وسمي حرا لخلوصه من الرق، مأخوذ من قولهم: رجل حر، إذا خلص من الاختلاط لغيره[٥].

والحر في اصطلاح الفقهاء: «من خلصت ذاته عن شائبة الرق والملك»[٦]، وذلك على أن الحرية هي ضد الرق.

فالحرية هي: «الإذن بإجراء عمل أو بالامتناع عن إجرائه دون التعدي على حقوق الآخرين، ولا مجاوزة حدود القانون»[٧].

ويمكن أن تعرّف الحرية في الشرع بأنها: أن يأتي المرء بالتصرف متى شاء وكيف شاء دون التعدي على حدود الله وحقوق الخلق.

وبهذا يكون مفهوم الحرية في الإسلام «التحرر من قيود الوثنية واستعباد الإنسان للإنسان، وهي ضد عبودية الأوثان، وضد الرق، وضد العبودية لأي كائن

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣.

(٢) سورة البقرة، آية١٧٨.

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢٢٤.

(٤) سورة النساء، آية٩٢.

(٥) انظر الجوهري الصحاح ج٢ ص ٦٢٧

(٦) الموسوعة الفقهية، ج١٧، ص١٧١.

(٧) د. صبحي المحمصاني، أركان حقوق الإنسان بحث مقارن في الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة، ص٧٢، دار العلم للملايين، ط١، بيروت.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان، وهي حرية الفرد وحرية الجماعة»[١].

لقد حرر القرآن الإنسان من عبادة كل أحد، غير الله، ودعا إلى تحرير الفكر والجسم معا، لعلمه التام أن «الحرية هي الصفة الطبيعية التي يولد بها الإنسان، واللازمة له لزوم الماء والهواء، بحيث يستحيل عليه أن يستغني عنها»[٢]، إذ هي التي «تشحذ الهمم، وتوقظ في النفس قواها الكامنة، وتشعر الإنسان بأن له قيمته الذاتية وشخصيته التي انفرد بها، أي إنها تعتبره رجلا كامل الأهلية، ومقابل ذلك فهي تعتبره رجلا كامل المسؤولية أيضا»[٣].

ولذلك فهم المسلمون من الآيات التي جاءت في أواسط سورة النحل من مثل قوله تعالى: (...فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم)[٤]، وقوله تعالى: (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون...)[٥]. فهموا منها نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك وأنه لا يملك شيئا وإن ملك[٦].

ولما كان الرق سابقا للإسلام إذ وجده ضاربا جذوره في العالم فبدأ بالحد منه بكل وسيلة متوفرة، فأعلن إغلاق منافذ الرق وحصرها في أضيق نطاق كمقدمة لتصفيته، فحثّ المسلمين المنتصرين في الحروب بالمن على الأسرى أو قبول الفدية منهم، قال تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)[٧].

وأول طريق اتبعه الإسلام في تحرير الرق، كان تحريرهم روحيا، بردهم إلى الإنسانية، ومعاملتهم على أنهم بشر كريم لا يفترقون عن السادة فخاطب كتاب

---

(١) أنور الجندي، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، ص١٧٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

(٢) عبد اللطيف الحاتمي، حقوق الإنسان في الإسلام، ص٢٢، ط١، دار الجيل بيروت، ودار الوفاق المغربي ١٤١٠هـ.

(٣) أنيس القاسم، معنى الحرية في العالم العربي، ص٣٤، ٣٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥م.

(٤) سورة النحل، آية٧١.

(٥) سورة النحل آية٧٥.

(٦) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٤٧.

(٧) سورة محمد، آية٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الله السادة بقوله: (...بعضكم من بعض...)[١]، كما خاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناه»[٢].

فقرر وحدة الأصل والمنشأ والمصير «أنتم بنو آدم وآدم من تراب»[٣]، وأرجع الفضل والكرم في ذلك للتقوى (...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..)[٤].

بل حث السادة أن يعاملوا عبيدهم معاملة الأخوة فيطعمونهم مما يطعمون ويكسونهم مما يلبسون، وزيادة في رعاية مشاعر المماليك أخبر عليه السلام بقوله: «لا يقل أحدكم هذا عبدي، وهذه أمَتي وليقل فتاي وفتاتي»[٥].

وبعد تضييق منافذ الرق والإحسان في معاملتهوتحريرهم روحيا[٦]، انتقل إلى التحرير الفعلي الواقعي، عن طريق التصفية بطرق متعددة لانتشال هذا الإنسان من حياة العبودية إلى حياة الحرية[٧].

ومن طرق تحرير الإنسان جسديا:

١- جعل الإسلام سهما من سهام الزكاة الثمانية لتحرير الرقاب، قال تعالى: (إنما الصدقات للفقرآء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي

---

(١) سورة النساء، آية٢٥.

(٢) أخرجه النسائي، واللفظ له في كتاب القسامة، باب القود من السيد، برقم٢٧٣٦، ج٨، ٢١، وأبو داود في كتاب الديات، باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه؟رقم ٤٥١٥، ج٤، ص١٧٦، والترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في الرجل يقتل عبده، رقم١٤٣٥، ج٢، ص٤٣٣-٤٣٤، وقال حسن غريب، وابن ماجة في كتاب هل يقتل الحر بالعبد،رقم٢٦٦٣، ج٢، ص٨٨٨، وضعفه الألباني، انظر ضعيف سنن ابن ماجة، ص٢١٣.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، رقم٥١١٦، ج٤، ص٣٣١، والترمذي في كتاب التفسير باب تفسير سورة الحجرات، رقم٣٣٢٤، ج٥، ص٦٥، وحسنه الشيخ الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص٢٩٦٤.

(٤) سورة الحجرات، آية١٣.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، برقم٢٤١٤، ج٢، ص٩٠٠١، ومسلم كتاب الألفاظ من الأدب، وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة، والمولى والسيد، برقم٢٢٤٩، ج٤، ص١٧٦٤.

(٦) انظر محمد قطب، شبهات حول الإسلام، ص٤٧،وما بعدها،مكتبة وهبة، مصر، ط١٩٦٤م.

(٧) انظر د. فاروق مساهل، تكريم الإسلام للإنسان، ص١٣٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)[١]

٢- جعل تحرير الرقبة لعدد من الكفارات:

أ/ كفارة الحلف في الأيمان، قال تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة...)[٢].

ب/ كفارة القتل الخطأ، قال تعالى: (...ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله)[٣].

ج/ كفارة الظهار، قال تعالى: (...والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا...)[٤].

٣- وشرع الله المكاتبة منفذا لتصفية الرق، قال تعالى: (...والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا...)[٥].

٤- رغب الناس أن يسهلوا لمماليكهم طريق الحرية وأن يعطوهم من مال الله الذي آتاهم وأن الرازق الحقيقي للمال هو الله سبحانه، قال تعالى: (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم...)[٦]، وقال تعالى:(فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء...)[٧].

وبهذا قام الإسلام بتحرير الإنسان الحرية المناقضة للرق، ثم تتبعها حريات أخرى عندما يشب ويترعرع، إذ الحرية الكاملة «ملازمة للكرامة الإنسانية، فهي حق طبيعي لكل إنسان وهي أغلى وأثمن شيء ... يحرص عليه»[٨]، ولذلك قال الخليفة عمربن الخطاب، رضي الله عنه لواليه على مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم

---

(١) سورة التوبة آية٦٠.

(٢) سورة المائدة، آية٨٩.

(٣) سورة النساء آية٩٢.

(٤) سورة المجادة آية٣.

(٥) سورة النور، آية٣٣.

(٦) سورة النور، آية٣٣.

(٧) سورة النحل، آية٧١.

(٨) د. وهبة الزحيلي، الفقه الأسلامي وأدلته، ج٦، ص٧٢٠، دار الفكر، ط٢، سوريا، ١٤٠٥هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمهاتهم أحرارا »[١].

ضوابط الحرية

الحرية ذات مفهوم اجتماعي واسع، ولها مبرراتها وإلا كانت جورا وظلما، وضوابطها تنقسم إلى ضوابط شرعية، وضوابط اجتماعية.

١- الضوابط الشرعية:

بادئ ذي بدء ليعلم أن للإنسان الحرية الكاملة فيما يريد اعتقاده، فكل فرد له «الحرية التامة في أن يبني عقيدته على ما يصل إليه عقله السليم ونظره الصحيح، وجعل أساس الإيمان وعماد التوحيد البحث والنظر، والعقل والدليل»[٢].

فعلى الإنسان أن يعتنق الدين الذي يرغب فيه دون إكراه لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...)[٣]، وقوله تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...)[٤].

أما بالنسبة لأهل الكتاب فيشترط عليهم الإسلام دفع الجزية للدولة الإسلامية مقابل رعايتها للمصالح العامة في المجتمع وهم من المستفيدين من كل ما تهيئه الدولة كما أنهم ملزمون بالتشريعات الإسلامية، عدا ما يخص الأحوال الشخصية أو العقائد الخاصة بهم باعتبارها قانون اجتماعي.

وأما غير أهل الكتاب من المشركين وغيرهم فإن الحجة تقام عليهم بدعوتهم إلى الله ووجوب الإيمان به واتباع الرسالة.

أما الذين انضووا تحت لواء عقيدة الإسلام عن رغبة وطواعية فأصبحوا مسؤولين عن هذا الالتزام أمام الله والناس، مطالبين بما تفرضه عليهم تكاليف العقيدة التي آمنوا بها، فلا يقال إن في ذلك ما يقيد من حريته، بل توجيهها وحصرها في النافع المفيد، ومن هذا جاءت الضوابط الشرعية التي وضعها

---

(١) قاله أمير المؤمنين عمر لعمرو بن العاص الذي كان واليا على مصر عندما أساء ابنه إلى ولد القبطي الذي شكا إلى الخليفة، انظر علي الطنطاوي أخبار عمر ص١٤٣-١٤٥ وعزاه إلى سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٧٦

(٢) عبد الله غواشة، فلسفة الحرية في الإسلام، ص١٠٨، جمع محمد خلف الله أحمد، مكتبة النهضة المصرية، تاريخ غير معروف.

(٣) سورة البقرة، آية٢٥٦.

(٤) سورة الكهف، ٢٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسلام لكل تصرفات العبد وأعماله في حدود ما أباحه الشارع، ليلتزم به كل منضو تحت لوائها اتباعا للأوامر واجتنابا للنواهي ، وبهذا يتضح أن إطلاق الحرية يكون ضمن حدود الالتزام بالأوامر والنواهي لتحقيق المصلحة العامة.

وليس في هذا حد من حرية الإنسان، لأنه لا يمكن أن يوجد إنسان يعيش في مجتمع ما أو دولة ما، ثم يكون حرا في كل تصرفاته، بل لا بد لذلك المجتمع من أعراف وقوانين يقيد بها حريات أتباعه، حتى لا تمس حريات الآخرين أو الإضرار بأنفسهم،فيكون في هذا التقييد تمكين للأفرادوحماية من السلطة لحقوق الآخرين.[١] وأحكام الله وقوانينه خير من أحكام وقوانين البشر لما بين الخالق والمخلوق من فرق في القدرة على التشريع فالله أحاط بكل شيء علما ، وعلم الإنسان قاصر.

٢- الضوابط الاجتماعية:

وتشمل القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والأعراف التي يتعارف عليها مجتمع ما من المجتمعات، وهذه الضوابط تظهر جليا «في الحياة الاجتماعية لدى الأقوام الذين لا شريعة عندهم»[٢].

والقيم الاجتماعية من عادات وتقاليد وغيرها بعضها حسن عدل وبعضها قبيح جائر، ومن أهداف الشرائع السماوية إقرار الحسن منها والنهي عن القبيح، ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية «فأقرت كثيرا من التصرفات والحقوق المتعارفة بين العرب والإسلام، وهذبت كثيرا ونهت عن كثير، كما أتت بأحكام جديدة استوعبت بها تنظيم الحقوق والالتزامات بين الناس في حياتهم الاجتماعية على أساس وفاء الحاجة والمصلحة، والتوجيه إلى أفضل الحلول والنظم»[٣].

وبهذا تكون الحرية ذات معنى اجتماعي لا يتصور وجودها إلا في مجتمع متكافل يأخذ فيه الآحاد ويعطون، فلا بد أن تكون في حدود وضوابط رسمها المجتمع صيانة لمصلحة الأفراد من أن يضروا أنفسهم أو يضروا غيرهم، وحفاظا على مصلحة المجتمع بأسره، وإن مثل هذه الضوابط والحدود تكون في خدمة الإنسان متى كانت على أسس من عقيدة الإسلام وشريعته السمحة.

---

(١) انظر محمد محمود بابللي، الأنسان وحريته في الإسلام، ص١٤-١٥، ط١، دار الشبل للنشر ، السعودية، الرياض، ١٤١١هـ.

(٢) مصطفى أحمد الزرقاء، المدخل الفقهي العام، ج١، ص١٣٢، ط٩، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٧.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص١٣٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنواع الحرية

إذا كانت حرية الإنسان المناقضة للرق هي أدنى المراتب التي تتقرر للإنسان بمجرد مولده إنسانا، فإن حرية الإرادة تعتبر أعلى مرتبة من مراتب الحرية.

وبينهما حريات متعددة تكون من لوازم إنسانية الإنسان وتكاليف رشده ومن هذا المنطلق قررت الشريعة «أن للإنسان قدرة على الفعل والترك، يلمسها ويحسها في نفسه قبل أن تهديه إليها النصوص والتعاليم، لتقرر - من ثم - الإرادة الحرة التي هي مناط المسؤولية الفردية»[١].

والإنسان في أصل خلقته ومنشئه أوجده الله القادر على كل شيء بالشكل والتكوين الذي هو عليه، فإرادة الخلق لم تكن للإنسان وإنما هي لخالقه، فتنعدم حرية الاختيار لدى الإنسان في هذا الجانب فلم يؤخذ برأيه في الإيجاد من عدمه في الحياة ولا شكله وصورته التي خلق عليها، أو غيرها من المسائل كاختيار لونه أو مكان وزمان وجوده، أو البلد والقبيلة، فهذه كلها لا تدخل ضمن ما يريده ولذا فإنه غير مسؤول عنها لخروجها عن مجال حريته.

أما ما يعقله أو يدركه فيمكن دخوله في إطار حريته لأن تصرفات غير العقلاء لا يبنى عليها حكم إرادي لأن الإرادة تتبع العقل ولا إرادة لمن لا عقل له.

والله تعالى أراد منا أن نكون فكنا كما أراد فهو أعلم بنا من أنفسنا لأنه خلقنا وخلق ما يصلحنا ويسعدنا، وأطلق لنا الحرية فيما يعود علينا بالنفع وحذرنا من تجاوز النافع إلى الضار ثم أثابنا على الالتزام بذلك، والله تعالى يتصف بالعلم الأزلي بما عليه الوجود كله لذلك كانت الإرادة في كتابه تنقسم إلى قسمين:

١- إرادة كونية قدرية وتشمل جميع الموجودات[٢]، وتتمثل في السنن والقوانين المتصلة بالموجودات وتصريفها. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إنّ الله كان عليما حكيما)[٣]

٢- إرادة شرعية دينية، وهي لا تستلزم وقوع المراد، وفيها يتضح أن الله لا يحب المعاصي والكفر ولا يأمر بها ولا يرضاها، وأنه تعالى يحب الطاعات

---

(١) بكر موسى، حرية الإنسان في الإسلام، ص٢٠٣، الهيئة العليا لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

(٢) د. عمر سليمان الأشقر، القضاء والقدر، ص١٠٥، ط٣، دار النفائس ومكتبة الفلاح، الكويت، ١٤١١هـ.

(٣) سورة الإنسان آية ٣٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويرضاها، ويثيب عليها[١]، قال تعالى: (...يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر...)[٢].

وإرادة الإنسان لا تخرج عن إرادة الله الكونية،، والله تعالى ترك للعبد الإرادة إلا ما كان من قبيل الجزاء والابتلاء كما يتصف الله تعالى بالعلم الأزلي بما عليه عمل العبد، وذلك باختياره قبل وجوده، بمعنى أن العبد لا يستطيع الخروج عن إرادة الله الكونية قال تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين).[٣]

وأما الإرادة الشرعية فالإنسان يستطيع أن يخرج عنها، وهو مكان التكليف (افعل أو لا تفعل) وشرط التكليف الاختيار، الذي يكون عن طريق الحرية والإرادة للإنسان.

ومزيدا من التعمق فيما دعا إليه كتاب الله في جانب الحرية يجعل المتأمل على يقين بوجود انسجام بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية، إذ تتحقق إرادة الله عبر مشيئته الكلية، وتتحقق إرادة الإنسان في قبول الحق أو رفضه[٤].

إنّ إرادة الله في القرآن تفهم بأنها حكم الله النافذ وقضاؤه المبرم، وليست كإرادة الإنسان الذي يعزم فيها على أمر أو يسعى إليه ويصمم على إنفاذه[٥]، قال تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)[٦].

ولقد قررت كثير من آيات القرآن أن إرادة المخلوقين تسبق وتختار أولا وبعدها تأتي إرادة الله وفق ما أراده الخلق ، قال تعالى: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها، وما له في الآخرة من نصيب)[٧]، وقال تعالى: (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب

---

(١) انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى ج٨، ص١٨٨.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٣) سورة التكوير آية ٢٩

(٤) انظر جميل منيمة، مشكلة الحرية في الإسلام، ص٢٨، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.

(٥) انظرعائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطيء القرآن وقضايا الإنسان، ص١٣٧.

(٦) سور النحل آية ٤٠.

(٧) سورة الشورى آية ٢٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الآخرة نؤته منها، وسنجزي الشاكرين)[١].

وهذا يتضح بعد فهم إرادة الله الكونية والشرعية وعلمه الأزلي بما سيكون عليه الخلق وأن ما كان من تدخل في إرادة الإنسان من الله تعالى إنما هو من قبيل الجزاء ثوابا أو عقابا أو ابتلاء.

ولما كانت حرية الإرادة هي الأصل في حريات الإنسان وكان غيرها يتفرع عنها جاء هذا البيان والتوضيح لها إذ الإرادة هي معيار الحرية التي تتمثل في سلوك الفرد في اختياره لما يريد مع التنبيه على أنه مسؤول عما يفعل[٢]، قال تعالى: (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)[٣]، وتدخل ضمن حرية الإرادة أنواع الحريات الأخرى، وهي:

١- حرية الاعتقاد.

٢- الحرية الفكرية.

٣- الحرية الشخصية.

٤- الحرية السياسية.

٥- الحرية الاقتصادية.

٦- الحرية المدنية.

ويمكن إلقاء بعض الضوء على هذه الحريات، حتى يتضح للعيان فضل الله وامتنانه على الخلق بنعمة الحرية وحدودها.

النوع الأول: أعلن الإسلام منذ البداية حرية الاعتقاد وعمل على صيانتها، وتتجلى في أبرز معانيها في قوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرّشد من الغي..)[٤].

لكن لا يفهم منها منع المسلم من دعوة غيره وتذكيره بالحق الذي يعتقد صحته، لأن تبليغ الرسالة لا اعتراض عليه، بل هو من الواجبات الشرعية، وإنما الممنوع الإكراه على ذلك قال تعالى: (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٥.

(٢) انظر محمود محمد بابللي، الإنسان وحريته في الإسلام، ص١٦.

(٣) سورة النجم آية ٣١.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بمصيطر)[١]، وقال تعالى: (...أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[٢].

وقصارى ما يفعله الإسلام أن يوضح مبادئه للآخرين، ويمكنهم من الوقوف على حقائقه فإذا شاءوا دخلوا راشدين، وإذا شاءوا تركوا وافرين[٣].

النوع الثاني: الحرية الفكرية، فالإسلام يبني الاعتقاد الصحيح على النظر في الكون الذي يأتي كثمرة للتفكير الحق[٤]، والفكر يعتبر «أثمن مواهب الإنسان وأعظمها أثرا في مظاهر مدنيته، وانطلاقه دليل الحضارة وسبيل العلم والنور، والهداية والحكمة... ومن أدوات حرية الإرادة واختيار الأعمال والفضائل والرزائل»[٥].

والفكر أمر باطني داخل النفس، وينطوي في السريرة، والتعبير الخارجي عنه يسمى إبداء الرأي والقول، وهو من متممات حريته، فأجاز الشرع الاجتهاد في الفقه بل أوجبه على من استوفى شروطه كنتيجة لحرية الفكر[٦].

النوع الثالث: الحرية الشخصية، فهي لا تكون بمعزل عن حرية الآخرين، فلكل الحق في التمسك بحريته، فالمصالح المشتركة بين الأفراد والمجتمعات اقتضت وضع قواعد لحماية حرياتهم من الاعتداء عليها، وخير الحدود لذلك حدود الله التي أقرها في شرعه، وإنّ تقييد هذه الحرية أحيانا تكون لمصلحة الفرد،أولا لحمايته من أي أذى ، ثم حماية المجتمع الذي يعيش بينه.

كما تتناول حريته في ذاته أن لا يعتدى عليها أو أن يمنع عنها خيرا أو مباحا لايتعارض مع الشرع،أوالأنظمة.فتتمثل على العموم في الاستمتاع بالحياة، والتحرر من الاستعباد[٧]، وقد كفلها الشرع متمثلة في حرمة النفس مقرونة بحرمة المال، في خطبة حجة الوداع، «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم

---

(١) سورة الغاشية آية ٢١-٢٢.

(٢) سورة يونس، آية٩٩.

(٣) انظر محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ص٩٠، المكتبة التجارية، مصر ط١، ١٣٨٣هـ.

(٤) انظر المرجع السابق ص٧٩.

(٥) صبحي المحمصاني، أركان حقوق الإنسان، ص١١٩.

(٦) انظرالمرجع السابق ص١٤١.

(٧) انظر محمود محمد باللي، الإنسان وحريته في الإسلام، ص١٢٣-١٢٤. وانظر محمد سليم محمد عزوي، الحريات العامة في الإسلام مع المقارنة بالمادئ الدستورية الغربية والماركسية، ص٢٣، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، بدون تاريخ طبع.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا...الحديث»[١].

أما باقي أنواع الحريات فتدخل ضمن ما سبقها، فالحرية السياسية أن يتمكن الإنسان من قول كلمة الحق التي يعتقدها لأهلها للإستفادة منها بشرط أن لا تخرج عن مقتضى الشرع وأصوله المعتبرة[٢].

والحرية الاقتصادية تتمثل في حرية العمل، والكسب، والتملك، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات.

أما الحرية المدينة فتدخل فيها تصرفات الشخص النابعة من شعوره بذاته وضرورة اعتراف المجتمع به، وبأهليته للتصرف وفق ما يريد ، غير متعد ولاظالم لغيره[٣].

ويتأكد مما مضى أن الحر أو الحرية لا تعني سوء التصرف، ولا سيء الأعمال، فالحرية هي الانطلاق من الأسر، سواء كان عبودية أو رقا لغير الله إلى عالم الأحرار، فالإنسان عبد وسيد في آن واحد عبد لله وسيد حر التصرف في ملكوت الله وفق شرعه، فعبوديته لله تشريف له وسمو به.

وتقييد الحرية لا يعني شل حركته، ولا منعه من التصرف، وإنما في ذلك وضع للحدود التي يقف عندها، بعدم التجاوز إلى حقوق الآخرين أو الإضرار بمصالحهم، وأول تقييد لحرية الإنسان كان لأبي البشر آدم وزوجه، عندما أسكنهما الله الجنة، ودعاهما للاستمتاع بما لذ وطاب من ثمارها، عدا شجرة واحدة حذرهما عن قربها، قال تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)[٤].

فالحرية التي شرعها الله للناس، وامتن بها عليهم «ليست في فعل ما نشاء وترك ما لا نريد، وقول ما نحب والإمساك عن ذكر ما لا نود ذكره بلا قيد، ولا هي الاستهزاء بكل قانون، والعبث بكل نظام، ومناوءة كل سلطة، ومقاومة كل

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب، ج١، ص٥١، ومسلم كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم،، ج٢، ص٨٦، رقم ١٢١٨

(٢) انظر محمود بابللي، الأنسان وحريته في الإسلام، ص٧٧.

(٣) انظر محمد الغزالي، حقوق الإنسان، ص١٠٦.

(٤) سورة البقرة، آية ٣٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قيد، بل هذه هي الفوضى ، وهي عدو الحرية»[١].

أما الحرية الحقة فهي التي مكنت كل فرد من الحصول على حقوقه أيا كانت ، والاستمتاع بها بلا قيد في حدود ما تتسع له دائرة الشرع من المباحات مع عدم الإضرار بغيره، فهي لا تتصور في الإسلام إلا مقيدة، ويتضح ذلك بجلاء فيما أعلنه المصطفى عليه الصلاة والسلام من مفهوم حدود الحرية بقوله: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[٢].

فحدود الحرية مع الله مقيدة بأوامره ونواهيه، إذ تتسع ضمن مباحاته، وحدودها في التصرف يكون من غير إضرار ولا إسراف وحدودها على الآخرين بعدم الإضرار بهم أو التعدي عليهم أفرادا كانوا أم جماعات.

---

(١) محمد عبد الباري، الحرية والدولة. ص٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ج٣، ص١١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
الغيوب الثلاثة

الغيوب: جمع ومفرده غيب.

غيب: «الغين، والياء، والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ثم يقاس من ذلك الغيب، ما غاب مما لا يعلمه إلا الله»[١]

والغيب يأتي بمعنى «الشك، ج غياب وغيوب، وـ كل ما غاب عنك أو عن عينك»[٢].

ثم استعمل الغيب في كل ما يغيب عن الحاسة، وعما يغيب من علم الإنسان بمعنى الغائب[٣].

فالغيب كل ما غاب واستتر واختفى عن الأعين وهو خلاف الشهادة، ويطلق على ما كان غائبا عن العيون وإن كان محصلا في القلوب[٤].

وقد ورد لفظ الغيب في الكتاب والسنة كثيرا ففي القرآن بلغ ستة وخمسين موضعا[٥]، وتكرر في السنة كثيرا، وهو يتناول ما غاب عن حواس الإنسان، وعن علمه بما هو في عالم الغيب، أو كان في عالم الشهادة مما لم يطلع عليه الإنسان.

وفي الاصطلاح:

عرفه ابن العربي، بقوله: «ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر»[٦]، كما عرفه غيره بتعريفات مماثلة: «إنه الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل»[٧]، وعرف أيضا «ما اختص الله بعلمه، أو اطلع

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤،، ص٤٠٣.

(٢) أحمد رضا، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، ج٤، ص٣٣٥، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦١٦.

(٤) انظر إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٦٧، وانظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٤، ص١٥٢.

(٥) انظربسام سلامة، الإيمان بالغيب، ص٨، مكتبة المنار ، الأردن، الزرقاء، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٦) ابن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص٨.

(٧) محمد علي الفاروق التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج٢، ص١٠٩، ط، الهند كلكتة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه بعض عباده دون بعض من أمور الوحي»[١]، وأشمل تعريف له: «هو ما غاب عن الحس وأدركه الإنسان بتحليله الفكري أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله، أو يبقى سرا مكتوما يعجز الإنسان عن إدراكه ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير»[٢].

ففي التعريف الأول عدم الشمول لأنه عبارة «دون النظر» أخرجت أمورا هي من الغيب، لم ترد عن طريق الخبر وإنما تدرك بالنظر عن طريق التحليل العقلي، وعبارة «ولا يقتضيه بديهة العقل» غير مناسبة في التعريف الثاني لأن الله تعالى من الغيب وبداهة العقول تقول بوجوده[٣].

أما التعريف الثالث ففيه قصور فيما يظهرلأن الغيب أوسع من أن يحصر معرفته بأمر الوحي، إذ جزء منه يعرف بالوحي، وهناك أمور كثيرة كانت غيبا ثم تحولت إلى شهادة بسبب توسع دائرة الحواس كالكشوف الحديثة، والصناعات الحديثة كالأثير والكهرباء، وغير ذلك.

ويظهر أن التعريف الأخير يتسم بأنه جامع مانع وشامل لكل أنواع الغيوب وأقسامها «ووجه تفضيل هذا التعريف على غيره أنه تعريف شامل جاء على الغيوب كلها، فالغيب الذي لا يقع تحت الحواس يدخل فيه قوله «ما غاب عن الحواس» ويدخل فيه الغيب الذي يمكن أن يدركه الإنسان عقلا «كوجود الله» قوله «وأدركه الإنسان بتحليله الفكري» ويدخل فيه الغيوب التي وردت في الكتاب والسنة لقوله «أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله» ويدخل فيه الغيب الذي استأثر الله بعلمه لقوله «أو يبقى سرا مكتوما يعجز الإنسان عن إدراكه ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير»[٤].

والله تعالى أخبر أن عنده غيب السماوات والأرض قال تعالى: (ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير)[٥].

---

(١) زاهر عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص٢٥٨، ط١، ١٤٠٥هـ، ناشرغير معروف.

(٢) عبد الكريم عثمان، رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الكون، ص٢٣، ط١، دار السلام للطباعة، حلب، ١٤٠٥هـ.

(٣) انظربسام سلامة، الأيمان بالغيب، ص١٠.

(٤) المرجع السابق، ص١١.

(٥) سورة النحل، آية ٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمراد بغيب السموات والأرض «أن علمه نافذ في جميع الكليات، والجزئيات، والمعدومات، والموجودات، والحاضرات والغائبات»[١].

فعلم الله تعالى محيط بالكون كله غيبه وشهوده وإحاطته بكل شيء، وإن خيال البشر عاجز عن تصور آفاق المعلوم والمجهول، وعالم الغيب وعالم الشهادة، كما أن وجدانهم يرتعش وهو يحاول أن يرتاد أستار الغيوب المختومة عبر الأزمان، ماضيها وحاضره، ومستقبلها بعيدة الآماد في زمانها، وبعيدة الآفاق في مكانها، وبعيدة الأغوار من منظور ومحجوب، فالغيب إذن يحيط بالإنسان من كل جانب في زمانه ومكانه، وبيئته، بل وجنبات نفسه ودواخلها[٢].

«غيب في نفسه وفي كيانه، وغيب في الكون كله من حوله، غيب في نشأة هذا الكون وخط سيره، وغيب في طبيعته وحركته، وغيب في نشأة الحياة وخط سيرها، وغيب في طبيعتها وحركتها، غيب فيما يجهله الإنسان، وغيب فيما يعرفه كذلك! ويسبح الإنسان في بحر من المجهول، حتى ليجهل اللحظة ما يجري في كيانه هو ذاته فضلا على ما يجري حوله، في كيان الكون كله؛ وفضلا عما يجري بعد اللحظة الحاضرة له وللكون كله من حوله، ولكل ذرة، وكل كهرب من ذرة، وكل خلية، وكل جزيء من خلية!»[٣].

وقد أكد الله تعالى أنه لا يعلم الغيب أحد سواه قال تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون)[٤]، لأن مفاتيح الغيب كلها عنده سبحانه (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)[٥].

ولكن مع ذلك يمكن أن يطلع الله من ارتضى من رسله على بعض غيبه قال تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول..)[٦]؛ لأن من الغيب ماهو حقيقي وما هو إضافي، ومنه ما هو مطلق وما هو مؤقت،

---

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٦٥.

(٢) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص١١١٢.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص١١١٥.

(٤) سورة النمل، آية ٦٥.

(٥) سورة الأنعام، آية٥٩.

(٦) سورة الجن، آية ٢٦-٢٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالغيب الحقيقي لا يعلمه إلا الله، والإضافي يمكن أن يعلمه بعض البشر دون بعض لأسباب تختلف باختلاف الاستعدادت الفطرية والأعمال الكسبية[١].

ومن الغيب «العلم بالله تعالى، وعلم بدايات الأشياء ونهاياتها، وعلم الخلق الآخر، من ملائكة ، وجن ، وعلم قيام الساعة، وما يجري في الآخرة من حقائق الأشياء كما هي عليه، وكذلك علم نظام الأشياء التي بمقتضاها تظهر الحوادث، وتطّرد الظواهر، وتتماسك العوالم وعلم ما كان وكيف كان، وعلم ما هو كائن، وعلم ما سيكون وكيف سيكون علما كاملا جامعا محيطا، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة»[٢]، كل ذلك وغيره علمه عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

وقد قسم القرآن الكريم العالم بالنسبة للمخلوقات إلى قسمين وهما عالم الغيب وعالم الشهادة. والأخير سمي كذلك لأنه يحوي «كل أمر نستطيع أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية فينا حسب العادة»[٣]. قال تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)[٤]، وقال تعالى: (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)[٥].

إن نصوص كتاب الله تقدم دائما الغيب على الشهادة، ومن الحكمة في ذلك أن الأمور المغيبة لا تتناهى في سعتها ومداها، وأما المشهودة فهي أمور قليلة[٦]، والله تعالى يقول: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[٧].

ومن الحكمة كذلك أن العالم الغيبي هو الأصل والأساس الذي يقوم عليه عالم الشهادة، وتقسيم العالم إلى مغيب ومشهود لا يعني أن المشهود مستقل عن المغيب، أو مستغن عنه بل يعتبر العالم المغيب هو الأساس الذي يقوم عليه العالم المشهود ،ولكل من العَالَمَيْن وجود حقيقي لكن عالم الشهادة لا يستقل بنفسه بل

---

(١) انظر محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص٢٠٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، ط١٠،١٤٠٥هـ.

(٢) انظر د. محمد رشاد خليل، المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، ص٩٩، بتصرف، ط١، ١٤٠٢هـ، ناشر غير معروف.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية، وأسسها، ص٢٨، دار القلم، دمشق، ط٤،١٤٠٦هـ.

(٤) سورة الحشر، آية٢٢.

(٥) سورة الرعد، آية ٩.

(٦) انظر عبد الرحمن بن حسن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٢٨.

(٧) سورة الإسراء، آية٨٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مفتقر إلى عالم الغيب[١].

وقد كان أعظم قسم أقسم الله به في كتابه هو إقسامه بعالمي الغيب والشهادة وذلك في قوله تعالى: (فلا أقسم بما تبصرون، وما لا تبصرون)[٢].

ولما كان أمر الغيب لا سبيل إلى معرفته من قبل الإنسان إلا بخبر صادق يأتي عن الله تعالى أو عن رسوله مما أطلعه عليه، وذلك لمحدودية حواس الإنسان وعقله، كان هذا البيان من الله تعالى بأن لا مطمع من أحد لمعرفة ذلك إلا عن طريقه تعالى بواسطة الوحي، فهو الطريق الذي يعرفنا بحقائق الأشياء الداخلة في عالم الغيب، ولذلك فالإخبار بالغيب يأتي من خارج النفس الإنسانية بواحدة من الطرق الثلاثة الآتية:

١- أن يضع الله هذه الأخبار في الإنسان بإلهام أو بمنام أو بنوع من التلقي الذي لا عمل فيه للإنسان.

٢- أن يسمعها من غير أن يرى قائلها الحقيقي فتصل إلى أذنه ويدركها ويعيها.

٣- أن يرسل الله واحدا من مخلوقاته الخيرة المطيعة المغيبة عنا.. إلى واحد من البشر يختاره...فيبلغه رسالة الله ويأمره أن يبلغها الناس»[٣]، قال تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌ حكيم)[٤].

أقسام الغيب:

ينقسم الغيب إلى:

١- غيب حقيقي: وهو الذي لا يعلمه إلا الله، مثل حقائق الأشياء، وصفات الجنة والنار، والملائكة وما إلى ذلك، ويسمى بالغيب المطلق لأنه مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه.

٢- غيب إضافي: وهو مما يعلمه البشر، وينقسم إلى:

أ/ ما كان غيبا ثم أطلعه الله على من ارتضى من رسله.

ب/ ما كان غيبا مؤقتا مما في الكون مما يتوصل إليه عن طريق الكشوفات

---

(١) انظر محمد رشاد خليل، المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، ص٩٨.

(٢) سورة الحاقة آية ٣٨-٣٩

(٣) الشيخ علي الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، ص١٦٢، بتصرف، ط٢، ١٣٩٠هـ.

(٤) سورة الشورى آية٥١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العلمية.

ج/ ما كان شهادة لأهل عصره ثم تحول إلى غيب إلى كل من جاء بعدهم كحوادث الأمم.

د/ ومن الغيب ما تركه الله في الكون لخلقه ثم أعطاهم من الوسائل ما يعينهم للوصول إليه[١]، فأصبحوا يوسعون مداركهم وحواسهم المحددة جيلا بعد جيل بإيجاد مخترعات أوسع من حواسهم لاستكشاف ما استودعه الله في كونه برا وبحرا وجوا، ولهذا حثهم على النظر والتأمل في ذلك كما قال تعالى: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض...)[٢] وقال تعالى:(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي..)[٣].

والإنسان محدود في زمانه ،ومكانه، وفي بيئته، محكوم بأهوائه وقصوره[٤] لذا ناسب تناول الغيب من حيث تقسيمه الزماني، إلى ماض وحاضر ومستقبل؛ لأن مجموع ما يحتاج الإنسان إلي معرفته يكون في الأزمنة الثلاثة، فيحتاج من الماضي «أن يعرف الموجود الذي كان موجودا قبله، وذلك الموجود المتقدم عليه، هو الذي نقله من العدم إلى الوجود، وذلك هو الإله تعالى وتقدس»[٥].

وفي الحاضر محتاج إلى معرفة الأمر الذي يهمه في زمان حياته، وما يكمل به نفسه ونقصه، دون التعرض إلى ما يعكر عليه صفو حياته، وفي مستقبل أمره يُحِبُّ أن يعرف مصيره بعد انقضاء هذه الحياة وهل هو مرهون بكل ما كسب، وهل لأعماله أثر في سعادته وشقاوته[٦].

ومن رحمة الله بالإنسان ونعمه عليه أنه لم يطلعه من أمر الغيب إلا على ما يعينه على بناء حياته، ويعطيه الاستقرار والاطمئنان ؛ لذلك هيأ له من الأدلة المحسوسة ما يستدل به على ما غاب عنه، وفي كتاب الله كثير من أحداث

---

(١) انظر الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج١، ص٢٧، ومحمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص٤٠١، وعبد الكريم عثمان، رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الكون،ص٦٨.

(٢) سورة يونس، آية١٠١.

(٣) سورة ق، آية ٦-٧.

(٤)نظر عبد الكريم عثمان، رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الكون، ص٦٨.

(٥) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٦٥/١٨.

(٦) انظر المرجع السابق، ج١٨، ص٦٥-٦٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأولين والتي كانت غيبا فأصبحت شهادة لإخبارالقرآن بها وذكره لتفصيلاتها كما في نهاية قصة نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم قال تعالى: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)[١].

وقد كانت قصص الأولين وأحوالهم شواهد محسوسة لهم، وغيب على من يأتي بعدهم لكن إخبار الله عنها نقلها إلى الشهادة.

أما الغيب المؤقت مما كان غيبا ثم تحول إلى الشهادة فهو لا حصر له كثرة وتنوعا مثل الكشوفات العلمية المتطورة والمخترعات الحديثة التي أدت إلى تقارب الزمان والمكان، ونطق الحديد كالمسجلات والتلفاز وغيرها، فقد كانت غيبا [٢] ثم تحولت إلى المُشَاهَدِ المحسوس لوقوعها في دائرة المحسوس، وذلك بتمكين الله للعلماء والمخترعين من الاهتداء إلى ذلك، مثل معرفتهم انعدام الجاذبية في الطبقات العليا من الجو، وكذا انعدام الهواء وكل ذلك كان غيبا في الماضي. ومثل اكتشاف أن الجماد يتكون من زوجين موجب وسالب، ومعرفة دوران الشمس وانشطار الذرة، وبعض المكروبات الدقيقة وغيرها مما يدرك بالوسائل المتطورة التي هدى الله الإنسان إلى اختراعها.

إن منع الإنسان عن معرفة كل ما دار في الماضي وما يدور في الحاضر والمستقبل هو من نعم الله الغرار عليه، ذلك أنه محدود في زمانه وعمره، ومكانه، وطاقاته، وتصوره، محدود في حاجاته، ولهذا لم يثقل الله عليه بمعرفة ما لا يدخل في نطاق خدمته، بل عرفه بالضرورات إليه منها، ولو علم الإنسان من غيب الماضي[٣] مثل مصائر آبائه وأحبائه وما حدث لهم بعد موتهم لما طاب له عيش. ولو أطلعه الله على كثير مما يدور في حاضره[٤] وممن حوله لأتعبه ذلك كثيرا، ولأقلقه وصرفه عن الهدف الأساس الذي وجد من أجله، ولأصبح عيشه في هم وغم مما يوصله إلى الموت كمدا.

ومن تمام نعمة الغيب على الإنسان جهله حتى بالعمليات الكثيرة التي تتم

---

(١) سورة يوسف، آية١٠٢.

(٢) انظر فريد إسماعيل التوني، عبودية الكائنات لرب العالمين، ص٥٠

(٣) لقد قسم الغيب إلى ماضي وحاضر ومستقبل د. مصطفى مسلم في كتابه مباحث في إعجاز القرآن، ص٢٤٧، وما بعدها ، ط ١، دار المنارة، جدة، السعودية

(٤) مثل تسجيل الملائكة لأعمال العباد، وما يجري خارج نطاق دائرة حواسه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في كيانه مثل :ارتشاح الدم في كل لحظة في كليته لتنقى عناصره من المواد الغريبة عنه كالأملاح الزائدة والماء والبول، لتعود بالدورة الدموية نقية صافية، وهكذا دواليك، ومثل التنفس الذي يتم في كل خلية حيّة باستقبال غاز الأكسجين ثم تحويله إلى غاز ثاني أكسيد الكربون وطرده من الجسم[١].

أما غيب المستقبل فيكفي فيه أن الرسول عليه السلام وهو من هو في قربه من ربه أمره أن يعلن أنه لا يطلع على الغيب ولا يملك أن يختار عاقبة أمره قال تعالى: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)[٢].

ففي الآية دلالة قوية على الإقناع بأن الرسل لا تعلم شيئا من أمر الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، ولو علموا لحققوا به منافع لأنفسهم، ولدفعوا عن أنفسهم المفاسد والمضار، فهذا أفضلهم وآخرهم يعلن (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء)، فغيرهم من البشر من باب أولى أن يجهل الغيب.

ولو علم الإنسان من غيب المستقبل شيئا من أمر رزقه وأجله وما يحدث له، ولأقربائه من حوادث وكوارث ، ومشاكل لأقعده ذلك عن العمل، ولتعطل دولاب الحياة، ولكن من لطف الله بالعباد أنهم يقفون «أمام أستار الغيب عاجزين قاصرين مهما يبلغ علمهم الأرضي، ومهما تتفتح لهم كنوز الأرض وقواها المخبوءة، وإنّ أعلم العلماء من بني البشر ليقف مكانه لا يدري ما ذا سيكون اللحظة التالية في ذات نفسه، أيرتدّ نفسه الذي خرج أم يذهب فلا يعود! وتذهب الآمال بالإنسان كل مذهب، وقدره كامن خلف ستار الغيب، لا يدري متى يفجؤه، وقد يفجؤه اللحظة، وإن من رحمة الله بالناس أن يجهلوا ما وراء اللحظة الحاضرة ليؤملوا، ويعملوا وينتجوا وينشئوا ، ويخلّفوا وراءهم ما بدأوه فيتمه الخلف حتى يأتيهم ما خبئ لهم خلف الستار الرهيب»[٣].إن علم الناس ببعض المستقبل قد يوقف عجلة الحياة أو يخل بها[٤].

---

(١) انظر عبد الكريم عثمان، رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الكون، ص٤٧.

(٢) سورة الأعراف، آية١٨٨.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٨٥.

(٤) وقد أخبرﷺ عن عذاب القبربقوله «لولا تمريغ قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع » رواه الإمام أحمد في المسندج٥ص٢٦٦وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد١/٢٠٨، وفيه علي بن يزيد وهو ضعيف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا كان الغيب يحيط بماضي الإنسان وماضي الكون وحاضره، وحاضر الإنسان ومستقبله، ومستقبل الكون، فإن «هناك سننا ثابتة لهذا الكون، يملك الإنسان أن يعرف منها القدر اللازم له حسب طاقته، وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض، وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية، وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها»[١].

فالغيب إذا ضرورة بشرية اجتماعية وأخلاقية وسياسية واقتصادية وقانونية، وعقلية فطرية إصلاحية، وقبل ذلك وبعده ضرورة إسلامية[٢].

والإنسان جسد وروح، وبهما تعرف إنسانيته، ويكتب له الرزق والأجل والشقاوة والسعادة بعد نفخ الروح فيه لأنها جزء مكمل للجسد وبهما معا يسمى إنسانا ، يقول الراغب: «ولما كان الإنسان جزأين بدن محسوس، وروح معقول، كان له بحسب كل واحد من الجزأين صورة، فصورته المحسوسة البدنية انتصاب القامة، وعرض الظفر وتعري البشرة عن الشعر والضحك وصورته المعقولة الروحانية، العقل والفكر والروية والنطق، والإنسانية تَعَاطِي الفعل المختص بالإنسان»[٣].

وكونه جسد وروح ينبني عليه أن الحقيقة الجسدية ظاهرة أمام الناس ولو بوصف ظاهرها، وإن عجزوا عن معرفة كنهها لأن آلاف الأستار مغلف بستار الغيب، أما الحقيقة الروحيةفهي الخفية لعدم تحديدها ولا قياس أبعادها، ولكن ترى أثارها متمثلة في الرغبات والأشواق[٤].

فالروح إذاً «ليست وحدها في تركيب الإنسان الدالة على الغيب، فها هي الحواس تدلنا على ذلك، الإنسان العاقل يقررالحقيقة القائلة ليس كل ما لا تدركه الحواس غير موجود، فالحواس أولا محدودة، فأنا أرى على مسافة معينة، وأسمع أصواتا ذات اهتزازات معينة، وهكذا بقية الحواس، وبعد ذلك لا أرى ولا أسمع فهل يعني هذا أن الشيء الذي لا يصل إليه بصري أنه غير موجود؟ إن الإيمان بما

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص١١١٩.

(٢) انظر بسام سلامة، الإيمان بالغيب، ص٦٧، وما بعدها.

(٣) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ص٢٥، تحقيق أحمد كعكو، المطبعة العربية حلب.

(٤) انظر بسام سلامة، الإيمان بالغيب. ص٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وراء الحواس إيمان عن وعي لا عن خرافة، وهذا الإيمان يسميه الإسلام الإيمان بالغيب، إن العلوم تقرر محدودية الحواس، وتقرر وجود الروح...»[١].

وبهذا يعلم أن منع الإنسان من معرفة الغيب المتمثل في الحاضر والمستقبل وكذا في الآفاق والأنفس ودعوته إلى الإيمان به يترك في النفس آثارا حميدة، منها الطمأنينة والسكينة، قال تعالى: (الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك له الأمن وهم مهتدون)[٢]. والأمن هو « طمأنينة تتعلق بكل ما يتوقعه الإنسان ويخاف عليه أو منه ولا سعادة دونه»[٣].

ثم ما الذي يجعل الناس يخافون؟ أعلى أرزاقهم؟ أم على أولادهم؟ أم على أرواحهم؟ أم ماذا يخافون؟

إن المسلم لا يخاف إلا الله تعالى ولا يخشى من مثل هذه الأمور لأنه يعلم أن الرزق من عند الله قال تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون)[٤]، وأن الموت بيد الله قال تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا)[٥]، وأن الأموال والأولاد والأراضي ملك لله قال تعالى: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[٦]المؤمن يسير في الحياة راسخ القدم، ثابت الجنان ، قوي العزيمة، مطمئن إلى وعد الله، فلا يعاني مما يعاني منه الناس من الاضطرابات النفسية والقلق، والخوف.

كما لا يصيبه هم بإدبار الدنيا وزينتها عنه، ولا يلحقه غم بفقد المال والمنصب والجاه والسمعة،لأن هدفه إرضاء ربه، لعلمه التام أن الدنيا ليست النهاية وإنما النهاية الآخرة التي فيها الجزاء على الأعمال، وهي خير له وأبقى، قال تعالى: (وأنّ إلى ربك المنتهى)[٧].

وبهذا تتجلى نعمة الله على الناس بمنعهم من إدراك الغيب مع إيمانهم، ويظهر آثار هذه النعمة على المُنْعَمِ عليهم في سلوكهم، وتصرفاتهم وأعمالهم

---

(١) بسام سلامة الأيمان بالغيب، ص٩٩.

(٢)سورة الأنعام، آية٨٢.

(٣) بسام سلامة، الإيمان بالغيب، ص١٤٦.

(٤) سورة الذاريات. آية٢٢.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٤٥.

(٦) سورة الأعراف، آية١٢٨.

(٧) سورة النجم، آية ٤٢، وانظر ما قبلها من آيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتعميرهم للكون ممتثلين بالقول: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، فيعملون ليل نهار ويكمِّلون ما بدأه السابقون، ويخلفون وراءهم ما بدأوه ليتمه من يأتي بعدهم، وهكذا تدور عجلة الحياة، وتعمر الأرض، وترتقي الحياة، فينتفع اللاحق من السابق انتفاعا علميا منظما، ويتركه لمن يأتي بعده بعدأن يضيف إليه لبنة جديدة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

أدوات العلم عند الإنسان

الأدوات جمع، مفرده أداة، وهي الآلة، وإذا كانت عند النحويين تستعمل للربط بين الكلام[١]، فإنها عند الإنسان للربط بينه وبين بيئته.

العلم: «العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره»[٢]. «والعلم نقيض الجهل وقياسه قياس العلم والعلامة»[٣] «وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته»[٤] «ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة»[٥] «والعلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان، أحدهما إدراك ذات الشيء، الثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه»[٦].

وفي الاصطلاح مصدرعلم يعلم علما ،والعلم هو«معرفةالمعلوم من الذوات والصفات والمعاني على ما هو عليه»[٧]، والإنسان هو «الكائن الحي المفكر»[٨].

والمقصود بأدوات العلم هي: الحواس والوسائل التي يتلقى الإنسان عبرها العلم والتي تربطه بمحيطه، وقد ورد ذكرها في آيات كثيرة من كتاب الله تبين أهميتها ويمتن الله بها على الإنسان مما يدعوه إلى شكر المنعم المتفضل بها عليه قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون»[٩].

إن أدوات العلم عند الإنسان هي حواسه التي يستقبل بها العديد من المؤثرات الخارجية الموجودة في بيئته، وتعتبر أحد وسائل العلم والمعرفة التي تكسب الإنسان العلوم، ولهذا عدّها الله تعالى نعمة من نعمه العظيمة التي امتن بها على الإنسان، وأوجدها فيه وهو ما زال جنينا في بطن أمه مما يدل على أنه

---

(١) انظر إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص١٠.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص١٠٩.

(٣) المرجع السابق، ج٤، ١١٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ٤١٧.

(٥) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٢٤.

(٦) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٨٠.

(٧) أبوبكر الجزائري العلم والعلماء ص١١ دار الكتب العلمية بيروت١٤٠٢هـ.

(٨) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص٢٩.

(٩) سورة النحل، آية ٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سيكون لها دور كبير في حياة الإنسان لتعدد وظائفها ومهامها وكثرة منافعها بما يكمِّل متطلبات حياته.

إن مصادر العلم الأساس في الإسلام ثلاثة:

١- الحواس.

٢- العقل.

٣- الوحي.[١]

فالله تعالى قد امتنّ على الخلق بذكر كثير من نعمه وآلائه في سورة النحل ومنها مصادر العلم، تال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)[٢]، وقال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[٣]، وقال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[٤]، وقال تعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)[٥].

فقد ذكر الله تعالى في الآية الأولى مصدرين من مصادر العلم هما: الحواس، والعقل، مبينا في الحواس أهمها وأعظمها أثرا عند الإنسان، وهما حاستي السمع والبصر، وفي الآيات الثلاث الأخرى أشاد الله بالوحي لأنه من أعلى المصادر وأكثرها يقينا باعتباره مصدرا ربانيا، بل يعد هو الوحيد الذي يُعرّف الناس ببعض حقائق عالم الغيب.

يقول ابن تيمية: «طرق العلم ثلاث: أحدها الحس الباطن والظاهر، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها، والثاني: الاعتبار بالنظر والقياس، وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس فما أفاده الحس معينا يفيده العقل والقياس كليا مطلقا، فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين... والثالث الخبر... يتناول الكليات والمعينات

---

(١) انظر حسام محي الدين الألوسي، فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه، ص٤٥، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.

(٢) سورة النحل، آية ٧٨.

(٣) سورة النحل، آية٤٤.

(٤) سوة النحل، آية٨٩.

(٥) سورة النحل، اية١٢٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والشاهد والغائب فهو أعم، وأشمل، لكن الحس والعيان أتم وأكمل»[١].

وخلاصة الكلام أن مصادر العلم تكون من الحس والعقل والوحي، وهذا إنما يدل على نظرة الإسلام الشمولية حيث لم يجعل مصادر العلم تتوقف على الحواس فقط بل أضاف إليها ما يعينها ويوسع مداها، خلافا للمناهج والفلسفات الأخرى التي لا ترى الأخذ بهذه المصادر مجتمعة، بل انقسمت إلى مذاهب ثلاث:

١- المذهب الحسي، ويرى أن الحواس هي المصدر الوحيد للعلم حتى قال قائلهم[٢]: «إن الحواس موضوع معرفة غامضة أما الجواهر والخلاء فإنها موجودة حقا وهي الموضوع الوحيد للمعرفة الحقة»[٣].

٢- المذهب العقلي: ويرى أصحابه أن العقل وحده يصل إلى العلم دون الاستعانة بالحواس وهم أمثال أفلاطون وأتباعه حيث يقولون: «العلم تذكر والجهل نسيان»[٤].

٣- المذهب الباطني: وأصحابه يسمون الإشراقيون، حيث يرون أن التأمل الباطني هو طريق العلم دون الحواس والعقل[٥].

ولهذا يرى الباحث أن هذه الفلسفات ضلت في نفسها وأضلت من صار على خطاها، «أما الإسلام فلم يغفل مصدرا واحدا من مصادر المعرفة لم يعطه اعتباره ولم يضعه في مكانه الذي يستحقه»[٦].

وقد أشار كتاب الله إلى أن للعلم مفهوما واسعا بعضه يدرك بالحواس وبعضه يدرك بالعقل، وبعضه لا يدرك إلا عن طريق الوحي.

كما أن ميادين العلم تشمل عالمي الغيب والشهادة، فيتعرف على العلم المشهود المحسوس عن طريق الحواس التي منحهم الله تعالى إياها، فمجال

---

(١) أحمد بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص٣٢٤، تحقيق محمد رشاد سالم، ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ.

(٢) هو ديمقريطس، فيلسوف يوناني قديم، انظر يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٤٩.

(٣)يوسف مكرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٥١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ، دون طبعة.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٩.

(٥) انظر عبد الحميد النجار، العقل والسلوك في البيئة الإسلامية، ص١٣٦، مطابع جنوب مدنين، تونس، ط، ١٤٠٠هـ.

(٦) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص١٣٧، دار الشروق، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحواس والعقل «هو المادة في عالم الشهادة، وهو عالم فسيح يتجلى أمام الإنسان بأسراره وخفاياه التي تحتاج إلى جهود ضخمة مستمرة يقوم بها الإنسان مستخدما حواسه، وعقله استخداما إيجابيا ليتمكن من اكتشاف أسرار الكون»[١].

فأدوات العلم إذن هي من نعم الله على الإنسان التي يسبق خلقها منفعتها، فالإنسان يخرجه الله من بطن أمه لا يعلم شيئا رغم وجود الأدوات فيه قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)[٢].

«والإنسان خلق في مبدأ الفطرة خاليا عن معرفة الأشياء، فالله أعطاه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم، فالنفس كانت في مبدأ الخلقة خالية عن جميع العلوم إلا أنه تعالى خلق له السمع والبصر، فإذا أبصر الطفل شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في ذهنه وخياله، ماهية ذلك المُبْصَر وكذلك إذا سمع شيئا مرة بعد أخرى ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع، وكذلك القول في سائر الحواس، فيصير حصول الحواس سببا لحضور ما هيات المحسوس في النفس والعقل»[٣].

فللحواس أهمية خاصة في تلقي العلم فهي أول وسائله فلا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، حتى إن الوسائل الأخرى تعتمد عليها، فالعقل يستفيد مما تطلعه عليه الحواس فيقوم بدور الربط والتفسير لمعطياتها، كما أن الوحي لا يمكن سماعه إلا عن طريق بعضها، فهذا يبين عظمتها، وعظمة الامتنان بها على الخلق، مما يدعو إلى شكر المتفضل بها، والثناء عليه بما هو أهله.

يقول البيضاوي مبينا معنى عدم علم الإنسان عند خروجه في تفسيره لقوله تعالى: «لا تعلمون شيئا» جهالا مستصحبين جهل الجمادية، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بتكرار الإحساس، حتى يتحصل لكم العلوم البديهية، وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر لعلكم

---

(١) صالح بن سليمان المعمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، وتحقيقها في المدرسة، ص١٠٣، رسالة دكتوراة قدمت في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، ١٤١١هـ، مخطوط.

(٢) سورة النحل، آية٧٨.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تشكرون كي تعرفوا ما أنعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروا.[١]

أما القرطبي فيرى أن عدم العلم يندرج تحته عدة تآويل «ذكر أن من نعمه أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا علم لكم بشيء وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها: لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم. الثاني: لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة والشقاء. الثالث: لا تعلمون شيئا من منافعكم»[٢].

إن أدوات العلم في الإنسان عظيمة في شأنها ، جليلة في قدرها، ذات منافع متعددة، ووظائف كثيرة، تكمّل جوانب نقص الإنسان، وتتمثل في خمس حواس هي: حاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة اللمس، وحاسة الذوق، وحاسة الشم.

ولها أهمية في تحصيل العلم أولا ثم توصيله إلى النفس ثانيا، لأنها مثل الأبواب والمنافذ[٣] «ثم تأمل الحكمة في أن جعل الحواس خمسا في مقابلة المحسوسات الخمس، ليلقى خمسا بخمس، كي لا يبقى شيء من المحسوسات لا يناله بحاسة، فجعل البصر في مقابلة المبصرات، والسمع في مقابلة الأصوات، والشم في مقابلة أنواع الروائح المختلفات، والذوق في مقابلة الكيفيات المذوقات، واللمس في مقابلة الملموسات فأي محسوس بقي بلا حاسة؟ ولو كان في المحسوسات شيء غير هذا لأعطاك له حاسة سادسة»[٤].

ثم قرر القرآن تميز حاستي السمع والبصر على بقية الحواس، وجاءت كثير من آيات الكتاب العزيز ببيان ذلك، قال تعالى: (..وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون»[٥]، وقال تعالى: (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...)[٦]، وقال تعالى: (وهو الذي أنشأ لكم السمع

---

(١)عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص٣٦٢، دار الجيل، بيروت، بدون طبع ولا تاريخ.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٥١.

(٣) انظر علي بن أحمد بن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، ص١٧٦، تحقيق د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٤) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج١، ص٢٦٤.

(٥) سورة السجدة، آية ٩.

(٦) سورة الملك، اية ٢٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)[١].

كما وصلت كثير من العلوم الحديثة بعد إجراء التجارب العديدة إلى ما قرره القرآن فقد أكدت «نتائج علم النفس التجريبي الحديث فضل السمع والبصر على حواس الإنسان الأخرى»[٢].

يقول القرطبي: «فحواس الإنسان أشرف من الكواكب المضيئة والسمع والبصر منهما بمنزلة الشمس والقمر في إدراك المدركات»[٣].

فقد ركزت الآيات السابقة على حاستي السمع والبصر «لأهميتهما القصوى في عملية الإدراك الحسي،.. ولأن في ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي، وهذه خاصيةٌ من خصائص أسلوب القرآن الذي يتميز بالإيجاز البليغ والذي يكتفي بالتلميح والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة... وإنه ليكفي هنا في هذا الصدد للدلالة على نعمة الله تعالى على الإنسان بتزويده بأدوات للإدراك الحسي»[٤].

ومن مظاهر تميز حاستي السمع والبصر أنهما أكثر الحواس المساهمة في اكتساب العلم، ولهما القدرة على إدراك الأشياء، ويتسمان بالموضوعية في الحكم على الأشياء، ويتميزان بالإدراك المكاني عمقا ومسافة[٥]، قال تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)[٦].

مع العلم أن كتاب الله لم يغفل الحواس الأخرى، ولم يقلل من شأنها، بل عدها أدوات للعلم في مجالها، ففي بيان حاسة اللمس قال تعالى: (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)[٧].

---

(١) سورة المؤمنون، آية٧٨.

(٢) فؤاد أبو حطب، الإدراك السمعي والبصري، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، عدد ١، جمادى الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٥هـ.

(٣) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص١٣٦، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.

(٤) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص١١٤، ١١٥، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٥) انظر صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص١٤٣.

(٦) سورة الإنسان، آية ٢.

(٧) سورة الأنعام، آية٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي بيان حاسة الشم قال تعالى: (ولما فَصَلَت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون)[١].

وفي بيان حاسة الذوق قال تعالى: (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما...)[٢].

إن ذكر حواس الإنسان كلها في القرآن يدل على أهميتها كلها في حياة الإنسان، سواء من حيث المحافظة على الحياة أو التنبيه على المخاطر، إضافة إلى أنها أحد وسائل العلم، التي تطلع الإنسان على ما يحيط به في البيئة، كما تهديه إلى العقيدة الصحيحة، من خلال ماتدركه من الشواهد الحسية التي تحكم حركة الكون وفق نظام دقيق.

مدركات الحواس

كل حاسة من حواس الإنسان لها عمل محدود له بداية ونهاية، فإذا كان دون البداية أو كان فوق النهاية، لا يدركه الإنسان لأنه أصبح فوق حدود الحواس، فيأتي دور المصدر الثاني من مصادر العلم ليكمل نقصها «فأما الحواس فلكل منها إدراك مخصوص، فللمس عشر إدراكات، الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، واللين، والخشونة، والصلابة والرخاوة، والثقل والخفة، وللذوق سبع: الحلاوة والمرارة، والملوحة والحموضة، والحرفة والعصوفة، والتفاهة، وللشم اثنان: الطيب والنتن. وللسمع اثنان: الصوت البسيط والكلام المركب منه، وللبصر أحد عشر إدراكا: النور، والظلمة، واللون، والجسم، وسطحه، وشكله، وصنعه، وأبعاده، وحركاته، وسكناته، وإعداده»[٣].

يؤكد هذا الكلام على محدودية الحواس في أداء وظائفها، فحاسة السمع تدرك الأصوات، وحاسة البصر تدرك المرئيات، وحاسة اللمس تدرك الملموسات، وحاسة الشم تدرك الروائح، وحاسة الذوق تدرك المطعومات، وقد ذكر ابن القيم أنه لم يبق محسوس بلا حاسة، ولو كان موجودا لأوجد الله له حاسة ومنحها للإنسان تكرما له[٤].

---

(١) سورة يوسف، آية٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية٢٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٧٧-٧٨، تحقيق أبو اليزيد العجمي، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٤) انظر ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١ص٢٦٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما يدل على محدودية الحواس في مجالاتها هداية الله للإنسان إلى اختراع بعض الأجهزة الحديثة التي هي امتداد للحواس، فالوجود أعظم وأكبر من أن يُحيط به حواس الإنسان، ولا أجهزته المخترعة التي هي امتداد لحواسه[١]، ولا يزال الإنسان يتطلع في توسيع مدارك حواسه.

ولما امتن الله على الإنسان بحاستي السمع والبصر في آية سورة النحل ولها مثيلات كثيرة في كتاب الله تعالى، قال تعالى: (أمّن يملك السمع والأبصار..)[٢] وقال تعالى: (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار...)[٣]، وقال تعالى: (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم...)[٤]، وقال تعال: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...)[٥].

فالقرآن يولي الحاستين أهمية قصوى ويقرنهمامعامقدما السمع على البصر، وسأتناول بعض مهامهما ومنافعهما، ثم الإشارة إلى بقية الحواس الأخرى باختصار:

حاسة السمع

تعد من أعظم نعم الله على البشر فهي وسيلة الاتصال بالعالم الخارجي، ومهمة في اكتساب اللغة، ونمو العلم والخبرات، وتوفر للإنسان الاستشعار بالأمن وتقوي علاقته بمجتمعه، إضافة إلى أنها من أهم وسائل الاهتداء إلى الإيمان بالله[٦]، ولأهميتها يقدمها القرآن على البصر دائما «فهو متقدم عليه حيث وقع في القرآن مصدرا أو فعلا أو اسما، فالأول كقوله تعالى:(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)[٧]، والثاني كقوله تعالى:(...إنني معكما أسمع وأرى)[٨]، والثالث كقوله تعالى: (...سميع بصير)[٩]»[١٠]اهـ.

---

(١) سيأتي المبحث اللاحق في بيان المخترعات الحديثة في توسيع دائرة الحواس،انظرص٣١٢

(٢) سورة يونس، آية ٣١.

(٣) سورة المؤمنون، آية٧٨.

(٤) سورة فصلت، آية ٢٠.

(٥) سورة النحل، آية ٧٨.

(٦) انظر صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص١٨٠.

(٧) سورة الإسراء، آية ٣٦.

(٨) سورة طه، آية ٤٦.

(٩) سورة المجادلة، آية١.

(١٠) ابن القيم، بدائع الفوائد، ج١ ص٧٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مميزات حاسة السمع أنها أسبق حواس المولود استخداما، ولها اتساع في مداها وشمول في إحاطتها، فيرى الإنسان في اتجاه واحد، لكنه يسمع في الاتجاهات الستة «والسمع يدرك به من الجهات الست، وفي النور والظلمة، ولا يدرك بالبصر إلا من الجهة المقابلة وبواسطة ضياء وشعاع»[١].

يقول الغزالي: «والسمع إنما يسمع محيط الدائرة والبصر إنما يبصر على خط مستقيم»[٢]، كما أن السمع يعتبر هام في سماع الحق وتلقيه، وبذلك قدم على البصر لأنه طريق تلقي الوحي.

وفي الحديث: «أربعة يوم القيامة،كلهم يدلي على الله بحجته فذكر منهم رجلا أصم، يقول يارب، لقد جاء الإسلام وأنا لا أسمع شيئا...»[٣].

وجهاز السمع هي الأذن ومن وظائفها إضافة إلي السمع، «المحافظة على توازن الجسم الإنساني، في حركاته مشيا أو وقوفا، حيث يوجد بالأذن الداخلية قنوات مملوءة سائلا يتحرك حسب حركة الرأس، وبذلك يدرك الإنسان توازن رأسه وجسمه»[٤].

وللسمع حدود فهو محكوم بحد أدنى يبلغ ٢٠ ذبذبة في الثانية، وحد أعلى يبلغ ٢٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية، فلا تحس الأذن بما دون العشرين، ولا تميز الصوت إذا كان فوق ٢٠,٠٠٠ ذبذبة[٥].

فينبغي شكر الله على هذه النعم الجليلة القدر والكثيرة المنافع، ومن تمام الشكر المحافظة عليها وصيانتها واستعمالها فيما خلقت له، من سماع كتاب الله، وسنة نبيه عليه السلام، وما ينفع من العلم في الدارين، والإعراض عن سماع اللغو، وكل باطل لا ينفع ولا يفيد فذلك من تمام شكرها[٦].

---

(١) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص١٨٩ در الكتاب العربي.

(٢) محمد الغزالي، معارج القدس في معرفة النفس، ص١٤٤، دار الوفاق الجديدة، بيروت، ط١٤٠١هـ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤ ص٢٤، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنةج١ ص١٧٦، باب ٨٥من حديث أبي هريرة، وله شاهد من حديث الأسود بن سريع،وصححه الألباني بتعدد طرقه،انظر تعليق الألباني على كتاب السنة ج١ ص١٧٦

(٤) انظر عبد الحميد الهاشمي، أصول علم النفس العام، ص٧٩، دار الشروق، جدة، ١٤٠٤هـ.

(٥) المرجع السابق، ص٧٩.

(٦) انظر صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص١٩٨-٢٠٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حاسة البصر

يعتبر البصر من نعم الله على الإنسان، ومن الوسائل الهامة في الإدراك الصحيح، واكتساب اللغة قراءة وكتابة، ومما أعان الله به الإنسان للنظر في الكون الهائل أرضه وسمائه، فالبصر يدعو الناس ليتأملوا ما خلق الله في الآفاق وفي الأنفس.

قال تعالى: (الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)[١].

ولأهمية البصر جاء مقرونا بالسمع في كثير من آيات الكتاب العزيز، كما امتن الله تعالى به في آية سورة النحل.

قال تعالى:(والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...)[٢].

وقد دعا الله الناس إلى النظر في ملكوته كلها ،أرضا وسماء، إبلا وطعاما.

قال تعالى: (قل انظروا ما ذا في السموات والأوض...)[٣].

وقال تعالى:(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)[٤].

وقال تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه)[٥].

وفي أهميته قال الإمام ابن تيمية « والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله الأكثرون... لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل بالبصر، فالبصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل، وهاتان الحاستان هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان على البهائم»[٦].

وللإبصار بالعين شرطان، أحدهما: أن يسقط على العين الأشعة الضوئية

---

(١) سورة الملك، آية ٣، ٤.

(٢) سورة النحل، ية ٧٨.

(٣) سورة يونس، آية١٠١.

(٤) سورة الغاشية، آية ١٧.

(٥) سورة عبس، آية ٢٤.

(٦) أحمدبن عبد الحليم بن تيمية، الرد على المنطقيين، ص٩٦، مطبعة المعارف، لاهور باكستان، ط٢، ١٣٩٦هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمبصر، والثاني: أن تكون العين سليمة[١].

وجهاز الإبصار هي العين ، ولهذا جاء ذكر الله لها في كتابه ممتنا بها على العباد قال تعالى:(ألم نجعل له عينين)[٢]،

«ثم انزل إلى العين وتأمل عجائبها وشكلها، وخلقها وإيداع النور الباصر فيها وتركيبها، وجعل سبحانه موضع الإبصار في قدر العدسة ، ثم أظهر في تلك العدسة قدر السماء والأرض والجبال والبحار والشمس والقمر...»[٣].

ففي العين عجائب شكلا وخلقة وتركيبا وإبداعا، فالعدسة لا تتسع بل تصغِّر ذلك المشاهد،وتبصرالعين عن طريق إرسال الصور من منطقة شبكية العين ومن خلال العصب البصري إلى الدماغ، والبؤرة تتسع وتضيق حسب قوة النور وضعفه وبعده وقربه،[٤]

وظائف العين

ولما كانت العين هبة من الله تعالى لعباده كانت لها وظائف متعددة تتمثل في: معرفة الأبعاد، والتمييز بين درجة الإضاءة، ومعرفة المسافات، كما يعتمد عليها في تعلم القراءة والكتابة[٥]، فهي وسيلة إبصار ووسيلة وعي وإدراك، ولها نصيب وافر في الهداية إلى الإيمان عن طريق النظر إلى مخلوقات الله، قال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)[٦].

حدود البصر

إنّ للبصر حدوده كما للسمع حدوده في الإدراك، فالعين لا تدرك بنفسها ولا تدرك البعيد، ولا القريب جدا، ولا ما وراء الحجاب، كما أنها ترى الظواهر دون

---

(١) انظر خالص حلبي، الطب محراب الإيمان، ج١، ص٢٠٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ

(٢) سورة البلد، آية ٨.

(٣) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص٢٥٩، دار الفكر، بيروت.

(٤) انظرعبد المنعم مصطفى أمراض العين وتقويم البصرص٨٧.دار الفارس عمان ، ط١٩٩٠.١م

(٥) انظر صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص٢٠٩-٢١٠.

(٦) سورة ق، آية٦-٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البواطن، فتبصر بعض الموجودات بحدود[٦].

مما سبق بيانه يمكن أن يقف الإنسان على بعض نعم البصر فيقدرها حق قدرها، ويقوم بشكر الله فيها الذي من تمامه حفظها والمحافظة عليها واستعمالها فيما خلقت له، وأن يغض البصر عن كل ما حرم الله، قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن...)[٢].

يقول ابن كثير «هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم»[٣].

ففي الآية الأولى كان الخطاب للمؤمنين وفي الثانية خاطب الله المؤمنيات فأمرهن بما أمر به المؤمنين لأن الإنسان مسؤول عن بصره كما هو مسؤول عن سمعه قال تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)[٤].

فالبصر هوصاحب القلب إذ «ينقل إليه المبصرات وينعش فيه صورها فيجول فيها الفكر فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة»[٥].

وقد نهى عليه السلام عن الجلوس في الطرقات لما يترتب عليه من أذى الناس، ثم أمر من يجلس فيها أن يكف الأذى عن المارة، ومنه «غض البصر..»[٦]

العلاقة بين السمع والبصر

هناك علاقة وثيقة بين السمع والبصر ولهما مزية متميزة عن بقية الحواس في إدراك كل مدرك «واعلم أن السمع والبصر كالأخوين يخدم كل واحد منها صاحبه

---

(٦) انظر محمد إبراهيم الفيومي، الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، ص١٥١، ١٥٦، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

(٢) سورة النور آية ٣٠-٣١.

(٣) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٢٨١.

(٤) سورة الإسراء، آية ٣٦.

(٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ذم الهوى، ص٨٢، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨١هـ.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات، ج٣، ص١٠٢-١٠٣، ومسلم كتاب اللباس، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، برقم ٢١٢١، ج٣، ص١٦٧٥، وغيرهما.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في إدراكه، فقد ينوب السمع عن البصر[١] في إبلاغ القلب بما يأخذه عن اللفظ... وينوب البصر عن السمع في إبلاغ القلب بمطالعة الكتب مالا يدركه السمع في مده »[٢].

المقصود أن السمع والبصر يكملان بعضهما البعض، فلكل ميزة لا توجد في الآخر، ولهذا يقرن كتاب الله بينهما كثيرا سواء في حالة الامتنان كما مضى في الآيات أو في حالة الحرمان كما في قوله تعالى: (...ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير)[٣].

الحاسة الثالثة: اللمس

يدرك الإنسان بها الملموسات المحيطة به، وتوجد هذه الحاسة في الجلد الذي يغطي جميع الجسم، وتحيط به ألياف أعصاب الحس التي تنبه الجسم في حالة الألم أو الحر أو البرد، وتنتشر الأعصاب تحت الجلد بأعداد هائلة كثرة «فهناك جسيمات تنقل الحر، وأخرى تنقل البرد، وثالثة للمس والضغط، ورابعة لحس الألم، وخامسة تختص بنقل الحس العضلي، أو ما يسمى بالحس العميق... وتبلغ في تعدادها أرقاما هائلة فهناك (٣-٥) ملايين جهاز حساس للألم، و(٢٠٠,٠٠٠) جهاز حساس للحر، و(٥٠٠,٠٠٠) جهاز حساس للمس والضغط، حتي يمكن أن يقال أن الجلد البشري ما هو إلا سطح يغطي شبكة هائلة من الألياف العصبية... بحيث إن هناك اثنين وستين عصبا يسيطر على الجسم، ...وفي الرأس أربعة عشر عصبا »[٤]، فيصبح المجموع ستة وسبعون (٧٦) عصبا في جسم الإنسان، فاللمس إذن هو عبارة عن أجراس الإنذار في الجسم[٥].

وبين كتاب الله أن الجلد هو مكان الإحساس اللمسي وعليه يقع التعذيب، قال تعالى: (...كُلَّمَا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب..)[٦] وقد تبين فيما مضى أن الأشياء التي تدرك باللمس عشر إدراكات.

والمقصود أن نعمة الله بإيجاد اللمس تكمن في إدراك الإنسان لما يحيط به

---

(١) سادت في هذا العصر حروف برايل للمكفوفين حيث تمكن المكفوف من القراءة والكتابة.

(٢) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٨٠.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٠.

(٤) د. خالص حلبي، الطب محراب الإيمان، ج١، ص٢٠٣-٢٣١.

(٥) انظر المرجع السابق ج١، ص٢٣٠.

(٦) سورة النساء، آية ٥٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الملموسات فيحمي نفسه من التعرض لما يضره، ويشعر بالمتعة والسرور، إضافة إلى أنها تعتبر من وسائل العلم[١]، قال تعالى: (ولو نزلنا عليك كتاب في قرطاس فلمسوه بأيديهم...)[٢]، أي أنه «لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه»[٣].

الحاسة الرابعة: الذوق

مقر الذوق هو اللسان ، والعجيب في الأمر أن في اللسان حوالي تسعة آلاف (٩٠٠٠) من البراعم الذوقية التي تنقل طعم الأكل بأنواعه الأساسية من حلو وحامض ومر ومالح كما تنقل أنواعا متباينة من المذاقات، فالإنسان يميز في الفواكه بين طعوم أنواعها المختلفة، ويميز بين أنواع اللحوم والمطعومات والمشروبات المتنوعة، كما يميز بين أنواع الخضروات المنوعة، ولولا الخشية من سيلان لعاب القارئ لاسترسل الباحث في ذكر أسماء تلك الأنواع التي يميزها الذوق.

«ويبلغ عدد هذه الحليمات الذوقية ما يقارب التسعة آلاف، وتحتوي على مئات من البراعم الذوقية التي تتجدد بسرعة كل خمس عشرة إلى ثلاثين ساعة، وتوجد في هذه البراعم عناقيد من الخلايا المستقبلة المزودة بأهداب دقيقة مرتبطة بشبكة من الألياف العصبية بحيث ترتبط كل خلية بأكثر من ليف واحد، وكل ليف يرتبط بخلية ذوقية أو أكثر»[٤].

إن عملية الذوق تتم عندما تذوب المادة المذاقة في لعاب الفم وتلتصق بالحليمات العصبية فترسل الخلية ذلك إلى الدماغ، فيحس الإنسان بطعم ما يتذوقه.

فحاسة الذوق إذاً نعمة من نعم الله التي أعدّ بها الإنسان لتمكنه من التمييز بين المطعومات والمشروبات المختلفة[٥]، ومن تأمل إلى مكونات الحواس ودقائقهاخشع قلبه ودمعت عينه خشية لله أمام هذه الآلاء العظيمة وتوجه إلى الله

---

(١) انظر صالح بن سليمان العمرو مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص٢٢٢.

(٢) سورة الأنعام، آية٧.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٢، ص١٣٣.

(٤) توفيق محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٣٠٠، دار السلام، بيروت، ط١٤٠٧هـ.

(٥) انظر صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الأسلام، ص٢٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالشكر والثناء على مننه الجسيمة ليديمها عليه ما دام في الحياة.

الحاسة الخامسة الشم

وجود حاسة الشم في الإنسان من نعم الله عليه حيث يميز بها بين الروائح الطيبة المبهجة للنفس وبين الروائح الخبيثة التي تكرهها النفس، وعضو هذه الحاسة هو الأنف، «وهي حاسة كيمائية وقد تنشط عندما يكون المثير للشم بعيدا ولكن رائحته قد وصلت إلى الأنف عن طريق الهواء الذي يدخل الأنف حتى يصل غرفته العليا، وهناك يختلط الهواء الذي يلامس شعر الأنف مع ما يحمل من رائحة النهايات العصبية الخاصة بالشم، وهي منطقة عند مستوى العين تقريبا»[(١)].

وللشم دور هام في راحة الإنسان ونموه إذ يزوده بالرائحة الزكية للطعام الشهي، ويحمل إليه النسيم رائحة الطيب والريحان وأنواع العطور المختلفة فترتاح نفسه، وتبتهج روحه ويتذكر منة الله بإيجاد هذه الحاسة لينعم بها في دنياه

نعمة معينات الحواس

وقد ذكر العلامة ابن القيم أن هذه الحواس أعينت بمخلوقات أخرى منفصلة عنها تكون واسطة في إحساسها «فأعينت حاسة البصر بالضياء والشعاع، فلولاه لم ينتفع الناظر ببصره، فلو منع الضياء والشعاع لم تنفع العين شيئا، وأعينت حاسة السمع بالهواء يحمل الأصوات في الجو ثم يلقيها إلى الأذن فتحويه ثم تَقْلِبُه إلى القوة السامعة، ولولا الهواء لم يسمع الرجل[(٢)] شيئا، وأعينت حاسة الشم بالنسيم اللطيف يحمل الرائحة ثم يؤديها إليها فتدركها...وأعينت حاسة الذوق بالرحيق المتحلل في الفم»[(٣)].

أما حاسة اللمس فذكر أنها لا تحتاج إلى واسطة لأنها تدرك بالاجتماع والملامسة[(٤)].

نعمة العقل

كما امتن الله تعالى على العباد بإيجاد أدوات العلم التي هي حواسهم ليتلقوا عبرها العلوم والمعارف وكذلك امتن بنعمة العقل وقرنها بأهم وأكبر أداتين

---

(١) عبد الحميد محمد الهاشمي، أصول علم النفس العام، ص٨٢، دار الشروق جدة، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٢) لعل ذكره تغليبا، وإلا الأمر ينطبق على كل سامع سواء كان إنسانا (ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا) أو حيوانا.

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج١، ص٢٦٤.

(٤) انظر المرجع السابق، ج١، ص٢٦٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من أدوات العلم وهما السمع والبصر، قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...)[١].

فالعقل من أكبر نعم الله التي منحها للإنسان وتفضل بها عليه، بل به ميّزه وكرمه على سائر المخلوقات، قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[٢].

وأهميته في الإسلام تكمن لما يتمتع به من مكانة عظيمة «فبه يمتاز الإنسان عن الحيوان وهو عماد الدين ومناط التكليف وأداة الإدراك، يميز به الإنسان بين الخير والشر، وما ينفعه وما يضره، وهو الذي يقود الإنسان لمعرفة الله، والتصديق برسله، وهو وسيلة الإنسان لتحسين الحياة وتطوير وسائلها، وبه يتمكن الإنسان من استغلال طاقات الكون، ومحتوياته وعناصره، ويسخرها لمنفعته»[٣].

وقد أكد القرطبي أهمية العقل ومنزلته بقوله: «والصحيح الذي يعوّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه، وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء»[٤].

والله تعالى مدح العقل وأهله، وذم من لا عقل له، قال تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجومُ مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[٥]. وقال تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)[٦] وقال عز وجل: (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)[٧].

فالعقل آلة للعلم والميزان الذي يعرف به الصحيح من السقيم والراجح من المرجوح، والحسن من القبيح[٨]، ولفضله أصبح «منبع العلم ومطلعه وأساسه،

---

(١) سورة النحل، آية ٧٨.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٣) صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المرفة في الإسلام، ص٧٩.

(٤) عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٩٤.

(٥) سورة النحل، آية ١٢، وانظر أيضا آية ٦٧، وهي قوله: (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون)

(٦) سورة العنكبوت، آية ٤٣.

(٧) سورة الأنفال آية ٢٢.

(٨) انظر ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص١١٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس، والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والأخرة»[١].

وما سمي بذلك إلا لأنه يقيد صاحبه ويربطه بل وعن الانفلات يمسكه، ومنه سمي العقال الذي يقيد به المعقود[٢].

والعقل هو الوسيلة الثانية من وسائل العلم بعد وسيلة الحواس، وميدانه الحقيقي هو عالم الشهادة، وله مجالات يجول فيها ويصول، ومنها:

«١- التعرف على الخالق سبحانه وتعالى من خلال تدبر آياته في الكون والحياة.

٢- التعرف على السنن الكونية.

٣- التعرف على السنن الاجتماعية التي تحكم حركة البشر في هذه الحياة.

٤- دراسة التاريخ البشري والحضارات الإنسانية لأخذ العظة والعبرة.

٥- التعرف على حكمة التشريع الإلهي»[٣].

فدليل الأول قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)[٤]، ودليل الثاني قوله تعالى: (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب..)[٥]، ودليل الثالث قوله تعالى: (ولينصرنّ الله من ينصُره إن الله لقوي عزيز)[٦]، ودليل الرابع قوله تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)[٧]، ودليل الخامس قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)[٨].

ومع اتساع ميادين نشاط العقل، وتعدد مجالاته إلا أنه محدود بحدود الزمان والمكان، وبطبيعته القاصرة، فلا يستخدم في ساحة الغيب، كمعرفة كنه

---

(١) أبوحامد الغزالي، إحياء علوم الدين،تصحيح عبد العزيز ج١ص٧٩،دار القلم بيروت،ط٤

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب اللام فصل العين.

(٣) صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص٨٣ . ٨٥، باختصار.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٩٠.

(٥) سورة يونس، آية٥.

(٦) سورة الحج، آية ٤٠.

(٧) سورة آل عمران، آية ١٣٧.

(٨) سورة البقرة، آية ١٧٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأشياء الغائبة وماهيتها، كمعرفة بداية النشأة الأولى، ومعرفة الذات الإلهية، والروح، وأسرار الساعة[١]، فالله تعالى «جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون، وما لا يكون، إذ لو كان كيف يكون... فالله لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أحكامه، ولا في أحواله، بخلاف العبد فإن علمه بذلك الشئ قاصر ناقص»[٢].

وقد أكد كتاب الله على الوظائف التي يقوم بها العقل وتتمثل في: التعقل، التذكر، التدبر، التفكر، التفقه، التبصر، الإدراك، الاعتبار، وقد امتن الله تعالى بنصيب وافر من هذه الوظائف في سورة النحل.

العلاقة بين الحواس والعقل

هناك علاقة وثيقة بينهما تتمثل في التكامل والترابط ، فالحواس تتجه إلى ظواهر الكون، من سماء وأرض، وإنسان وحيوان، ونبات، وتنقل الإدراكات الحسية إلى العقل، فيكتشف أسرارها، ويرتبط بين الإدراكات الأولية وما يحكم الكون من سنن وقوانين، فالحواس تحتاج إلى العقل ليكمل جوانب نقصها وقصورها، والعقل يستفيد مما تطلعه عليه الحواس، فيربط بين المدركات، الحسية وينظمها ويفسرها[٣].

فالحواس لا تستغني عن العقل في تحصيل العلم، لأنه وسيلة الإدراك والتمييز وآلة الفهم والعلم،ومجالها هوعالم الشهادة الفسيح بأسراره وخفاياه[٤].

ولهذا امتن الله تعالى في آية سورة النحل بالسمع والبصر من الحواس وخصهما لأهميتهما ثم أضاف إليهما العقل ممتنا به كوسيلة ثانية من وسائل العلم، «فالسمع والبصر والعقل هي الأدوات التي يكتسب الإنسان من خلالها معلوماته، وهي القنوات التي تصله بالكون الفسيح ليعرف أسراره، ويدرك

---

(١) انظر مروان القادري، التوازن بين الروح والعقل والجسد، ص٧٢، دار البحوث العلمية الكويت، ١٤٠٢هـ.

(٢) إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الاعتصام، ج٢، ص٣١٨، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، تاريخ غير معروف، بتصرف في النص.

(٣) انظر صالح بن سليمان العمرو، مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام، ص١٠٣.

(٤) انظر المرجع نفسه، ص١٠٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شؤونه، وينتفع بما أودع الله فيه من نعم الله»[١].

من كل ما سبق يتبين أهمية أدوات العلم لدى الإنسان والاكتفاء بالامتنان في سورة النحل بالسمع والبصر منهما لأهميتهما القصوى، ولأن التصريح بهما تلميح بالأخرى وجاءالعقل مقرونا بهما زيادة في الامتنان وتوسيعا في دائرة عالم الشهادة ، وبهذا يتضح امتنان الله على الإنسان في السورة بجميع وسائل العلم، والمتمثلة في الوحي، والذي جاء ذكره في أول السورة ووسطها ونهايتها بل بلغ ذكر نعمة الوحي وإنزال القرآن وإرسال الرسول أحد عشر موضعا، أما وسيلة الحواس فكان في ذكر حاستي السمع والبصر، وقرن بهما العقل في آية واحدة. إنّ نعم الله على الإنسان لا تعد ولاتحصى سواء كانت متصلة بالانسان أو في محيطه وبيئته كما أنعم الله تعالى على الإنسان بتهيئة ما يربطه بالكون وما يعينه على هذا الربط من إيجاد الضياء، والهواء، والنسيم، والريق، ليساعد الحواس فى أداء دورها، كل ذلك فضلا من الله ونعمة على هذا المخلوق الضعيف ليؤدي دوره في الخلافة على هذ الأرض فيقوم بأداء واجبه وشكر خالقه، على نعمه الجمة بذكره وشكره وحسن عبادته، قال تعالى:(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد)[٢]

---

(١) سيد سابق، ومحمد عدلان، التربية العقلية في الإسلام، ص٢، ضمن بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ.

(٢) سورة إبراهيم آية ٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع
أدوات العلم و المخترعات الحديثة

مضى الحديث في المبحث السابق أنّ أدوات العلم عند الإنسان تتمثل في حواسه الخمس، والمكونة من السمع والبصر، واللمس، والشم، والذوق، وتعتبر النوافذ التي ينفذ من خلالها العقل على العالم الخارجي المحسوس، الذي هو ميدانه الواسع تأملا وتفكيرا.[١]

فالحواس إذا هي وسيلة الإنسان في التحصيل والتعليم، وهو دونها عالم مظلم لا يدرك له حدود، ومع ذلك فإدراكاتها عنده[٢] محدودة بحدود المادة حتى أن خياله لا يخرج عن نطاق ما هو مشاهد ومنظور.

ثم إن هذه الوسائل كانت عاملا مهما في ظهور كثير من المخترعات الحديثة:

١- إما عن طريق دراسة خواص الحاسة، ثم صنع آلات على شاكلتها لتوسع إدراكاتها، وتطور نطاق محدوديتها، فحاسة البصر مثلا: استمد من عدساتها عدسات الكاميرا، ثم تطورت وتعددت فظهرت آلات تقرب البعيد وأخرى تكبر الجزيء الصغير آلاف المرات، فالأول كالمراقب الفلكية التي هي العين الجامعة للضوء بلا تعب ولا سأم، ومثله المطياف أو التلسكوب، ثم العين النافذة التي تخترق المواد الخفيفة كاللحم والقماش، وتمتص المواد الثقيلة كالعظام، وتعرف بأشعة إكس التي أفادت الطب فوائد جمة، وكذا ما عرف بالعيون المكبرة.

وأما الأجهزة المكبرة فهي مثل المجهر أو الميكروسكوب والتي بواسطته عبّد العلماء الطريق لاكتشاف الجراثيم ودراستها ثم إيجاد العلاج المناسب لكثير من الأمراض، وتأتي العين الكاشفة متصدرة كل العيون السابقة، إنه الرادار الذي عرف بأنه أعجوبة العصر، وهو جهاز يقوم على اللاسلكي، يرى به الإنسان ما لا يُرى وما لايمكن أن يرى بالعين المجردة، بل بعد الرؤية يستطيع أن ينبئ بما رأى من حركة وسرعة واتجاه، وله فوائد جمة في كل الحالات سلما وحربا[٣].

٢- أما ظهور المخترعات عن طريق التأمل بالحاسة نفسها عما في الكون

---

(١) انظر عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ص٢٤٨، مكتبة وهبة، مصر القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) المرجع السابق، ٢٥١.

(٣) انظر قدري حافظ طوقان، عيون العلم، ص٥٧و٦٧، دار المعارف للطباعة والنشر مصر، ١٩٤٩م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من طاقات ومواد خام فلأن الله تعالى منح الإنسان القدرة على إدراك السنن والقوانين التي تسير عليها الموجودات مع الاستفادة من المخلوقات في المخترعات والصناعات المختلفة، وقد ظهر في العصر الحديث علم خاص يفيد في تصميم المخلوقات وطريقة عملها ثم قياس صناعات حديثة ومتطورة عليها «فالطائرات مستمدة من شكل الطيور وطريقة طيرانها، قال تعالى: (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير)[١]، والغواصة مستمدة من شكل الحيتان، والرادار من شكل الوطواط، والكاميرا من العين، وهيكل الماكينات من طريقة عمل جسم الإنسان الميكانيكية، والكمبيوتر من الدماغ، إلا أن الصناعات الإنسانية بدائية جدا»[٢].

وقال تعالى في سورة النحل: (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)[٣].

صحيح أنه لا وجه للمقارنة بين مخترعات البشر وصنع الله تعالى، فصنع الإنسان يشوبه الخلل والنقص، والمحدودية، أما صنع الله فيتميز بالإتقان والتمام والكمال، إن كل المخترعات التي صنعها الإنسان كأجهزة الرصد الفلكي، والأجهزة الدقيقة التي تستخدم في قياس درجات الحرارة والبرودة، وأجهزة الاستشعار عن بعد، وغيرها من التلسكوبات والميكروسكوبات، واللاسلكي، والرادارات تعمل كل واحدة منها في مجالها، ولا يمكن أن تعمل في غيره. أما عين الإنسان فهي أم العجائب لأنها تحوي من الصفات والخصائص مالا يحوي عليه أي جهاز من الأجهزة[٤]، فخذ مثلا أن العين الواحدة فيها نحو مائة وأربعين مليون مستقبل للضوء، هي ما تسمى بالمخاريط والعصي وعدد المخاريط في كل عين سبعة ملايين، وعدد العصيات مائة وثلاثون مليونا، مهمة الأولي للضوء المركز، ومهمة الثانية للضوء الضعيف والعادي[٥].

ألا يجعل هذا أنّ مخترعات الإنسان بدائية إذا نُظِرَ إليها مع صنع الله الذي أتقن كل شيء، وليعلم أن الله هو الذي خلق القوانين والسنن الموجودة، ومنها

---

(١) سورة الملك آية ١٩

(٢) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٣٧، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

(٣) سورة النحل، آية٧٩.

(٤) انظر، قدري طوقان، عيون العلم، ص١١٥.

(٥) انظر خالص حلبي، الطب محراب الإيمان، ج٢، ص٣٠٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مؤهلات الإنسان في التفكير على الاختراع، فقد زوده بكل شيء وهيأ له ما في الأرض والسماء، قال تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا)[١]. بعد أن أخرجه إلى الحياة لا يعلم شيئا وجعل له الوسائل التي بها يستفيد ويستثمر الخام الموجود في الأرض، فهو يولد جاهلا ثم يكتسب ما يصل إليه من علم باستعمال ما وهبه الله من حواس وعقل ، قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...)[٢].

فخلق الإنسان وخلق له الأدوات، وسخر له كل ما في الكون يتصرف فيه كيف يشاء فيقدّر ويحسب بما أتيح له من إمكانات ويتفكر ويتأمل فيما حوله، قال تعالى: (أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون)[٣].

وليعلم الإنسان علم اليقين أن المخترعات بشتى صنوفها من نعم الله عليه قال تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله...)[٤].

فمن فضل الله على الناس ورحمته بهم أن سخر لهم ما في الكون ما داموا متخذين الأسباب لذلك، مؤمنين كانوا أو كفارا على حد سواء فعاشوا جميعا تحت السماء وفوق الأرض، مستمتعين بالشمس والقمر، والهواء والماء ،والزرع والضرع، والحيوانات والطيور وكل ما في الكون مسخر للناس جميعا قال تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)[٥].

والله تعالى قد بث في هذا الكون سننا وقوانين ثم ترك الناس الاجتهاد في إصابتها بحثا وتنقيبا وصناعة واختراعا، فمن أصاب فقد فتح الله عليه بابا من أبواب العلم، والله تعالى يكشف كل يوم بعض علمه ليتدبر من يتدبر[٦]، وذلك بعد أن حث العباد وحرّضهم على النظر والتدبر في عجائب صنعه، ولذلك فإنّ المسلمين أول من برعوا في صناعة العديد من الآلات مثل الساعات والمزاول، وأجهزة الرصد الفلكي، وأجهزة القياس الدقيق والأجهزة المتحركة؛ لأنهم

---

(١) سورة البقرة آية ٢٩.

(٢) سورة النحل ٧٨.

(٣) سورة الصافات، ٩٥-٩٦.

(٤) سورة النحل آية ٥٣.

(٥) سورة الملك آية ١٥.

(٦) انظر جمعة أمين عبد العزيز، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، ص١٣٣ فما بعدها، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤٠٥هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استخدموا عقولهم وحواسهم فتوصلوا إلى بعض سنن الله في الكون، وهذا شأن كل من بحث وتأمّل في سنن الله؛ لأنه تعالى لا يعطي سننه إلا لمن بحث عنها، واستعمل لها الأسباب، قال تعالى: (وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[1]، فمن لم يهز النخلة لا يحصل على الثمر.

(١) سورة مريم، آية ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث
نعمة البيوت والظلال والسرابيل

المبحث الأول: البيوت وأنواعها
المبحث الثاني: الظلال والأكنان
المبحث الثالث: نعمة السرابيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول
البيوت وأنواعها

البيوت جمع ومفرده بيت:«الباء، والياء، والتاء أصل واحد،وهو المأوى والمآب، ومجمع الشمل، يقال بيت وبيوت وأبيات»[١].

والبيت يطلق في القرآن على معاني كثيرة منها:المسكن، المحابس، الخانات، الخيام من الجلود، الدور المعروفة، الكعبة المشرفة، المسجد، غرف الكرامة[٢].

كما يطلق البيت في اللغة إضافة الى المعاني السابقة إلى الكلام الموزون والمقفى المشتمل على صدر وعجز« أي الشعر».

لكن البيت المقصود تناوله في هذا المبحث كنعمة امتن الله تعالى بها على العباد هو الذي يكون منه السكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويأمن فيه على نفسه، وماله، وعرضه.

واصطلح على تعريف البيت بأنه:«مكان يجعل له بناء وفسطاط يحيط به يعيّن مكانه ليتخذ مقرا يأوي إليه ويسكن به من الحر والقر»[٣].

فالبيت إذا «مكان من الأرض يتخذ مسكنا لواحد أو عدد من الناس، ويحيط به ما يميزه عن بقية بقعته من الأرض، فيكون الساكن مستقلا به لنفسه ولمن يتبعه، فيكون مُسْتقراً له وكنّا يكنه من البرد والحر، وساترا يستتر فيه عن الناس، ومحطا لأثاثه وشئونه»[٤].

والله تعالى يمتن على عباده بأن أوجد لهم بيوتا يسكنونها ويأوون إليها، فتهدأ فيها جوارحهم من الحركة والاضطراب، إذ من نعمه عليهم أنه لم يجعلهم مضطربين وكذا لم يجعلهم ساكنين كالجماد، بل جعل فيهم هذا وذاك فالحركة للعمل والإرتزاق والتعمير،والسكون للراحة والاطمئنان وتعويد النشاط[٥]، قال تعالى:(والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا

---

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج ١ ص٣٢٤.

(٢) انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢ ص١٩٦.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٤ ص٢٣٧.

(٤) المرجع السابق، ج١ ص٧٠٨.

(٥) انظر أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٥٢، وانظر، محمد بن علي الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،ج٣ ص١٨٤، دار المعرفة بيروت، دون ط ولاتاريخ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومتاعا الى حين)[١].

فالبيت ما يحيط به الساتر من جهاته الأربعة وله سقف من أعلاه وبانتظامه واتصاله يسمى بيتا، وقد يكون محيطه من حجر وطين، أو قد يكون من أديم مثل القباب، وقد يكون من نسيج صوف أو شعر أو وبر، وتسمى الخيمة أو الخباء[٢].

وعليه فالامتنان يقع بإلهام الناس لصنع البيوت الذي فيها السكن لنفوسهم، وفيها وقاية لهم من الهوام والسباع، وفيها حفظ النوع البشري من حوادث الجو، وفيها يجتمع الناس فيكونون القرى والمدن،وفيها تبنى الأسر من الأزواج والأبناء، ومنها يبدأ أصل الحضارات والتمدن[٣].

فمن رحمته تعالى جعل«البيوت سكنا يفيء إليها الناس، فتسكن أرواحهم، وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرما آمنا لا يستبيحه أحد إلابعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس»[٤]، وكما أن الأصحاء لا يقدرون نعمة الصحة كما يقدرها المرضى الفاقدون لها، فكذلك لا يقدِّر نعمة السكن والأنس في البيوت والطمأنينة فيها حق قدرها إلا المشردون الذين فقدوا الأوطان وحرموا البيوت وأمنها واطمئنانها[٥].

فليقدر إذا الساكنون في أوطانهم والحاصلون على بيوت تؤويهم وسكن يواري سوءاتهم وعوراتهم، ويجمع شملهم، ليقدروا هذه المنة الجليلة ويؤدوا شكرها كما ينبغي.

وليعلموا أنّ البيت مكان للأنس، تسكن فيه النفس، ويطمئن فيه الشعور، ويأمن فيه الإنسان من كل ما يؤذيه، فليس هو مكان للنزاع والخصام في الأصل، بل مكان للأمن والسكن والسلام، تصان فيه الحرمات وتستر فيه العورات، لأنّ الإسلام ضَمِن «للبيت حرمته، ليضمن له أمنه وسلامه واطمئنانه، فلا يدخله داخل

---

(١) سورة النحل آية ٨٠.

(٢) انظر ابن العربي المالكي، أحكام القرآن ج٣ص ١٤٨ وانظر، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١ ص٧٠٨ وج١٤ ص٢٣٧.

(٣) انظر، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنويرج ١٤ ص٢٣٧.

(٤) سيد قطب،في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٥٠٧.

(٥) انظر المرجع السابق، ج٤ ص٢١٨٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إلا بعد الاستئذان، ولا يقتحمه أحد - بغير حق - باسم السلطان، ولا يتطلع أحد إلى ما فيه لسبب من الأسباب، ولا يتجسس أحد على أهله في غفلة منهم أو غيبة، فيروع أمنهم ويخل بالسكن الذي يريده الإسلام للبيوت»[١].

وعندما جاء ذكر البيوت في سورة النحل للامتنان بها على الخلق شمل جميع أصناف البيوت، الثابتة منها المتخذة من الحجر والطين والخشب والآلات، أو المتنقلة من مكان إلى آخر لخفتها وحملها والمتخذة من جلود الأنعام وشعرها أو صوفها، يقول الفخر الرازي:«واعلم أن البيوت التي يسكن الإنسان فيها على قسمين: القسم الأول، البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت وإليها الإشارة بقوله تعالى:(والله جعل لكم من بيوتكم سكنا)[٢]، وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقله بل الإنسان ينتقل إليه، والقسم الثاني: القباب والخيام والفساطيط، وإليها الإشارة بقوله:(..وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم)[٣]، وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله من مكان إلى مكان»[٤]، ففي الآية امتنان عام بالبيوت الثابتة، كما أن فيها امتنان خاص بالبيوت التي تقبل الانتقال والإرتحال بها ذلك أن البشر كلهم لا يعدون أن يكونوا إما أهل قرى أو قبائل رحلاً[٥].

كما امتن تعالى على الناس بجميع أنواع الأثاث المتخذ منها في البيوت وفي غيرها، والمتخذة من أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، المفروش منها والمتخذ للزينة، كالأفرشة والأغطية والأكسية والسجاجيد، والمعاطف والقطائف، والبطاطين،وغير ذلك من أنواع المتاع المنتفع بهالأن الأثاث «شامل لجميع ما يتخذ منها من الآنية والأوعية والفرش والألبسة ...»[٦].

والله تعالى شرع للبيوت ما يصون لها حرماتها ويحفظ عوراتها فنهى عن استباحتها، وحث على احترامها، فنهى عن الإقتحام وترويع الآمنين، وحذر من التطلع إلى من فيها، والتجسس على قاطنيها كما شرع الله الاستئذان بنوعيه:

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٨٦

(٢) سورة النحل آية ٨٠

(٣) سورة النحل آية ٨٠

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٠ ص٧٤.

(٥) انظر محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٤ ص٢٣٧.

(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤ ص٢٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العام وهو لمن كان من خارج البيوت، والخاص لمن كان من أهل البيوت، ولما كان الاستئذان ذا أهمية بالغة قرنه الله تعالى بالإيمان، فقال تعالى: (يأيها الذين ءامنوا لا تدْخُلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها...)[١]، وقال تعالى: (يأيها الذين ءامنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهنّ طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم)[٢].

وزيادة في التأكيد على الأهمية عدّه تعالى من كمال الإيمان كما في قوله تعالى: (..إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله..)[٣].

إن أدب الاستئذان يعتبر مَعْلَمًا بارزا من معالم النظام الاجتماعي فقد شرعه الله تعالى للمؤمنين ليراعوا حرمات الناس ويعظموها ولينموا فيهم الاحساس بشعور الآخرين وظروفهم فيعاملوا الناس بمثل مايحبون أن يعاملوهم، وكل ما شرعه الله ففيه «سعادة للمجتمع المسلم وبناءه على نحو فريد ليكون مجتمع إيمان وبر وتقوى...وإنّ نظرة متأنية إلى أسرار أدب الاستئذان تكشف عن حكمه وواقعيته، فالإنسان ذو غرائز وشهوات وميول ورغبات، وليس كل أحد ينكف عن إرسال شهواته ومسبباتها بدافع الضمير الإنساني أو بدافع المروءة والنخوة كما ينكف بالوازع الإيماني، ومن حِكم هذا الأدب الرفيع، أنه يتضمن توجيها تربويا يهذب النفس ويسد طرق الشر والعدوان»[٤].

ومن حكم الاستئذان كذلك المحافظة على حرمات البيوت، لأنها من حرمات الأنفس، التي يأمنون فيها الناس على أعراضهم وما في بيوتهم وما أعظم تلك الحرمات التي يطويها بيت المسلم[٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو

(١) سورة النور آية ٢٧.

(٢) سورة النور آية ٥٨

(٣) سورة النور آية ٦٢.

((٤) عبد الرب نواب الدين، أدب الاستئذان، ص ٨٥-٨٦، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جده، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن امرءا اطّلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح»[1]

مما سبق يتبين أن الاستئذان شرع حفاظا على حرمات البيوت، ووقاية لساكنيها، من كل أنواع الأذى، وبذلك تستجلب طهارة القلوب، مما يشع بين المسلمين المودة والاحترام

(١) أخرجه البخارى في كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ج٨ ص٤٥، واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الأدب باب تحريم النظر في بيت غيره، ج٣ ص١٦٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
الظلال والجبال والأكنان

الظلال جمع ومفرده ظل، والظل:«نقيض الضح، وبعضهم يجعل الظل الفيء،...كل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفيء، وقيل الفيء بالعشي والظل بالغداة، فالظل ما كان قبل الشمس، والفيء ما كان بعده»[١].

والظل:«الظاء، واللام، أصل واحد يدل على ستر شيء لشيء وهو الذي يسمى الظل»[٢]، وقد فرق علماء اللغة بين الظل والفيء كما سبق بيانه، ولهذا يقال ظل الجنة ولا يقال فيئها، لأن الشمس لا تعاقب ظلها فيكون أبدا ظل، قال تعالى:(مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهارأكلها دائم وظلها..)[٣]، أي ظلها دائم أيضا[٤].

«والظل في الحقيقة هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل، فالظلال: ما أظلك من سحاب وغيره، وظل الليل سواده»[٥]

فكل ما لم تطلع عليه الشمس فهو ظل، وما طلعت عليه ثم فاءت منه وبقي ظلا فهو فيء،تقول استظل الرجل:أي اكتن بالظل، واستظل بالظل مال إليه وقعد فيه[٦]وظل كل شيء كنّه، وظل كل شيء شخصه لمكان سواده وأظلني الشيء غشيني، فالظل إذا ما نسخته الشمس، وهو ضوء شعاع الشمس إذا استترت عنه بحاجز حجزها عنه[٧].

وعرف الظل بأنه «خيال الأشياء الهارب من أشعة الشمس من وقت شروقها إلى أن تنزلق للزوال»[٨].

أما الجبال فمفرده جبل، وهو «اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الظاء، ج١١ ص٤٢٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص٤٦١.

(٣) سورة الرعد آية ٣٥.

(٤) انظر ابن منظور لسان العرب، باب اللام ،فصل الظاء، ج١١ ص٤٢٦.

(٥) المرجع السابق، ج١١ ص٤٢٦.

(٦) المرجع السابق، ج١١ ص٤١٧.

(٧) انظر ابن منظور لسان العرب، باب اللام، فصل اللام، ج١١ ص٤٢٦، وانظر، إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١ ص٥٧٧، وانظر، الجرجاني، التعريفات، ص١٨٦.

(٨) د. عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، ص ١٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الأعلام والأطواد »[١]، والجمع منه أجبل، وأجبال، وجبال، «فالجيم، والباء، واللام، أصل يطّرد ويقاس، وهو تجمّع الشيءفي ارتفاع»[٢].

الأكنان: الكنُّ، والكنّة وقاء كل شيء وستره، والكنّ البيت أيضا، والجمع أكنان، وأكنّة، والكنّ مايردّ الحر والبرد من الأبنية، والمساكن، واستكنّ الشيء،استتر، وأكنّه،أي ستره، وفي القرآن جاء قوله تعالى:(..أو أكننتم في أنفسكم)[٣]، أي أخفيتم[٤].

مما سبق يتضح أنّ الظل أعم من الفيء وأشمل منه،فيطلق الظل على كل موضع لم تصل إليه الشمس، كما يطلق على سواد الليل، ويقال: ظل الجنة، ولا يقال فيئها.

وأما الفيء فيطلق على كل ما زالت عنه الشمس.

ويستعار الظل للمجد والشرف والعز والمنعة، كما يعبر عن الرفاهية بالظل أيضا، كما أنّ كل شيء ساتر فهو ظل ماديا كان أو معنويا، وسواء كان محمودا، أو مذموما،ففي الممدوح، قال تعالى:(..وندخلهم ظلا ظليلا)[٥]، وفي المذموم قال تعالى:(وظل من يحموم)[٦].

تقول أظلني فلان إذا وقاك بظله أي عزته ومنعته[٧].

وقد امتن تعالى بالظلال عموما، وأنّه جعله للناس من غير صنعة منهم يستظلون بها من حر الشمس، حيث يجدون هذه الظلال الفسيحة في كثير من الأمكنة، سواء فيما أنبت الله لهم من الأشجار، أو فيما خلق لهم من الجبال، أو غير ذلك كالغمام[٨]، قال تعالى:(والله جعل لكم مما خلق ظلالاوجعل لكم من الجبال أكنانا..)[٩]، فقد ذكر تعالى بعض نعمه الفائضة على الخلق، حيث إنّ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الجيم، ج١١ ص٩٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١ ص٥٠٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٤) انظر ابن منظور لسان العرب، باب النون، فصل الكاف، ج١٣ ص٣٦١.

(٥) سورة النساء آية ٥٧

(٦) سورة الواقعة آية ٤٣.

(٧) انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص٤٧١.

(٨) انظر عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣ ص٣٣٦.

(٩) سورة النحل آية ٨١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس إما مقيمون أو مسافرون، والمسافرون إما أغنياء قادرون، أو ضعفاء عاجزون، فيتخذون الخيام والفساطيط، ليكون لهم ساترا من الحر والقر، وكذا ظلال الأشجار والجبال والآكام والغمام وغير ذلك، ولما كانت بلاد المخاطبين بهذا القرآن عند نزوله شديدة الحرارة و حاجتهم إلى الظل ودفع حره أشد، امتن الله تعالى عليهم بنعمة الظل، وذكر هذه المعاني في معرض نعمه العظيمة[1].

فالظل نعمة من نعم الله يلجأ إليه الإنسان بل وكل المخلوقات، فيحميهم من هجير الشمس، ولهذا امتن به في سورة النحل وذكره مرتين:مرة عندما أخبر أن ظلال الأشياء يتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله ،ومرة أخرى امتن بتهيئته للناس كماذكره في سور أخرى مبينا فوائده والحاجة إليه في الدنيا والآخرة،ولم تغفل السنة أهميته والمحافظة عليه، وحذرت من تعطيله بوضع الأوساخ أوالقاذورات أوالتبرز فيه وعدّالرسول ﷺ أنّ من يعطله عن الانتفاع به مطرودا من رحمة الله تعالى قال ﷺ:«اتقوا الملاعن الثلاثة البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل »[2] ،فالناس يرغبون إليه في الدنيا بل ويعملون من الصالحات للحصول عليه في الآخرة،قال ﷺ:«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. »[3] ،ولهذا يلفت كتاب الله النظر إلى الظل منبها إلى أنه ظاهرة من آثار قدرة الله، وكيف أن الله بسطه في الكون في فترة من فترات النهار، ولو شاء لجعله ثابتا على حال واحدة لا يتغير،ولكن من رحمته أن جعله متغيرا، فتشاهَد للأشياء من جبال، وأشجار، وجدران، وغيرها ظلا في أول النهار يمتد إلى المغرب، ثم يتناقص شيئا فشيئا ،إلى أن يأتي وقت الزوال، ثم يأخذ في التحول إلى المشرق

---

(١) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٠ ص٧٥.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى النبي عليه السلام عن البول فيها ج١ص٢٨-٢٩، وابن ماجة كتاب الطهارة باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، ج١ ص١١٩، رقم٣٢٨، وحسنه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن أبي داودج١ ص٨

ومعنى الملاعن:الفعلة التي يلعن بها فاعلها، والموارد: مجاري المياه والطرق إليه. قارعة الطريق: أي وسطه وقيل أعلاه، انظر حاشية سنن أبي داود ج١ص٢٨-٢٩ تحقيق عزت

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ج١ ص١٦٠- ١٦١، وتكملة الحديث« ...إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يزال يزداد ويطول حتى تغرب الشمس ثم يعم جميع ما غابت عنه الشمس[١]، فهو «آية من آيات الله في نظامه،وتسخير الله له، ونعمة من نعمه على الخلق يقيهم به حر الشمس ويمده عليهم ويقبضه شيئا فشيئا، ولو كان ذلك دفعة لفجأ الناس بالحر والبرد»[٢].

قال تعالى:(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ،ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا)[٣].

فهناك ارتباط بين الظل والشمس، تشرق فيغرب، وتغرب فيشرق،فهي البرهان الذي ينسخه، والدليل على ثبوته بالتعاكس والتضاد لا بالاتفاق، ومن فوائده في غير الاستظلال به، أن الصلوات الخمس تساير أشكاله، فالفجر في أوله، والظهر عند ما يكون في أضأل حاله، والعصر عندما يتضاعف ظل كل شيء مثليه، والمغرب في آخره، والعشاءعند ما ينقضي خبره ويغيب أثره[٤]. وما الليل إلا ظل الأرض ومن «العجيب أن يعتبر أن ظل الأرض من وجهة النظر العلمية من أهم الأمور، فالأرض دورانها اليومي تأتي بنا بانتظام في هذا الظل حيث يسدل الليل ستاره، ولو لم يكن هناك ليل ما تمكنا من النظر إلى النجوم والمجرات على الاطلاق وما عرفنا شيئا مما يقع خارج عالمنا مطلقا»[٥].

والله تعالى كما امتن بالظل في الدنيا امتن به كذلك في الآخرة، قال تعالى في وصف أصحاب الجنة:(...لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا)[٦]، وأخبر تعالى أن الجنة أكلها وظلها دائم على أصحابها، قال تعالى:(مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا

---

(١) انظر د. عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، ص٨٧ظ، دار الإعتصام ط١، ١٤٠٠هـ، وانظر،محمد أحمد العدوي، آيات الله في الآفاق،أو طريق القرآن في العقائد، ص١١، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٥٢هـ،وانظر.،عبد الرزاق نوفل، من الآيات العلمية، ص٤١-٤٢، مكتبة الإنجلوا المصرية، ط١، ١٩٦٦م.

(٢) محمد أحمد العدوي، آيات الله في الآفاق، ص٩١، مرجع سابق.

(٣) سورة الفرقان آية ٤٥-٤٦.

(٤) انظر عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، ص١٨٥

(٥) ج. ألن هانبك، أسرار الكون، ص٣٧، ترجمة سيد رمضان هداره، مكتبة النهضة المصرية، لادون ط، ولاتاريخ.

(٦) سورة النساء آية ٥٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعقبى الكافرين النار)[١].

الجبال ونعمها

كما امتن تعالى بالظل وفوائده امتن كذلك بالجبال، وبين تعالى بعض مهامها ،ففي قوله تعالى:(..وجعل لكم من الجبال أكنانا)[٢]، بيان لبعض فوائد الجبال، فقد جعل منها حصونا، ومعاقل، ومغارات، وكهوفا، وبيوتا ،فهي تكنّ الناس وتحفظهم من الحر والبرد،، والأمطار، والرياح، كما أنهم يتحصنون بها من الغارات وهجوم الأعداء[٣]، فالجبال هي أماكن للتحصن،والسكن ،والاستظلال، وفي قممها أماكن للاختفاء والاستتار، فقد جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها كما آوى إليها أصحاب الكهف قديما فرارا بدينهم، وبين الله تعالى قصتهم في سورة الكهف قال تعالى:(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)[٤]، وقوله:(...فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته...)[٥].

ويتحصن بها الناس كما تحصن فيها الرسول عليه السلام أثناء هجرته إلى المدينة هو وصاحبه أبو بكر فارا بدينه، هاربا من أذى قومه، حيث استخدم غار ثور فاختفى عن الأعين الطالبة له[٦].

وهي أيضا أماكن للعبادة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتعبد في أول أمره في غار حراء ويمكث الليالي ذوات العدد[٧].

كما امتن تعالى علي قوم ثمود بتهيئة الجبال لهم ومنحهم من القوة ما ينحتون بها البيوت في الجبال، قال تعالى:(وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)[٨]، وقد جاء الامتنان في السورة بالجبال ولم يذكر السهول إما لأنهم كانوا أصحاب

---

(١) سورة الرعد آية ٣٥

(٢) سورة النحل آية ٨١

(٣) انظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج١٤ ص١٩٨.

(٤) سورة الكهف آية ٩.

(٥) سورة الكهف آية ١٦.

(٦) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب هجرة النبي عليه السلام، وأصحابه الى المدينة، ج٤ ص٢٥٤

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الوحي باب كيف كان بدء الوحي، ج١ ص٣.

(٨) سورة الشعراء آية ١٤٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جبل، ولم يكن لهم سهل، وإما لأن في ذكر الجبل ما يغني عن ذكر السهل،ففي ذكر أحد الضدين تنبيه على الآخر، وعلى كل كانوا أهل حرب فيحتاجون إلى الجبال للهرب من الطلب، ويحتاجونها للاستظلال من الحر لأن الشمس عندهم لافحة، ويحتاجونها للسكن باستخدامها ككهوف، واستخدام قممها للاختفاء، فالنفس تحتاج للجبال على كل حال:سكنا،واستظلالا، واختفاء ، وعبادة، وطمأنينة،«وللنفس في الظلال استرواح وسكن،ولها في الأكنان طمأنينة ووسن»[١] .

وللجبال مهمة عظيمة وفائدة جليلة غير ما تقدم فهي:-

تثبت الأرض من الميد والميلان والاضطراب، لأن الأرض في حاجة إلى ما يثبتها حتى لا تهتز بساكنيها [٢]، قال تعالى:(وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم)[٣].

وقد تناول القرآن الجبال مرة بذكر الجبل وأخرى بالجبال، كما سماها رواسي، وشبهت بلفظ الطود، كما عبر عنها بأنها الأعلام كذلك، وأورد ذكرها لعدة أهداف،منها:للامتنان بها والتذكير بنعمهاكما في آية سورة النحل،(وجعل لكم من الجبال أكنانا..)[٤]، كما ذكرت لبيان عظمة الخلق في نفس السورة في قوله تعالى:(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم)[٥]، وأشير بالجبال إلى عظمة أمر معين في مثل قوله تعالى:(وقالو اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً...)[٦]، كما أشير بها إلى عظمة القرآن، في قوله تعالى:(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)[٧].

وفي التعبير عن الجبال بالرواسي، والأوتاد، والطود، والأعلام، ووصفها

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ج٤ ص ٢١٨٧.

(٢) انظر، د.هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، ص ١١٦ الناشر المؤلفة هند شلبي،تونس، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٣) سورة الأنبياء آية ٣١.

(٤) سورة النحل آية ٨١.

(٥) سورة النحل آية ١٥.

(٦) سورة مريم آية ٨٨- ٩٠.

(٧) سورة الحشر آية ٢١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالشامخات معان دقيقة، وقد اكتشف العلم الحديث للجبال دورا لا تستغني عنه الأرض، فهي لا تستقر ولا تثبت عن الاضطراب إلا بارتفاع الجبال على سطحها، كما توصل العلم إلى وجود الجذور العميقة لها، فكلما ازداد ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض، ازداد جذوره عمقا في باطن الأرض ، فبهذا عرفت الجبال بأنها مما يحفظ توازن الأرض فتسكن عن الاضطراب، ويسلم ساكنوها من الانكفاء[١] .

فالجبال للأرض كالأوتاد للخيمة تمسكها من الاضطراب، وللجبال مزايا أيضا للقشرة الأرضية، كما أن لكل قارة جبالها التي تميزها، كما يجد المتأمل ارتباطا وثيقا بين المياه العذبة والجبال، قال تعالى:(وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا)[٢]، وكذا بين الجبال والأنهار، قال تعالى:(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون)[٣]، «وقد توصل العلماء بعد الاستقراء إلى أن أعذب المياه وأغزرها ما كانت ينابيعها من الجبال وسفوحها»[٤] كما أن أعظم الأنهار العذبة في العالم تنبع من سفوح الجبال الشامخات، هذا قليل من كثير من فوائد الجبال التي يعود بعضها على الأرض وما عليها ، ويعود بعضها على الإنسان.

---

(١) انظر، د. هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن، ص١١٦- ١٢٠.

(٢) سورة المرسلات آية ٢٧.

(٣) سورة النحل آية ١٥.

(٤) د. مصطفى مسلم، مباحث في اعجاز القرآن، ص١٨٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البحث الثالث

نعمة السرابيل

السرابيل: مفرده سربال، وهو القميص، «سربل، السربال، القميص والدرع، وقيل كل ما لبس فهو سربال، وقد تسربل به وسربله إياه، وسربلته فتسربل، أي ألبسته السربال، وتطلق السرابيل على الدروع»[(١)].

قال الشاعر:-

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجاء سرابيل[(٢)].

فالسربال: هوالقميص الواقي للإنسان من أي جنس كان، سواء اللباس الواقي من الحر والبرد، أو كان الدروع الواقية في الحروب من الضرب والطعن.

والله تعالى يمتن على عباده بجعل السرابيل لهم فيقول: (..وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[(٣)]

تتجلى نعمة الله في السرابيل ليس في الاستعمال والاستهلاك فقط، بل وفي إرشاد الإنسان إليه باحثا عنه ومتعرفا فيه ليزيد في كمه وكيفه ونوعه، وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله: (جعل لكم)، وقد مر السربال بمرحلتين من حيث تسميته، ومن حيث صناعته فهو «اسم للثوب الذي يتغشى به اللابس، كالقميص وما يجري مجراه، ثم استعير في كل شيء يحيط بالإنسان من الملابس، ثم استعير في كل ما يجري مجرى المحيط على البدن من نعمة وعذاب»[(٤)].

أما من حيث إيجاده فقد امتن تعالى بإنزاله في سورة الأعراف، قال تعالى: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)[(٥)].

وامتن به تعالى في سورة النحل بأن جعله ساترا للناس وواقيا لهم ودافعا عنهم الأذى، إضافة إلى ما فيه من جمال وزينة، وقد تميز في أول الأمر بالبساطة،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل السين.

(٢) الشاعر هو كعب بن زهير، انظر ديوان كعب بن زهير ص١١٥، من قصيدته بانت سعاد، تحقيق محمد قميحة، دار الشواف، الرياض، ط١، ١٩٨٩م،

(٣) سورة النحل آية ٨١.

(٤) أبو الفرج ابن الجوزي،نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٣٤١-٣٤٢، موسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م

(٥) سورة الأعراف آية ٢٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم تدرج مع رقي الإنسان في سلم التطور[١] ،وفي بيان إنزال اللباس وجعل السرابيل كلام للمفسرين، منها: أنزلنا اللباس، أي خلقناه، وقيل، أنزلنا أسبابه، وقيل، ألهمناهم كيفية صنعه[٢].

وقد ضعّف الإمام ابن تيمية هذه الأقوال بعد إيرادها وذهب إلى أن المقصود بإنزاله في لغة العرب، إنزاله«من ظهور الأنعام، وهو كسوة الأنعام، من الأصواف، والأوبار، والأشعار، وينتفع به بنوا آدم من اللباس والرياش...»[٣]

فالله تعالى بين مننه على خلقه بأن جعل لهم السرابيل التي تقيهم الحر والبرد وأذى الحرب، ولما جاءت بصيغة العموم كان من المستحسن تناولها بنوع من التفصيل لإبراز وجه النعمة فيها وذلك على النحو الآتي:-

أولا- نعمة اللباس.

ثانيا- نعمة الدروع.

أما اللباس فتظهر نعمه في حفظ الجسم، ودفع الأذى، وستر العورة، وحصول الزينة والجمال، كما أنّ أهميته تكمن في حاجة الإنسان الماسة إليه، وارتباطه بوجود الجنس البشري منذ خلقه وتكوينه.

فالله تعالى خلق أبوي البشر«آدم، وحوّاء» وأمرهما أن يسكنا الجنة،مخاطبا لآدم بقوله:(إن لك الاّ تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)[٤].

ثم جاءت فتنة الشيطان حين وسوس لهما فأكلا من الشجرة المحرمة عليهما والتي نهاهما ربهما عن الاقتراب منها، وعند ذلك بدت لهما سوآتهما كثمرة للخطيئة واندفعا يغطيان عوراتهما من ورق شجر الجنة.

قال تعالى:(..فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن

---

(١) انظر صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص٥، دار الرشيد للنشر، العراق، بدون ط، ولا تاريخ.

(٢) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٤ ص٤٣، وانظر، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص٢٠٢، المكتبة الشعبية، بيروت.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٢ ص٢٥٥-٢٥٦، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم،

(٤) سورة طه آية ١١٨-١١٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيطان لكما عدو مبين)[١]، وبهذا يعلم بما لا مجال للشك فيه أنّ ستر العورة إحساس فطري أصيل عند الإنسان[٢]، فقد شعر بهذا الإحساس الأبوان بعد تكشف عورتهما وعلما «أن لهما سوءات تكشفت لهما بعد أن كانت مواراة عنهما فسارعا إلى تغطيتها من ورق الجنة، مما يوحي أنها العورات الجسدية التي يخجل الإنسان فطرة من تعريتها، ولا يتعرى ويتكشف إلا من فقد حياءه وفسدت فطرته، واستحوذ عليه الشيطان»[٣] فأنساه نفسه وما ينبغي أن يكون عليه من التستر والحشمة، وإذا كان الله تعالى حذر في كتابه بني آدم من فتنة الشيطان وإغوائه لعباده، حيث كان السبب في خروج الأبوين من الجنة وظهور عوراتهما الجسدية والنفسية، فالتحذير من شياطين الإنس اليوم آكد وأكبر لخطورة ضررهم، ولأنهم أصبحوا دعاة ومخططين بل ومنفذين لتجريد الإنسان من لباسه، مما جعل العري ينتشر بدرجات مختلفة حتى بلغ إلى أخطر مرحلة وهو تجرد الإنسان من كل ما يستر عوراته[٤]، «إن ستر الجسد حياء ليس مجرد اصطلاح وعرف بيئي كما تزعم الأبواق المسلطة على حياء الناس وعفتهم، لتدمير أنسانيتهم...والله يذكّر بني آدم بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر صيانة لإنسانيتهم من أن تتدهور إلى عرف البهائم، وفي تمكينهم منه بما يسر لهم من الوسائل»[٥]، فاللباس إذا سترة للعورات الجسدية، ووقاية من تقلبات الجو المختلفة، وزينة للإنسان، فهو من النعم الكبرى التي امتن بها على عباده، شرعه لهم ليؤدي المهام السابقة ويكون لهم جمالا بدلا من قبح العري وشناعته.

كما أن التقوى لباس وستر لعوراته النفسية، وذلك بالورع والخشية من الله والحياء منه والتزام شرعه لأن طهارة الباطن أهم من جمال الظاهر، وهذه هي طريقة الإسلام دائما في الموافقة بين المظهر والمضمون، وبين الروح والمادة، وذلك في مفهوم الإسلام الشامل لكل متطلبات الإنسانية، روحا وجسدا دينا ودنيا، والاهتمام بكل ما يصلح الإنسان في الآخرة والأولى، ذلك لأنّ الفطرة

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٢.

(٢) انظر فاروق مساهل، تكريم الإسلام للإنسان ص١٢٩، مرجع سابق.

(٣) محمد بن عبد العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٤) انظر فاروق مساهل، تكريم الإسلام للإنسان ص١٢٩.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن ج٤ ص١٢٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السليمة« تنفر من انكشاف سوآتها الجسدية والنفسية وتحرص على سترها ومواراتها، والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس، وتعرية النفس من التقوى، ومن الحياء من الله ومن الناس،والذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم، وأجهزة التوجيه والإعلام كلها، لتأصيل هذه المحاولة في شتى الصور والأساليب الشيطانية الخبيثة ـ هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته، وخصائص إنسانيته التي بها صار إنسانا، وهم الذين يريدون إسلام الإنسان لعدوه الشيطان، وما يريده به من نزع لباس هوكشف سوآته...إنّ العري فطرة حيوانية، ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان، وإن رؤية العري جمالا هو انتكاس في الذوق البشري قطعا »[1].

إن الجاهلية المعاصرة كالجاهلية القديمة تماما في مسألة اللباس والتعري، فالعرب السابقون ما عدا قريش كانوا يطوفون بالبيت عراة إذا لم يجد أحدهم ثوب إعارة من قرشيٍّ ـ الذين كانوا يسمون بالحمس[2] ـ أو كان مع هذا الذي يطوف ثوبا جديدا يطوف به ثم يلقيه ولا يتملكه أحد، لأنهم لا يرون الطواف في ثياب أصابوا فيها الذنوب ومنهم من كان يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب، وربما طافت المرأة عريانة جاعلة على عورتها بعض ما يستر فرجها من الخرق قائلة:ـ

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله،

وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل، وكل هذه أمور ابتدعوها من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيها آباءهم مع الإعتقاد أن فعل الآباء مستند إلى أمر الله

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣ ١٢٧٥

(٢) سمت قريش نفسها بذلك، وجعلوا لأنفسهم حقوقا ليست لغيرهم من سائر العرب، منها يحق لهم الطواف بالبيت في ثيابهم أما غيرهم فلا، إما أن يطوف بثوب جديد، وإما أن يستعير ثوب أحمسيٍ، فإن لم يتوفر هذا أو ذاك طاف عريانا، بما فيهم النساء،«انظر ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص١٦٠، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص١٨٩»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشرعه[١]، فأنكر الله تعالى ذلك عليهم، قال تعالى:(وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تفعلون، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد...)[٢]

كذلك الجاهلية المعاصرة أصبحت تعري الناس من اللباس، وتعريهم من التقوى والحياء، متجاهلة أصل فطرتهم ومتعمدة إغواءهم عن إنسانيتهم الحقة مغفلة أن زينة الإنسان هي زينة الستر والحشمة، وأما زينة الحيوان هي زينة العري، والله تعالى وصف حال اللباس وأخرجه مخرج الامتنان مما يدل على شدة الحاجة إليه، فما هي إذا هذه الحاجة البشرية المتمثلة في اللباس؟.

ما من شك أنّ في اللباس نعم متعددة، وفوائد متنوعة منها:-

١- دفع الأذى.

٢- حفظ الجسد.

٣- ستر العورة.

٤- الجمال والزينة.

إن أهمية اللباس في دفع الأذى أمر مستقر في الفطر السليمة والعقول المستقيمة ذلك أن «دفع الأذى به واجب بالعقل، لأن العقل يوجب دفع الضار، واجتلاب المنافع، قال تعالى:(...وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم)[٣]، فأخبر بحالها ولم يأمر بها اكتفاء بما يقتضيه العقل، واستغناء بما يبعث عليه الطبع»[٤].

أما دور الملابس في حفظ الجسم فاتضح أمره أكثر عندما نادت الجاهلية الحديثة بالتعري، فتعرى من لا خلاق له من الناس جريا وراء النكسة إلى الوراء وظهر خطورة العري في جانب النساء خاصة، بما سبب للمتعريات منهن من الأمراض وعلى رأسها إصابتهنّ بسرطان الجلد السافع الخبيث، وهو من أفتك

---

(١) انظر، ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥ ص١٦٠، وانظر، ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص٢١٠، وانظر أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٧ص١٨٩- ١٩٠،وأنظر،الفخر الرازى،مفاتيح الغيب،ج١٤ص٥٠-٥١.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٨-٢٩

(٣) سورة النحل آية ٨١

(٤)علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٣٣٨، تحقيق مصطفى البغا، دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ غير معروف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأورام السرطانية، التي تصيب الإنسان، فهو يهاجم الأجزاء العارية من أجساد النساء المعرضة لأشعة الشمس وخاصة السيقان[١]، وهذه الأمراض بل وكثير غيرها لا يعرفها كثير من الناس، فعلى الذين يتبعون سَنن الغرب حذو القذة بالقذة، رويدا وعليكم أن تتمهلوا ثم لتنظروا نظرةَ بصيرةٍ واعتبارٍ تعينكم بالعودة إلى أصل فطرتكم ، وحفظ دينكم أولا ثم جسدكم ثانيا.

وفي ستر العورة اختلف العلماء أهو واجب بالعقل أم بالشرع؟ ،«فقالت طائفة، وجب سترها بالعقل، لما في ظهورها من القبح، وما كان قبيحا فالعقل مانع منه أَلاَ ترى أن آدم وحواء لما أكلا من الشجرة التي نهيا عنها، بدت لهما سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، تنبها بعقولهما لستر ما رأياه مستقبحا من سوآتهما لأنهما لم يكونا قد كلفا ستر ما لم يبد لهما، ولا كلفاه بعد أن بدت لهما، وقبل سترها ، وقالت طائفة أخرى بل ستر العورة واجب بالشرع، لأنه بعض الجسد الذي لا يوجب العقل ستر باقيه، وإنما اختصت العورة بحكم شرعي، فوجب أن يكون ما يلزم من سترها حكما شرعيا »[٢]، واستدلت هذه الطائفة بحال عرب الجاهلية، وما كانوا يتمتعون به من عقل موفور ومع ذلك طافوا بالبيت عراة وحرّموا على أنفسهم اللحم والودك، حتى أنزل الله عليهم قوله تعالى:(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)[٣]، فأوجب بهذه الآية ستر العورة، بعد أن لم يكن العقل موجبا له فدل ذلك على أن ستر العورة وجب بالشرع دون العقل[٤].

والصحيح أن العقل يدل على قبح ظهور العورة، والنتيجة أن ستر العورة وجب بالشرع والعقل معا

.أما الجمال والزينة فهو مستحسن بالعرف والعادة، من غير أن يوجبه عقل أو شرع، ولما كان يقع فيه التجاوز والتقصير لزم أن ينظر إلى التوسط فيه من حيث صفة الملبوس وكيفيته، ومن حيث جنسه وقيمته.

ففي صفته ينظر إلى عرف أهل كل بلد فلكل زيّه الذي يخصه ويميزه عن غيره من أهل الشرق أو الغرب وما بينهما، كما ينظر فيه إلى عرف الأجناس،

---

(١) انظر فاروق مساهل، تكريم الإسلام للإنسان ، ص١٣٠.

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٣٣٨، مرجع سابق.

(٣) سورة الأعراف آية ٣١.

(٤) انظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٣٣٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كزي الجند والتجار والذكور والإناث، مما يجعل لكل زي له سمتة التي تميزه عن غيره .[١].

أما جنس الملبوس وقيمته فينظر من حيث القدرة، يسارا أو إعسارا ،ومن حيث المنزلة والحال، فللموسر زيه حسب قدرته، وللمعسر دونه حسب قدرته، كما أنّ لذى المنزلة الرفيعة زيّه، وللمنخفض عنه دونه، يتفاضلون حسب تفاضل أحوالهم فيتمايزون بذلك، لكن إن عدل الموسر أو ذو المنزلة الرفيعة إلى زي من دونه اعتبر ذلك شحا وبخلا.

وإن عدل المعسر إلى زي من فوقه اعتبر ذلك تبذيرا وسرفا، والتوسط في كل ذلك مطلوب[٢] لأنّ الخير في ذلك فيكون التوجيه في اللباس كالتوجيه في الإنفاق، قال تعالى:(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، سيجعل الله بعد عسر يسرا)[٣]،فعلى العاقل اللبيب أن يلبس من الملابس مالا يزدريه فيه من كان ذا مكانة رفيعة،ولا يعيبه عليه من توسطت حاله، وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه رث الهيئة، فقال:«ما مالك؟ من كل المال قد آتاني الله.فقال:إنّ الله تعالى يحب إذا أنعم على امريء نعمة أن ينظر إلى أثرها عليه»[٤].

ارتباط اللباس بالعقيدة والأخلاق

إنّ دين الإسلام يربط بين القيم الحسية والمعنوية، وبين النعم المشاهدة القريبة والمغيبة عن الأنظار،ملفتا بالقريب إلى البعيد وبالحسي إلى المعنوي، وبالمادي إلى الروحي، وبالدنيوي إلى الأخروي، لأنّ الأمر الأساس من خلق الناس وإيجادهم ثم إعدادهم وامدادهم هو طاعة الله وعبادته والسير بتوجيهاته في شرعه ومنهاجه، ففي الحج أمر الله بالتزود المادي لمن قصد بيته الحرام، لأولئك الذين خرجوا بلا زاد وقالوا: نحج بيت الله ولا يطعمنا الله مع تفضيله تعالى للزاد المعنوي على الحسي المادي[٥]، قال تعالى:(...وتزودوا فإن خير الزاد التقوى...)[٦].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٣٣٩.

(٢) انظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٩ـ ٣٤٠.

(٣) سورة الطلاق آية ٧

(٤) سبق تخريجه انظر ص ٢٣٦ من هذه الرسالة.

(٥) انظر ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،ج١ ص٢٣٨.

(٦) سورة البقرة آية ١٩٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي اللباس امتن بإنزاله على الناس ليواروا به سوآتهم، مع تفضيل الله تعالى للباس التقوى لخيريته، قال تعالى: (يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون)[١]، فنبه باللباس الحسي إلى المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكَر أنه خير من هذا وأرفع[٢]، فأصبح هناك «تلازم بين شرع الله اللباس لستر العورات والزينة، وبين التقوى، كلاهما لباس هذا يستر عورات القلب ويزينه، وذاك يستر عورات الجسم ويزينه، وهما يتلازمان،فعن شعور التقوى لله والحياءمنه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياءمنه، ومن لايستحيي من الله ولا يتقيه لا يهمه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري: العري من الحياء والتقوى، والعري من اللباس وكشف العورات»[٣].

وقد أعلن الإسلام تكامل الإنسان روحا وجسدا، وبنى أتباعه على الإرادة والرجولة والعزم، فربطت عقيدتهم اللباس والزينة، بالأصول التي تقوم عليها، وميزت شخصية الأتباع، وعملت على بنائها حماية لرجولة الرجل، وأنوثة الأنثى، وذلك منعا من أن يختلطا فتفسد فطرتهما.

إنّ النفس الإنسانية تتشكل باللباس، فتزهوا إذا لبست لباس الحرب، وتعز إذا لبست لباس السيادة، وتضعف وترتخي إذا لبست لباس النوم، أو الحرير، ولهذا كانت مسألة التقليد في الملابس لها أثرها الواضح في تحول شخصية لابسه من الجنسين من حيث القوة والضعف، والتماسك والتحلل، والسماحة والعنف، ومن هنا كانت الرابطة العميقة بين الملابس والأخلاق[٤]، حتى قال علماء الاجتماع: «إنّ القميص هو الرجل، فالإنسان يختلف تفكيرا في ملابسه العسكرية عن ملابسه المدنية»[٥].

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٦.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٣٩.

(٣) سيد قطب في ظلال القرآن، ج٣ ص١٢٧٨.

(٤) انظر مهدية شحادة الزميلي، لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي، ص٩٦، وما بعدها، دار الفرقان للنشر، ط٢، ١٩٨٤م، وانظر أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، ص٢٠٨، دار الاعتصام، ط١، ١٣٩٧هـ.

(٥) أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ص ٢٠٩ دار الإعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إنّ ثياب المرأة إذا استوفى طابعه الإسلامي كان موضع التكريم، وعاملا من عوامل تقديرها، أما إذا جاوز الأصول الاجتماعية أوحَى بنفسية متمردة وأغرى للاستهانة بها والجرأة عليها، وبهذا يعلم أن انهيار قيم الزينة واللباس بالزيادة أو النقص للذكر والأنثى علامة تحول خطيرة في الدين والخلق في المجتمع المسلم لعدم انفصاله عن أصول الإيمان في شرع الله ومنهجه[١].

دفع المضرة مقدم على جلب المنفعة

والله تعالى ذكر اللباس في سورة الأعراف لفائدة الزينة، وستر العورة، قال تعالى: (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد...)[٢]، وقال تعالى: (يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله..)[٣].

أما في سورة النحل فقد ذكره الله تعالى لفائدة الوقاية،قال تعالى: (..وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[٤]، يقول ابن تيمية: «ولما كانت هذه الفائدة حيوانية طبيعية لا قوام للإنسان إلا بها جعلها من النعم، ولما كانت تلك فائدة كمالية قرنها بالأمر الشرعي، وتلك الفائدةمن باب جلب المنفعة بالتزين، وهذه من باب دفع المضرة، فالناس إلى هذه أحوج»[٥]، ولما ذكر تعالى في آية سورة النحل الوقاية من الحر ولم يذكر الوقاية من البرد ،تعرض المفسرون لبيان ذلك في عدة آراء منها[٦]:-

١- حُذف البرد للعلم به.

٢- لأن أرضهم حارة فيخافون الحر أكثر من البرد.

٣- امتنّ عليهم بما يقي الحر، فالامتنان بما يقي البرد أعظم.

---

(١) انظر، مهدية الزميلي، لباس المرأة وزينتها في الفقه الرسلامي، ص١٠٠، وانظر أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية، ص٢١١-٢١٢.

(٢) سورة الأعراف آية ٣١.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٦.

(٤) سورة النحل آية ٨١.

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ج٣ ص٣٢٨، جمع محمد السيد الجليند، مؤسسةعلوم القرآن، دمشق، بيروت،، ط٢، ١٤٠٤هـ، وانظر هذا الكلام في مجموع الفتاوى، ج ١٥ ص ٣١٧

(٦) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص٥٨٠، وانظر، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٠ ص٧٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والراجح - والله أعلم - ما رجحه الإمام ابن تيمية، وتبعه فيه العلامة السعدي، - وذلك بعد أن عرض آراء المفسرين في المسألة - قال:«وأحسن من هذا أنه تقدم ذكر وقاية البرد في أول السورة[١]، بقوله تعالى:(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)[٢]، وذلك أنّ الإمام ابن تيمية يرى أنّ الحر، أذى، والبرد بؤس، وذلك في قوله:«ولم يذكر هنا ما يقي من البرد، لأنه ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم؛ لأنّ البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فإنه أذى، لكنه لايقتل كما يقتل البرد، فإن الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرهما، وأهله أيضا لا يحتاجون إلى وقاية كما يحتاج إليه البرد؛ بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وفي طرفي النهار لايتأذون به تأذيا كثيرا»[٣]، إن هذا الفصل الذي حدث بين الامتنان بما يقي من البرد -وهو الدفء- وما يقي من الحر - وهو - الظل مراعاة لأصول النعم ومتمماتها، بمعنى أن الله تعالى عد الدفء من البرد في أصول النعم فقدم ذكره مع الأصول في أول السورة، وعد الوقاية من الحر المتمثل في الملابس والظلال، من كمال النعم ومتمماتها فلهذا أخر ذكره مع فروع النعم.

شخصية الأمة في لباسها

لا شك أنّ للأمم حضارات أصيلة في نواحي شتى، وأن أهمية اللباس والزينة والامتنان به على الخلق لم يكن جزافا، بل تتميز كل أمة عن غيرها من الأمم بأمور[٤] عدة منها: الدين، واللباس، واللغة، والحروف، والأخلاق.

ولكل أمة شخصية تفرضها بدينها، ولبسها ولغتها، وبالمحافظة على مبادئها، عن طريق الربط بين ماضيها وحاضرها، موافقة بين الأصالة والمعاصرة.

ويمكن تلخيص أهمية دور اللباس في الأمم في النقاط الآتية:-

١- إنّ اللباس واللغة من الدعائم التي تقوم عليها شخصية كل أمة من الأمم .

---

(١) انظر، ابن تيمية،مجموع الفتاوى، ج١٥ ص٣١٨، وانظر، عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤ص٢٢٦.

(٢) سورة النحل آية ٥

(٣) ابن تيمية، دقائق التفسير، ج٣ ص٣٢٩.

(٤) انظر، محمد بن عبد العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ص ٢٤-٣٧، وانظر،مهدية الزميلي، لباس المرأة وزينتها، ص٩٦، وما بعدها، وانظر أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية، ص٢١١، وما بعدها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ـ الأمم المنقرضة والتي تسمى «بائدة» من أسباب فنائها فَقْدُ شخصيتها الحضارية، وذوبانها في حضارات وقوميات أخرى.

٣ـ إنّ اختيار أي أمة للباس أمم أخرى إشعار منها بذلتها وإعلان نقصها.

٤ـ قضية اللباس والأزياء ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه في الحياة

٥ـ إن الذي يحدد اللبس للإنسان من ناحية صنعه أو من ناحية لبسه هي الجهة المشرعة له

٦ـ العقيدة والأخلاق واللباس أمور مترابطة ومتلازمة بلا انفصال بينها.

٧ـ باللبس يبرز خصائص الإنسان في الجنس البشري، وتغليب طابعه الإنساني على طابعه الحيواني.

٨ـ الجاهلية المعاصرة تمسخ تصورات الناس وأذواقهم وقيمهم فتجعل العري تقدما ورقيا، والستر والحشمة رجعية وتأخرا[١].

ثانيا: نعمة الدروع

امتن الله تعالى على العباد بنعمة الدروع في قوله تعالى:(..وسرابيل تقيكم بأسكم..)،إذ المقصود بهذه السرابيل هي الدروع التي تقي لابسها من وقع السلاح وتسَلّمهُ من بأسه، وقد بيّن تعالى هذه النعمة الكبرى، واستحقاق من أنعم بها أن يشكر ويثنى عليه بما هو أهله في غير هذا الموضع كقوله تعالى:(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)[٢].

فقد امتن تعالى على عبده ونبيه داود عليه السلام بأن أَلاَنَ الحديد له يصنع منه لنفسه ولغيره دروع الحرب الواقية من طعن السلاح، قال تعالى:(..وألَنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدِّر في السرد ..)[٣]، إنّ هذا الأمر يبدوا فيه خارقة ليست من مألوف البشر فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلا للطرق، وإنما كانت تلك الإلانة معجزة لنبيه من غير أي وسيلة، وفيه تنبيه بأنه سيلينه الله لمن يأتي بعده بوسيلة، وفي كلا الحالين امتنان من الله على العباد.

من الدروع إلى المدرعات

إنّ نعمة صناعة الدروع عمت كل المحاربين من الخلق فلزم شكر الله عليها.

---

(١) انظر محمد عمرو، اللباس والزينة في الشريعة ص٢٤ـ٣٧،وانظر مهدية الزميلي،لباس المرأة وزينتها،ص٩٦،وما بعدهاوانظر أنور الجندي،مفاهيم العلوم الإجتماعية ص٢٠٠

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٠.

(٣) سورة سبأ آية ١٠ـ١١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تحولت من الدروع الملبوسة على الجسد إلى الآليات، والمدرعات، المتحركة على الأرض، عبر تطور الحضارات والصناعات، فتطورت صناعة الدروع مثل تطور صناعة الأسلحة، فتحولت في العصر الحديث إلى آليات ومدرعات، ودبابات، وغيرها، والسبب في ذلك لأنّ «الحضارة البشرية سارت في طريقها خطوة خطوة وراء الكشوف، ولم تجيء طفرة، لأن خلافة الأرض تركت لهذا الإنسان، ولمداركه التي زوده الله بها ليخطو في كل يوم خطوة؛ ويعيد تنسيق حياته وفق هذه الخطوة»[1].

وبهذا يتضح امتنان الله تعالى بالسرابيل الواقية من الحر والبرد، والسرابيل الواقية من أذى الحرب والتي تطورت إلى المدرعات، وكل ذلك من فضل الله ورحمته بالعباد، اللهم زينا بزينة الإيمان واحفظ علينا الستر من التكشف، واجعلنا هداة مهتدين يارب العالمين.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤ ص ٢٣٩٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الرابع
الشاكرون والجاحدون

الفصل الأول: التعريف بالشكر والجحود.

الفصل الثاني : نماذج الشاكرين والجاحدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول
التعريف بالشكر والجحود

المبحث الأول:
الشكر، معانيه، وقواعده، عند العلماء، والرأي المختار.

المبحث الثاني:
الجحود، معانيه، عند العلماء، والرأي المختار.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول:
الشكر، معانيه، قواعده عند العلماء، والرأي المختار.

الشكر بالضم عرفان الإحسان ونشره، ولا يكون إلا عن يدٍ، والشكر من الله المجازات والثناء الجميل، وشكره، وله شُكْراً وشكوراً، وشُكْرانًا، وشكَر الله ولله وبالله، ونعمة الله وبها، وتشكّر له بلاءه كشكْره، والشكُور الكثير الشُّكر[١]

فالشكر الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، وهو تصور النعمة وإظهارها، مقلوب من الكشر، أي الكشف، ويضاده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها، تقول دابة شكور إذا ظهر سمنها مما يدل على اسداء صاحبها إليها بالرعاية، وقيل أصله من عين شَكْرَى أي ممتلئة، فالشكر على هذا الامتلاء من ذكر المنعم عليه[٢].

وأصل الشكر في وضع لسان العرب أن يَظْهَرَ أثر الغذاء في بدن الحيوان ظهورا بينا، تقول شَكَرت الدابة تشْكُرُ شَكْراً على وزن سَمنت تسْمَن سمْنا، إذا ظهر عليها أثر العلف، ودابة شكُور إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل، وشَكَره ظهر نماؤه وظهر العلف عليه[٣].

والشكر في الاصطلاح: «ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة»[٤].

فالشكر صفة من صفات الله تعالى، بل من أسمائه الحسنى «الشكور»، والشكر، سبيل أخص خلق الله إليه من أنبيائه ورسله، ومن هو دونهم من سائر البشر، من الصديقين، والشهداء، والصالحين، ومن يقرب منهم في الطاعة والانقياد، وهو من أرفع مقامات الإيمان، فكثير من المقامات يندرج تحته، مثل

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الراء، فصل الشين، ج٤ ص٤٢٣، وانظر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الراء، فصل الشين، ج٢ ص٦٤-٦٥.

(٢) انظر محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة شكر، ص ٣٤٤، وانظر، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مادة شكر، ص ٤٦١.

(٣) انظر ابن منظور، لسان العرب، باب الراء، فصل الشين، ج٤ ص٤٢٤، وانظر ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ص٣٨٤، هذبه عبد المنعم صالح العزي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، بدون ط، ولاتاريخ.

(٤) ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السلكين، ص٣٨٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المحبة، والرضا، والتوكل، فهو لا يصح إلا بعد حصولها، مما جعلت منزلته مرتفعة عليها.

والشكر نصف الإيمان ، لأنّ الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر،[١]، والشكر «قد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، واشتق لهم اسما من اسمائه فإنه سبحانه هو «الشكور»،وهو يُوصِّل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده»[٢]، قال تعالى:(..اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور)[٣].

وفي سورة النحل التي عرض الله تعالى فيها كثيرا من نعمه المتنوعة علوية كانت أو سفلية، قد طلب تعالى فيها من عباده أن يشكروه في مواضع متعددة منها، كقوله وذلك بعد الابتغاء من فضله، في قوله:(..لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٤] ،وكذا بعد إخراج الناس من بطون أمهاتهم خاليي المعرفة وامتنانه عليهم بوسائل العلم والمعرفة من سمع، وبصر، وفؤاد، قال تعالى:(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)[٥]، كما جاءت الدعوة إلى شكر الله بعد أن حث العباد على الأكل من رزقه الحلال، في قوله تعالى:(فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباواشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون)[٦]، كما أخبر تعالى في السورة أن نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كان من الشاكرين لأنعم الله تعالى ـ وهو ما سيأتي الحديث عنه مفصلافي الفصل القادم عند الحديث عن نموذج الشاكرين[٧]، وعن الأسباب التي اختار الله تعالى بها إبراهيم ليكون هذا النموذج دون غيره من الأنبياء والرسل، قال تعالى:(إن إبراهيم كان أمّة قانتا لله حنيفا ولم يك من

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢ ص٢٤٢، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ج٢ ص٢٤٢.

(٣) سورة سبأ آية ١٣.

(٤) سورة النحل آية ١٤.

(٥) سورة النحل آية ٧٨.

(٦) سورة النحل آية ١١٤.

(٧) انظر ص ٣٧٥ من هذه الرسالة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم)[١]، وقد أوحى الله إلى خاتم أنبيائه باتباع ملة إبراهيم، قال تعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)[٢]، والاتباع يستلزم منه السير على ما كان عليه أبو الأنبياء، وقد كان عليه السلام كذلك، بل زاد حتى أصبح سيد الشاكرين وسيد ولد آدم أجمعين، ولهذا كان من حاله عليه السلام، «أنه قام حتى تورمت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك«وما تأخر»، قال أفلا أكون عبدا شكورا»[٣]،كما كان يعلم أصحابه ذلك حتى قال لمعاذ:«يا معاذ إني لأحبك أوصيك يامعاذ لاتدعنّ دبر كل صلاة تقول:اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٤]،فقد كان لسانه عليه السلام رطبا بذكر مولاه وشكره فمن دعائه في ذلك«رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطواعا، لك مخبتا، إليك أواها منيبا»[٥].

هذا إضافة إلى أن السورة فيها عرض واسع لنعم الله تعالى على عباده وكل نعمة عرضت بأسلوب يستلزم شكر مسديها حتى تقيد وتبقى للشاكر لها، ويستزاد عليها فتنموا.

معاني الشكر

للشكر معاني متعددة، وإن كانت كلها أو بعضها ترجع لمعنى واحدمهما اختلفت الأقوال فيه، ولعل اختلافها كان يعود إلى اختلاف أحوال العلماء

---

(١) سورة النحل آية ١٢٠-١٢١.

(٢) سورة النحل آية ١٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه، ج١ ص٣٨٠، رقم ١٠٧٨، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المنافقين وأحكامهم، باب اكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ج٤ ص٢١٧٢، رقم ٢٨٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار،ج٢ ص٨٦ رقم ١٥٢٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج٣ ص١٤١، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود ج١ ص٢٨٤.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ج٥ ص٥١٧-٥١٨، رقم ٣٥٥١، وقال حسن صحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومقاماتهم، فقد كان كل منهم يعبر عن حاله ومقامه[١]، ولا يرى الباحث بأسا من عرض ما تيسر من هذه المعاني.

من معاني الشكر، ما يأتي:ـ

عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره، والثناء عليه.
الإعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.
الثناء على المحسن بذكر إحسانه.
مشاهدة المنّة وحفظ الحرمة.
معرفة العجز عن الشكر.
إضافة النعم إلى موليها.
الشكر:ألا ترى نفسك أهلا للنعمة أو مستحقا لها.
الشكر:ألا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه.
الشكر:التلذذ بشفائه على ما لم يستوجب من عطائه.
الشكر:استعمال النعمة فيما له أهل[٢].

إنّ هذ المعاني الكثيرة للشكر لها دلالات ومرامي عميقة للمعتبرين بها، ومن تأملها خرج بأهمية الشكر، وعلو منزلته، ويكفيه شرفا أن غايته رضا الرب عنه بطاعته ومراقبته سبحانه .

إنّ أهمية الشكر تدفع الإنسان أن يقف متأملا الأمور الآتية:ـ

معرفة الشاكر.

معرفة المشكور.

معرفة النعمة المشكور عليها.

معرفة حقيقة الشكر.

أما الشاكر: فهو عبد وفقه الله تعالى فعرف قدر النعمة، وقدرالمنعم وعظم

---

(١) انظر عمر بن موسى الرجراجي، هداية من تولى غير الرب المولى،ص١٠٨، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

(٢) انظر، الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٣ ص٣٣٨،وما بعدها، وانظر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢ ص٢٤٥،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فضله على عباده، فلم تحجبه مشاهدة النعمة عن معرفة المنعم وحبه والتقرب إليه، ذكرا، وشكرا، وعبادة، وطاعة.

وأما المشكور: فهو المنعم الحقيقي، الذي أعطى وأسدى، وخلق فسوى وقدّر فهدى، وهو الله جل في علاه، فتضاف إليه كل النعم، حتى وإن أُسْدِي للمخلوق معروف من مخلوق، فالذي يشكر أولا هو الخالق الرازق، لأنه ذو الفضل والإحسان، وهو الذي حرك ووفق هذا المخلوق لإسداء ذلك المعروف ثم ينظر إلى المسدي فيكافأ بالثناء والشكر وغيرهما[1]

فيكون هذا الشكر تلبية لحث الشرع على ذلك كما في قوله عليه السلام« من لا يشكر الناس لا يشكر الله »[2].

أما النعمة المشكور عليها: فهي لا يمكن حدّها ولا عدّها ولا حصرها، كثرة وتنوعا، عامة وخاصة، ظاهرة وباطنة، معلومة للناس حينا، ومجهولة أحيانا، أخرى، وكل ما يقرب العبد من الله أو يستعين به على القرب منه فهو نعمة يجب الشكر عليها[3]، والله تعالى يحب من عبده أن يشهد نعمه، ويعترف بها ويثني عليه بها، ويحبه عليها، حتى يرضى عنه.

حقيقة الشكر

وللشكر حقيقة يتمثل وجودها في القلب، وتظهر على اللسان والجوارح

وحقيقته: علم وأحاسيس ومشاعر وجدانية بتعظيم المنعم والمدح والثناء له يجدها المؤمن في قلبه تجاه خالقه سبحانه وتعالى

ولهذا كان للشكر، قواعد، وأضرب، وأقسام، وأركان، وآثار، يأتي الحديث عنها تباعا إن شاء الله تعالى.

وقد تكرر لفظ«الشكر» في كتاب الله تعالى في أربعة وسبعين

---

(١) انظر مروان إبراهيم القيسي، معالم التوحيد، ص٩٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ ١٤١٠هـ.

(٢) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج٤ ص٢٥٥ رقم ٤٨١١، وأخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكرلمن أحسن اليك، ج٤ ص٢٩٨، رقم ١٩٥٤، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود ج٣ ص٩١٣.

(٣) انظر عمر بن موسى الرجراجي، هداية من تولى غير الرب المولى، ص١٠٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«٧٤»موضعا، كان نصيب سورة النحل من ذلك أربعة مواضع[١]، ففي ثمانية مواضع من كتابه سمى الله نفسه شكورا«لأنه المجازي للعباد على أعمالهم بجزيل الثواب»[٢]، قال تعالى:(...ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)[٣]، وقال تعالى:(وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)[٤].

ولأهمية الشكر ومكانته من الشريعة، أمر الله بشكره، ومدح الشاكرين، وأثنى عليهم ونوّه بذكرهم في سبعة وستين«٦٧» موضعا من آيات الكتاب العزيز[٥]، كما بين تعالى ما للشاكرين من الثواب العظيم والأجر الجزيل، قال تعالى:(ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد)[٦]، وقال تعالى:(واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون)[٧]، وفي جزاء الشاكرين يقول تعالى:(إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)[٨]، وقال تعالى:(...وإن تشكروا يرضه لكم..)[٩].

ولما كان الشكور من عباد الله هو الذي صرف جوارحه فيما أمر الله تعالى به، عبادةً وطاعةً، وأن الشكر يستلزم من العبد الاجتهاد في بذل الطاعة مع اجتناب المعصية في السر والعلانية، وإن شكر الله تعالى لعباده يتمثل في الأمور الآتية:ـ

١ـ أنه تعالى يثيب على العمل القليل الثواب الجزيل، قال تعالى:(وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)[١٠].

٢ـ من شكر الله تعالى المدح والثناء الجميل منه لأنبيائه ورسله وعباده

---

(١) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،ص٣٨٥ـ٣٨٦.

(٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن،ج٣ ص٢٧٨.

(٣) سورة فاطر آية ٣٠.

(٤) سورة فاطر آية ٣٤.

(٥) انظر، صالح بن إبراهيم البليهي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، ج٢ ص٦٦، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط٢ ١٤٠٤هـ.

(٦) سورة لقمان آية ١٢.

(٧) سورة البقرة آية ١٧٢.

(٨) سورة الدهر آية ٢٢.

(٩) سورة الزمر آية ٧.

(١٠) سورة النساء آية ٤٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الصالحين.

٣ـ ومن شكره تعالى حفظه لكل من حفظه، قال صلى الله عليه وسلم:«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...»[١].

٤ـ ومن شكر الله لعبده على طاعته وعبادته ما جاء في الحديث القدسي مما يرويه عليه الصلاة والسلام عن ربه قوله:«قال الله عز وجلّ:إذا تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا..»[٢]

وما جاء في الحديث القدسي الآخر:«من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه»[٣].

٥ـ ومن شكره تعالى أنّه يحب كل من تقرب إليه بالنوافل فإذا أحبه وفقه لكل خير.

٦ـ ومن شكره تعالى لعباده أنه يحب منهم: المطّهرين، والمقسطين، والمحسنين، والمتقين، والصابرين، والتّوّابين، والمتوكلين، وبهذا الحب يعينهم على طاعته، ثم يثيبهم ويشكرهم[٤]، لأنه تعالى:(شكور حليم)[٥]، والله تعالى يقول في كتابه:(فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)[٦]، وفيه تفضل من الجليل على عباده فقد دعاهم إلى شكره وجعل ذكره لهم مكافئا لذكرهم له في عالمهم الصغير، فهم يذكرونه في الأرض الصغيرة وهو يذكرهم في الكون الكبير[٧]

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حديث نافق حنظلة، ج٤ ص٥٧٦، رقم ٢٥١٦، وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن الترمذي، ج٢ ٣٠٨ـ٣٠٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ ١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البخارى في كتاب التوحيد، باب قول الله(ويحذركم الله نفسه)، ج٦ ص٢٦٩٣، رقم ٦٩٧٠، وأخرجه مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاءوالتقرب الى الله ج٤ ص٢٠٦٧ رقم ٢٦٧٥.

(٣) سبق تخريجه فهو تكملة للحديث السابق له، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب الحث على ذكر الله ج٤ ص٢٠٦١.

(٤) انظر صالح بن إبراهيم البليهي،عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ج٢ ٦٣ـ٦٤، مرجع سابق

(٥) سورة التغابن، فاصلة الآية ١٧.

(٦) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٧) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ج١ ص١٣٩ـ١٤٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أركان الشكر

حتى يتم الشكر على أحسن وجه لكل نعمة لا بد من أن تتكامل أركانه، وإن محل هذه الأركان هو القلب، واللسان، والجوارح.

وأركان الشكر تتمثل في الآتي:-

١- الإعتراف بالنعمة باطنا بشهودها وتمييزها، وقبولهاومحل هذا الركن القلب، فيعتقد المسلم أن المنعم بكل النعم هو الله تعالى، وأن نعم الله عليه سابغة ولو كان فقيرا أو مريضا، أو مبتلى، فهو يسبح في نعم أخرى .

٢- التحدث بنعم الله بإظهارها، وشكر الله عليها، ومحله اللسان.

٣- صرف النعم واستثمارها في طاعة من أسداها باستعمالها في طاعته وعبادته والحذر من الاستعانة بها في معصية الله، ومحل هذا الركن الجوارح، فيصرف كل جارحة إلى ما خلقت له من وظيفة، دون تعطيلها أو التجاوز بها[١]، فشكر القلب هو تصور النعمة، وشكر اللسان بالثناء على الله ذكرا وشكرا، أما شكر الجوارح فهو مكافأة النعمة بعبادة الله وطاعته واستعمالها فيما يرضي مسديها ومعطيها[٢]، ويأتي التأكيد على أهمية هذه الأركان وأنه لا بد من تكاملها ليحصل الشكر، وإن تركيز الناس على الشكر ثناء بألسنتهم لا يكفي، إذ لا بد من اجتماع هذه الأركان وتكاملها، قال الشاعر:-

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا[٣]

فالشكر قد أطلقه الشاعر على أفعال الموارد الثلاثة وهي: اللسان، واليد، والضمير أو القلب[٤].

قواعد الشكر

والشكر ينبني على خمس قواعد أساسية

إن كل من يتعرض إلى الشكر بالتعريف والبيان والتوضيح لمعانيه ومبانيه،

---

(١) انظر د. مروان القيسي، معالم في التوحيد، ص ٩٥.

(٢) انظر، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦١.

(٣)انظر، الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي، فضيلة الشكر لله على نعمه وما يجب من الشكر للمنعم عليه ص٦، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ.

(٤) انظر المرجع السابق ص٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإنه يرجع إلى هذه القواعد ويدور حولها وهي :-

١- خضوع الشاكر للمشكور.

٢- حب الشاكر لله تعالى.

٣- اعتراف الشاكر بنعم الله تعالى الجمة.

٤- ثناء الشاكر على الله بنعمه.

٥- أن يستعمل الشاكر نعم الله في طاعته ومرضاته.

إن هذه القواعد الخمس تعتبر أساس الشكر، وعليها يبنى فإذا فقد منها واحد اختلت قاعدة من قواعده[١].

درجات الشكر

والشكر درجات يرتقي فيها الشاكر من درجة إلى درجة أعلى منها «تبدأبالاعتراف بفضله، والحياء من معصيته، وتنتهي بالتجرد لشكره، والقصد إلى هذا الشكر في كل حركة بدن، وفي كل لفظة لسان، وفي كل خفقة قلب، وفي كل خطرة جنان»[٢].

إن إنعام الله تعالى على عباده محض إحسان إليهم، وتفضل عليهم، ومجرد امتنان، لا لحاجة منه إليهم، لا لمعاوضة، ولا لاستعانة بهم، ولا ليتكثر بهم من قلة، ولا ليتعزز بهم من ذلة، ولا ليقوى بهم من ضعف، فهو القوي القادر المالك الناصر الفرد الصمد الواحد الأحد.

كما أن الأمر بالشكر إنعام آخر على العباد ،وإحسان إليهم، لأن منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وأخرى والعبد هو الذي ينتفع بشكر الله[٣]، وبشكر الله يحسن الإنسان إلى نفسه في الدنيا والآخرة، قال تعالى:(..ومن شكر فإنما يشكر لنفسه..)[٤].

ولا يعنى بأي حال من الأحوال أن الإنسان بالشكر يمكن أن يكافيء نعم ربه،«فالرب تعالى لا يستطيع أحد أن يكافىء نعمه أبدا، ولا أقلها ولا أدنى نعمة من نعمه، فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق للشكر والشاكر، وما يشكر

---

(١) انظر عبد المنعم صالح العزي تهذيب مدارج السالكين، ص٣٨٤، وانظر، الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٣ ص٣٣٧.

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن، ج١ ص١٤٠.

(٣) انظر عبد المنعم العزي، تهذيب مدارج السالكين، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٤) سورة النمل آية ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه، فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه، فإنه هو المحسن إلى عباده بنعمه، والمحسن إليهم بأن أوزعهم شكرها، فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه،يحتاج إلى شكر آخر، وهلم جر»[١]، وإذا كان الله هو الخالق الرازق، المنعم على العباد بجميع النعم، ثم هو سبحانه الموفق لهم إلى الشكر، فهل يتعذر الشكر في حقه تعالى.

من هذا المنطلق حصل فهم خاطىء، وظن سيئ من البعض فقالوا إن الشكر قد يتعذر في حق الله تعالى لأمرين:ـ

أحدهماـ أن الشكر يكون لجلب النفع، وهذا يستحيل في حق الله تعالى لأنه متعالٍ عن المنافع.

وثانيهماـ أن إلهام الشكر يعتبر نعمة أخرى فكيف نشكر نعمته بنعمته وهومتعذر في حق الله تعالى[٢].

ولهذا تسآءل نبي الله داودﷺعن كيفية الشكرحيث قال:«أي رب كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك قال فأتاه الوحي أن ياداود أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني قال بلى يارب قال فإني أرضى بذلك منك شكرا»[٣] كماسأل نبي الله موسى ربه بقوله:« يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك فأجابه الله لا يزال لسانك رطبا من ذكري»[٤].

ذلك أن الشكر قد يكون لجلب النفع، وقد يكون لغير ذلك. واختصاص الله تعالى بصفات الكمال وأن يتعالى بأسمائه وصفاته العليا[٥].

وأما كون الشكر لا يكون إلابنعمة أخرى من الله فهذا صحيح لكنه لا يبطل الشكر، ذلك أن النعمة تحتاج إلى شكر، والشكر يحتاج إلى شكر، وهكذا، والله تعالى يقول في كتابه:(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...)[٦].

---

(١) انظر عبد المنعم العزي تهذيب مدارج السالكين ص ٣٨٧.

(٢)انظر، يحي بن حمزة اليماني الذماري، كتاب تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، ص٢٩٨ـ٢٩٩، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٣)أخرجه الإمام أحمد في الزهد، زهد داود ص١١٦،والبيهقي في شعب الإيمان،باب في تعديد نعم الله ج٤ ص١٠١،واللفظ له عن أبي مجالد رضي الله عنه

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في تعديد نعم الله ج٤ص١٠٤

(٥) انظر، أحمد مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم ج٣ ص ٤٥٢.

(٦) سورة النحل آية ١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولهذا أنشد بعضهم يقول:-

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةٌ ... عليّ وفي أمثالها يجب الشكر

فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

ولا منهما إلا له فيه منـــة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر[1].

أقسام الناس وأحوالهم في الشكر

بالرغم من تعدد آلاء الله على البشر وتنوعها - مؤمنهم وكافرهم - صالحهم وطالحهم، ومع وضوح فضل الله على العباد وتوارد نعمه عليهم صباح مساء، ومع كثرة الأدلة التي تدعوا الناس إلى الشكر، وفيها ما يكفي ويشفي من مدح الشاكرين والثناء عليهم ورفع درجاتهم وإعلاء منازلهم، وإعطائهم الأجر الوفير، فإنه مع كل ذلك يأسف المرأ عندما يرى كثرة الغافلين عن شكر الله وذكره قولا وفعلا واعترافا، ذلك أن كثيرا من الناس لا يشكرون الله حق شكره، ولا يقومون بما يجب على النعمة التي بأيديهم،

ولهذا انقسم الناس إزاء النعم إلى ثلاثة أقسام:-

١- الشاكر لها المثني بها على المسدي لها، وهم القلة من الناس،

٢- الجاحد للنعم والكاتم لها

٣- المظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها فهو متحلٍ بما لم يعطه[2].

ولهذا لما علم إبليس أن القيام بالشكر هو من سلوك الصراط المستقيم، وأراد أن يصد الناس عنه، بَذَل مجهوده على إغوائهم لعلمه من خلال التجربة مع أبيهم أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم[3]، فقال مخاطبا لربه: (قال فبما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)[4].

وقد كان هذا ظن منه ولكن وافقه الواقع كما قال سبحانه: (ولقد صَدَّقَ عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين)[5]، ولهذا نبه تعالى عباده بما عزم إبليس

---

(١) الراجز محمود الوراق انظر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، كتاب الشكر ص٤١-٤، بلا ناشر

(٢) انظر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢ ص٢٤٨.

(٣) انظر عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣ ص١٠

(٤) سورة الأعراف آية ١٦-١٧.

(٥) سورة سبأ آية ٢٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على فعله، ليحذروه، ويستعدوا له لعلمهم بالطرق التي يأتيهم منها، لإخبار الله لهم بذلك، كما أخبر تعالى في كتابه بما يوافق قول إبليس من قلة الشاكرين، في قوله تعالى: (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور)[١]، وحتى القليل الشاكر إنما شكره بقدر الطاقة البشرية، ومع هذا قليل فاعله.

أما الشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة لأحد عليه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فيكون الشاكر المقارب للتمام من رضيَ الله عنه، وقبِل منه القليل من العمل، فجازاه عليه الجزاء الأوفى، وكتبه من الشاكرين لأنعمه، وهذا بحده نعمة أخرى تحتاج إلى شكر[٢].

ولما كان الشكر من دواعي الزيادة، واستمرار النعمة إذ به «تدوم النعم، ويتسع باب الأمل في الزيادة»[٣]، كما تُقَيَّدُ به من الشرود، فالنعم كالصيد والشكر قيدها، ولهذا حث الله على الشكر وشرط الزيادة به، بل أخذ تعالى على نفسه جزاء الشاكرين قال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)[٤]، وقال تعالى: (...وسيجزي الله الشاكرين)[٥].

فمن كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر، كان وصول نعم الله إليه أكثر.

آثار الشكر على المنعم عليهم

لا شك أنه إذا عرف العبد النعمة، وقبلها من المُنْعِم بها، وتحدث بها، أي بأن تكون حاضرة في ذهنه، وشهدها قلبه، مع تلقيها مظهرا الفقر والفاقة إلى مسديها، عاملا بقواعد شكرها مطبقا أركانه عند ذلك يظهر آثار الشكر عليه والتي منها:-

١- أن الشكر يورث محبة العبد لربه، ومراقبته تعالى في السر والعلانية.

٢- أنه يورث الرضا والطمأنينة بأقدار الله والتسليم لها.

---

(١) سورة سبأ آية ١٣.

(٢) انظر الفخر الرازي مفاتيح الغيب، ج٢٥ ص٢١٦.

(٣) يحى المعلمي، مكارم الأخلاق في القرآن الكريم .ص ١١١، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٣٩٥هـ

(٤) سورة إبراهيم آية ٧.

(٥) سورة آل عمران آية ١٤٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ـ يورث محبة الرب لعبده، ومحبة العباد له[١].

٤ـ أنه سبب لدوام النعم وزيادتها.

٥ـ محاسبة النفس، لأنّ الشاكر يتفقد أحوال نفسه كل حين.

٦ـ رجاء الشاكر أن يكون من زمرة الشاكرين يوم القيامة.

٧ـ يصون صاحبه من العذاب كما قال تعالى:(ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما)[٢]

اللهم اجعلنا ممن إذا رزق شكر، وإذا ابتلي صبر، وارزقنا حمدا يكافئ نعمك، ويوازي آلائك، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك،..... آمين.

---

(١) انظر مروان القيسي، معالم التوحيد، ص٩٥ مرجع سابق.

(٢) سورة النساء آية، ١٤٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

الجحود، معانيه عند العلماء والرأي المختار

الجُحُودُ: والجَحْدُ ـ بالفتح والضم والتحريك ـ قلّة الخير.

جَحِد، وجَحَد، وجُحُودا، قل خيره لفقر أو بخل[١].

وجَحَد«الجيم، والحاء، والدال، أصل يدل على قلة الخير، يقال عام جَحِد قليل المطر، ورجل جحد فقير، وقد جحد وأجحد...والجحد من كل شيء القلة...ومن هذا الباب الجحود، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح»[٢].

فالجحد والجحود: نقيض الإقرار، مثل الإنكار والمعرفة، والجحود الإنكار مع العلم، والجَحْدُ، والجُحد: الضيق في المعيشة، وأرض جحدة، يابسة لا خير فيها[٣].

ولما كان لفظ «الجحود» يرد في القرآن تارة، بالكفر، وأخرى بالكفران، فصارت ثلاث عبارات، لزم بيان وتوضيح الفرق بين هذه العبارات الثلاث.

الكفر: في اللغة، الستر والتغطية، ومن ذلك أُطلق على الزراع بأنهم كفار، وذلك لأنهم يسترون الحب في الأرض بالتراب، قال تعالى:(كمثل غيث أعجب الكفار نباته)[٤]. وفي الشرع الكفرضد الإيمان تقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت، والكفر يأتي بمعنى كفر النعمة، وهو نقيض الشكر.

والكفر كذلك يطلق على جحود النعمة وهو ضد الشكر تقول «كفر نعمة الله، يكفرها كفورا، وكفرانا، وكفر بها، جحدها وسترها، وكافَرَه حقه، جحده، ورجل مُكْفَر مجحود النعمة مع إحسانه، ورجل كافر جاحد لأنعم الله »[٥].

والكفر أربعة أقسام هي:ـ

١ـ كفر إنكار، ٢ـ وكفر جحود، ٣ـ وكفر معاندة، ٤ـ وكفر نفاق.

---

(١) انظر الفيروز آبادي القاموس المحيط، باب الدال، فصل الجيم، ج١ ص٢٩٠، وانظر إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١ ص١٠٧.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١ ص٤٢٥ـ٤٢٦.

(٣) انظر ابن منظور لسان العرب، باب الدال، فصل الجيم، ج٣ ص٤٠٢ ـ ٤٠٣، وانظر، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، باب الدال، فصل الجيم، ج٢ ص٣١٢، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، بدون،ط ولاتاريخ.

(٤) سورة الحديد آية ٢٠

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة كفر، ج٥ ص ١٤٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فكفر الإنكار: أن يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد، فلا يعرف الله ولا يعترف به .

أما كفر الجحود فهو: أن يعترف بقلبه، ولايقر بلسانه فهو كافر جاحد، ككفر إبليس، وكفر أمية بن الصلت، قال تعالى:(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[١] أي جحدوا به.

أما كفر المعاندة فهوأن يعترف بقلبه ويقر بلسانه، ولكنه يأبى أن يقبل الحق.

وأما كفر النفاق فهو: أن يقر بلسانه، ويكفر بقلبه، ولا يعتقد به[٢] .

والكفران هو:«ستر نعمة المنعم بالجحود ،أو بعمل كالجحود في مخالفة المنعم»[٣] .

أما الجحود فهو: الإنكار مع علم الجاحد بأن ما ينكره ويجحده صحيح، وهو ضد الإقرار.

فيكون «الكفر المذكور في مقابلة الشكر ليس إلا الكفران، والسبب فيه أن كفران النعمة لا يحصل إلا عند الجهل[٤] بكون تلك النعمة نعمة من الله،والجاهل بها جاهل بالله، والجهل بالله من أعظم أنواع العقاب والعذاب»[٥] .

والجحـــود في الاصطلاح هو: الكفران أي كفران النعمة وسترها وإنكار أنها من الله قولا ، وعملا.

فيكون معنى الجحود«نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه»[٦]

وهو نوع من أنواع الكفر، لأن الجاحد يستر نعم الله ويغطيها أيا كانت تلك النعم، فلا يشهدها بقلبه، ولا يذكرها بلسانه، ولا يشكرها بجوارحه، فيجعل نفسه كالجاحد لها ، إما بمخالفة مسديها ومعطيها ، أو بسترها وإهمال ذكرها ، أو بإضافتها إلى غير الله تعالى، كإضافتها إلى نفسه، وجهده، أو إلى آبائه، أو إلى الأسباب والمسببات لها ،«والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها ، أو بإنكار أن

---

(١) سورة البقرة آية ٨٩.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة كفر، ج٥ ص١٤٤، وانظر د.عبد الرحمن حسن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص٧٢٣ ـ ٧٢٤.

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٣٧.

(٤) الصحيح أنّ كفران النعمة[قد يحصل بسبب الجهل أو بغيره]خلافا لما ذكرالمصنف حيث حصره في الجهل

(٥) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٩ ص٦٨.

(٦) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٨٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الله واهبها، ونسبتها إلى العلم والخبرة، والكد الشخصي والسعي كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله، وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس، واستغلالها للشهوات والفساد، وكله كفر بنعمة الله»[١].

وقد جاء التنبيه بخطورة كفران النعمة وجحدها والكفر بها ونسبتها إلى غير الله أيا كان هذا الغير، في آيات عدة من سورة النحل،وذلك بعد ذكر كل فوج من نعمه وآلائه على الناس، في صورة التذكير بالمنعم الحق تارة، وفي توجيه المُنعَم عليهم إلى الشكر إزاء تلك النعم المدرار تارة أخرى، وكذا في تحذيرهم من الجحود بإظهار خطورته لهم، وبيان عاقبة الجاحدين وما أصابهم الله به من العقاب الشديد بسبب ذنوبهم المتمثل في كفران النعم، والله تعالى يذم من يضيف نعمه إلى غيره، قال تعالى:(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون)[٢]،وقال تعالى:(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون)[٣]، وقال تعالى:(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)[٤]، وقال تعالى:(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[٥].

ففي نهاية كل آية من الآيات الآنفة الذكر جاء التنديد بالجاحدين والإنكار على صنيعهم، والتحذير من مغبة الجحود الذي لا يتناسب مع نعم الله تعالى على عباده ، كما أن في الآيات السابقة (أفبنعمة الله يجحدون)، (وبنعمة الله هم يكفرون)، (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)، دعوة للتأمل في معاني الجحود، فما هي هذه المعاني؟.

معاني الجحود عند العلماء

للجحود معانى متعددة ذكرت سورة النحل بعضا منها وقد بينها العلماء عند

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٠٨٩.

(٢) سورة النحل آية ٧١.

(٣) سورة النحل آية ٧٢.

(٤) سورة النحل آية ٨٣.

(٥) سورة النحل آية ١١٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تناولهم لها و تكون على النحو الآتي:-

١- من معانيه: الكفر، أي كفر النعمة، قال تعالى:(فكفرت بأنعم الله..).

٢- ومن المعاني أيضا، الكفران[١]، وهو أكثر استعمالا في جحود النعمة، قال تعالى:(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)[٢].

٣- الإنكار هو أحد معاني الجحود لأنه من مرادفاته،[٣] فالجحود هو الإنكار مع العلم، قال تعالى:(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها...)[٤].

٤- الجحود هو نقيض الإقرار، جَحَد، يجْحَد، جَحْدا، وجحده حقه لم يقر به، وفي الحديث،« ...فجحد آدم ... »[٥].

٥- ويأتي الجحود بمعنى النفي، لأنّ الجاحد ينفي وينكر ما هو فيه، فإن كان كاذبا يسمى جاحدا[٦].

٦- كما أن كل معنى معاكس من معاني الشكر يمكن اعتباره معنى من معاني الجحود[٧]، فإذا كان.

الاعتراف بنعمة الله على وجه الخضوع، يعتبر شكر، فإنّ:-

الإنكار لنعمة الله على وجه الاستكبار، يعتبر كفر لها، وهكذا...

ولعل المعنى الراجح للجحود من بين هذه المعاني وغيرهاهو:كفران النعم، وذلك لأنه أكثر استعمالا في كفر النعمة المقابل للشكر.

وأما الكفر فيستعمل أكثر في كفر الدين[٨]، قال تعالى:(من كفر بالله من بعد إيمانه...)[٩]، أما الإنكار فقد يكون للنعمة وقد يكون لغيرها كالدعاوي وأمثالها، وأما النفي فأبعد من أن يستعمل كمعنى من معاني الجحود، ذلك لأنّ

---

(١)بين الفخر الرازي، أن الكفر المقابل للشكر ماهو إلا الكفران، انظر مفاتيح الغيب له ج١٩ ص٦٨.

(٢) سورة إبراهيم آية ٧.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية، ج٧ص ٥٢، مرجع سابق.

(٤) سورة النحل آية ٨٣.

(٥) أخرجه الإمام أحمدفي المسندج١ص٣٧١٢٥١ ،وصحح اسناده الشيخ أحمد شاكرانظررقم٣٥١٩

(٦) انظر الموسوعة الفقهية، ج٧ ٥٢.

(٧) انظر معاني الشكر في المبحث السابق لهذا المبحث ص٣٤٦.

(٨) انظر الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٥ ض٣٦١.

(٩) سورة النحل آية ١٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النفي يقابل الإيجاب، «والفرق بين النفي وبين الجحد: أن النافي إن كان صادقا سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحدا، وإن كان كاذبا سمي جحدا، ونفيا أيضا فكل جحد نفي وليس كل نفي جحدا»[١].

ثم إن إطلاق الكفر على الجحود يقصد به كفر النعمة، إذ الكفر صنفان:-

أحدهما- كفر بأصول الشريعة وأصول الإيمان، وهو كفر مخرج من الملة.

وثانيهما: كفران النعمة، وهو ينافي كمال التوحيد الواجب لرب العالمين، لأن الإنسان ينسب النعمة إلى غير المنعم بهافهوكفر دون كفر،لايخرج عن أصول الإيمان[٢]

وقد حكى الله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام قصته مع ملكة سبأ، وما حصل له من المعجزات في ذلك ومنها:مجيء عرش الملكة إليه في لمحة بصر، قال تعالى:(فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)[٣]، كما حكى تعالى المحاورة التي جرت بين نبيه موسى عليه السلام، وبين عدوه فرعون، والتي جاء فيها على لسان فرعون :(...وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين)[٤]، والمعنى أي تحريت كفران نعمتي، فالمقصود بالكفر والكافرين في الآيتين ، هو كفر النعمة والجحود لها وليس الكفر بالله تعالى،ولهما نظائر في القرآن.

والله تعالى وصف الإنسان بأنه كفورتنبيها «على ما ينطوي عليه من كفران النعمة، وقلة ما يقوم بأداء الشكر»[٥]، قال تعالى:(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور)[٦]، وقال تعالى:(قتل الإنسان ما أكفره)[٧]، فكثير من الناس جحود، ظلوم، كفار، والقليل من العباد هو الشكور، قال تعالى:(..وقليل من عبادي الشكور)[٨].

---

(١) الموسوعة الفقهية، ج٥ ص٥٢.

(٢) انظر، عبد الرحمن بن حمد الجطيلي، إفادة المستفيد شرح كتاب التوحيد ص٧١- ٧٢، دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض، ١٤٠٣هـ.

(٣) سورة النمل آية ٤٠.

(٤) سورة الشعراء آية ١٩.

(٥) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز، ج٥ ص ٣٦٣.

(٦) سورة الحج آية ٦٦.

(٧) سورة عبس آية ١٧.

(٨) سورة سبأ آية ١٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الإنسان يمر بلحظة الغفلة مرة، ويمر بفترة جهل أخرى، إضافة إلى الجحود والعناد الذي يتصف به رغم علمه بالنعمة وبالمنعم بها، وهذا ما بينه الله تعالى في قوله: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)[١].

وهذا من كفران النعمة، لأن الإنكار أمر مستبعد بعد حصول العلم والمعرفة، ولأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

والمراد بالنعمة التي أنكروها بعد ما عرفوها هي جميع ما تقدم في السورة من النعم التي عرضها الله تعالى عليهم على شكل أفواج تتبعها أفواج أخرى إلى أن قال بعد عرضها بتتابع (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها..) وكما امتن عليهم قبلها بقوله(...كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[٢]، والإنكار لها يتمثل في عدم استعمالها في طلب رضوان الله تعالى.

دركات الجحود

ولما كان الشكر درجات يرتقي فيها الشاكر من درجة إلى أخرى إلى أن ينتهي إلى التجرد، كان كذلك المقابل له دركات وهو الجحود، فهو يزيد صاحبه انحطاطا بمقدار زيادة الجحود والمعاندة، فبعض الجحود أخطر من بعض[٣]، وأدناه وأخطره وأرذله أن يجحد وجود الله، ويجحد تنزل شرعه وإرسال رسله، قال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا...)[٤].

ذلك أن الله لما دعا الجاحد إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمته بعد أن أحبها له، وهي نعمة الهداية، إذا أجابه إلى ما دعاه إليه، فلما أبى ذلك كان جاحدا نعمة الله منكرا لها ومعرضا عنها، فإنكار أن للكون خالقا أنعم على الإنسان بنعمة الإيجاد ثم الإعداد والإمداد، من رزق وصحة وأمن يعتبر كفرا بالله وكفرانا بنعمته[٥]، والذين يتمتعون بنعم الله ويستعينون بها على اقتراف الآثام لهم نصيب من الكفران، ذلك لأن «الاتخاذ من نعم الله سبيلا للإنغماس في الخطايا ومعصية الله نوع من كفران النعمة التي أنعمها على الإنسان، والذي يتصرف في نعم الله

---

(١) سورة النحل آية٨٣.

(٢) سورة النحل آية ٨١.

(٣) انظ، د. عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها ص٧٢٥.

(٤) سورة النمل آية ١٤.

(٥) انظر مجلة الاستجابة، ص٤٣، العدد السادس،جمادي الأولى عام ١٤٠٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالإسراف على النفس وعلى الملذات الشخصية، ويحرم جاره، والفقراء والمساكين منها يعتبر عمله هذا من كفران النعمة»[١].

كما أن تبذير النعمة في غير وجهها، وإسرافها عن مقدار الحاجة يعتبر من كفران النعمة، وسبب في تحولها وزوالها[٢].

وإذاكان أدنى دركات الجحود تتمثل في إنكار المنعم ونعمه والتي توصل الجاحد إلى جحيم تلظى إن لم ينته عن ذلك ويرجع تائبا، ويؤمن بالواحد القهار، فإنه قل أن يسلم الناس من أعلى دركات جحود النعم، ومنه ما يجري على ألسنة كثيرين منهم من مثل إضافة بعض الأمور إلى مقدرتهم، أو حذقهم، أو إضافة المهارة إلى البحارة والطيارين، أو نسبة السلامة من المخاطر إلى «هدوء الجو وسكون الأمواج، وحسن قيادة الملاحين، وما شاكل ذلك[٣] مما يجدر أن يشكر الله على توفيقه، وتيسير الأمور، بأنواع الأرزاق، والوصول إلى الأماكن، ولو شاء الله لما وصلوا إليها ولما تيسرت لهم النعم..»[٤].

فينبغي أن يحذر العاقل من إضافة شفاء المرضى إلى مهارة الطبيب، أو إضافة سلامة الوصول إلى قائد الطائرة، أو قائد السفينة، وذلك لتسلم له عقيدته، وكمال إيمانه، وتأدبا مع خالقه ورازقه،فإن هذه الأمور تعدّ من الكفر دون الكفر، وإن جرت على ألسنة كثير من الناس، إذ الحق لا يعرف بكثرة قائليه وإنما يعرف بحسن متبعيه،ولذلك يجب أن يستشعر الإنسان في وجدانه أن الأسباب والمسببات من نعم الله تعالى التي يشكر الله عليها، ولذا فإن معرفة الأسباب ونتائجها لا تتعارض مع الإيمان بل هو من معرفة نعم الله عليه

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وجنبنا الوقوع في مزالق جحود نعمه.

آثار الجحود

لا شك أن لجحود النعم آثارا تعود على الجاحد ومن معه وذلك لأن العقوبة إذا نزلت عمت ولم تخص أحدا بعينه.

---

(١) انظر المرجع السابق، بقلم عبد الكريم يوسف ص٤٣.

(٢) انظر، مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، ص ٨، عدد٢٣، عام ١٤٠٨هـ، مقال كتبه الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله

(٣) مما أنعم الله تعالى به على الإنسان.

(٤) عبد الرحمن الجطيلي، افادة المستفيد شرح كتاب التوحيد، ص ٧١-٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الآثار التي تترتب على الجحودما يأتي:ـ

١ـ محق النعمة وزوالها.

٢ـ محق بركتها مع وجودها.

٣ـ سحق آثارها في الشعور.

٤ـ تحولها إلى نقمة مع وجودها وشقاء صاحبها بها.

٥ـ نزول العذاب العاجل على الجاحد.

٦ـ استدراجه وإمهاله وتأخير العذاب له في الآخرة، وهو نوع من العقاب[١]

ذلك أن جحود النعمة لا يمضي دون جزاء فعلى الجاحدين أن يرجعوا إلى الله من قريب لأنه تعالى يمهل ولا يهمل.

من النماذج المعاصرة والمشاهدة في واقع اليوم، التعامل بالربا، وهو نوع من كفران النعم، فيمكن أن تتمثل هذه العقوبات كلها أو بعضها في عقوبة المرابين، لأنه تعالى يقول:(يمحق الله الربا ويربي الصدقات...)[٢]، فقد يكون هذا المحق ماديا فتزول كل أموال المرابين أو بعضها، أو يكون محقا معنويا وذلك بزوال بركتها، ويكون المحق كذلك بأن يعيش المرء في قلق دائم وحرص شديد عليها، للخوف من نقصانها أو ذهابها، فهو يحرسها ولا ينتفع بها، كما أن الاستدراج يمكن أن يكون بانفتاح أبواب المعاصي والمحرمات، قال تعالى:(..حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون)[٣].

---

(١) انظر مروان القيسي معالم التوحيد ص ٩٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٦.

(٣) سورة الأنعام آية ٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني
نماذج الجاحدين والشاكرين

المبحث الأول: نموذج الجاحدين وعاقبتهم.
المبحث الثاني: نموذج الشاكرين وعاقبتهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نماذج الجاحدين والشاكرين

المقصود بالنماذج هنا هي الأمثال التي يضربها الله للناس في القرآن لعلهم يعقلون عنه آياته ويفهمون أمره ونهيه، ويتفكرون في أنفسهم وفيما حولهم مما هو في محيطهم وبيئتهم.

فمن المعلوم أن المثل في القرآن يطلق ويراد به ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع، أو عمل من الأعمال، أو سنة من سنن الله نظرا إلى التشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد.

ويضرب المثل أو النموذج لأهداف تربوية وآثار نفسية عميقة يتركها لدى السامع، فأهدافه عامة وخاصة، ومن الأهداف العامة ما يتمثل في تعرية الباطل وتزييفه، وفضح مواقفه، ومنها توضيح الحق وتثبيته وبيان مواقفه، ومنها التحذير من عاقبة كفر النعمة، وبطر المعيشة وسيطرة الشهوات والركون إلى الأرض، وبيان عاقبة ذلك وأثرها في الدنيا قبل الأخرى، كضرب الأمثال التأريخية[1] بحال الأمم السابقة ومآلها.

ومن آثاره التربوية تلوين الأسلوب وتنويعه وحفظ الفكرة ونقلها بين الناس، إضافة إلى التأثير على وجدان السامع لإقناعه وتوسيع آفاقه الفكرية والنفسية، والتعامل مع أحاسيس نفسه ومشاعرها لإيقاظه من غفلة الركون إلى الدنيا، وهذه الأمور تترك أثرا نفسيا عميقا في نفس السامع فإن كان بعيدا عن الحق اقترب منه، وإن كان غافلا معرضا عنه تنبه واتعظ، وإن كان جاحدا مكابرا قمع وانزجر.

ويستفاد من ضرب النماذج أمور منها: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فامتن الله بها على عباده لما تضمنته من الفوائد قال تعالى: (وضربنا لكم الأمثال)[2]، فالأمثال والنماذج مما يثبت في الأذهان.

فالقرآن الكريم عد النماذج والأمثال لونا من ألوان المنهج التربوي وسار على

---

(١) لأن فيها تشبيه واقع قائم بوقائع تاريخية وقصص واقعية وما آلت إليه لتشابه الممثل معها في الأوضاع والمواقف والسلوك، ففيها تمثيل حالة قائمة بصورة تاريخية معروفة لبيان سنة الله في عباده. (انظر عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره،ص٢٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك في تربية الناس وتوجيههم، وقد تنوعت الأمثال فيه إلى ثلاثة أنواع، ولما كانت الأمثال من النعم، وسورة النحل ركزت على النعم، فكان نصيبها وافرا لكل نوع من أنواع الأمثال: المصرحة، والكامنة، والمرسلة، فالأمثال المصرحة هي: ماصرح فيها بلفظ المثل ولأهميتها ضرب الله بها الأمثال في القرآن في ثلاثة وأربعين موضعا من سوره، وكان نصيب سورة النحل ثلاثة مواضع.[١]

أما الأمثال الكامنة التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل لكنها تدل على معان رائعة بإيجاز وردت في السورة في عدة مواقع[٢] كقوله تعالى: (أينما يوجهه لا يأت بخير)[٣]. ويمكن أن يمثّل للأمثال المرسلة مما جاء في السورة بقوله تعالى:(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا...)[٤]

والأمثال لا يفهمها ولا يعقل أمرها إلا العالمون بالله المتدبرون لآياته المتلوة والمتأملون في آياته المشاهدة، قال تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)[٥].وقال تعالى: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون)[٦].

وليعلم أن من أغراض ضرب الأمثال وذكر نماذجه في القرآن الترغيب والترهيب، فالترغيب يكون بتزيين الممثل له وإبراز جوانب حسنه عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس مرغوب لديها كما سيظهر ذلك جليا في نموذج الشاكرين، أما الترهيب فيكون بإبراز جوانب قبحه عن طريق تمثيله بما يجعله مكروها.

---

(١) كان ضرب المثل الأول للفرق الشاسع بين المؤمن والكافر والمثل الثاني للفرق بين الإله الحق والآلهة الباطلة، انظر الآيات ٧٥ ، ٧٦، وضرب المثل الثالث للجاحدين وسوء مصيرهم، انظر، الآية ١١٢، أما نموذج الشاكر فقد ضربه الله في نهايتها بنبي الله إبراهيم عليه السلام وهو الوحيد الذي ذكر في السورة لضرب المثل به لأنه كان قمة في الشكر

(٢) انظر الحسين بن الفضل، الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، ص٣٣ ، ٣٨ ، ٤٨، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة التوبة، الرياض ط٢.

(٣) سورة النحل آية ٧٦.

(٤) سورة النحل آية ٩٢.

(٥) سورة العنكبوت، آية ٢٣.

(٦) سورة الزمر، آية٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى النفس حتى تنفر عنه وسيتضح ذلك في نموذج الجاحدين[1].

وقد قصد الباحث من عقد هذا الفصل بيان قبح الجاحدين وذم أفعالهم وسوء مصيرهم للبعد عن الجحود وأفعال الجاحدين.

كما قصد من ذكر نموذج الشاكرين الترغيب في أعمالهم والسير على منوالهم والتأسي بهم.

فالأول وجهه كالح، والشاكر وجهه صالح، ومن صلحت حالحه في الدنيا سلم مآله وحسن مصيره في الآخرة.

---

(١) لخص هذا البحث من المراجع الآتية: عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره، ص٢٦، ٣٦، ٣٨، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٧٣. دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، ط١، ١٤١١هـ، وانظر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٣١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ط٤، ١٩٧٨م. وانظر عبد الوهاب العثمان، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، ص٨، ١١ الدار السلفية، دون طبعة ولا تاريخ، وانظر ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص٥٧، تحقيق سعيد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص٢٤، ١١٢، دار القلم دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

نموذج الجاحدين وعاقبتهم

فالجاحد هو الذي ينكر النعمة أو يسترها سواء كان إنكاره لها بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، أو كان يجحد فضل الله عليه، أو الوقوع في معاصي الله مع التمتع بنعمه، أو الخوض فيها، أو تبذيرها في غير وجوهها المشروعة، أو بأي نوع من أنواع الجحود والكفران.

والإنسان عاجز عن تعداد نعم الله لخروجها عن دائرة الحصر ، ورغم ذلك فهو جحود كنود، لا يشكر المعطي على ما أعطى ولا يقوم بحق الفقير من ماله، ذلك لأنه «جبل على الضعف ، والعجز، وقلة الصبر، كما جبل على الغرور والبطر، والنسيان، والتمرد، والعتو، فإذا نزل به البلاء حمله ضعفه على كثرة الدعاء، والتضرع وإظهار الخضوع والانقياد ، وإذا زال عنه البلاء، وحصل على الراحة والرفاهية والدعة استولى عليه النسيان، وغفل عن إحسان الله إليه، ووقع في البغي والعدوان والجحود والنكران »[(١)].

وذلك إلا من رحمه الله بعقيدة صادقة وعمل صالح

وقد ضرب الله للإنسان الأمثال التي تبين له نهاية الكفر ومصير المكذبين وخطورة كفران النعمة وأن عاقبته وخيمة حتى يبتعد بنفسه عن الجحود المؤدي إلى غضب الله وأليم عقابه، وحتى يكون العبد حسن الظن بربه دائما وأبدا إن أعطاه شكر وإن ابتلاه بالمنع صبر وحمد، فيكون أمره كله خير في حال السراء والضراء.

يقول الله تعالى - في ذكر نموذج الجاحدين وبيان عاقبتهم - :(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)[(٢)].

في قراءة هاتين الآيتين والوقوف عندهما بنوع من التدبر والنظر والاعتبار يجد المتأمل الترابط القوي بين فاتحة السورة وخاتمتها، وما جرى بينهما من حديث مستفيض عن النعم والآلاء ، بكل أصنافها وأنواعها وكأن هذا المثل يؤكد كل ما مضى من فاتحة السورة، وما تناولته في مقاطعها من موضوعات، جاء ليثبت كل

---

(١) مجلة الإسلام، مصر، عدد٣٩، ص٣٠، مقال بعنوان، الجحود، الكاتب السيد حسن سعيد.

(٢) سورة النحل، آية١١٢ ، ١١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما مضى في الأذهان إذ كان افتتاح السورة بالوعيد، بأن العذاب سيأتيهم عن قريب، بسبب شركهم وتمردهم على رسوله، قال تعالى: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون)[١]، ثم تبع ذلك ذكر النعم مفصلة تفصيلا عجيبا ، على شكل أفواج متتابعة، أصول النعم ثم فروعها ومتمماتها، مع ترتيب الأصول نفسها ،ببيان خلق الكون أولا، ثم إيجادالإنسان ثانيا ثم إمداده بمتطلبات الحياة ثالثا، من إعداد، وهداية وتهيئة المطعومات، والملبوسات المدفئة، والمشروبات المتنوعة وغير ذلك من أصول النعم وكذا تم ترتيب فروع النعم أيضا، ثم ختمت بقوله تعالى: (...كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)[٢]، هذا التفصيل بهذا الشكل لا يدع مجالا للإنسان إلا أن يشكر الله المنعم المتفضل، ويتوجه إليه في سره وجهره، ويعبده حق عبادته.

وهذا المثل كان مضروبا بـ«قرية من قرى الأولين تنام على دعة، وتستيقظ على أمن، وتعيش في رغد ورفاهية، ونعمة ونعيم، جاءها منذر من أهلها، وهاد من أنفسهم، وموجه من جلدتهم، دعاهم إلى شكر المنعم بعبادته وتوحيده، فأعرضوا عن الدعوة وكفروا بالرسول المرسل وبالمنعم المرسِل، ومن يسير في طريق الكفر فلن يصل في النهاية إلا إلى الهاوية، ولن يسلمه الطريق إلا إلى سوء المصير»[٣].

وقد اتجه المفسرون في تفسير هذه الآية اتجاهين، منهم من يرى أن هذه القرية غير معينة، وإنما هي مثل لكل قوم قابلوا نعم الله بالجحود والكفران، ومنهم من يرى أن المقصود بهذه القرية هي أم القرى، وأصحاب كل قول لهم أدلتهم ولكل قول وجاهته. فمن رأى أنها غير معينة قال: «جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته»[٤]

فالله تعالى ضرب المثل «لكل قرية آمنة مطمئنة قد أنعم الله عليها بنعمة الأمن فأهلها يعيشون عيشة السعداء لما يتمتعون به مما وهبهم الله من نعمة عظيمة، وهي نعمة الأمن، فهم مطمئنون في ديارهم، على أموالهم وأهليهم

---

(١) سورة النحل، آية١.

(٢) سورة النحل،آية٨١.

(٣) محمود بن الشريف، الأمثال في القرآن، ص١١٤، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ط٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٣٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنفسهم، والناس من حولهم يتخطفون، ثم إنهم يأتيهم رزقهم من كل مكان فهم يعيشون بأنواع الثمار، وما تخرجه الأرض من نعم الطعام ولكن أهل هذه القرية بطروا وكفروا بما أوتوا، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه، وتولوا عن الحق الذي جاء به وكفروا، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف، فضاقت عليهم الأرزاق وانعدمت أنواعها، فأصابهم الجوع الذي يمزق الأمعاء، ويتلف الأبدان، ويضيع العقول، وأبدلهم بالأمن خوفا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم فأصبحوا هدفا لكل طامع وأصبح الخوف ملازما قلوبهم، فانعكست حياة السعادة إلى شقاوة، واسودت الأيام في وجوههم، وانطفأ مصباح الأمل في قلوبهم، وتحجرت الأفكار في عقولهم فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا»[(١)].

أما من رأي أنها قرية معينة وأنها أم القرى فقد قال: «هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة، يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها كان آمنا... فجحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[(٢)].

فعلى هذا الرأي يكون المراد بالقرية هي مكة «وقد كان من نعم الله على أهلها أن سهل لهم جميع وسائل الراحة والرفاهية فلا يشتكون جوعا لأن الله أكرمهم برحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام والحبشة وفارس، وكان هو الذي حببهم إليها، وحبب العرب إليهم فلا يغزونهم ولا يهيجون عليهم شيئا ولا يعترضون قوافلهم ، بل كانوا يعظمونهم ويبجلونهم لحرمة البيت، ولقد كانت حادثة الفيل من أكبرالعوامل التي جعلت لقريش في قلوب العرب مكانة عالية وقدرا عظيما لا يستطيع أحد أن يحدّث نفسه بسوء ينال به أحدا منهم وقد رأى ما صنع الله بمن أراد به وبأهله سوءا ، أفليس هذا من أكبر الدواعي التي توجب عليهم شكر صاحب النعمة ويوجب تفرده بالألوهية والتشريع، إنهم إن لم يستجيبوا لرسوله ويذعنوا لما أتاهم من تكاليف من عند ربهم فإن النعيم الذي كانوا يتقلبون فيه سيزول وستكون عاقبة أمرهم خسرا لذلك ضرب الله هذا المثل ليكون مأخذ عبرة وموضع اعتبار»[(٣)].

---

(١) عبد الوهاب العثمان، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، ص٨١.

(٢) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص٥٨٩ .

(٣) د. الشريف بن منصور، الأمثال في القرآنص٣١٤، عالم المعرفة للنشرجدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن قال إن القرية غير معينة[١] قوى اتجاهه بقوله: إن لفظ القرية منكَّر فهو أعم من أن يكون قرية معينة، ولشموله يدخل فيه أم القرى وغيرها، لأنه يتناول كل قرية بدلت نعمة الله كفرا، ويدخل في ذلك كفار مكة دخولا أوليا[٢].

إن أصحاب هذا القول يرون أن القرية من القرى التي حكاها الله في كتابه من مثل قوله تعالى: (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قرنا آخرين)[٣]، وقوله: (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا)[٤] «فأي قرية من تلك القرى صالحة لأن تكون المثل المضروب لأهل مكة يرون في مخلفاتها العبرة والعظة إن كانوا يعتبرون ويتعظون»[٥]. فهذه القرية الموصوفة بهذه الصفات جعلها الله مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم بهذه النعم فلم يشكروه فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

أما من قال أن المقصود بالقرية هي مكة[٦] فأدلتهم ما يأتي:

قال ابن عباس: إنها مكة[٧]. «كانت آمنة مطمئنة يجبى لها ثمرات كل شيء فكذب أهلها - وهم مشركوا قريش ومن تبعهم - رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا بأنعم الله عليهم فدعا الرسول ﷺ عليهم بسبع من السنين شديدة كسبع يوسف، فذاقوا جوعا شديدا، وقويت شوكة المسلمين في المدينة فكانوا منهم في قلق دائم، وخوف ..»[٨].

قال عبد الله: «إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنين يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من

---

(١) وممن ذهب إلى هذا القول الزمخشري، ثم تبعه عبد الكريم الخطيب، ومحمد الطنطاوي،

(٢) انظر سيد محمد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٨، ص١٤٦، دار المعارف، بدون طبعة ولا تاريخ.

(٣) سورة الأنبياء، آية١١.

(٤) سورة الكهف، آية٥٩.

(٥) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج٣، ص٣٨٤.

(٦) قال به ابن عباس،وذهب إليه مجاهدوقتادةوالزهري ورجحه ابن كثيرفي تفسيره٢/٥٨٩

(٧) انظر ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج٨ ص١٨٥- ١٨٦ وانظر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٤، ص١٣٣، الناشر محمد أمين، بيروت.

(٨) عبد الرحمن حسن الميداني، أمثال القرآن، وصور من أدبه الرفيع، ص٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجهد، فأنزل الله عز وجل: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم)[١]، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله استسق لمضر فإنها قد هلكت، قال لمضر؟ إنك لجرئ فاستسقى فسقوا فنزلت (إنكم عائدون)[٢]، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون)[٣]، قال يعني يوم بدر»[٤].

ولعل سياق الأية يؤيد أن المقصود بذلك كفارقريش في عهد الرسول عليه السلام وحتى الذين قالوا إن القرية غير معينة ذهبوا في آخر كلامهم إلى أن هذا المثل ينطبق تمام الانطباق على كفار مكة[٥]، «فإن حال أهل مكة - سواء ضرب المثل لهم خاصة أو لهم ولمن سار سيرتهم كافة - أشبه بحال أهل تلك القرية من الغراب بالغراب، فقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم، ولا يمر ينالهم طيف من الخوف ، وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء، ولقد جاءهم رسول منهم...تحار في إدراك سمو مرتبته العقول...فأنذرهم وحذرهم فكفروا بأنعم الله، وكذبوه صلى الله عليه وسلم، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سني كسني يوسف»[٦] ما أصابهم من جدب شديد وأزمة ما عليها مزيد فاضطروا إلى أكل الجيف...وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب»[٧]

وإذا كانت السورة بدأت بأصول النعم فكذلك اشتمل هذا النموذج المضروب

---

(١) سورة الدخان، آية ١٠-١١.

(٢) سورة الدخان، آية١٥.

(٣) سورة الدخان، آية ١٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة الدخان،باب يغشى الناس هذا عذاب أليم ج٦ص٣٩-٤٠

(٥) انظر محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن، ج٨، ص٢٤٨.

(٦) أخرجه البخاري، في كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، ج٢، ص١٩٥.

(٧) شهاب الدين السيد محمد الألوسي، روح المعاني في تفسيرالقرآن والسبع المثاني، ج١٤، ص٢٤٤، وانظر أيضا سيد قطب في ظلال القرآن، ج١٤، ص٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

به المثل على أصول النعم وأمهاتها، فلا أحد يستطيع أن يستغني عن الأمن والإطمئنان ورغد العيش، وهذا ماشملته الآية.

قال رسول الله ﷺ:«من أصبح منكم آمنا في سربه،معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[١]، المقصود أن الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان من النعم الغرار التي لم يتنبه لها عباد الرحمن.

ثم بين الله تعالى وضع حال أهل هذه القرية وتعاملهم مع أنعمه الجليلة فقد كان موقفهم الجحود لها وعدم معاملتها بالشكر، بل قابلوها بالإشراك به تعالى الذي كان نتيجته وقوع العقاب عليهم جزاء وفاقا (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[٢].

وفي هذه الجملة من الآية تصوير بديع لما أصابهم من جوع شديد وخوف رهيب، حتى صار ما هم فيه من هزال وسوء حال كاللباس الذي يلبسه الإنسان، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقا يحسون أثره إحساسا عميقا، فاستمر معهم الجوع واتصل بهم الخوف حتى كأن اشتمالهما كاشتمال الثوب على الجسد واحتوائه؛ ولأن آثار الجوع والخوف تظهر على أبدانهم وتحيط بها كاللباس، وللإحساس الشديد به في وجدانهم وشعورهم أوقع عليه التعبير بالإذاقة[٣] «..ويُجَسِّم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباسا، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقا، لأن الذوق أعمق أثرا في الحس من مساس اللباس للجلد»[٤].

فائدة المثل

فعلى العاقل اللبيب أن ينظر فيما إذا فسد أهل البلاد في البلاد ماذا ينتظرهم من بلاء، ويتفكر أيضا فيما إذا كثر الفساد ماذا يحل في نفسه ومجتمعه من غضب الجبار، فقد ضرب الله المثل لأصحاب العقول المدركة، حتي

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، ج٤، ص٥، رقم٢٤٤٩، وابن ماجة في كتاب الزهد باب القناعة، ج٢، ص١٣٨٧، رقم٤١٤١،وحسنه الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٣٩٩.

ومعنى سربه أي نفسه، ومعنى حيزت أي جمعت، انظر النهاية لابن الأثير مادة سرب.

(٢) سورة النحل آية ١١٢.

(٣) انظر الشنقيطي، أضواء البيان، ج٣، ص٣٧٨، وانظر عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ج٣، ص٣٨٥.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢١٩٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يحموا ديارهم فيحمدون الله ويستزيدون من شكره، ويوجهون غيرهم إلى ذلك، ويقفوا في طريق المفسدين الذي يبغون الفساد في الأرض ولا يصلحون[١].

إن هذا النموذج المضروب كمثل للسابقين ومن حذا حذوهم من اللاحقين يحمل في طياته أنّ رفض قبول شرع الله، وتكذيب رسله والجحود لآلائه، سبب في نزول العذاب، وإحلال الخوف والجوع مكان الأمن والطمأنينة ورغد العيش «فليعتبر أولوا الأبصار وينظروا في الأسباب التي بدلت ذلك النعيم إلى جحيم، فيأخذوا فيما يوجب بقاءها ويحفظها، من الزوال والفناء، وذلك بشكر المنعم الذي يتمثل في طاعة أوامره والاتعاظ بزواجره فإن تحقق ذلك نالوا مغفرة الله ورضوانه وحصلوا على بغيتهم وفوزهم»[٢]، فالمقصود من هذا المثل - والله أعلم الإنذار الذي يشير «إلى سوء المنقلب، وتعاسة المرجع والعاقبة لا لقرية بعينها ولا لفرد بذاته، بل لجميع الأفراد والجماعات، والدول والمجتمعات إن كفرت وتولت، وأعرضت وعارضت، وحاربت داعي الله، ذهبت ريحها، ونكصت على عقبها وحلت بها النقمة محل النعمة»[٣].

جعلنا الله هداة مهتدين، ونسأله سبحانه أن يجنبنا الجحود والكفران لآلائه، ويوفقنا إلى شكر نعمه، فالنعم صيد والشكر قيدها، فهي تحتاج إلى الشكر لبقائها ونمائها، والشكر يحتاج إلى شكر لأن الله تعالى هو الهادي إليه.

---

(١) انظر عبد الوهاب العثمان، وتلك الأمثال، ص٨١.

(٢) الشريف بن منصور العبدلي، الأمثال في القرآن الكريم، ص٣٢٠.

(٣) محمود بن الشريف، الأمثال في القرآن، ص١١٤، ١١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
نموذج الشاكرين وعاقبتهم

إن الشكر يدل على الكرم والسخاء، والزيادة والنمو، والشاكر شخص كريم سخي، متصور لنعم المنعم مظهر لها، مقابلها بما هي له أهل.

والشكور من عباد الله هو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأداء ما افترض عليه طاعة له وحبا وإخلاصا[١].

فالشاكرون «أطيب الناس نفوسا وأشرحهم صدورا ، وأقرهم عيونا، فإن قلوبهم ملآنة من حمده والاعتراف بنعمه والاغتباط بكرمه والابتهاج بإحسانه، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره، وذلك أساس الحياة الطيبة ونعيم الأرواح، وحصول جميع اللذائذ والأفراح، وقلوبهم في كل وقت متطلعة للمزيد وطمعهم ورجاؤهم في كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد، لو علم العباد ماذا أعد للشاكرين من الخيرات لاستبقوا إلى هذه الفضيلة العليا، ولو شاهدوا أحوالهم في السرور والابتهاج لعلموا أنهم في جنة الدنيا»[٢].

فالشاكرون ارتفعت درجتهم وعلت منزلتهم عند الله تعالى، فلم يكتفوا بالصبر، ولا بالرضا على أقدار الله المؤلمة، ولكنهم زادوا فشكروا الله على الضراء كما شكروه على السراء، وحمدوه على المصائب والمضار كما حمدوه على المحاب والمسار، فكانوا بذلك أصفياء أخيارا، وهم الأقلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا[٣]، قال تعالى: (وقليل من عبادي الشكور)[٤]، وقد جاء عن النبي عليه السلام ما فيه بشارة وخير عظيم للشاكرين قال ﷺ:«إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٥].

والشاكر خاضع للمشكور الحق، مقدِّم حبه على حب كل أحد، معترف بنعمه

---

(١) انظر د. أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج١، ص١١٢، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المجموعة الكاملة، ثقافة إسلامية، ج١، ٤٢٧، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١١هـ.

(٣) انظر المرجع السابق، ج١، ص٤٢٨.

(٤) سورة سبأ آية ١٣.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، ج٤، ص٢٠٩٥، رقم٢٧٣٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مكثر الثناء بها عليه، والله تعالى أثنى عليهم، وجعلهم من خواص خلقه ووعدهم بأحسن جزائه، وهم المنتفعون بآيات الله لتدبرهم العميق لآلاء الله ونظرتهم الفاحصة قال تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)[١]، وهم في مأمن من العقاب والعذاب، وفي مزيد من الفضل والإحسان.

وقد أخبر كتاب الله أن الشكر صفة الأنبياء، فهو من أخلاق النبوة، ولكن لما كان التحلي بخلق الشكر الحقيقي الكامل أمر صعب المرتقى وكثير من الخلق لا يكلف نفسه عناء الاستمساك بهذا الخلق القرآني الرفيع[٢]؛ لهذا ضرب الله مثلين في القرآن كنموذج للشاكرين هما: نوح وإبراهيم عليهما السلام، قال تعالى: (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا)[٣]، وقال تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)[٤].

ولما كان المثل المضروب به كنموذج للشاكرين في سورة النحل هو نبي الله إبراهيم عليه السلام فسيدور الحديث حوله، وعن السبب الذي خص به في ذلك دون غيره؟ ولماذا لم يذكر اسم نبي غيره في السورة؟

الحقيقة إن القرآن الكريم «يرسم إبراهيم عليه السلام نموذجا للهداية والطاعة والشكر والإنابة لله، ويقول عنه هنا[٥] إنه كان أمة، واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة، ويحتمل أنه كان إماما يقتدى به في الخير، وورد في التفسير المأثور[٦] هذا المعنى وذاك، وهما قريبان، فالإمام الذي يهدي إلى الخير هو قائد أمة، وله أجره وأجر من عمل بهدايته، فكأنه أمة من الناس، في خيره وثوابه لا فرد واحد»[٧].

---

(١) سورة إبراهيم، آية٥.

(٢) انظر أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج١، ص١١٦، ١١٧.

(٣) سورة الإسراء، آية٣.

(٤) سورة النحل، الآيات ١٢٠-١٢٣.

(٥) يعني في آخرسورة النحل في قوله(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا)النحل آية ١٢٠.

(٦) انظرابن جريرالطبري،جامع البيانج١ص١٩١-١١٧،وانظرابن كثيرتفسير القرآنج٢ص٥٩٠

(٧) سيد قطب ، ،في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ففي الآيات السابقة يمدح الله خليله ورسوله إمام الموحدين، ووالد الأنبياء يبرئه من الشرك، ومن اليهودية والنصرانية، فقد كان عليه السلام قدوة جامعا لكل صفاة الخير والخلق الكريم وكان موحدا لله ممتثلا أوامره مائلا عن الباطل، متبعا الحق، داعيا لله بكل الأساليب والطرق متحملا في سبيل ذلك الصعاب والمتاعب، مقيما الحجج والبراهين الدامغة الساطعة المقنعة، ولم يك من المشركين في أي أمر من أموره، ولا معهم بل كان متبرئا منهم ومن معبوداتهم، ومع كل ذلك كان شاكرا لله على نعمه التي أنعم بها عليه، وقد اصطفاه الله للنبوة ، وهداه إلى دين الإسلام، دين الحق والهداية وهو الصراط المستقيم، ووفقه إلى دعوة الخلق إلى ذلك الدين، وحببه الله إلى جميع أهل الأرض، فأصحاب الديانات جميعا يذكرونه بالخير، ويفتخرون بالانتساب إليه، والله استجاب له دعوته عندما دعا بقوله: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)[١]، هذا في الدنيا أما في الآخرة فهو ممن صلح أمره وعظم شأنه، فقد جعله الله من زمرة الصالحين، في الدرجات العليا في جنات النعيم[٢] استجابة لدعوته بقوله: (واجعلني من ورثة جنة النعيم)[٣]

ومن خصائصه حب أهل الأديان كلهم له، يهود ونصارى، ومسلمون، فقد كانوا وما زالوا يفتخرون به، مقرين بحسن طريقته، ووجوب الاقتداء به، ولهذا ولغيره ذكره الله في آخر سورة النحل نموذجا لكل عبد شاكر، وأوضح منهاجه وما كان عليه من توحيد الله،ورفض الأصنام ليكون ذلك حاملا لهم على الاقتداء به[٤]

فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء والجد الأعلى لرسول الله ﷺ وأشد الناس شبها به خليل الله، وإمام المتقين، رمز الإيمان والأسوة الحسنة للمؤمنين جميعا، وأول من دعا الله أن يبعث فيهم رسولا منهم يهديهم سواء السبيل، قال عليه السلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[٥]،وهوباني الكعبة التي جعل الله مكانها أقدس بقاع الأرض قاطبة، وهوالذي أذن في الناس بالحج قال تعالى:(وأذن في الناس

---

(١) سورة الشعراء، آية٨٤

(٢) انظر محمد عبد المنعم الجمال، التفسير الفريد للقرآن المجيد، ج٣، ص١٧٠١-١٧٠٢،

(٣) سورة الشعراء، آية٨٥.

(٤) انظر أبا حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٥، ص٥٤٧، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، دون تاريخ نشر.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٤، ص١٢٧-١٢٨، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١ص٣٠٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)[١]، وأول من دعا لهذه الأرض الطيبة بالأمن والسكينة والخير والبركة[٢] (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر، قال ومن كفر فأمتعه قليلا...)[٣].

فنبي الله إبراهيم عليه السلام «لم يرتبط بدين من الأديان كما ارتبط بالإسلام (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل..)[٤] ولم يؤمن من أصحاب دين الخليل كما آمن به المسلمون، ولم يتباه جنس بانتسابهم إلى الخيل كما تباهى العرب وقريش خاصة - ولم يتمسك أصحاب دين كما تمسك به المسلمون، - رغم دعاوى اليهود ومزاعم النصارى - بأنهم ورثة الخليل في الإيمان والتوحيد الصحيح»[٥].

ولم يذكر اسم نبي غيره في سورة النحل بل خص هو بالذكر في نهايتها لأنه إمام في الشاكرين

أما لماذا خص إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم بالذكر كنموذج للشاكرين فيتضح من تنوع خصائصه عليه السلام وكثرة فضائله التي تنقسم إلى قسمين[٦] وهما:

أ/ الفضائل الوهبية، وهي التي وهبه الله إياها ابتداء،

ب/ الفضائل الكسبية، وهي التي دخلها جهد واجتهاد في كسبها من إبراهيم عليه السلام، وذلك بعد توفيق الله تعالى إلى ذلك.

أ/ والفضائل الوهبية تتمثل في الآتي:-

---

(١) سورة الحج، آية٢٧.

(٢) انظر محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص١١٥، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ.

(٣) سورة البقرة، آية١٢٦.

(٤) سورة الحج آية ٧٨.

(٥) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ص١١٦.

(٦) راجع في الفضائل الوهبية والكسبية، الأستاذ أحمد البراء الأميري، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، ص١٤١، ١٧٥، دار المنارة، ط١، ١٤٠٦هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١- الخلة: قال تعالى:(...واتخذ الله إبراهيم خليلا)[١].

وهي الصداقة والمحبة التي تخللت قلبه، فقد تشبع قلبه بحب الله وطاعته، فالخلة هي:«الصداقة التي لا خلل فيها، والخليل معناه المحب الذي لا خلل في محبته»[٢].

٢- الإمامة: قال تعالى:(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما..)[٣]،فقد امتن الله عليه بأن جعله إماما لمن بعده يقتدون به ويسيرون على منواله،« وإنما أراد جل ثناءه بقوله لإبراهيم (إني جاعلك للناس إماما)أي:إني مصيرك تؤم ..من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي فتتقدمهم أنت ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل بها بأمري إياك ووحيي إليك..»[٤].

٣- كونه مجتبى: فالله اصطفاه واجتباه فقال تعالى:(شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم)[٥]،«واجتباء الله العبد هو تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء»[٦].

٤- إيتاؤه رشده: قال تعالى:(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)[٧]، لما كان الرشد والرشاد هو الهداية فقد امتن الله على نبيه إبراهيم بهدايته إلى التوحيد منذ صغره لعلم الله له بذلك[٨].

٥- كونه خير البرية: فإبراهيم أفضل الخليقة بعد نبينا محمد عليهما الصلاة والسلام، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:يا خير البرية، فقال عليه السلام«ذاك إبراهيم عليه السلام»[٩]، وإنما قال ذلك

تواضعا وإلا فخير البرية هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وقد

---

(١) سورة النساء آية ١٢٥.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج٧ص٣٠٨،دارمكتبة الحيا ة بيروت

(٣) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٤) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١ ص٥٢٩، طبعة البابي الحلبي.

(٥) سورة النحل آية ١٢١.

(٦) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٨٧،

(٧) سورة الأنبياء آية ٥١.

(٨) انظر سيد قطب في ظلال القرآن، ج٤ ص ٢٣٨٥.

(٩) أخرجه مسلم، في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبرهيم الخليل، ج٤ص١٨٣٩، رقم ٢٣٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال في حديث آخر: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[١].

٦- جعل الله النبوة في ذريته: قال تعالى: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب..)[٢]، فقد رزقه الله تعالى ولدين هما إسماعيل وإسحاق، وجعل الأنبياء بعد إبراهيم من نسلهما، فكان كل أنبياء بني إسرآئيل من نسل إسحاق، حتى جاء آخرهم وهو نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، وبشر بخاتم الأنبياء والمرسلين، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، وهو من سلالة نبي الله إسماعيل[٣]، صلاة الله وسلامه على جميع أنبياء الله ورسله.

٧- اتخاذ مقامه مصلى: قال تعالى: (...واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)[٤]، وهذا من تكريم الله تعالى له ليبقى ذكره في الآخرين.

٨- وإبراهيم هو أول من يكسى يوم المحشر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال: «يأأيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا، (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنّا كنا فاعلين)[٥]، ألاَ وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه-وعلى نبينا أفضل-السلام..»[٦].

٩- كونه وليُّ النبيِّ محمد عليهما الصلاة والسلام، وذلك لما بينهما من المحبة والصداقة والنصرة، وفيه مزية لإبراهيم، فعلى الرغم من البعد الزماني بينهما يتقاربان في منزلتهما عند الله[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء، ج٤ ص٢١٨، رقم ٤٦٧٣، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، ج٢ ص١٤٤٠، وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح سنن ابن ماجة، ج٢ ص٤٣٠، وصحيح سنن أبي داود، ج٣ ص٨٨٤.

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٧.

(٣) انظر ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص٤١١، طبعة دار الفكر.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥.

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الأنبياء، ج٥ ص٢٤٠٠، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب رقم ٥٨، ج٤ ص٢١٩٥ رقم ٢٨٦٠، ومعنى غرلا: غير مختونين، جمع أغرل وهو الذي لم يختتن بعدم قطع جلدته في الختان «انظر النووي شرح صحيح مسلم، ج١٧ ص١٩٣.

(٧) انظر أحمد البراء الأميري، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، ص١٥٢،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠ـ مشابهة نبينا لإبراهيم عليهما السلام: قال ﷺ: «...وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم»[١]. يعني نفسه ـ والتشابه يشمل نواحي متعددة: في الرسالة، وفي الخلق، والخِلّقة، والخُلة، حيث اتخذ الله كليهما خليلا له، كما يتشابهان فيما ضرب به إبراهيم نموذجا للشاكرين، فقد كان عليه السلام أشكر الشاكرين كما سيأتي بيانه.

١١ـ اتصافه باللين: وهي صفة من صفات الكمال، يلين صاحبها ويرحم خلق الله، فيحسن إلى الناس وإن أساءوا إليه، وقد ضرب عليه السلام المثل بإبراهيم في اللين، لمّا حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم خلاف فيما يصنعونه بأسرى بدر، والشاهد منه قوله عليه السلام: «...إنّ الله ليُلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإنّ الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإنّ مثلك يا أبابكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال: (..فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)[٢]... وإنّ مثلك يا عمر كمثل نوح، قال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)[٣]... »الحديث[٤].

١٢ـ كونه أمة: قال تعالى: (إنّ إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)[٥]، والأمّة هي: إمّا جماعة يجمعها أمر ما، كدين، أو زمان، أو مكان، وإما رجل واحد لكنه يجمع ما تفرق في الأمة، من خصال الخير، فكأنه أمة من الناس في خيره وثوابه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ج١ص١٥٧ رقم١٧٢

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٦.

(٣) سورة نوح آية ٢٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١ ص ٣٨٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ص٢١ وصحح إسناده ووافقه الذهبي

(٥) سورة النحل آية ١٢٠.

(٦) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٦، وانظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٢٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب/ الفضائل الكسبية لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

سبق القول بأن المقصود بالفضائل الكسبية هي التى اكتسبها إبراهيم عن طريق العمل والسعي والجد والاجتهاد في الحصول عليها والوصول إليها، ولكن هذا السعي الموفق إليه هو الله تعالى بدءا في الأسباب وانتهاء بالأعمال وتتمثل فضائله وأعماله الكسبية في الأمور الآتية:ـ

١ـ القنوت: قال تعالى:(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا..)[١] وصفه الله تعالى بالقنوت وهو لزوم الطاعة مع الخضوع لله تعالى سرا وعلانية، فالقانت خاشع في العبادة ملازم للطاعة، قائم بأمر الله داع إلى عبادة الله وبعيد عن كل منكر، وساكت عن قول الشر وفعله[٢].

٢ـ الحنيفية: قال تعالى:(إنّ إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)[٣]،والحنيف هو:المستقيم على إسلامه لله المائل عن الشرك إلى التوحيد[٤]

٣ـ الإسلام: قال تعالى:(إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)[٥]، فدين إبراهيم عليه السلام هو الإسلام قال تعالى:(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)[٦].

٤ـ الحلم: وهو «ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب»[٧]، وهو من الصفات التي يحبها الله تعالى وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام كما في حديث الأشج عبد القيس حيث قال الرسول عليه السلام له«إنّ فيك خصلتين يحبهما الله :الحلم والأناة»[٨].

---

(١) سورة النحل آية ١٢٠.

(٢) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٨٥، وانظر، أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن ، ج٢ ص ١٦٣.

(٣) سورة النحل آية ١٢٠.

(٤) انظر القاسمي، محاسن التأويل، ج٢ ص ٢٧٠.

(٥) سورة البقرة آية ١٣١.

(٦) سورة آل عمران آية ٦٧.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٨ ص٢٥٦.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب االأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء اليه والسؤال عنه، وحفظه...، ج١ ص ٤٨، رقم ١٧.، ومعنى الحلم: العقل، وأما الأناة: فهي التثبت وترك العجلة،«انظر صحيح مسلم، ج١ ص٤٨، الهامش،».

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ـ التأوه: وله معاني متعددة ومنها :الخاشع، الدعاء، المتضرع، المتأوه لذكر عذاب الله[١].

٦ـ الإنابة: والنوب هي الرجوع مرة بعد أخرى، والمنيب كثير الرجوع إلى الله بالتوبة واخلاص العمل[٢]، وقد جمع الله تعالى الفضائل الثلاث السابقة في قوله تعالى:(...إنّ إبراهيم لحليم أواه منيب)[٣]

٧ـ الصديقية: قال تعالى:(واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا)[٤] والصدق عكس الكذب، والصديق من كثر صدقه، بل هو من لا يعرف الكذب قط، لتعوده دائما على الصدق قولا، وفعلا، واعتقادا، ظاهرا وباطنا[٥].

٨ـ تميزه بالدعاء: ولا تخفى أهميته على أحد وقد عدّه عليه السلام بأنه العبادة في قوله«الدعاء هو العبادة»[٦]، فهو الصلة القوية والرابطة المتينة بين العبد وربه، وكان إبراهيم مكثرا منه، قال تعالى ـ حكاية عنه ـ :(رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنّة نعيم، واغفر لأبي إنه كان من الضآلين ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[٧].

٩ـ سلامة القلب: قال تعالى:(..إذ جاء ربه بقلب سليم)[٨]، ومعناه أي:«أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم من النقائص والآفات»[٩].

١٠ـ عمارة البيت الحرام: قال تعالى:(وإذ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)[١٠].

---

(١) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج٣ ص٥٠٩ـ ٥١٠.

(٢) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات زلفاظ القرآن، ص٨٢٧.

(٣) سورة هود آية ٧٥.

(٤) سورة مريم آية ٤١.

(٥) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص٤٧٨.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٤ ص ٢٦٧وصححه الألباني في صحيح الجامع ج١ص٦٤١،

(٧) سورة الشعراء الآيات من٨٣ ـ ٨٩.

(٨) سورة الصآفات آية ٨٤.

(٩) انظر القاسمي، محاسن التأويل. ج١٤ ص٥٠٤٥.

(١٠) سورة البقرة آية ١٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ففي اختيار الله تعالى لنبيه إبراهيم دون بقية الأنبياء والرسل لبناء البيت العتيق من الحكم والدلالات ما يعجز الإنسان عن الوصول إلى مراميه، ذاك هو أبو الأنبياء وقد امتاز بصفات وخصائص وفضائل قلّ أن توجد في غيره، ويكفيه شرفا ومنزلة أنّ «ثوابه من الله عليه لا ينقطع مادام البيت قائما يحج الناس إليه ويعتمرون»[١]، وقد أمر الله نبيه محمد عليه السلام، وأتباعه من بعده أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى تحقيقا للاقتداء به وإحياء آثاره[٢].

١١ـ اكرام الضيف: قال تعالى:(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون)[٣]، فمن أفضل صفات الكرم أن يكون الإنسان مضيافا كثير الكرم لضيفه، وهكذا كان إبراهيم عليه السلام حتى كني «بأبي الضيفان»[٤].

١٢ـ الشكر: قال تعالى:(شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم)[٥]، إن الشكر هو تصور النعمة وإظهارها، ويكون بالقلب، واللسان، والجوارح[٦]، وهو أمر يصعب توفيته، ولهذا يجد المتأمل لكتاب الله أن الله تعالى أثنى بالشكر على اثنين من رسله وأنبيائه وهما نبي الله نوح وإبراهيم عليهما السلام[٧]، ومن أوتي الشكر فقد أوتي خيرا كثيرا، بل ما هو خير من الذهب والفضة والمتاع[٨]، فقد سأل الصحابةُ الرسول عليه السلام بقولهم:قد نزل في الذهب والفضة ما نزل فلو أنّا علمنا أي المال خير اتخذناه، فقال:«أفضله لسانا ذاكرا، وقلبا شاكرا،

---

(١) أحمد البراء الأميري، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، ص١٧٠.

(٢) انظر ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ص١٨٦، ادارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٧هـ.

(٣) سورة الذاريات الآيات من ٢٤ـ٢٧.

(٤) انظر محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص ٤٧، دار صادر بيروت، دون ط، ولاتاريخ.

(٥) سورة النحل آية ١٢١.

(٦) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٤١٦.

(٧) الثناء على نوح جاء في سورة الإسراءفي قوله(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا)آية ٣. والثناء على إبراهيم في قوله:(شاكرا لأنعمه...)النحل آية١٢١.

(٨) انظر أحمد البرآء الأميري، إبراهيم عليه السلام، ودعوته في القرآن،ص١٦٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[١]،وقد كان نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام«شاكرا لله بقلبه ولسانه وجوارحه، خاضعا لمن أولاه نعمه، محبا له،معترفا بفضله،مثنياعليه بماأنعم مستعملانعمه فيمايرضى مولاه المنعم»[٢] فأبراهيم كان النموذج الأمثل الذي ضرب الله به المثل للشكر والشاكرين، بل كان هو مضرب المثل في كثير من صفات الخير والبر والصلاح، مثل: صدق الحديث والبر والإحسان، والقنوت، والإخبات، والوفاء، والصبر، والرضى، وغير ذلك،

لكن لما كان الشكر هو أعلى هذه المراتب، جاء حديث سورة النحل عنه والتي تميزت بذكره باسمه ولم يذكر فيها اسم نبي غيره وكان ذكره في خاتمتها بعد سرد كل تلك النعم الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية، ليكون مثلا يحتذى ونموذجا يقتدى به، وذلك لأنه صاحب القلب الكبير وهو«المنار الذي استرشد به أنبياء الله والمؤمنون في كل عصر، بل هو الأمثولة الطيبة السامية التي جعلها الله لبنى الإنسان جميعا»[٣].

قد يصعب على الإنسان إذا أراد أن يطلق على نبي الله إبراهيم وصفا يجمع تلك الشمائل المتنوعة، والتى وقف هذا البحث على جزء يسير منها، لكن قد يكون وصفه بصاحب القلب الكبير يقارب حاله وما كان عليه قلبه من الرّقة، والعطف، والحنان، والسلامة من الحقد، والخصال الذميمة، صغيرها، وكبيرها، كيف لا وقد كان هو الداعي إلى سلامة القلب، فعلى لسانه قال تعالى:(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)[٤].

إنّ موطن العظمة في إبراهيم قلبه الكبير الذي وسع الناس جميعا لأنه نذر نفسه في سبيل إسعادهم سواء أكانوا أقرب الناس إليه نسبا أم كانوا بعيدين عنه، فهو حريص على إيصال الخير إلى كل الناس، وتخليصهم من الشرك، بكل ضروبه وأنواعه، ومن ذلك حرصه على هداية والده بالعقل والمنطق، وحتى بعد تهديد الوالد للولد بالرجم يقول الابن البار مجيبا أباه بما حكى الله عنه:(سلام

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٥ ص ٢٧٨،و الترمذي في جامعه ٢٧٧/٥،وقال حديث حسن

(٢) أحمد البراء الأميري، إبراهيم ودعوته في القرآن، ص ١٦٥.

(٣) عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص١٣٦ دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ١٩٨٧م.

(٤) سورة الشعراء آية ٨٨ـ ٨٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا)[١]، مما يدل على إخلاصه له ومبادلته البغض بالحب، والتهديد باللين والعطف.

إنّ قلب إبراهيم الرحيم هو الذي دفعه إلى الابتهال إلى الله تعالى أن يجنب بنيه عبادة الأصنام قال تعالى:(...واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)[٢].

وقلبه الكبير هو الذي دفعه إلى حب الخير إلى كل ذريته من بعده فعندما منحه الله الإمامة أبت عليه نفسه أن يستأثر بذلك لنفسه بل طلبها لمن بعده، ودعا الله أن ينعم بها على ذريته من بعده، قال تعالى:(...قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)[٣].

ولما علم هذا القلب أن أفضل شيء يتقرب به العبد إلى ربه هو الصلاة ـ لأنها الرابطة بين العبد وربه ـ دعا الله لنفسه ولذريته من بعده أن يجعلهم ممن يقيمون الصلاة وأن يتقبل منهم دعاءهم ، قال تعالى:(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)[٤].

وقلب إبراهيم امتاز بصفة اللين والعطف، حتى على المخالفين له، المحاربين لمنهاجه، فهو يطلب من ربه عدم استعجالهم بالعذاب والعقوبة لعلهم يرجعون، قال تعالى:(رب إنهنّ أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)[٥]، ويرى المتدبر لكتاب الله تعالى أنه عندما جاءت الملائكة إبراهيم وبشروه بإسحاق وأخبروه أنهم أتوا لينزلوا العذاب بقوم لوط اهتز قلبه لذلك الحدث، وبدأ يجادل ربه باستئخار العذاب عنهم قال تعالى:(فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط، إنّ إبراهيم لحليم أواه منيب)[٦].

أما شجاعته واقدامه، واستماتته في سبيل المبدإ الذي آمن به، والمنهج الذي يسير عليه، والعقيدة التي اعتنقها فيضرب به المثل في ذلك، إنه وقف أمام أكبر

---

(١) سورة مريم آية ٤٧، ومعنى حفيا:ملطفا بعموم النعم أو رحيما أو مكرما، انظر، «عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي، ج٣ ص ٣٧، دار الكتاب العربي، بيروت بدون، ط، ولاتاريخ.

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٥.

(٣) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٤) سورة إبراهيم آية ٤٠.

(٥) سورة إبراهيم آية ٣٦.

(٦) سورة هود آية ٧٤ـ٧٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طاغية في الدنيا محاورا ومجادلا غير هياب ولا خوار، وكما حال بين قومه ـ عبدة الأصنام ـ وبين معبوداتهم بل عدا عليها ضربا وتكسيرا، وألقوه في النار العظيمة انتصارا لآلهتهم فصبر وتوكل على رب النار فجعلها الله له بردا وسلاما، فتلك من تضحياته بنفسه.

أما تضحيته بولده وفلذة كبده فذلك له شأن آخر، خاصة إذا عُلِم أنه إنما جاء الولد في آخر عمره بعد أن لم يكن له ولد، فدعا الله وطلب منه وألحّ عليه أن يرزقه الله الذرية الصالحة كما في قوله:(رب هب لي من الصالحين)[١]، فإنه يصعب على النفس والحالة هذه مفارقة الولد الذي يأتي بعد مقاربة القنوط من مجيئه، لكن وهبه الله الولد ثم أمره أن يضحي به ليمتحن إيمانه[٢]، ويرى مبلغ استجابته لأمر الله، قال تعالى:(فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أنِّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمرُ ستجدني إن شاء الله من الصابرين)[٣]،«إنّ القلم ليعجز عن وصف مضمون هذا القول الذي يتمثل فيه الرضى التام بتضحية النفس في سبيل الله، تضحية من وجهين: تضحية الوالد بولده، وتضحية الولد بنفسه، هذه هي أروع صور الإيمان وأجلها في تاريخ الإنسانية، فليس الإيمان ادعاءات تلوكها الألسن، وليس الإيمان تسلية للأحزان لفترة ما، وليس الإيمان نظرية من النظريات يغوص العقل في كشف خفاياها، بل الإيمان هو الاندماج الكلي في إرادة الله التي تتركز في العمل بوصاياه وأوامره والتضحية بكل غال ونفيس في سبيله»[٤].

ولهذه الخصائص وغيرها استحق أبو الأنبياء أن يذكره الله تعالى ويثني عليه بصفةٍ قليل أصحابها، بل أن يكون هو النموذج الذي يضرب به المثل ليقتدى به في ذلك، إنها صفة الشكر التي هي أعلى منزلة من الصبر والرضا، قال تعالى:(...شاكراً لأنعمه...)[٥]

---

(١) سورة الصآفات آية ١٠٠.

(٢) انظر عفيف طبارة مع الأنبياء في القرآن، ص ١٣٦ـ ١٣٩، وانظر علي فكري، أحسن القصص، ج٢ ص ٣٧، دار الكتب العلمية بيروت،بلاتاريخ، وانظر عبد السلام محمد بدوي، خليل الله أبو المسلمين إبراهيم ص ٧٨ وما بعدها، الهيئة المصرية للكتاب،١٩٨٣م.

(٣) سورة الصآفات آية ١٠٢.

(٤) عفيف طبارة، مع الأنبياء في القرآن. ص ١٣٩.

(٥) سورة النحل آية ١٢١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشـــكر بـين الخليـــلين

الخليلان هما نبي الله إبراهيم ونبي الله محمد عليهما الصلاة والسلام، فقد ثبتت خلّة إبراهيم عليه السلام بنص كتاب الله تعالى،قال تعالى:(..واتخذ الله إبراهيم خليلا)[١]، وثبتت خلّة نبي الله محمد ﷺ بإخباره عليه الصلاة والسلام، بأنّ الله اتخذه خليلا، قال عليه السلام:«أبرأ إلى كل خليل من خلّه ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا وإنّ صاحبكم لخليل الله»[٢].

وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام الأب الثالث للعالم فقال تعالى:(..ملّة أبيكم إبراهيم..)[٣]، فإنّ أبانا الأول آدم، والأب الثاني نوح، والأب الثالث خليل الرحمن وشيخ الأنبياء كما سماه[٤] النبي صلى الله عليه وسلم[٥].

وقد سمى الرسول عليه السلام إبراهيم عليه السلام بشيخ الأنبياء وأبي الأنبياء وذلك «لأنه كان رائد الدعوة النبوية في العالم الإنساني بأسره، وكأنها الرسالة الخاصة من خالق الكون إلى كل مخلوق من بني آدم وحوّاء»[٦].

والمقصود من عقد هذه المقانة بين الخليلين هو «لّما وصف الله إبراهيم بتلك الأوصاف الشريفة أمر نبيه محمد عليه السلام أن يتّبع ملّته، وهذا من جملة الحسنة التي آتاها الله إبراهيم في الدنيا...وأمر الفاضل باتباع المفضول لّما كان سابقا إلى قول الصواب والعمل به»[٧]، قال تعالى:(ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)[٨]، ففي هذه الآية «دليل على جواز اتباع

---

(١) سورة النساء آية ١٢٥.

(٢)أخرجه الترمذي في كتاب المناقب،باب مناقب أبي بكر،ج٥ص ٢٦٧وأخرجه ابن ماجة في المقدمة،باب فضل أبي بكر ج١ ص ٣٦.وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة٢٢/١

(٣) سورة الحج آية ٧٨.

(٤) كان ذلك عندما وجد صورة إبراهيم معلقة داخل الكعبة، قال عليه السلام«قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام، « أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج٤ ص ١١٠

(٥) انظرابن قيم الجوزية ، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص١٥٤، تحقيق طه يوسف شاهين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ناشر غير معروف.

(٦) عباس مجمود العقاد،إبراهيم أبوا الأنبياء ص٣١٤،دارالكتاب العربي لبنان، ١٣٨٦هـ.

(٧) محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٥ ص ٥٤٧.

(٨) سورة النحل آية ١٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المفضول، لأن رسولنا أفضل الرسل، وإنما أمر باتباعه لسبقه إلى القول بالحق»[١].

من العرض السابق تبين للقارئ الشكر الذي تميز به نبي الله إبراهيم حتى استحق أن يضرب نموذجا للشاكرين، فكيف كان شكر خاتم الأنبياء ؟.

إنّ الحديث عن شكر المصطفى عليه السلام لربه يطول ولكن لا مانع من الإشارة إليه ولو بحديث واحد ليقيس اللبيب عليه غيره.

فقد كان الشكر صفة ملازمة له عليه السلام بالرغم من أنه إمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، ولم تطلع ولم تغرب شمس على أفضل منه، وبالرغم من إنزال الله عليه قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما)[٢]، فقد ظل عابدا قانتا متهجدا ، متقربا إلى الله بكل أنواع القربات ، لِيَضرب المثل الأعلى في خلق الشكر.

سئلت عائشة رضي الله عنها أن تخبر عن أعجب ما رأت من الرسول صلى الله عليه وسلم، فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجبا ؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي، حتى مس جلدي[٣]، ثم قال: يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي، قلت: إني أحب قربك لكني أوثر هواك، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه إلى صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا ؟[٤] ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله عليّ (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب..)[٥].

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج٤ ص ٥٠٥.

(٢) سورة الفتح، آية١ ، ٢.

(٣) هذا النص أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا،وغيرهم كماأخرج آخر الحديث، مسلم والترمذي، انظر التخريج اللاحق له

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صفاة المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة،ج٤، ص٢١٧٢، رقم ٢٨٢١، والترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة،ج٢ ص٢٦٨.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٩٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا يتضح أنّ النعم التي أوجدها الله في الآفاق والأنفس خلقت لحكمة عظيمة ومصلحة جليلة، وواجب الإنسان تجاهها أن يعرف أنّ كل نعمة إنما هي من الله تعالى، ثم يتوجه بشكر الله على ذلك،والقيام بحفظها، واستعمالها فيما خلقت له، وأن يعلم أنّ النعم الدنيوية كلها إنما هي مُوصِلَة لنعم الآخرة، لأنّ النعمة الحقيقية هي الحصول على السعادة الأخروية، فهي المطلَب الغالي الذي ينبغي أن يحرص عليه كل لبيب.

ذلك أن الدنيا زائلة بكل نعمها ويكفي في نعم الآخرة البقاء بلا فناء، والسرور بلا غم ولا حزن، والعلم بلا جهل، والغنى بلا فقر، والسعادة بلا شقاء، (في جنّة عالية، قطوفها دانية)[1] نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى شكره وذكره وطاعته وحسن عبادته، وأن يجعلنا أهلا للحصول على السعادة الباقية فضلا منه وكرما، هذا ما وفق الله الكتابة فيه حول موضوع «النعم في ضوء سورة النحل»، وأسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه إنه جواد كريم، برٌ رحيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الحاقة آية ٢٢-٢٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة البحث

وتحتوي على:-

١- ملخص البحث
٢- نتائج البحث
٣- التوصيا ت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خاتمة البحث

ملخص البحث:

في ختام هذه الرسالة يودُّ الباحث أن يلخِّص أهم القضايا والموضوعات التي تناولتها أبواب وفصول هذه الدراسة بشيء من الإيجاز لإعطاء صورة متكاملة موجزة عن هذه الرسالة وموضوعاتها في سطور قليلة.

إنّ سورة النحل هي السورة السادسة عشرة في ترتيب المصحف، وترتيبها في النزول التاسعة والستون وعدد آياتها مائة وثمانية وعشرون آية، سميت بسورة النحل لقوله تعالى:(وأوحى ربك إلى النحل ...)[1]، وسميت سورة النعم بسبب ما عدد الله تعالى فيها من النعم على عباده، وفي مطلعها أكدت مجيء يوم القيامة ثم ساقت ألوانا من الأدلة على وحدانية الله وقدرته عن طريق خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان والحيوان، وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من النعم، ووبخت المشركين لتسويتهم بين من يخلق ومن لا يخلق وذكرت بعض أقاويلهم الباطلة[2]، ففي السورة موضوعات متنوعة غير أن طابعها المميز تعداد نعم الله تعالى ومشاهد عظمته، والتذكير بما يسر الله للناس من وسائل الرزق وسخر لهم من نواميس الكون، ورتبت النعم ترتيبا منطقيا فذكرت أصول النعم التي لا يستغني عنها أحد من الناس ورتبتها حسب أهميتها فذكرت خلق الكون الذي كان أسبق من خلق الإنسان ثم أتبعته بخلق الإنسان وتحدثت عن هدايته إلى طريق الخير والرشاد، ثم تناولت السورة نعم الله عليه بشتى صنوفها على شكل أفواج وأتبعت كل فوج من النعم بالحث على التذكير تارة بلفت النظر إليه والتأمل فيه وأخرى بالدعوة الى شكره.

أما النعم فهي المنافع الحسنة المفعولة على جهة الإحسان الى الغير بلا غرض ولا عوض امتنانا بلا استحقاق، ونعم الله كثيرة جدا لا تحصى أجناسهافكيف بأنواعها وأفرادها أسبغها الله تعالى على عباده فجعلها ظاهرة وباطنة وعامة

---

(١)سورة النحل آية ٦٨

(٢) مثل قوله تعالى:(وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين)سورة النحل آية٢٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وخاصة وجاءت سورة النحل مفصلة إياها أصولها وفروعها ومتمماتها مقدمة الضروريات على الحاجيات غير مغفلة الكماليات والتحسينات ففي الضرورات ذكرت من النعم التوحيد والهداية إليه وبدأت به لأنه حقيقة الحقائق ونعمة النعم، فبالهداية يسعد الإنسان دنيا وأخرى لأنّ نعم الأرض تنقطع عنه بموته ولكن الهداية توصله إلى السعادة الأبدية وذكرت من النعم المادية خلق الكون بأسره ثم خَلْق الإنسان وإعداد الحياة له بكل متطلباتها من إيجاد المطعومات له والمشروبات والملبوسات والمسكونات والمنكوحات وغير ذلك،فأبرزت السورة ما يقع تحت حس الإنسان من النعم وحلّقت به في الآفاق الرحبة، آفاق السماء، وآفاق الأرض، وفي الأنفس، فقد سخر الله للإنسان في الآفاق كل من الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم، وأنعم عليه بنعمة إنزال الماء من السماء، وإيجاد الهواء الذي لا يستغني عنه مخلوق من مخلوقات الله المبثوثة في الكون من الإنسان والحيوان والنبات .

ونعم الله في الأرض منها ما هو بري ومنها ما هو بحري، ومن النعم البرية الأنعام وجمالها ،ذات المنافع المتعددة، من أكل لحومها وشرب ألبانها والدفء بأصوافها وأوبارها وأشعارها والاستفادة من جلودها والاتجار بها إضافة إلى أنها تملأ الأعين جمالا بالنظر إليها حين السروح والرواح ومن نعمها ونعم الحيوانات كذلك حمل الأثقال والأمتعة عليها واستعمالها في الركوب والتزين بها، وبنزول الأمطار يغيث الله البلاد والعباد والبهائم فيحي بهاالأرض فتصبح مخضرة بعد قفرها وتدب فيها الحياة والله تعالى جعل الماء سببا لاستمرار الحياة وضرورة من ضروراتها، كما أنعم تعالى على العباد بإنبات النباتات من زروع وثمار وفواكه ورياحين وغير ذلك بأحجام مختلفة وأشكال متنوعة وألوان زاهية ليستفيد منه الإنسان وينعم به في الغذاء والدواء والتهوية والتدفئة والبناء وأدوات المنزل وفي الاستظلال به وفي علف بهائمه وفي أخذ الطاقة منه وفي الاستمتاع بمنظره الخلاب الجميل وأخذ الرياحين منه إضافة إلى أهميته في استمرار دورتي النتروجين والكربون، ومن النعم ماذرءه الله تعالى في الأرض برها وبحرها من المعادن المختلفة والتي جعل منافعها لا تقع تحت الحصر كثرة وتنوعا، ومن نعم الله في البحر تعدد حليّه وتنوع أحيائه وتسخيره للناس بالسباحة وجريان الفلك فيه .

ومن نعمه تعالى الإمداد بالأزواج والبنين والأحفاد والأرزاق والمساكن والظلال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسرابيل الساترة للعورت والواقية من أذى الحر والبرد والواقية في الحروب من وقع السلاح قال تعالى:(.وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم.)[١]

ومن النعم كذلك تهيئة الإنسان بوسائل العلم والمعرفة من سمع وبصر وفؤاد، والاستمتاع بالجمال الظاهري في الكون والمخلوقات والجمال الباطني المتمثل في الخلق الحسن والأدب الجم والسير على الصراط المستقيم، فلم تغفل النعم المعنوية المتمثلة في التوحيد، ونعمة إنزال القرآن، والهجرة إلى الله، والأخلاق الحسنة وحكمة الدعوة إلى الله

والشكر لآلاء الله ونعمه نعمةٌ، والجحود لها نقمة، والله تعالى أوجد الإنسان وأمدّه بكل ما يحتاجه وأعد له الحياة إعدادا متكاملا ثم طلب منه أن يعبده ويشكره على آلائه فاستجاب له المؤمنون وجحد الجاحدون، مع أن الكون الموجود فيه الإنسان مخلوق لله تعالى مربوب له طائع لخالقه مسبح بعظمته ساجد لمجده كما يتألم من أفعال الجاحدين لله تعالى وأقوالهم، قال تعالى:(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[٢] .

وقال تعالى:(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)[٣]، وقال تعالى:(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)[٤]، وقال تعالى:(ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صآفات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)[٥].

والله تعالى أخبر أن السموات تتفطر والأرض تنشق والجبال تَخِرّ من بعض أقوال الجاحدين لله تعالى،قال تعالى:(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا،

---

(١) سورة النحل آية ٨١

(٢) سورة فصلت آية ١١

(٣) سورة الإسراء آية ٤٤

(٤) سورة الحج آية ١٨

(٥) سورة النور آية ٤١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تكاد السموات يتفطن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا)[١].

ومن نعم الله تعالى على الإنسان الطائع أن الطائعين لله في الوجود أكثر من الجاحدين وبالتالي أن أعوانه الذين يسلونه في الطريق كثيرون جدا متمثلين في كون الله الواسع بكل مخلوقاته مما يُشعرالإنسان بمحيطه الطاهر النزكي الذي يرجو أن يكون معه في ذكر الله وطاعته مما يجعل ذلك عونا له في عبادة الله تعالى.

وليس ثمة جاحد إلا عصاة بني آدم وعصاة الجن قال تعالى عن عصاة الإنس :(وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)[٢]، وقد حكى الله عن الجن قولهم :(وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)[٣].

وعلى لسان عصاة الإنس والجن أخبر الله في كتابه فقال:(...ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خلدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم)[٤].

فهناك اختلاف بين الكون والإنسان فالكون ساجد لله مسبح له بكل ما فيه، ولكن الإنسان يختار بين الطاعة والمعصية .

والشكر طاعة مخصوصة يقدمها الإنسان على ما أولاه الله تعالى من نعم واعترافا بالجميل لصاحبه، وذلك بظهور أثر نعمة الله علي لسان العبد بالثناء والإعتراف، وعلى قلبه بالشهود والمحبة، وعلى جوارحه بالطاعة والإنقياد.

وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها فهو يلازم الإيمان بالله تعالى ولعظم مكانته امتدح الله تعالى نبيين من أنبيائه من أولي العزم بالشكر ، هما نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام

وللشكر معان متعددة تدل على علو منزلته، وله أركان تتمثل في الإعتراف بالنعمة والتحدث بها وصرفها في طاعة الله .

---

(١) سورة مريم الآيات من ٨٨ـ٩٢

(٢) سورة الحاقة آية ٩، ١٠

(٣) سورة الجن آية١٤، ١٥

(٤) سورة الأنعام آية ١٢٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن آثاره على الأفراد والجماعات أنه يورث محبة العبد لربه ومراقبته له والرضا بأقداره ، ومحبة الرب للعبد ورجاء العبد أن يكون من زمرة الشاكرين ، إضافة إلى أنه سبب لدوام النعم وزيادتها.

وعلى الإنسان أن يعترف أنه مهما عمل واجتهد في مقابل نعمة واحدة أنعم الله بها عليه فلن يوفيه حقه .

وبتأخير نموذج الجاحدين والشاكرين في نهاية السورة يتضح للعيان عاقبة الجاحد مما يدعو الناس إلى الإبتعاد عن أفعالهم والتحذير من مغبة السير على منوالهم، وبذكر نموذج الشاكرين دعوة للناس إلى الاقتداء بهم واقتفاء آثارهم حتى ينالهم ما نال الشاكرون من الفضل الكثير والخير العميم، والذي كان نموذجه الفذ أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي خص بصفات وخصائص أهلته ليكون مضرب المثل في الشكر، منها ما هو فضائل وهبية وهبه الله إياها كالخلة والأمانة والاجتباء والرشد واتصافه باللين، ومنها فضائل كسبية، كالقنوت والحنيفية والإسلام والحلم والتأوه والإنابة والصديقية وسلامة القلب والكرم والضيافة، وكلا الفضيلتين من فضل الله تعالى عليه ورحمته به.

جعلنا الله هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، ورزقنا شكره والثناء عليه بما أولاه علينا من نعمه المترادفة وآلائه المتتابعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النتائج والتوصيات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نتائج البحث

من أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة ما يمكن إيجازه في النقاط الآتية:ـ

١ـ الإمداد بالنعم ليس دليلا على صلاح الإنسان.
٢ـ الإنعام على الإنسان ليس دليل الرضا عنه.
٣ـ بسط النعمة قد يكون فتنة، وقد يكون ابتلاء، وقد يكون استدراج
٤ـ اسداء النعم من الله على الإنسان منوط بصلاح العقيدة، والعمل، والخلق، وزوال النعم منوط بسبب الكفر والفساد وسوء الأخلاق.
٥ـ الاشتغال بالنعمة وترك شكرها من أسباب إغلاق أبواب التوفيق.
٦ـ إن الله يحب أن يري أثر نعمه على العباد.
٧ـ إنّ إنكار نعم الله سبب للإهلاك.
٨ـ لا يغير الله نعمة بأحد الا بسبب الذنب.
٩ـ الطاعات والملذات من نعم الله تعالى
١٠ـ كفران النعمة عاقبته قد تكون في الدنيا وقد تكون في الآخرة.
١١ـ النعمة والهداية متلازمتان لأن كلا منهما صفة العطاء.
١٢ـ ينبغي أن يكون حب المخلوق وكرهه وعطاؤه ومنعه لله تعالى فلا يقصد المعطَى له ولا يجعله غايته عند صنع المعروف.
١٣ـ عناية الله تعالى بالإنسان خلقا وإيجادا وإمدادا وإعدادا وإنعاما .
١٤ـ هداية الله تعالى للإنسان الهداية العامة والخاصة في الدنيا والآخرة من جزيل فضل الله عليه وهي من أعظم النعم وأجلها.
١٥ـ النعم أثر من آثار رحمة الله على العباد.
١٦ـ شكر المنعم المتفضل سبب لزيادة النعم.
١٧ـ إن متاع الدنيا بزخارفها وطيباتها قليل جدا فهو كاسمه يستمتع به ثم ينقضي في الحال.
١٨ـ إن إنعام الله على العباد محض إحسان إليهم وتفضل عليهم لا لحاجة منه إليهم لا لمعاوضة ولا لاستعانة بهم .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩- إنّ مجيء العادم الفقير وحاجته إلى الواجد الغني من نعم الله عليه فينبغي أن لا يمله ويمنعه من حقه من النعم التي أنعم الله بها عليه، فتحول إلى النقم بسبب المنع، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، ومن أحسن أحسن الله إليه.

٢٠- إنّ المخلوق لا يأتي منه أو بسببه نفع ولا ضرر إلا بإذن الله تعالى.

٢١- أن لا يعتقد الإنسان أن إعراض المخلوق عن البذل قد يضر وإقباله قد ينفع والعكس صحيح لمن تأمل.

٢٢- لا فضل لأحد من الخلق لكونه سببا في حصول نعمة وإنما الفضل لله تعالى وإن كان هذا ليس إنكارا لحق من جرى على يديه الخير وليس إنكارا لما يجب له من الشكر.

٢٣- على العاقل أن يعامل الخلق بما يريده الله تعالى لا بما يريده هو أو يريد الناس منه فلا يعطي المخلوق أيا من حقوق الله تعالى لأنه يسبب غضب الله وإغضاب الخلق عليه.

٢٤- الزيادة في الدنيا أعظم مسؤولية في التكليف، ولذلك كان الأجر في ذلك أعظم على قدر المشقة، فالقادر على المعاصي يكون اجتنابه لها أشق عليه من العاجز الفقير، لأن الإعراض عن الدنيا عند حضورها والإقبال على الله شديد على النفس،فتفرغ الفقراء أكثر من الأغنياء.

٢٥- دعوة القرآن إلى الزهد في طيبات الحياة تأتي بالاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية والاستعلاء على الزخارف المبهرجة.

٢٦- إنّ الحديث عن النعم على سبيل الشمول والاستقصاء مما يعجز البشر عنه ولو اجتمعوا ليذكروا تفاصيل نعمة واحدة على سبيل الإحاطة بها لعجزوا لقصر عقولهم ومداركهم ومحدودية زمانهم

٢٧- الأمر بالشكر إنعام آخر على العباد وإحسان إليهم لأن منفعته ترجع إليهم، وللشكر صور تظهر على المنعم عليهم ومنها:

* حياء العبد من تتابع نعم الله عليه ومعرفته بتقصيره نحوها.
* الاعتذار عن قلة الشكر مع التنويه بعظيم حلم الله.
* حسن التواضع لله والتذلل له مع الاعتراف بأن النعم ابتداء من الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليس فيها استحقاق للإنسان.

* تلقي النعم بحسن القبول مع استعظام صغيرها وكبيرها

* عدم نسيان شكر الوسائط وذلك بعد شكر الله.

٢٨- إنّ لله سبحانه في خلقه سننا لا تتخلف، ونواميس لا تتبدل منها إذا أنعم عليهم نعمة إنما ينعم بها بفضل منه ولا ينزعها من أيديهم إلا بإعراضهم عن شكر الله عليها وقد أثبت هذه السنّة في كتابه حتى تظل حاضرة في عقولهم فلا يخطئونها؛إلا بنسيان منهم للقرآن، وعند ذلك يستوجبون العقوبة التي توعدهم الله بها جزاء وفاقا؛ قال تعالى:(ذلك بأنّ الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنّ الله سميع عليم)[1]فهذه السنّة لا تتخلف في الخلق بحدوث أسبابها لكنها بانقطاع أسبابها ترتفع عنهم بكل آثارها، وتزول عنهم بزوال أسبابها، والأمران كلاهما بيد الخلائق أنفسهم بأسبابهما معا، فتظل النعم قائمة ما دام الخلق على أمر الله؛ فعلا وتركا، أمرا ونهيا، طاعة ومعصية، إلا أن يكون في نزع النعم وإنزال النقم ابتلاء للعبد وتمحيص له.

---

(١) سورة الأنفال آية ٥٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التوصيات والمقترحات

وفي نهاية الحديث عن هذه الرسالة أتقدم بالتوصيات والمقترحات الآتية:ـ

أوصي بالاستفادة من نعم الله المباشرة التي أمد بها العباد وفيها الوفاء باحتياجات الإنسان دون إعمال فكره ولأنها قد تنقل الإنسان من دائرة الفقر إلى الغنى بأدنى وسيلة ومن ثَم الانتقال إلى استثمارالنعم غير المباشرة بأعمال الفكروالتأمل في معرفة السنن والقوانين الإلهية التي تسير عليها.

#أوصي القيام بالدراسات القرآنية الموضوعية لمعالجة بعض الموضوعات المتعلقة بحقوق الله وحقوق العبادوفق إدراك الإنسان المعاصروإظهار جانب الإعجاز في القرآن، كما لايفوتني أن أوصي العاملين في الدراسات الإسلامية عامة والدارسين خاصة الاهتمام بعملية الربط بين الدراسات اللغوية والقرآنية والحديثية، حتى لا تبعد الشقة بين هذه المتماثلات إذ بحفظ اللغة يحفظ كتاب الله وبالاهتمام بالسنة يفهم معانيه ومراميه كما أن هذه الدراسات تحتاج إلى التنقية والترتيب وإبعاد الحشو والتطويل منها.

وأوصي بالمحافظة على هذه النعم، وذلك بعدم الإسراف أو التبذيرفيها.

الله تعالى لما منح الإنسان نعمه أوجب عليه ضريبة وحثه أن يكون واسطة خير فيؤدي منها السائل والمحروم.بل وكل من فقد هذه النعم أو حرمها من البداية، لأن النعم لاتثبت إلا بالشكر الذي منه صرفها على المستحقين لها.

#أقترح إيجاد المبرات الخيرية والإكثار منها في الأحياء والاهتمام بشأنها لإيصال مالم تمسه الأيدي من المطعومات، وجمع المواد الغذائية ثم توزيعها إلى المحتاجين عليها، ومما يبشر بالخير وجود هذه المبرات في المملكة العربية السعودية وإقبال الناس إليها لوضع ما فاض عن حاجتهم لتقوم بتوصيلها إلى المستحقين لها

#وأقترح أن تكون هناك حاويات خاصة لحفظ بقايا الطعام مثل الحاويات الخاصة الموجودة لحفظ الأوراق.

#أوصي أن لايستهزئ القوي بالضعيف ولا الغني بالفقير، ذلك لأن الغنى والقوة من نعم الله فهوالذي أغنى هذا وأفقر ذاك، وقوى هذا وأضعف ذاك،لأنه تعالى يملك المنع والعطاء.

#وأوصي كذلك الذين حرموا بعض النعم أن يصبروا ويحتسبوا وليعلموا أن الله تعالى سيوفيهم الأجر ويعوضهم في دار البقاء ما حرموا منه في دار الفناء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهارس العامة

* فهرس للآيات ٤٠٢
* فهرس للأحاديث ٤٣٣
# فهرس للأشعار..... ٤٤٣
* فهرس للأعلام ٤٤٥
* فهرس المصادر والمراجع ٤٥١
* فهرس للموضوعات ٤٧٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الآيات

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة الفاتحة		
(أنعمت عليهم.....)	٧	٢٤
سورة البقرة		
(الٓمٓ)	١	٥٦
(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)	٢	٥٦
(أولئك على هدى من ربهم ...)	٥	٥٥
(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم..)	٢٠	٣٠٥
(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما..)	٢٢	٢٩٩
(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)	٢٥	٣٨٠
(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم..)	٢٨	١٠٤
(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا..)	٢٩	٧٨-٣٤ ـ ٣١٤
(فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي..)	٣٨	٥٦
(يا بني اسرآئيل أذكروا نعمتي التي أنعمت.)	٤٠	٢٦
(وإذ نجيناكم من آل فرعون..)	٤٩	٢٧
(وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم...)	٥٠	٢٧
(وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان..)	٥٣	٢٧
(..يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم ...)	٥٤	٢٧
(ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)	٥٦	٢٨
(وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن ..)	٥٧	٢٨
(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها ..)	٥٨	٢٨
(..إنها بقرة صفرآء فاقع لونها تسر الناظرين)	٦٩	١٢٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض..)	٧١	١٢٠
(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به...)	٨٩	٣٥٧
(بديع السموات والأرض...)	١١٧	٢٢٤
(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن...)	١٢٤	٣٧٩ ـ ٣٨٦
(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا..)	١٢٦	٣٧٨
(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ...)	١٢٧	٣٨٣
(إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)	١٣١	٣٨٢
(قد نرى تقلب وجهك في السماء...)	١٤٤	٧٨
(فاذكروني أذكركم واشكروا لي...)	١٥٢	٣٤٩
(والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس)	١٦٤	٩٨ ـ ١٧٧
(...واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون)	١٧٢	٣٤٨
(..الحر بالحر..)	١٧٨	٢٧٠
(يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر	١٨٥	٢٧٧
(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب..)	١٧٩	٣٠٩
(...هن لباس لكم وأنتم لباس لهن..)	١٨٧	٢٤٣
(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس..)	١٨٩	٨٣
(..وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى..)	١٩٧	٣٣٥
(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم...)	٢١٩	٢١٢
(...ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف...)	٢٢٨	٢٤٢
(...أو أكننتم في أنفسكم...)	٢٣٥	٣٢٣
(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..)	٢٥٦	٢٧٤ ـ ٢٧٨
(يمحق الله الربا ويربي الصدقات...)	٢٧٦	٣٦٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة آل عمران		
(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا..)	٨	٥٧
(زين للناس حب الشهوات من النساء...)	١٤	٢٢٩ ـ ٢٤٥
(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ...)	٦٧	٣٨٢
(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوالكم)	١٧٣	٣٠
(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ...)	١٧٤	٣١
(فأصبحتم بنعمته إخوانا...)	١٠٣	٢٣ ـ ٣٠
(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض..)	١٣٧	٣٠٩
(...وسيجزي الله الشاكرين)	١٤٤	٣٤٥
(يستبشرون بنعمة من الله وفضل...)	١٧١	٢٣
(أنّ في خلق السموات والأرض واختلاف...)	١٩٠	٨٧ ـ ٣٠٩ ـ ٣٨٩
(ويتفكرون في خلق السموات والأرض...)	١٩١	٨٦
سورة النساء		
(...وأخذن منكم ميثاقا غليظا)	٢١	٢٤١
(..بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن.)	٢٥	٢٤٢ ـ ٢٧٢
(وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت ...)	٤٠	٣٤٨
(ياأيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم..)	٤٣	٢١١ـ ٢١٢
(...وندخلهم ظلا ظليلا)	٥٧	٣٢٣ـ ٣٢٥
(وإنّ منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة..)	٧٢	٣٠
(...فتحرير رقبة مؤمنة...)	٩٢	٢٧٠ـ ٢٧٣
(ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر...)	١٠٢	١٣٥
(واتخذ الله إبراهيم خليلا)	١٢٥	٣٧٩ ـ ٣٨٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة المائدة		
(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)	٣	١٤
(ياأيها الذين ءامنوا أذكروا نعمة الله عليكم		
إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم...)	١١	٣١
(..إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم..)	٢٠	٢٨
(قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما		
ادخلوا عليهم الباب.....)	٢٣	٣٠
(إنا أنزلنا التورات فيها هدى ونور...)	٤٤	٥٦
(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن ...)	٨٩	٢٧٣
(يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر		
والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان....)	٩٠	٢١٢
(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة...)	٩١	٢١٢
سورة الأنعـــام		
(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه...)	٧	٢٩٨- ٣٠٦
(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير ...)	٣٨	٦١- ٩٥- ١٢٣
(حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة...)	٤٤	٣٦٣
(الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...)	٨٢	٢٩١
(فالق الإصباح وجعل الليل سكنا ...)	٩٦	٨٨
(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها...)	٩٧	٨٦
(بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ..)	١٠١	٣٥
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.)	١٢٥	٦٣- ٩٢-١٦٢-
(...ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا..)	١٢٨	٣٩٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير		
معروشات والنخل والزرع.....)	١٤١	١٤٤
(ثمانية أزواج من الضأن إثنين ومن المعز		
اثنين قل آلذكرين .....)	١٤٣	١١١-١٢١-١٢٢ , ٢٢٥
(وهو الذي جعلكم خلآئف الأرض ورفع بعضكم		
فوق بعض درجات.....)	١٦٥	٢٦٢
سورة الأعراف		
(قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك ...)	١٦	٣٥٣
(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ...)	١٧	٣٥٣
(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري		
سوآتكم وريشا ....)	٢٦	٢٣٦- ٣٢٩-
		٣٣١ , ٣٣٦- ٣٣٧
(وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا.)	٢٨	٣٣٣
(قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم ...)	٢٩	٣٣٣
(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد...)	٣١	٣٣٤- ٣٣٧
(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده		
والطيبات من الرزق.....)	٣٢	٢٣٦
(...لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون..)	٤٠	٧٩
(ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار....)	٤٤	٢٠
(وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان....)	٨٤	١٣٠
(...إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده)	١٢٨	٢٩١
(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم...)	١٧٩	١٣٩
(أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض.)	١٨٥	٨٠
(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا...)	١٨٨	٢٨٩
(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها..)	١٨٩	٢٤١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة الأنفال		
(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...)	٩	١٨٥
(إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم ...)	٢٢	٣٠٨
(فأمطرنا عليهم حجارة من السماء...)	٣٢	١٣٠
(وإن تولو فاعلموا أنّ الله مولاكم نعم المولى.)	٤٠	٣١
(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها..)	٥٣	٤٠٠
(وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط..)	٦٠	٢٣٠
سورة التوبة		
(والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها..)	٣٤	١٦٠
(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين...)	٦٠	٢٧٢ـ ٢٧٣
(هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا..)	٥	٨١ـ ٨٢ـ ٣٠٩
(إنّ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يهديهم..)	٩	٦٣
(...أمن يملك السمع والأبصار..)	٣١	٣٠٠
(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا..)	٥٨	٦٦
(..أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين..)	٩٩	٢٧٩
(قل انظروا ما ذا في السموات والأرض..)	١٠١	٢٢٤ـ ٢٨٧ـ ٣٠٢
سورة هود		
(فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب..)	٧١	٢٥٨
(فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى.)	٧٤	٣٨٦
(...إنّ إبراهيم لحليم أواه منيب...)	٧٥	٣٨٣ـ ٣٨٦
(وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضوض..)	٨٢	١٣٠
(وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها..)	١٠٨	٧٨
سورة يوسف		
(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود		
فتاها عن نفسه.....)	٣٠	٢٤٣ـ ٢٤٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
(...فيه يغاث الناس...)	٤٩	١٣٣
(ولما فصلت العيرقال أبوهم إني لأجد ريح يوسف)	٩٤	٢٩٩
(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت..)	١٠٢	٢٨٨
سورة الرعد		
(عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)	٩	٢٨٥
(..ومما يوقدون عليه في النارابتغاء حلية..)	١٧	١٦٠
(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)	٢٤	٢٠
(الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر...)	٢٦	٢٦٢
(مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها.)	٣٥	٣٢٢ـ ٣٢٦
(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ...)	٣٨	٢٤٠
سورة إبراهيم		
(...إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور)	٥	٣٧٦
(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم...)	٧	٣١١ـ ٣٥٤ـ ٣٥٩
(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة		
كشجرة طيبة.....)	٢٤	١٥٠
(..وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره..)	٣٢	١٧٧
(وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة		
الله لا تحصوها ....)	٣٤	٣٦
(..واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)	٣٥	٣٨٦
(...فمن تبعني فإنه مني...)	٣٦	٣٨١ـ ٣٨٦
(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي...)	٤٠	٣٨٦
(...وضربنا لكم الأمثال)	٤٥	٣٦٥
سورة الحجـر		
(ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين)	١٦	٨٦ـ ٢٢٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(وحفظناها من كل شيطان رجيم)	١٧	٨٦
(إلا من استرق السمع ...)	١٨	٨٦
(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي...)	١٩	٩٨
(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنامن السماء ماءا...)	٢٢	٩٤ـ ٢٠٥
(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماء مسنون)	٢٦	٤٥ـ ١٠٢
(فو ربك لنسألنهم أجمعين)	٩٢	٤٥
(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)	٩٤	٤٦
(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)	٩٩	٤٤
سورة النحـل		
(أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى.)	١	٤٤ـ ٤٦ـ ٣٦٩
(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء.)	٢	٣٦ـ ٥٢ـ ٦٦
(خلق السموات والأرض بالحق تعالى...)	٣	٧٠ـ ٧١ـ ٧٥ـ ٧٦ـ
		٩٨ـ ٢٢٠
(خلقالإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين..)	٤	٤٦ـ ٧١ـ ١٠٩
(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ...)	٥	٥ـ ٤٦ـ ٧٠ـ ٧١ـ
		١١٢ـ ١١٥ـ ٣٣٨
(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)	٦	٣٥ـ ٥٢ـ ١١٢ـ
		٢٢٠ـ ٢٢٥ـ ٢٢٦
وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه..)	٧	٧١
(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة...)	٨	٣٥ـ ٤٦ـ ٥٢ـ ١٢٣ـ
		١٢٤ـ ١٦١ـ ٢٢٠ـ
		٢٢٨
(...ولو شاء لهداكم أجمعين)	٩	٦٥
(هو الذي أنزل من السماء ماءا لكم منه		
شراب ومنه شجر فيه ....)	١٠	٤٦ـ ٤٧ـ ٧١ـ ٧٨
		١٢٦ـ ١٣٢ـ ١٣٦ـ
		١٤٠ـ ١٨٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
(ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل		
والأعناب ومن كل الثمرات...)	١١	٤٦- ٧١- ٧٥- ٧٨-
		٩٨- ١٢٧- ١٣٢-
		١٣٦- ١٣٩- ١٤٠-
		١٤٤- ١٤٨- ١٦١ -
		٢٠٩
(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر..)	١٢	٤٧- ٧١- ٧٥- ٧٦-
		٨٠- ٨٧
(وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه	١٣	٧٥- ٨٧- ٩٧-
		١٥٥ ,١٦١
(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا.)	١٤	٥٢- ١٦٧- ١٧١-
		١٧٤- ١٧٨- ١٨١-
		١٨٢- ٢٢٠ -٢٣٣-
		٢٤٤
(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم...)	١٥	٣٤- ٧٥- ٩٧- ٢٢٠-
		٣٢٧- ٣٢٨
(وعلامات وبالنجم هم يهتدون)	١٦	٩٥- ٢٢٠
(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...)	١٨	٣٢- ٤٦- ٥١- ٩٥-
		٣٥٢
(وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير.)	٢٤	٣٩٢
(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدواالله...)	٣٦	٦٤- ٦٥
(إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي...)	٣٧	٦٣- ٦٥- ١٠٩
(إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن..)	٤٠	٢٧٧
(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم.)	٤٤	٥٢- ٦٤- ٢٩٤
(أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ..)	٤٨	٢٢٠
(وما بكم من نعمة فمن الله ...)	٥٣	٣٣- ٣٦
(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم...)	٦٤	٦٤- ١٨٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(والله أنزل من السماء ماءا فأحيا به ألأرض.)	٦٥	٩٧- ١٣٢- ١٨٥-
		٢١١
(وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في..)	٦٦	١٩٣- ١٨٧- ٢١١
(ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه..)	٦٧	١٤٨- ٢٠٩- ٢١١
(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال		
بيوتا ومن الشجر.....)	٦٨	٦١- ٢٠٠- ٣٩٢
(ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك.)	٦٩	٤٨- ٦١- ٢٠٠-
		٢١١
(والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى..)	٧٠	٢٦٧
(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق..)	٧١	٤- ٥١- ٢٦١- ٢٦٣-
		٢٦٦-٢٦٨
		٢٧١- ٢٧٣- ٣٥٨
(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا...)	٧٢	٤- ٥٢- ١٠٩- ٢٤٨-
		٢٤٩
		٢٥٦- ٢٥٨
(ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر ....)	٧٥	٢٧١
(... أينما يوجهه لا يأت بخير...)	٧٦	٣٦٦
(ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة		
إلا كلمح البصر ....)	٧٧	٢٨٣
(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون.)	٧٨	٣٤- ١٠٩- ٢٩٣-
		٢٩٦
		٣٠٠- ٣٠٢- ٣٠٨-
		٣١٤- ٣٤٤
(ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء.)	٧٩	٦٢- ٧٨- ٩٤- ٣١٣
(والله جعل لكم من بيوتكم سكنا...)	٨٠	٣١٧- ٣١٩- ٣٣٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(والله جعل لكم مما خلق ظلالا...)	٨١	٢- ٤- ٥- ٥٢- ٨٢-
		٢٢٠- ٣٢٣- ٣٢٦-
		٣٢٩- ٣٣٣- ٣٣٧-
		٣٧١- ٣٦٩- ٣٩٤
(...يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها...)	٨٣	٥٢- ٣٥٨- ٣٥٩-
		٣٦١
(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء..)	٨٩	٢٩٤
(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي ...)	٩٠	٤٧- ٥٢- ٢٣٦
(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة...)	٩٢	٣٦٦
(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر..)	١٠٣	٤٧
(من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره...)	١٠٦	٣٥٩
(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة..)	١١٢	٤- ٢٣- ٤٤- ٥٢-
		٣٥٨-
		٣٦٨- ٣٧٣
(ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم...)	١١٣	٣٦٨
(فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا...)	١١٤	٣٤٤
(إنّ إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا...)	١٢٠	٤- ٥٢- ٣٤٤- ٣٧٦-
		٣٨١- ٣٨٢
(شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط...)	١٢١	٤- ٥٢- ٣٤٤- ٣٧٦-
		٣٧٩- ٣٨٤- ٣٨٧
(وآتيناه في الدنيا حسنة...)	١٢٢	٣٧٦
(ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا..)	١٢٣	٢٩٤- ٣٤٥- ٣٧٦-
		٣٨٨
(إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه..)	١٢٤	٤٦
(وإن عاقبتم فعاقبوابمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم)	١٢٦	٣٨
(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم..)	١٢٧	٣٨- ٤٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)	١٢٨	٣٨ـ ١٠٩ـ ٢٣٧
سورة الإسراء		
(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام		
إلى المسجد الأقصى....)	١	٤٧
(وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرآئل)	٢	٥٦
(إن هذا القرآن يهدي للتى هي أقوم.....)	٩	٥٦ـ ٦٥ـ ١٨٩
(انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض.....)	٢١	٢٦٢ـ ٢٦٦
(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه .....)	٢٣	٢٥٢ـ ٢٥٣ـ ٢٥٤
(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة.....)	٢٤	٢٥٤
(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن..)	٣٤	٤٧
(...إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك...)	٣٦	٣٠٠ـ ٣٠٤
(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن...)	٤٤	٣٩٤
(ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحرلتبتغوا...)	٦٦	١٧٠
(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البروالبحر.)	٧٠	١٣٩ـ ١٦٤ـ ١٧٠ـ
		٣٠٨
(أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل.)	٧٨	٨٢
(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين		
ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)	٨٢	٤٨
(...وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)	٨٥	٢٨٥
(قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ.....)	٨٨	٤٧
سورة الكهف		
(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها.....)	٧	٢٢٢
(أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم....)	٩	٣٢٦
(فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته)	١٦	٣٢٦
(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن.....)	٢٩	٢٧٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(المال والبنون زينة الحياة الدنيا.....)	٤٦	٢٥٠
(ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق		
أنفسهم.....)	٥١	١٠٦
(وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا.....)	٥٩	٣٧١
(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر.)	٧٩	١٧٧
(...آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين		
الصدفين قال انفخوا.....)	٩٦	١٥٩
سورة مـريم		
(وإني خفت الموالي من ورآئي وكانت امرأتي		
عاقرا.....)	٥	٢٤٤ـ ٢٤٩
(يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي .)	٦	٢٤٩
(وهزي إليك بجذع النخلةتساقط عليك...)	٢٥	١٤٨ـ ٣١٥
(واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا)	٤١	٣٨٣
(سلام عليك سأستغفر لك ربي.....)	٤٧	٣٨٥
(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا)	٨٨	٣٢٧ـ ٣٩٤
(لقد جئتم شيئا إدا)	٨٩	٣٢٧ـ ٣٩٤
(تكاد السموات يتفطرن منه...)	٩٠	٣٢٧ـ ٣٩٥
(أن دعوا للرحمن ولدا)	٩١	٣٩٥
(وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا)	٩٢	٣٩٥
سورة طـه		
(...إنني معكما أسمع وأرى.....)	٤٦	٣٠٠
(الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)	٥٠	٥٥ـ ٥٩ـ ٦٣
(الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم ...)	٥٣	١١٣
(كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات...)	٥٤	١١٣ـ ١٤٠
(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم.)	٥٥	١٦٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى)	١١٨	٣٣٠
(وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)	١١٩	٣٣٠
(فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي...)	١٢٣	٥٦
(ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا.)	١٢٤	
سورة الأنبياء		
(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة....)	١١	٣٧١
(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه...)	١٨	١٨٦
(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض		
كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنامن الماء كل شيء حي)	٣٠	٩٩ـ ١٢٩ـ ١٩٠
(وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم...)	٣١	٣٢٧
(وجعلنا السماء سقفا محفوظا .. ..)	٣٢	٧٩ـ ٩٣
(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل.....)	٥١	٣٧٩
(ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة.....)	٧٢	٢٥٧
(وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث....)	٧٨	١٢٢
(فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه.)	٩٠	٢٤٤
(...كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا...)	١٠٤	٣٨٠
سورة الحج		
(يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث..)	٥	١٠٥ـ ١٣٩ـ ١٦٢
(...فليمدد بسبب إلى السماء ...)	١٥	٧٨
(الم تر أن الله يسجد له من في السموات..)	١٨	٣٩٤
(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا....)	٢٧	٣٧٨
(...كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)	٣٦	١١٣ـ ١١٥
(ولينصرنّ الله من ينصره.....)	٤٠	٣٠٩
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءا فتصبح		
الأرض مخضرة.....)	٦٣	٩٧ـ ١٣٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض...)	٦٥	٣٦٩
(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم...)	٦٦	٣٦٠
(...ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين		
من قبل وفي هذا.....)	٦٨	٣٨٨
سورة المؤمنون		
(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين....)	١٢	١٠٢
(ثم جعلناه نطفة في قرار مكين.....)	١٣	١٠٢
(ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة..)	١٤	١٠٢ـ ١٠٦
(..وما كنا عن الخلق غافلين...)	١٧	٦١
(وأنزلنا من السماء ماءا بقدر فأسكناه....)	١٨	١٣٦
(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن..)	٢٠	١٤٦
(وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في		
بطونها.....)	٢١	١٩٤ـ ١٩٧
(فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا...)	٢٧	١٧٨
(وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصاروالأفئدة)	٧٨	٢٩٧ـ ٢٩٨ـ ٣٠٠
(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم ....)	١١٥	٦٧
(فتعالى الله الملك الحق لاإله إلا هو....)	١١٦	٦٧
سورة النور		
(يأيها الذين ءامنوا لاتدخلوا بيوتا غير		
بيوتكم حتى تستأنسوا....)	٢٧	٣٢٠
(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا..)	٣٠	٣٠٤
(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن...)	٣١	٣٠٤
(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم...)	٣٣	٢٧٣
(الله نور السموات والأرض مثل نوره....)	٣٥	١٤٥ـ ١٤٦ـ ٢٢٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(الم تر أن الله يسبح له من في السموات...)	٤١	٣٩٤
(ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه..)	٤٣	١٢٨
(والله خلق كل دابة من ماء....)	٤٥	١٢٩ـ ١٣٢ـ ١٩٠
(يأيها الذين ءامنوا ليستأذنكم الذين ملكت.)	٥٨	٣٢٠
(إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون..)	٦٢	٣٢٠
سورة الفرقان		
(ولقد أتوا على القرية التي امطرت مطرالسوء..)	٤٠	١٢٦ـ ١٣٠
(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء....)	٤٥	٣٢٥
(ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا)	٤٦	٣٢٥
(وأنزلنا من السماء ماءا طهورا)	٤٨	١٢٦ـ ١٣٢
(...لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا...)	٤٩	١٢٦ـ ١٣٦
(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا...)	٧٤	٢٤٣ـ ٢٤٩
سورة الشعراء		
(وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين)	١٩	٣٦٠
(..قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن..)	٤١	٢٠
(واجعل لي لسان صدق في الآخرين)	٨٤	٣٧٧
(واجعلني من ورثة جنة النعيم)	٨٥	٣٧٧
(يوم لا ينفع مال ولا بنون)	٨٨	٣٨٥
(إلا من أتى الله بقلب سليم)	٨٩	٣٨٥
(واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون)	١٣٢	١١٤
(أمدكم بأنعام وبنين)	١٣٣	١١٤
(وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)	١٤٩	٣٢٦
(وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين..)	١٧٣	١٣٠
سورة النمل		
(وجحدوا بها واستيقنتهاأنفسهم ظلما وعلوا...)	١٤	٣٦١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(..ومن شكر فإنما يشكر لنفسه...)	٤٠	٣٥١ـ ٣٦٠
(..وأنزل لكم من السماء ماءا فأنبتنا به..)	٦٠	١٣٢
(قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)	٦٢	٢٨٤
(...صنع الله الذي أتقن كل شيء...)	٨٨	١٩٧ـ ٢٢١
سورة القصص		
(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض		
ونجعلهم أئمة.....)	٥	٢٨
(..فاستغاثه الذي من شيعته على الذيمن عدوه..)	١٥	١٣٣ـ ١٨٥
(إنك لا تهدي من أحببت ...)	٥٦	٦٥
(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا..)	٧١	٩٠
(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهارسرمدا..)	٧٢	٩١
(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا		
فيه ولتبتغوا من فضله.....)	٧٣	٩٠
سورة العنكبوت		
(ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذرينة.)	٢٧	٣٨٠
(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها..)	٤٣	٣٠٨ـ ٣٦٦
(...إنّ أرضي واسعة.....)	٥٦	٩٧
(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا.....)	٦٩	٦٤
سورة الروم		
(..وأثاروا الأرض وعمروها أكثرمما عمروها.)	٩	٩٧
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا.)	٢١	٢٤٣ـ ٢٤٥
(ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم ...)	٢٨	٢٦٧
(ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات...)	٤٦	٩٤
(...فيبسطه في السماء كيف يشاء ....)	٤٨	٧٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(فانظر إلى آثاررحمة الله كيف يحي الأرض.)	٥٠	١٩١
(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل ..)	٥٤	١٠٥
سورة لقمان		
(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من		
دونه.....)	١١	٣٥
(ولقد آتينا لقمان الحكمةأن اشكر لله...)	١٢	٣٤٨
(...أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير)	١٤	٢٥٢
(ألم تروا أنّ الله سخر لكم ما في السموات		
وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه.....)	٢٠	٣٣ـ ٣٤
(ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله..)	٣١	١٧٨ـ ١٨٢
(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث...)	٣٤	١٣٤
سورة السجدة		
(الذي أحسن كل شيء خلقه....)	٧	٣٥ـ ٢٢٠ـ ٢٢٢
(..وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...)	٩	٢٩٧
(أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز..)	٢٧	١١٣ـ ١٢٧ـ ١٤٠
سورة الأحزاب		
(يأيها الذين ءامنواذكروا نعمة الله عليكم..)	٩	٢٣
(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه.)	٣٧	٢٤
(يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين		
يدنين عليهنّ من جلاليبهن...)	٥٩	٢٤٣ـ ٢٤٥
سورة سبـــــأ		
(ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه.)	١٠	٦٧ـ ٣٣٩
(...أن اعمل سابغات وقدّر في السرد...)	١١	٣٣٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(...اعملوا آل داود شكرا....)	١٣	٣٤٤ـ ٣٥٤ـ ٣٦٠ـ
		٣٧٥
(ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبوه.....)	٢٠	٣٥٣
(وماأموالكم ولاأولادكم بالتي تقربكم عندنا.)	٣٧	٢٦٠
سورة فـاطر		
(يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من		
خالق غير الله يرزقكم.....)	٣	٣٤ـ ٣٥
(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم		
أزواجا.....)	١١	١٠٢
(وما يستوي البحران هذا عذب فرات...)	١٢	١٦٧ـ ١٧٠ـ ١٧٤ـ
		١٨١ـ ١٨٣ـ ٢٣٤
(ألم ترأن الله أنزل من السماءماءً فأخرجنا		
به ثمرات ....)	٢٧	١٥٧
(وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن...)	٣٤	٣٤٨
(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا..)	٤١	٩٩
سورة يـــــس		
(وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب...)	٣٣	٩٨
(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض.)	٣٦	٥٩
(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار....)	٣٧	٨٨
(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك ....)	٤١	١٨٠
(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا...)	٧١	١١٥ـ ١٢٤
(وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون...)	٧٢	١١٤ـ ١١٥ـ ١٢٤ـ
		٣٩٣
(ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)	٧٣	١١٣ـ ١١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة الصافات		
(فاستفتهم أهم أشد خلقا أمن خلقنا ...)	١١	١٠٢
(إذ جاء ربه بقلب سليم)	٨٤	٣٨٣
(أتعبدون ما تنحتون)	٩٥	٣١٤
(والله خلقكم وما تعملون)	٩٦	٣٦٤
(رب هب لي من الصالحين)	١٠٠	٢٤٩- ٣٨٧
(فبشرناه بغلام حليم)	١٠١	٢٤٩
(فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى		
في المنام أني أذبحك.....)	١٠٢	٣٨٧
سورة ص		
(فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي...)	٣٢	٢٢٩
(...إني خالق بشرا من طين)	٧١	١٠٣
(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعواله..)	٧٢	١٠٣
سورة الزمـر		
(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها.)	٦	١١٤
(...وإن تشكروا يرضه لكم.....)	٧	٣٤٨
(أمّن هو قانت آناءالليل ساجدا وقائما....)	٩	٨٩
(ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءفسلكه.)	٢٠	١٣٦
(ولقد ضربناللناس في هذاالقرآن من كل مثل.)	٢٧	٣٦٦
سورة غافـــر		
(إنا لننصررسلنا والذين ءامنوا في الحياةالدنيا..)	٥١	٣٠
(الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه....)	٦١	٨٩
(هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة.....)	٦٧	١٣٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة فصلت		
(...وبارك فيها وقدّرفيها أقواتها.....)	١٠	٩٧
(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها..)	١١	٣٩٤
(..شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم..)	٢٠	٣٠٠
(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر		
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله..)	٣٧	٨٠ـ ٨٧
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم.....)	٥٣	٧١ـ ٧٣
سورة الشـورى		
(فاطر السموات والأرض جعل لـكم		
من أنفسكم أزواجا.....)	١١	١١٤ـ ٢٤٢
(من كانوا يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه.)	٢٠	٢٧٧
(وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا....)	٢٨	١٣٢ـ ١٨٥
(ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام....)	٣٢	١٧٩ـ ١٨٠ـ ١٨٣
(إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد.....)	٣٣	١٧٩ـ ١٨٣
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا.....)	٥١	٢٨٦
(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم.....)	٥٢	٦٣ـ ٦٦
سورة الزخرف		
(وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون..)	١٢	١٧٧
(أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير		
مبيـــن.....)	١٨	٢٣٣
(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم..)	٣٢	٢٦٢ـ ٢٦٣ـ ٢٦٥
(إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا...)	٥٩	٣٣
سورة الدخان		
(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)	١٠	٣٧١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(يغشى الناس هذا عذاب أليـــم)	١١	٣٧١
(...إنكم عآئدون)	١٥	٣٧٢
(يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون)	١٦	٣٧٢
سورة الجاثيـة		
(الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك		
فيه بأمره.....)	١٢	١٨٣
سورة الأحقـاف		
(قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي		
أنعمت عليّ وعلى والدي.....)	١٥	٣٤
سورة محمـد		
(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب...)	٤	٢٧١
(يأيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم..)	٧	٣١
(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار....)	١٥	١٩٤ـ ٢٠٠
سورة الفتـح		
(إنا فتحنا لك فتحا مبينا)	١	٣٨٩
(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر..)	٢	٣٨٩
سورة الحجرات		
(فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم)	٨	٢٤
(...بل الله يمن عليكم أن هداكم للأيمان..)	١٧	٥٧ـ ٦٥
سورة ق		
(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها.)	٦	٨٠ـ ٢٢٢ـ ٢٨٧ـ
		٣٠٣ـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي....)	٧	٢٨٧ـ ٣٠٣
(تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)	٨	٣٠٣
(وأنزلنا من السماء ماءا مباركا فأنبتا به...)	٩	١٢٧ـ ١٣٢
(والنخل باسقات لها طلع نضيد)	١٠	١٢٧
(رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا...)	١١	١٢٧
سورة الذاريات		
(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)	١٧	٩٠
(وبالأسحار هم يستغفرون)	١٨	٩٠
(وفي الأرض آيات للموقنين)	٢٠	٧٠ـ ٧١ـ ٩٨ـ ١٨٦
(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)	٢١	١٤ـ ٧٠ـ ٧١ـ ١٠٧ـ
		١٨٦
(وفي السماء رزقكم وما توعدون)	٢٢	١٨٦ـ ٢٩١
(فو رب السماء والأرض إنه لحق.....)	٢٣	١٨٦
(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين...)	٢٤	٣٨٤
(إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما....)	٢٥	٣٨٤
(فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين)	٢٦	٣٨٤
(فقربه إليهم قال ألا تأكلون)	٢٧	٣٨٤
(والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون)	٤٧	٣٨٤
(والأرض فرشناها فنعم الماهدون)	٤٨	٩٦
(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون..)	٤٩	٢٤٢
سورة الطـور		
(والبحر المسجور)	٧	١٧٠
سورة النجـم		
(ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين		
أحسنوا بالحسنى.....)	٣١	٢٧٨

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
(وأنّ إلى ربك المنتهى)	٤٢	٢٩١
(وأنّه خلق الزوجين الذكر والأنثى....)	٤٥	٢٤٠
سورة القمـر		
(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر)	١١	٧٩
(وحملناه على ذات ألواح ودسر)	١٣	١٨٠
سورة الرحمـن		
(الشمس والقمر بحسبان)	٥	٨٢
(والأرض وضعها للأنام)	١٠	٩٨
(فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام)	١١	٥٠ـ ٩٨
(والحب ذو العصف والريحان)	١٢	٥٠ـ ٩٨
(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)	١٥	١٠٢
(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)	٢٢	٥٠ـ ١٧٤ـ ٢٣٤
(وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام)	٢٤	٥٠ـ ١٨٠
(كل من عليها فان)	٢٦	٥٠
(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)	٢٧	٥٠
(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان..)	٣٧	٥١
(يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي..)	٤١	٥١
(ولمن خاف مقام ربه جنّتان)	٤٦	٥١
سورة الواقعـة		
(وظل من يحمـوم)	٤٣	٣٢٣
(أفرأيتم الماء الذي تشربون)	٦٨	١٢٦ـ ١٦٢ـ ١٩٠
(أأنتم أنزلتموه من المزن .....)	٦٩	١٢٦ـ ١٦٢ـ ١٩٠
(لو نشاء جعلناه أجاجا.....)	٧٠	١٦٢ـ ١٩٠
(أفرأيتم النار التي تورون)	٧١	١٦٢
(أأنتم أنشأتم شجرتها ...)	٧٢	١٦٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
(نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين)	٧٣	١٦٢
(أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)	٩٤	١٤٣
سورة الحديـد		
(..كمثل غيث أعجب الكفار نباته....)	٢٠	٣٥٦
(..ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء....)	٢١	٢٦٧ـ ٢٦٨
(..وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد.....)	٢٥	١٥٩
سورة المجادلـة		
(...إنّ الله سميع بصير)	١	٣٠٠
(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون...)	٣	٢٧٣
سورة الحشـر		
(لوأنزلنا هذاالقرآن على جبل لرأيته خاشعا..)	٢١	٣٢٧
(هوالله الذي لاإله إلاهوعالم الغيب والشهادة)	٢٢	٢٨٥
سورة المنافقون		
(يأيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا		
أولادكم عن ذكر الله....)	٩	٢٥٨ـ ٢٥٩ـ ٢٦٠
سورة التغابـن		
(...وصوركم فأحسن صوركم،،،)	٣	٢٣٥
(يأيها الذين ءامنوا إنّ من أزواجكم		
وأولادكم عدو لكم.....)	١٤	٢٥٨
(إنما أموالكم وأولادكم فتنة.....)	١٥	٢٥٨
(...والله شكور حليم)	١٧	٣٤٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة الطلاق		
(لينفق ذو سعة من سعته.....)	٧	٣٣٥
سورة التحـريم		
(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح		
وامرأة لوط....)	١٠	٢٤٣
سورة الملك		
(...ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت..)	٣	٢٢٠ـ ٢٢١ـ ٣٠٢
(ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر..)	٤	٢٢١ـ ٣٠٢
(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح....)	٥	٨٦ـ ٢٢٢
(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)	١٤	١٨٩
(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا...)	١٥	٩٦ـ ٩٨ـ ٣١٤
(أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن.)	١٩	٣١٣
(قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع		
والأبصار والأفئدة.....)	٢٣	٢٩٧
سورة القلـم		
(ما أنت بنعمة ربك بمجنون)	٢	٣٣
سورة الحـاقـة		
(وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة)	٩	٣٩٥
(فعصو رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية)	١٠	٣٩٥
(في جنة عالية)	٢٢	٣٩٠
(قطوفها دانية)	٢٣	٣٩٠
(فلا أقسم بما تبصرون)	٣٨	٢٨٦
(ومالا تبصرون)	٣٩	٢٨٦
سورة نـوح		
(يرسل السماء عليكم مدرارا)	١١	٧٨
(والله أنبتكم من الأرض نباتا)	١٧	١٣٧

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
(رب لاتذرعلى الأرض من الكافرين ديارا..)	٢٦	٣٨١
سورة الجـن		
(وأنامنا المسلمون ومناالقاسطون فمن أسلم...)	١٤	٣٩٥
(وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)	١٥	٣٩٥
(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)	٢٦	٢٨٤
(إلا من ارتضى من رسول)	٢٧	٢٨٤
سورة المزمـل		
(وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا)	١١	٢٣
سورة الإنسـان		
(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه..)	٢	٢٩٨
(إنّ هذا كان لكم جزاءاوكان سعيكم مشكورا)	٢٢	٣٤٨
(وما تشاءون إلا أن يشاء الله)	٣٠	٢٧٦
سورة المرسـلات		
(وجعلنا فيها رواسي شامخات)	٢٧	٣٢٨
سورة النبـأ		
(ألم نجعل الأرض مهادا)	٦	٧٠
(والجبال أوتادا)	٧	٧٠
(وخلقناكم أزواجا)	٨	٧٠
(وجعلنا نومكم سباتا)	٩	٧٠
(وجعلنا الليل لباسا)	١٠	٧٠ـ ٨٨
(وجعلنا النهار معاشا)	١١	٧٠
(وبنينا فوقكم سبعا شداد)	١٢	٧٠ـ ٧٩
(لنخرج به حبا ونباتا)	١٥	١٣٧
سورة النازعـات		
(أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها)	٢٧	٨٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــــة	رقمها	الصفحات
(رفع سمكها فسواها)	٢٨	٨٩
(وأغطش ليلها وأخرج ضحاها)	٢٩	٨٩
(أخرج منها ماءها ومرعاها)	٣١	٩٩
سورة عبـس		
(قتل الإنسان ما أكفره)	١٧	٣٦٠
(ثم السبيل يسره)	٢٠	١٠٤
(فلينظر الإنسان إلى طعامه)	٢٤	١٥ـ ٣٠٢
سورة التكويـر		
(وما تشآءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)	٢٩	٢٧٦ـ ٢٧٧
سورة الغاشيـة		
(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)	١٧	١١٦ـ ٣٠٢
(فذكر إنما أنت مذكر)	٢١	٢٧٩
(لست عليهم بمصيطر)	٢٢	٢٧٩
سورة الفجـر		
(...فأكرمه ونعّمـه.....)	١٥	٢٤
سورة البلـد		
(ألم نجعل له عينين)	٨	٣٠٣
سورة الليـل		
(وما لأحد عنده من نعمة تجزى)	١٩	٢٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الايـــــــــة	رقمها	الصفحات
سورة التيـن		
(والتين والزيتون)	١	١٤٥
(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	٤	١٠١ـ ٢٣٥
سورة القـدر		
(إنا أنزلناه في ليلة القدر)	١	٨٩
سورة العاديـات		
(والعاديات ضبحا)	١	٢٢٩
(فالموريات قدحا)	٢	٢٢٩
(فالمغيرات صبحا)	٣	٢٢٩
(فأثرن به نقعا)	٤	٢٢٩
(فوسطن به جمعا)	٥	٢٢٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ب ـ فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحات
«حرف الألف»	
١ـ «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»	١٤٥
٢ـ «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول »	١٤٠
٣ـ«اتقوا الملاعن الثلاثة، البراز في الموارد ،وقارعة الطريق، والظل»	٣٢٤
٤ـ«أبرأ إلى كل خليل من خلّه، ولو كنت متخذا خليلا...»	٣٨٨
٥ـ«الإبل عز لأهلها.....»	١١٤ـ١٢١
٦«أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر....»	٢١٤
٧ـ«اتخذي غنما فإنها بركة »	١٢١
٨ـ«أتي ليلة أسري به بقدح من خمر، وقدح من لبن.....»	١٩٤
٩ـ«اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر...»	٢١٤
١٠ـ«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...»	٣٤٩
١١ـ«أخذ حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهبا.....»	١٣٥
١٢ـ« إذا تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا....»	٣٤٩
١٣ـ«إذا رأى المطر قال اللهم صيبا نافعا »	١٣٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٤-«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة...» ٢٥٣

١٥ -«أربعة يوم القيامة كلهم يدلي على الله حجة ٣٠١

١٦-«...أفضله لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا...» ٣٨٤

١٧-«أفلا أكون عبدا شكورا » ٣٨٩

١٨- «أنا دعوة أبي إبراهيم » ٣٧٧

١٩-«أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ٣٨٠

٢٠-«أنت ومالك لوالدك » ٢٥٣

٢١-«أنتم بنوا آدم وآدم من تراب » ٢٧٢

٢٢-«إنّ أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم » ٢٥٣

٢٣-«إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة....» ٢٨١

٢٤-«إنّ رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال إن أخي استطلق بطنه..» ٢٢٠

٢٥-«إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان...» ٨٤

٢٦-«إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » ٣٨٢

٢٧-«إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله...» ٩٠

٢٨-«إنّكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم..» ٢٥٥

٢٩-«إنّ الله جميل يحب الجمال » ٢٢٣

٣٠-«إنّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع تراب الأرض..» ١٠٢

٣١-«إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه..» ٢٢٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٢-« إنّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها..... » ٣٧٥

٣٣-« إنّ الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن..... » ٣٨١

٣٤-« إن الله تعالى يحب إذا أنعم على امرىء نعمة أن ينظر... » ٣٣٥

٣٥-« إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.. » ٢٣٦

٣٦-« إنما الكرم قلب المؤمن .. » ١٥٢

٣٧-« إنّ من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه. » ٢٥٤

٣٨-« إنّ الولد مبخلة مجبنة.. » ٢٥٩

٣٩-« إنّ الولد مبخلة مجبنة مهلكة محزنة.. » ٢٥٩

٤٠-« أنه عليه السلام أَذِن في لحوم الخيل. » ١٢٤

٤١-« أنه عليه السلام قام حتى تورمت قدماه... » ٣٤٥

٤٢-« أي الصدقة أعجب إليك ؟ قال الماء. » ١٩١

«حرف الباء»

٤٣-« بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده » ١٥٩

٤٤-« بيت لا تمر فيه جياع أهله.. » ١٤٨

٤٥-« بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ أتى بجمار نخلة.. » ١٥١

«حرف التاء»

٤٦-« تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم .... » ٢٤٤-٢٥١

٤٧-« تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء... » ٢٥١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«حرف الثاء»

٤٨-«ثلاث لا يمنعنّ الماء، والكلأ، و النار.» ١٩١

٤٩-«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم...» ١٩١

«حرف الجيم»

٥٠-«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا خير البرية...» ٣٧٩

«حرف الحاء»

٥١-«حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب..» ٢٤٥

٥٢-«الحج عرفة» ٢١٤

٥٣-«حدثوا الناس بما يعرفون» ١٢٥

٥٤ - «حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي...» ٢٣٥

٥٥-«حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه.» ١١٨

٥٦-«حلٌ لإناثهم» ٢٣٥

«حرف الخاء»

٥٧-«الخمر من هاتين الشجرتين ، النخلة والعنبة.» ٢١٤

٥٨-«الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.» ٢٣٠

«حرف الدال»

٥٩-«الدعاء هو العبادة» ٣٨٣

٦٠-«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» ٢٤٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«حرف الذال»

٦١-«ذاك إبراهيم عليه السلام» ٣٧٩

«حرف الراء»

٦٢-«رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا..» ٣٤٥

«حرف السين»

٦٣-«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...» ٣٢٤

٦٤-«سقيت رسول الله ﷺ كل الشراب الماءوالعسل واللبن...» ١٩٤

«حرف الشين»

٦٥-«الشفاء في ثلاثة:في شرطة محجم أو شربة عسل...» ٢٠٠

٦٦-«شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلقد رأيته...» ٢٣١

«حرف الغين»

٦٧-«...غض البصر...» ٣٠٤

٦٨-«الغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل...» ١٢١

«حرف الفاء»

٦٩-«فأتيت بإنائين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر...» ١٩٤

٧٠-«فأتي رسول الله ﷺ فقيل يارسول الله استسق لمضر...» ٣٧٢

٧١-«فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة...» ٢١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٢ـ«فإن يك ثوابا فمن الله وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان» ١٣

٧٣ ـ «فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن.» ١٩٦

٧٤ـ«....فجحد فجحدت ذريتته..» ٣٥٩

٧٥ـ«...فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا نعم. ..» ١٥٥

«حرف القاف»

٧٦ـ«قاتلهم الله لقد علموا أنّ شيخنا لم يكن يستقسم...» ٣٨٨

٧٧ـ«قدم ناس من عكل أو عرينة فاجتووا المدينة ...» ١١٩

٧٨ـ«قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن...» ٥٠

«حرف الكاف»

٧٩ـ«كان عليه السلام يأكل بزيت الزيتون ويدّهن به » ١٤٦

٨٠ـ«كان عليه السلام يتعبد في أول أمره في غار حراء ٣٢٧

٨١ـ«كان يعجبه الحلواء والعسل » ٢٠٠

٨٢ـ«كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » ٢٥٥

٨٣ـ«كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه..» ٢٥٥

٨٤ـ«كل مسكر خمر وكل خمر حرام. » ٢١٤

٨٥ـ«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه » ١٩

«حرف اللام»

٨٦ـ«لا يقل أحدكم هذا عبدي وهذه أمتي...» ٢٧٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٨٧-«لا يقولنّ أحدكم للعنب الكرم، الكرم الرجل المسلم.» ١٥٢

٨٨-«لا تقولوا الكرم، وقولوا العنب..» ١٥٢

٨٩-«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار..» ٢٥٣

٩٠-«لقد قرأتها على الجن ليلة الجنّ ...» ٥٠

٩١-«اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنيّ....» ٣٧٢

٩٢-«اللهم أغثنا غيثا مغيثا....» ١٣٣

٩٣-«اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به..» ٧٣

٩٤-«اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان...» ٨٤

٩٥-«لو أن أحدكم أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا...» ٢٥٤

٩٦-«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم..» ٦٢

٩٧-«لو أن امرءا اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة..» ٣٢١

٩٨-«لولا تمريغ قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع...» ٢٨٩

٩٩-«ليس من ليلة إلا والبحر يشرف منها ثلاث مرات يستأذن...» ١٦٩

«حرف الميم»

١٠٠-«ما استفاد المسلم بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة...» ٢٤٤

١٠١-«ما أسكر كثيره فقليله حرام» ٢١٤

١٠٢-«ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم...» ١٢٢

١٠٣-«..ما مالك ؟من كل المال....» ٣٣٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠٤-«ما من مسلم يغرس غرساأو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان..» ١٤٤
١٠٥-«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» ٢٧٤
١٠٦- «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ..» ٢٨١
١٠٧-«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث..» ١٨٧
١٠٨-«مثل المؤمن مثل النحلة إن أكلت أكلت طيبا..» ٢٠٦
١٠٩-«مثل المؤمن مثل النحل لا تأكل إلا طيبا.» ٢٠٦
١١٠-«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم...» ١٠٨
١١١-«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين....» ٢٥٥
١١٢-«المسلمون شركاء في ثلاث:الماء، والكلأ، والنار» ١٩١
١١٣-«مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهنّ إلا الله...» ١٣٤
١١٤-«من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله...» ٢٣١
١١٥-«من أصبح منكم آمنا في سربه معافا في جسده..» ٣٧٣
١١٦-«من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه...» ١٩٤
١١٧-«من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره....» ١٤٨
١١٨-«من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...» ٣٤٩
١١٩-«من قتل عبده قتلناه...» ٢٧٢
١٢٠-«من لا يشكر الناس لا يشكر الله» ٣٤٧
١٢١-«من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى...» ٢٥٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«حرف النون»

١٢٢-«نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسا فأكلناه.» ١٢٤

١٢٣-«نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ...» ٢٥٤

١٢٤-«نِعْم المنيحة المنيحة اللقحة:الصفي منحه...» ١٢٢

١٢٥-«نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية،وأذن...» ١٢٤

«حرف الهاء»

١٢٦-«هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة» ٢٥٨

١٢٧- «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» ١٧٣

«حرف الواو»

١٢٨-«...وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه..» ٧٣

١٢٩-«وإنّ لنافي البهائم أجرا؟، قال في كل كبد رطبة أجر...» ١٩١

١٣٠-«..ورأيت إبراهيم عليه السلام فأنا أشبه ولده به.» ٣٨١

١٣١-«والغنم بركة، والخيل ...» ١٢١

١٣٢-«ولابشيء من نعمك نكذب ولك الحمد.» ٤٩

١٣٣-«..ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة...» ١٥١

«حرف الياء»

١٣٤-«يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي..» ٣٨٩

١٣٥-«يأيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة...» ٣٨٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٣٦-«يا رسول الله إنّ أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل...» ١٩١

١٣٧-«يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم...» ٣٨٩

١٣٨-«يا معاذ إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعنّ دبر...» ٣٤٥

١٣٩-«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...» ٩٠

١٤٠-«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شغف...» ١٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ج - فهرس الأشعار

الأبيـــــات الشعرية

		الصفحات
«ء»		
وما العيش إلا نومة وتشرق	وتمر كأكباد الحرار وماء	١٢٩
«ب»		
أفادتكم النعماء مني ثلاثة	يدي ولساني والضمير المحجبا	٣٥٠
«ر»		
لانشتهي لبن البعير وعندنا	عرق الزجاجة وأكف المعصار	١١٥
إذا مس بالسراء عم سرورها	وإذا مس بالضراء أعقبها الأجر	٣٥٣
ولا منها إلا له فيه منة	تضيق بها الأوهام والبر والبحر	٣٥٣
إذاكان شكري نعمةالله نعمة	عليّ وفي أمثالها يجب الشكر	٣٥٢
فكيف وقوع الشكرإلا بفضله	وإن طالت الأيام واتصل العمر	٣٥٣
«ل»		
لعلهم أن يمطروني نعمة	كما صاب ماء المزن في البلدالمحل	١٣٤
بها النخل والآطام تجري خلالها	جداول قد تعلو رفاقا وجرولا	١٤٨
شم العرانين أبطال لبوسهم	من نسج داود في الهيجاء سرابيل	٣٢٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«ن»

ونحن منعناالبحرأن يشربوا به، وقد كان منكم ماؤه بمكان ١٦٧

وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا ١٣٤

«هـ»

إذا المرءلم يغسل من اللوم عرضه، ولم ينقه لم يغن عنه بهاؤه ١٣٣

اليوم يبدو بعضه أو كله، فما بدا منه فلا أحله ٣٣٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

د ـ فهرس الأعلام

أسماء الأعلام	الصفحات
آدم عليه السلام	٢٦ـ ٤٥ـ ٥٦ـ ١٠١ـ ١٠٢ـ ٣٣٠ـ ٣٤٥
إبراهيم عليه السلام	٤ـ ٥٢ـ ١٨٨ـ ٣٧٦ـ ٣٧٧ـ ٣٧٨ـ ٣٧٩ـ ٣٨٠ـ ٣٨٢ـ ٣٨٤ـ ٣٨٥ـ ٣٨٦ـ ٣٨٨ـ ٣٨٩
ابن الأثير:المبارك بن محمدبن محمد الشيباني	٢٠٧
أحمد بن حنبل	١٤٦
الأزهري:أبومنصور محمد بن محمد	١٩
إسحاق عليه السلام	٣٨٠
أسماء بنت أبي بكرالصديق	١٢٤
إسماعيل عليه السلام	٣٨٠
أبو أسيد	٢٥٤
الأشج عبد قيس	٣٨٢
ابن الأعرابي: محمد بن زياد	٢٠ـ ١١١
الألوسي:شهاب الدين محمود بن عبد الله	١٨٢
أنس بن مالك	١١٨ـ ١١٩ـ ١٩٤ـ ٢٥١
أم أيمن:	١٢٢
البخاري:محمد بن اسماعيل	١٤٤
بدر الدين بن جماعة:محمد بن إبراهيم	١٨١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو بكر الصديق ٢٢٣- ٣٢٦

البيضاوي: ناصر الدين عبد الله ٢٩٦

البيهقي: أبوبكر أحمد بن الحسين ١٤٦

الترمذي: أبوعيسى محمد بن عيسى ٥٠- ١٤٦

ابن تيمية:تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام الحراني ٥- ٥٧- ١٩٤- ٣٠٢- ٣٣٠- ٣٣٨

أبو ثور: الكلبي إبراهيم بن خالد ٢١٢

جابر بن عبد الله ٥٠- ١٢٤

الجاحظ: عمرو بن بحر ١٢٢

جبريل عليه السلام ١٣٤

ابن جبير: سعيد بن جبير الأسدي ٢١٢

الجرجاني: عبدالقاهر ١٦٢- ٢٠٨

جرير بن عبد الله البجلي ٢٣٤

ابن الحاج: محمد بن محمد الفاسي ١٤٤

الحاكم:محمد بن عبدالله النيسابوري ١٤٦- ٢٥٩

حسان بن ثابت ١٤٩

الحسن البصري ٢١٢

حوّاء ٣٣٠

خديجة بنت خويلد ٤١

داود عليه السلام ١٥٩

دحية بن خليفة الكلبي ٢٣٥

ذو القرنين ١٥٨

الراغب الأصفهاني ٦٠- ١٠٣- ١٣١- ١٣٧

ربيع بن عبد الله الملط ١٨١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو رزين: ٢١٢

ابن الزبير: عبد الله ٣٨

ابن زيد: عبد الرحمن ٢٥٨

زيد بن حارثة ٢٤

سعد بن عبادة ١٩١

أبو السعود:محمد بن محمد العمادي ١٣١- ١٨٣

أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك ١٢١- ٢٠٠

سعيد بن المسيب ١٩١

أبو سفيان:بن الحارث بن عبد المطلب ٢٣١

سليمان عليه السلام ٣٦٠

أم سليم: سهلة بنت ملحان بن خالد ١٩٤

ابن السماك: ١٩٢

سيد قطب ١٧٩- ١٨٧- ١٩١- ٢١٥- ٢٢٢- ٢٦٤

ابن سيده: ١١١

السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن ٣٤- ٤٤

الشعبي: ٢١٢

الشنقيطي:محمد الأمين ١٦٨- ٢١٢- ٢٥٧

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله ١٢٤

أبو طالب بن عبد المطلب ٤١

طاليس ١٦٢

عائشة بنت أبي بكر الصديق ٧٣- ٢٠٠- ٣٨٩

ابن عاشور:محمد الطاهر ٢٦٤

ابن عباس: عبد الله ٣٨- ٤٧- ١٤٦- ١٩٤- ٢٠٠- ٢٠٩- ٢١٢- ٢١٤- ٢٥٨- ٣٧١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العباس بن عبد المطلب ٢٣١

عبد الرزاق نوفل ١٦٩

عبد العليم خضر ١٨٥

ابن عمر :عبد الله ١٥١- ١٥٩- ٢٠٦- ٢١٢- ٢١٤

ابن مسعود:عبد الله ٢١٢

عبد الله ميرغني محمد صالح ٧

أبوعبيدة: معمر بن المثنى التيمي ١٣١

عبد المنعم عشري ١٧١

ابن العربي:أبي بكرمحمد بن عبد الله ٢٨٢

عطاء ابن أبي رباح ٧٣

ابن عطية: عبد الله بن عبد الحق ٣- ٤٠

عمر بن الخطاب ١٦٩- ٢١٦- ٢٣٤- ٢٧٤- ٣٨١

عمرو بن العاص ٢٧٤

عيسى ابن مريم عليه السلام ٢٦- ١٦٢

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد ٣٠١

ابن فارس:أحمد بن فارس بن زكريا ١٢٩

الفخرالرازي:محمد بن عمر بن الحسين ٣- ٢٢- ٢٩- ١٣٨- ١٣٩- ١٤١- ١٤٢- ١٤٣- ١٦٢- ١٦٤

فرعون ٢٠- ٢٧- ٣٦٠

قتادة بن دعامة السدوسي ٣- ٣٩

القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري ٢٢٥- ٢٩٧- ٢٩٨- ٣٠٨

القزويني:زكريا القزويني ١٦٢- ١٦٣

ابن القيم:محمد بن أبي بكر ٥٩- ٦٠- ٦٧- ٩٦- ١٠٥- ١٢٣- ١٢٧- ١٤٥- ١٤٩- ١٥١- ١٥٢- ١٥٣- ١٦٢- ١٦٣- ١٦٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

	١٧٢- ١٧٨- ٢٢٣- ٣٠٧-
ابن كثير:إسماعيل بن كثير القرشي	١٥٥- ١٧٠- ٢٦٢-
ابن أبي ليلى: عبد الرحمن	٢١٢
مأجوج	١٥٩
ابن ماجة :محمد بن يزيد القزويني	١٢٤- ١٤٦
مجاهد بن جبر	٢١٢
محمد الراوي	١٨٦- ١٨٩
محمد بن عبد الله عليه السلام	٢٣- ٢٦- ٣٧٨- ٣٧٩- ٣٨٠- ٣٨٨
محمد عزت حسن	٦
محمد فتحي	١٧٤
محمد بن محمد العمادي	١٨٣
محمد وردة	١١٦- ١١٧
مسلم بن الحجاج القشيري	١٥٢
مطعم بن جبير	٢٥٣
معاذ بن جبل بن عمرو	٢٤٥
معقل بن يسار	٢٥١
ابن المنذر: إبراهيم الحزامي	١٢٤
ابن منظور:محمد بن مكرمبن علي	١٩
موسى عليه السلام	٢٠- ١٨٥- ٣٦٠
أبو موسى:عبد الله بن قيس الأشعري	١٨٧
النخعي :إبراهيم بن يزيد	٢١٢
النسائي: أحمد بن شعيب	١٢٤- هـ
نوح عليه السلام	١٧٨- ١٨٠- ٣٧٦- ٣٨١- ٣٨٤
هارون الرشيد	١٩٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أم هانيء:فاختة بنت أبي طالب ١٢١
أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر ١٢١ـ ١٩١ـ ٢١٤
وهبة الزحيلي ١٥٩
يأجوج ١٥٩
يعقوب بن إسحاق عليه السلام ٢٦
يوسف بن يعقوب عليه السلام ٢٦ـ ٢٣٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هـ ـ فهرس المصادر والمراجع

«حرف الألف»

١# آفاق الهداية، عبد العزيز بن خلف آل خلف، مكتبة دار البيان، دمشق، دون ط، ولا تاريخ نشر.

#آيات الله في الآفاق، أو طريق القرآن في العقائد، محمد بن أحمد العدوي، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٥٢هـ.

آيات للموقنين، محمد الصرايرة، مكتبة المنار الزرقاء «الأردن»ط١ ١٤٠٥هـ

#إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٣٨٦هـ.

٥# إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن، أحمد البراء الأميري، دار المنارة، الزرقاء «الأردن»، ط١، ١٤٠٦هـ.

الإبل العربية، محمد بن عبد الله الصانع، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط٢، ١٤٠٤هـ.

#الإبل العربية نشأتها وسلالاتها وطرق تربيتها، محمد فاضل وردة، دار الملاح للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ.

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار التراث ،القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.

#أحسن القصص، علي فكري، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ط، ولا تاريخ

١٠#أحكام الطفل، أحمد العيسوي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

#أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن العربي المالكي، تحقيق محمد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

أحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، تصحيح عبد العزيز السيروان، ط٣، دار القلم، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخبار الأبل عند العرب بين القديم والحديث، مطلق العساف السهلي، مطابع الحرس الوطني، الرياض، ١٤٠٧هـ.

أخبار عمر وعبد الله بن عمر، علي الطنطاوي،وناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، عام ١٤٠٣هـ.

١٥#أدب الاستئذان، عبد الرب نواب الدين، دار المجتمع للنشرجدة،ط١، ١٤٠٩هـ.

#أدب الدنيا والدين، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق مصطفى البغا، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ط، ولا تاريخ نشر.

#إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي دون ط، ولا تاريخ نشر.

#أركان حقوق الإنسان، بحث مقارن بين الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة، صبحي المحمصاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، بدون تاريخ نشر.

الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٠#أسرار الجمال بين الأقوال والحكم والأمثال، سيد صديق عبد الفتاح، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٠هـ.

#أسرار الكون، ألن هانبك، ترجمة سيد رمضان هدارة، مكتبة النهضة المصرية، دون ط، ولا تاريخ نشر.

#الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، عمارة نجيب، مكتبة المعارف ، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ.

#الإسلام تشكيل جديد للحضارة، محمد تقي الأميني، ترجمة مقتدي حسن ياسين، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ.

#الإسلام دين عامر خالد تحليل دقيق لأصول الدين الإسلامي تحت ضوء العلم والفلسفة، محمد فريد وجدي، مطبعة الإعتماد، القاهرة، ط٢، دون تاريخ.

٢٥#الإسلام والأسرة، معوض عوض إبراهيم، سلسلة الثقافة الإسلامية، دون ط ولاتاريخ نشر.

#الإسلام والعلم نظرات معجزة، محمد الخطيب، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط١، ١٩٨١م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#الإشارات العلمية في الآيات الكونية في القرآن الكريم، محمد محمود إسماعيل، دار الدعوة للنشر، الاسكندرية، ط١، ١٤١١هـ.
#أصول علم النفس العام، عبد الحميد الهاشمي، دار الشروق، جدة، ١٤٠٤هـ.
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٩٨٣م.
٣٠#أضواء على الهجرة، توفيق سبع،منشورات المكتبة العصرية،بيروت،١٣٩٣هـ.
#الاعتصام، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي القرناطي، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، دون ط ولا تاريخ نشر.
#الإعجاز الفكري في القرآن، السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، دون ط ولا تاريخ نشر.
#الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٠م.
الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٣٥#إفادة المستفيد شرح كتب التوحيد، عبد الرحمن بن حمد الجطيلي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ.
#الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، علي بن داود بن عمر الرسولي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
#الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، الناشرون العرب، القاهرة، ١٩٧١م.
#الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، محمد بن إبراهيم الفيومي،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
#أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ.
٤٠#الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق سعيد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م.
#الأمثال في القرآن الكريم، الشريف بن منصور بن عون العبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ
#الأمثال في القرآن محمود بن الشريف، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ط٢،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، الحسين بن الفضل، تحقيق علي بن حسين البواب، مكتبة التوبة، الرياض، ط٢.باريخ نشر غير معروف.
أمراض العيون وتقويم البصر، عبد المنعم مصطفى، دارالفارس، عمان، الأردن ط١، سنة ١٩٩١م.
٤٥# الإنتصاف،أحمد بن المنير الإسكندري، مطبوع على هامش تفسير الكشاف للزمخشري، دار الريان للتراث،القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت ط٣، ١٤٠٧هـ.
#الإنسان بين العلم والدين، شوقي أبوخليل، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٣٩٩هـ.
#الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.
#الإنسان والثروة المعدنية، محمد فتحي عوض الله،عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠٠هـ.
#الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن، عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
٥٠#الإنسان وحريته في الإسلام، محمد محمود بابللي، دار الشبل للنشر، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
#أنوارالتنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الجيل، بيروت، دون ط والتاريخ نشر.
#أوجه من الإعجاز العلمي ـ اللبن ـ علي أحمد علي الشحات، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، مكة المكرمة، دون ط ولا تاريخ نشر.
#أولى ما قيل في آيات التنزيل، رشيد الخطيب الموصلي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل العراق، ١٩٧١ـ ١٩٧٤م.
أيسر التفاسيرلكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، الناشر المؤلف، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٠٢هـ.
٥٥#الإيمان بالغيب، بسام سلامة، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط١، ١٤٠٣هـ

«حرف الباء»

#البحار وما فيها، روبرت كارول، ترجمة عبد الحافظ حلمي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب. المشهور بابن قيم الجوزية، دار الفكر، دون ط، ولا تاريخ نشر.
#البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.
#البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دون ط، ولاتاريخ نشر.
٦٠#بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٠هـ.
بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت.
#بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، دار الشهاب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ.
#بناء السفن، ربيع بن عبد الله الملط، الهيئة المصرية العامةللكتاب، ط٢، ١٩٨٢م.

«حرف التاء»

#تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ١٣٨٦هـ.
٦٥#التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، السيد أبي الطيب القنوجي، تعليق عبد الكريم شرف الدين، دار إقرأ، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ
#تاريخ بغداد، الحافظ أبي بكر بن أحمد البغدادي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع دون ط ولا تاريخ نشر.
#تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ.
#التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق طه يوسف شاهين، دار الكاتب العربي، بيروت، دون ط ولا تاريخ نشر.
#تحفة الودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣.
٧٠#التداوي بالعسل، عبد المنعم قنديل، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#تربية الأولاد في ظل الإسلام، محمد محمود عمارة، دار التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ
#التربية العقلية في الإسلام، سيد سابق ومحمد عدلان، مركز البحوث التربوية والنفسية جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.
#تشكيل المعادن، سلمان الغبيني، منشورات جامعة حلب، كلية الهندسة، ١٤٠١-١٤٠٢هـ.
#التصاريف، يحي بن سلام،الشركة التونسية للتوزيع، دون ط، ولاتاريخ نشر.
٧٥#كتاب تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، يحي بن حمزة اليماني الذماري، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط١، ١٤٠٨ه.
#تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ناشر غير معروف، ط٢، ١٣٩٠هـ.
#التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٩م.
#التغذية وعلم الأطعمة التجريبي، حياة الطيب النجار، ناشر غير معروف، ١٩٧٢م.
#تفسير آيات الأحكام، محمد بن علي السايس،مطبعة محمد علي صبيح،دون تاريخ.
٨٠#تفسير الآيات الكونية، عبد الله شحاته،دار الإعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.
#تفسير الآيات الكونية في القرآن، عبد المنعم السيد عشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
#تفسير أبي السعود«إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
#تفسير البحر المحيط، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، دون ط ولا تاريخ نشر.
#التفسير البسيط للقرآن الكريم، حسن محمد باجودة، منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية، مكة المكرمة، دون ط ولاتاريخ نشر.
٨٥#تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.
#تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، المكتبة الشعبية، دون ط، ولاتاريخ نشر.
#التفسير العلمي في الآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف، مصر، ط٢، دون تاريخ نشر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، هند شلبي، الناشر المؤلفة، تونس، ط١، ١٤٠٦هـ.
#التفسير الفريد للقرآن المجيد، محمد عبد المنعم الجمال، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٧٠م.
٩٠#تفسير القرآن العظيم، الحافظ، إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ومكتبة الرياض الحديثة، دون ط ولاتاريخ نشر.
#التفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم محمود الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
#التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
#التفسير الكبير، لابن تيمية، جمع وتحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
#تفسير المراغي،أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط٢، ١٩٨٥م.
٩٥#تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، دون ط، ولاتاريخ نشر.
#التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، وبيروت، ط١، ١٤١١هـ.
#تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون ط، ولاتاريخ نشر.
#التفسير الواضح، محمد بن محمود حجازي، دار الجيل، القاهرة، ط٤، ١٣٨٨هـ.
#التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار المعارف، تاريخ غير معروف.
١٠٠#تفصيل النشأتين وباب السعادتين، الراغب الأصفهاني:أبو الحسين القاسم بن محمد، تحقيق عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
#التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون ط،ولا تاريخ نشر.
#تكريم الإسلام للإنسان، فاروق مساهل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
#تهذيب مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، هذبه عبد المنعم صالح العلي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، بدون ط ولاتاريخ نشر.
١٠٥# تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي النسخة المصورة عن الأصل، دارالنفائس.
تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
تهذيب مدارج السالكين لبن القيم، هذبه عبد المنعم صالح العزي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، دون طبعة ولا تاريخ نشر.
#التوازن بين الروح والعقل والجسد، مروان القادري، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٢هـ.
#تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، محمد بن نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة جديدة، ١٤١٠هـ.
١١٠#التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
#تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة السعيدية، الرياض، دون ط، وعالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية بيروت، ط١, ١٤٠٨هـ.
#تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،دون ناشر ط٢، ١٤٠٩هـ.

«حرف الثاء»

#الثروة المعدنية في الوطن العربي، عبده شطا، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م.
#الثروة المعدنية وحقوق الدولة والفرد فيها، محمود المظفر، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط١، ١٤٠٠هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١٥#ثوب الأرض الأزوني يتمدد، محمد سالم حجازي، مكتبة العجيري، الكويت، دون ط، ولاتاريخ نشر.

«حرف الجيم»

#جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

#جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها، الناشر المؤلف، الرياض،مطابع الإشعاع، ط١، ١٤٠٦هـ.

#الجغرافيا ولجام الحق، صالح بن عبد الله العييري،مطابع السلامان للأوفست، ناشر غير معروف، مكان النشر بريدة، ١٤١٠هـ

#الجغرافيا المناخية «علم المناخ»، نعمان شحاره، دار القلم،الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٠#جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٧هـ.

#الجمال، فضله حقيقته أقسامه، إبراهيم عبد الله الحازمي، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

#جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الصديق الغماري، مطبعة محمد عارف، مصر، دون تاريخ.

«حرف الحاء»

#الحديث في تربية النحل وأهمية العسل في التغذية والعلاج، سلامة داود شقير، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٥هـ.

#الحريات العامة في الإسلام مع المقارنة بالمباديء الدستورية الغربية والماركسية، محمد سليم محمد عزوي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، بدون ط ولاتاريخ نشر.

١٢٥#حرية الإنسان في الإسلام، بكر موسى، الهيئة العليا لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

#حق الآباء على الأبناء، طه عبد الله العفيفي، دون ناشر، ولاط.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي، المكتبة التجارية ط١، ١٢٨٣هـ.
#حقوق الإنسان في الإسلام، عبد اللطيف الحاتمي، دار الجيل، بيروت، ودار الوفاق المغربي، ط١، ١٤١٠هـ.

«حرف الخاء»

#خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٨هـ.
#خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، دار طيبة، الرياض، ١٤١١هـ.
١٣١#خطة الإسلام في موارد الإنتاج، فهد بن حمود العصيمي، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
#خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، عبد الجبار النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
#خليل الله أبو المسلمين إبراهيم ، عبد السلام محمد بدوي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣م.
#الخمر في الفقه الإسلامي، دراسة مقانة، فكري أحمد ركاز، المختار الإسلامي، للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٣٥#الخيل والفروسية في الإسلام، محمد بن إبراهيم نصر، دار الكتاب السعودي، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

«حرف الدال»

درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام،مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ
#الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، الناشر محمد أمين. بيروت، تاريخ غير معروف.
#دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#دراسات تاريخية من القرآن الكريم، محمد بيومي مهران، مطابع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هـ.
١٤٠# دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زاهر بن عواض الألمعي، دون ناشر، ط١، ١٤٠٥هـ.
#الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد بن عبد الرحمن الراوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١١هـ.
#الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، رأوف شلبي، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
#دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٧٥هـ.
#دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمعه محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، وبيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.
١٤٥# دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أبوبكر أحمد بن الحسين البهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، عام ١٤٠٥هـ.
دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث، توفيق محمد عز الدين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
#ديوان حسان بن ثابت، جمع وتحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
#ديوان الحماسة،أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، مطبعة السعادة ، القاهرة، ١٩٢٧م.
#ديوان كعب بن زهير، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الشواف، الرياض،ودار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٩م.

«حرف الذال»

١٥٠#الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، تحقيق أبو اليزيد العجمي، الوفاق للطباعة والنشر، المنصورة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
#ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨١هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«حرف الراء»

#رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الكون، عبد الكريم عثمان، دار السلام للطباعة، حلب، ط١، ١٤٠٥هـ.

#رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله ، محمد صفوك العلي، مكتبة دار العليان بريدة «السعودية»، دون ط، ولاتاريخ نشر.

#الرد على المنطقيين، ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مطبعة المعارف، لاهور باكستان، ط٢، ١٣٩٦هـ.

١٥٥#روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، طبعة جديدة مصححة، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت.

«حرف الزاي»

#زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٣٨٤هـ.

#زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.

#زبدة اللبن فوائد لغوية وحديثية وطبية، جلال الدين السيوطي، تحقيق مرزوق إبراهيم دار الإعتصام، القاهرة، دون تاريخ

#زكاة الحلي في الفقه الإسلامي، عبد الله محمد الطيار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دون ط، ولا تاريخ نشر.

١٦٠#الزواج الإسلامي السعيد وآداب اللقاء بين الزوجين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، تحقيق محمد عثمان الخشاب، مكتبة القرآن .

«حرف السين»

#سلسلة الأحاديث الصحيحةوشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ومكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

#السماء في الليل دليل عملي للتعرف على النجوم، علي عبنده، وعبد القادر عابد، دار الفرقان عمان «الأردن»، ط١، ١٤٠٥هـ.

#سنن الترمذي،للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة جديدة مرقمة على التحفة والمعجم المفهرس.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
١٦٥#سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
#السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت.
#سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، وط دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
#سنن ابن ماجة، للإمام عبد الله بن يزيد القزويني، المكتبة العلمية، بيروت،.
#سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، السيد محمد علي نمر، المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ.

«حرف الشين»

١٧٠#شبهات حول الإسلام، محمد قطب، مكتبة وهبة، مصر، ط٦، ١٩٦٤م.
#شرح صحيح مسلم، للإمام يحي بن شرف النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ.
#شرح القصائد العشرة، الخطيب التبريزي:يحي بن علي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٧٨م.
#شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع عبد الحميد محمد المعيني، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٩٨٢م.
#كتاب الشكر، عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق أحمد طاحون، ناشر غير معروف.

«حرف الصاد»

١٧٥#الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين بيروت، ١٣٩٩هـ
#الصحاح في اللغة والعلوم تجريد صحاح الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع الجامعات العربية، أسامة مرعشلي، ونديم مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#صحيح البخاري،للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر المكتبة الإسلامي، استانبول،١٩٧٩م،ودارابن كثير دمشق، وبيروت، عناية مصطفى البغا.
#صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
#صحيح سنن الترمذي باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٨٠#صحيح سنن أبي داود باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.
#صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الأسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
#صحيح سنن النسائي باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.
#صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٢هـ.
#صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفرقان، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ.
١٨٥#ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
#الضياء في تفسير سورة الإسراء، محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ٢٩٧٧م.

«حرف الطاء»

#الطب الروحاني، محمد زكريا الرازي، منشورات دار الحكمة، بيروت، ودمشق، ١٤٠٧هـ.
#الطب محراب الإيمان، خالص حلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
#الطب النوي، ابن قيم الجوزية، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢ هـ.
١٩٠#الطبقات الكبرى، محمد ابن سعد، دار صادر، بيروت، دون تاريخ نشر،
#الطبيعيات والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد العليم خضر، الدار السعودية للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#طريق الإيمان، الإيمان عن طريق الفكر المستنير، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٣م.
#الطقس والمناخ دراسة في طبيعة الجو وجغرافية المناخ، فهمي هلالي أبو العطا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دون تاريخ نشر.

«حرف الظاء»

#ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم، إبراهيم حسن نصيرات، الناشر، فتحي نصيرات، الأردن، ط١، ١٤٠٠هـ.

«حرف العين»

١٩٥#عبودية الكائنات لرب العالمين، فريد إسماعيل التوني،مكتبة الضياء، جده،ط١ ١٤١٣هـ.رسالة علمية،ماجستير،قدمت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة
#عجائب القرآن، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
#عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا القزويني، دار الوفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨م.
#العسل فيه شفاء للناس، محمد نزار الدقر، دار المعاجم، دمشق، ط٣، ١٩٩٢م.
#عسل النحل شفاء نزل به الوحي، عبد الكريم الخطيب، الدار السعوديةللنشر، جدة.
٢٠٠#عسل النحل غذاء وشفاء، محمد محمود عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت،، ط١، ١٤١١هـ.
#عقد الجياد في الصافنات الجياد، محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٣هـ.
#عقد الزواج أركانه وشروط صحته في الفقه الإسلامي، محمد رأفت عثمان، دون ناشر، ط١، ١٣٩٨هـ.
#عقود الجمان من أضواء البيان، عبد الله بن محمد بابا الشنقيطي، دار روضة الصغير للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
#العقل والسلوك في البيئة الإسلامية، عبد الحميد النجار، مطابع جنوب مدنين، تونس، ١٤٠٠هـ.
٢٠٥#العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٠٦هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#عقيدة التوحيد في القرآن، محمد بن أحمد ملكاوي، دار ابن تيمية، ط١، ١٤٠٥هـ.
#عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح بن إبراهيم البليهي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ
#علم الجمال، عبد الفتاح الديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.
#علم الجمال، محمد عز الدين حلمي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٤م.
٢١٠# العلم والعلماء، أبوبكر جابر الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
#عليكم بالشفائين العسل والقرآن، محمد كمال عبد العزيز، مكتبة ابن سيناء،القاهرة.
#العماد في علوم الخيل وفنون الفروسية والجواد العربي، مهند الغبرة، طلاسدار للدراسات والترجمة، دمشق، ط١، ١٩٩٣م،
#عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي، دار السيد للنشر، استانبول، ط١، ١٤٠٧هـ.
#عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٣٩٨هـ.
٢١٥#عيون العلم، قدري حافظ طوقان، دار المعارف للطباعة والنشر،مصر، ١٩٤٩م.

«حرف الغين»

#غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم، خالد بن عبد الرحمن العك، دار الألباب،بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
#غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، مطبوع في هامش تفسير الطبري، الناشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

«حرف الفاء»

#فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجرالعسقلاني،ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر.
#فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دون ناشر.
٢٢٠#الفروق في اللغة، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الدار العربية للكتاب، ط٦، ١٤٠٦هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#فضيلة الشكر لله على نعمه وما يجب له من الشكر للمنعم عليه، الحافظ أبوبكر محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ.
#الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.
#فقه الأشربة وحدها، عبد الوهاب بن عبد السلام الطويلة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.
#فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٣٩٣هـ.
٢٢٥#فقه وتفسير آيات الخمر، عبد الرحمن الدويش، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
#فلسفة الحرية في الإسلام، عبد الله غوايشة، جمعه محمد خلف الله أحمد، مكتبة النهضة المصرية.
#فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه، حسام محي الدين، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
#في أعماق البحار، عبد الحميد سماحة، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.
#الفيتامينات، عز الدين فراج، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٢٣٠#في رحاب الكون، تيسير صبحي، دار التنوير العلمي للنشروالتوزيع، عمان «الأردن»، ط١، ١٩٩٢م.
#في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ودمشق، ط٩، ١٤٠٠هـ.

«حرف القاف»

#قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق عبد العزيز سيد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٥م.
#القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت.
#القانون في الطب، ابن السينا :الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي.، مكتبة المثنى، بغداد دون تاريخ.
٢٣٥#قبسات قرآنية، عبد المؤمن محمد النعمان، دون ناشر، ط١، ١٤٠٣هـ.
#القرآن الكريم وعلوم الغلاف الجوي، محمد عفيفي الشيخ، دار الشروق، القاهرة.
#القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#القرآن وقضايا الإنسان، عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
#القرآن والكون، محمد بن عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ.
٢٤٠#قصة البحر، ماكسويل ريد، ترجمة محمود رمضان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.
#قصة العناصر، إمبابي أحمد، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٥١م.
#القضاء والقدر، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس ومكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤١١هـ.
#قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
#القول في البغال، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٧٥هـ.

«حرف الكاف»

٢٤٥#كتاب التوحيد، عبد المجيد بن عبد العزيز الزنداني، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
#كتاب العظمة، أبي الشيخ عبد الله بن محمد الأصفهاني، تحقيق رضا الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
#كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار، ابن منظورمحمد بن بكر الأنصاري، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
#كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروق التهانوي، طبعة الهند، كلكتة.
#الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث، الاسكندرية، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٥٠#كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة:مصطفى بن عبد الله، المكتبة الإسلامية، والمكتبة الجعفري، طهران، ط٣، ١٣٨٧هـ.
#كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، تحقيق عبد الجواد خلف، دار الوفاق للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#كل شيء عن البحر، فرديناند لين، ترجمة محمود رمضان، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.
#كلمات نافعة، ناجي الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ.
#كلمة الحق في القرآن الكريم موردها ودلالاتها، محمد بن عبد الرحمن الراوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٢٥٥#الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م.
#الكون والإنسان في التصور الإسلامي، حامد صادق قنيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ.
#كيف السبيل إلى الله ، الإسلام دين ودولة، خير الله طلفاح، دون ناشر، ط٢، ١٩٧٥م.

«حرف اللام»

#لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي، مهدية شحادة الزميلي، دار الفرقان للنشر، ط٢، ١٩٨٤م.
#اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، محمد بن عبد العزيز عمرو، مؤسسة الرسالة، ودار الفرقان للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٦٠#اللبن الحليب وصناعة الجبن والزبدة والقشدة والزبادي، عز الدين فراج، مكتبة النهضة المصرية.
#اللبن مستخرجاته ومستحضراته، عمر البارودي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
#لسان العرب،ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري المصري، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.

«حرف الميم»

#الماء والحياة بين العلم والقرآن، عبد العليم خضر، الدار السعودية، الرياض، جده، ط١، ١٤٠٥هـ.
#الماء وماورد في شربه من الآداب، محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري،أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٥م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٦٥#مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم دار القلم بيروت، ودمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
#مبادئ الكونيات، الأمين محمد أحمد كعوة، عالم الكتب، ط٣، ١٩٧٩م.

#مجمع البيان الحديث تفسير مفردات ألفاظ القرآن سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
مجمع الزوائد ومنبع الفوئد، نور الدين أبو الحسن علي الهيثمي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٢هـ
#مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.
٢٧٠#المجموعة الكاملة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مركزصالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١١هـ.
#محاسن الإسلام وشرائع الإسلام،محمد بن عبد الرحمن البخاري، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٧هـ.
#محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
#المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبومحمد عبد الله بن عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد الله الأنصاري والسيد عبد المتعال إبراهيم، طبعة أمير دولة قطر، ط١ ١٤٠٥هـ.
#مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١١هـ، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.
٢٧٥#مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.
#المدخل، ويسمى«مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة» محمد بن محمد بن الحاج الفاسي، المطبعة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٢٩م.
#المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء، دار القلم، دمشق، ط٩، ١٩٦٧م.
#المدخل إلى علم الجمال، الفيلسوف الألماني هيغل، ترجمة، جورج طرابيشي، دارالطليعة لبنان، بيروت.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#المدخل لدراسة العلوم الإسلامية، شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
٢٨٠#المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، مكتبة المعارف، الرياض.
#المسكرات آثارها وعلاجها في الشريعة الإسلامية، أحمد علي طه ريان، دار الإعتصام، القاهرة.
#مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، والمكتب الإسلامي، بيروت.
#المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية، حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار، الزرقاء «الأردن»، ط١، ١٩٨٤م.
#مشكلة الحرية في الإسلام جميل منيمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
٢٨٥#المطر في الشعر الجاهلي، أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.
#معادن الزينة، محمد فتحي عوض الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
#معارج القدس في معرفة النفس، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار الوفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ
#معالم التوحيد، مروان بن إبراهيم القيسي المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
#مع الأنبياء في القرآن عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢.
٢٩٠#معترك الأقران في إعجاز القرآن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد علي البخاري، دار الفكر العربي، القاهرة.
معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين، حسان شمسي باشا، مكتبة السوايدي، جدة، ط٢.
#معجزة القرآن ، نعمة صدقي، دار الإعتصام ، القاهرة.

#معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#معجم القرآن أوقاموس مفردات القرآن وغريبه، عبد الرؤف المصري، دون ناشر، ط٢، ١٣٦٧هـ.
٢٩٥#معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
#المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي رتبه لفيف من المستشرقين، ونشره، أ. ى. ونسنك، مكتبة بريل في مدينة ليدن، ١٩٣٦م.
#المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ.
#معجم مقاييس اللغة أبو الحسن بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
#معجم النباتات الشافية، أحمد طبال، دار الشمال للطباعة، لبنان، ١٩٨٩م.
٣٠٠#معنى الحرية في العالم العربي، أنيس القاسم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٩٥٥م.
#المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٣٩٣هـ.
#مع الله في الأرض، أحمد زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٧م.
#المغني، عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي،دار الكتب لعلمية بيروت، دون تاريخ.
#مفاهيم العلوم الإجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء القرآن، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.
٣٠٥#مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
#مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم، أحمد مصطفى الشهير بطاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
#مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، والدار الشامية.، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
#مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان، دار المعارف، مصر.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، يحي المعلمي، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٣٩٥هـ.
٣١٠#مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام وتحقيقها في المدرسة، صالح بن سليمان العمرو،«رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أم القرى لا زالت مخطوطة».
#الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، صلاح حسين العبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق.
#ملكية الأرض في الشريعة الإسلامية، محمد بن علي السميع، دون ناشر، ط١، ١٤٠٣هـ.
#مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٥٣م.
#المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل، عبد الله بن ناصر بن عبد الرشيد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
٣١٥#المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، محمد رشاد خليل، بدون ناشر، ط١، ١٤٠٢هـ.
#المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، عبد العليم خضر، الدار السعودية للنشر، جدة، ط٣، ١٤٠٧هـ.
#منهج السنة في الزواج، محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ.
#منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين عبد العزيز،دار الدعوة للطبع والنشر، الاسكندرية، ط١، ١٤٠٥هـ.
٣١٩#من الآيات العلمية، عبد الرزاق نوفل، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٦٦م.
#من كنوز القرآن بحوث لغوية منوعة، محمد السيد الداوودي دار المعارف، بيروت.
#موسوعة أخلاق القرآن أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
#الموسوعة في علم النحل، محمد خليل الباشا، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
#الموسوعة الفقهية، الكويت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الناشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٩٧٠م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

#الموطأ، للإمام مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤٠٥هـ.

«حرف النون»

٣٢٥#النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع، محمد حسين الحمصي، دار الرشيد، دمشق، ط٥، ١٣٩٧هـ.

#نخلة التمر ماضيها وحاضرها والجديد في صناعتها وزراعتها وتجارتها، عبد الجبار البكر، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٢هـ.

#نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج بن الجوزي، موسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

#النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية.

#نعم الله في خلق الإنسان كما يصورها القرآن، عزت محمد حسن، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٣٠#النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن الماوردي، وزارة الأوقاف، الكويت، ١٤٠٢هـ.

#نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن من كتابات محمد أحمد الغمراوي،أحمد بن عبد السلام الكرداني، مطبوعات الشعب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

#نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٥١هـ.

#النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير:المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، الجزري، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

«حرف الهاء»

#هداية من تولى غير الرب المولى، عمر موسى الرجراجي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

«حرف الواو»

٣٣٥#الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٣٦#وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون،عبد الوهاب العثمان،الدار السلفية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المجلات العلمية

#مجلة الاستجابة، السودان، العدد السادس، جمادى الأولى، ١٤٠٧هـ.
#مجلة الإسلام، صحيفة إسلامية إسبوعية جامعة، أسسها أمين عبد الرحمن، مصر، العدد التاسع والثلاثون، السنة ٦٣، الجمعة، ذي القعدة، ١٤١٣هـ
#مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء،الرياض، العدد الثالث والعشرون، العام ١٤٠٨هـ.
#مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد الأول، جمادي الثانية، مكة المكرمة،العام ١٣٩٥هـ.
#مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد (٢٥٠) شوال، ١٤٠٥هـ، و (٢٥٢) ذو الحجة ١٤٠٥هـ، و (٢٩٣) جمادي الأولى، العام، ١٤٠٩هـ.
مجلة الهداية، دولة البحرين، العدد السابع والسبعون بعد المائة، ذوالقعدة من العام ١٤١٢هـ. والعدد التاسع والسبعون بعد المائة،السنة الخامسة عشر، العام ١٤١٣هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و- فهرس الموضوعات

المقدمة ١
أسباب اختيار الموضوع ٢
أهمية موضوع البحث ٢
أهداف البحث ٦
الدراسات السابقة للبحث ٦
منهج البحث ٧
خطة البحث ٩
الصعوبات التي واجهت الباحث ١٢
شكر وعرفان ١٣
التمهيد ١٤

الباب الأوّل: النعم وسورة النحل ١٧_٥٢

الفصل الأوّل : بين يدي الموضوع ١٨
#المبحث الأول: تعريف النعم، معانيها، دلالاتها، تصاريفها ومرادفاتها ١٩
أوجه إطلاق النعمة في القرآن ٢٣
#المبحث الثاني: ورودها في الكتاب العزيز ٢٥
الآيات الواردة في سياق الامتنان على بني إسرائيل بالنعم.. ٢٦
الآيات التي في سياق الحكاية ومالا امتنان فيه ٣٠
الآيات الواردة في سياق التأييد والنصر ٣٠
الامتنان على الخلق بالنعم في القرآن ٣٢
الفصل الثاني : بين يدي سورة النحل ٣٧
#المبحث الأول: أسماء السورة ، آياتها وكلماتها ٣٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

#المبحث الثاني : المرحلة الدعوية التي نزلت فيها..... ٤١
#المبحث الثالث : المناسبات في سورة النحل ٤٣
المطلب الأول : المناسبة بين بدايتها وخاتمتها ٤٣
المطلب الثاني : المناسبة بينها وبين سورة الحجر ٤٤
المطلب الثالث : المناسبة بينها وبين سورة الإسرآء..... ٤٦
المطلب الرابع : العلاقة بينها وبين سورة الرحمن في عرض
النعم ٤٨
عرض النعم في سورة الرحمن ٤٩
عرض النعم في سورة النحل..... ٥١

الباب الثاني:أصول النعم

٥٣_ ٢٣٧

الفصل الأوّل : نعمة الهداية والرعاية ٥٤
المبحث الأول : مفهوم الهداية والحاجة إليها..... ٥٥
المبحث الثاني : هداية اللّه للموجودات..... ٥٨
نموذج من عالم الحيوان ٦١
المبحث الثالث : هداية اللّه للبشرية..... ٦٣
أقسام الهداية في كتاب الله..... ٦٣
علاقة الهداية بالنعم..... ٦٥
الفصل الثاني : إطار النعم ٦٨
المبحث الأول : حدود إطار النعم ٦٩
المبحث الثاني : النعم في الآفاق..... ٧٣
أقسام مخلوقات الله فى الآفاق ٧٤
أقسام نعم الله ٧٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بيان نعم الله في جملة من مخلوقاته ٧٦
السـمـاء ٧٧
إطلاقاتها في القرآن ٧٨
الشمس والقمر..... ٨٠
من فوائد الشمس..... ٨١
من نعم القمر على الإنسان..... ٨٣
النجـوم ٨٤
منافع النجوم ٨٦
الليل والنهار..... ٨٧
أهمية الليل للأحياء ٨٩
فوائد الليل والنهار..... ٩٠
الغلاف الجوي..... ٩١
فوائد الضغط الجوي ٩٣
الأرض ٩٥
ما هيأ الله به الأرض للعيش عليها..... ٩٧
من فوائد الأرض..... ٩٨
المبحث الثالث : نعمة خلق الإنسان..... ١٠١
صلة الإنسان بالكون..... ١٠١
آدم والأطوار السبعة في خلقه ١٠٢
المنّة في خلق ذرية آدم ١٠٣
مرافقة عناية الله في كل طور..... ١٠٥
مكونات جسم الإنسان..... ١٠٧
في الخلق دعوة إلى التفكير..... ١٠٩
الفصل الثالث : نعم اللّه في البر ١١٠
المبحث الأول : نعمة الأنعام ومنافعها ١١١
نعمة الإبل..... ١١٤
منتجات الإبل..... ١١٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النعم المستفادة من الإبل..... ١١٨
نعمة الأبقار..... ١١٩
منافع الأبقار..... ١٢٠
نعمة الأغنام..... ١٢١
منافع الأغنام ١٢٢
المبحث الثاني : نعمة الحيوانات ١٢٣
الإشارة إلى المركوبات الحديثة ١٢٥
المبحث الثالث : نعمة الأمطار والمياه..... ١٢٦
الفرق بين الماء والمطر والغيث..... ١٢٩
استخدام القرآن المطر للنعمة والنقمة..... ١٣٠
المطر الصناعي والإلهي..... ١٣٤
فوائد الأمطار والمياه..... ١٣٥
المبحث الرابع : نعمة النباتات ١٣٧
الزرع ونعمه ١٤٣
الزيتون ونعمه..... ١٤٥
الأهمية الاقتصادية..... ١٤٧
النخيل ونعمه..... ١٤٨
مكونات النخيل المفيدة..... ١٤٩
قيمة التمر الغذائية..... ١٤٩
المشابهة بين المؤمن والنخلة..... ١٥١
الأعناب ونعمه..... ١٥٢
فوائد العنب..... ١٥٣
فوائد النبات عموما..... ١٥٤
المبحث الخامس : نعمة المعادن ١٥٥
المعادن المذكورة في القرآن ١٥٩
المبحث السادس : العناصر الأربعة..... ١٦٢
الفصل الرابع : نعم اللّه في البحر..... ١٦٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول : نعمة البحر وأحيائه ١٦٧
ما يتناوله الامتنان بتسخير البحر ١٦٨
نعمة أحياء البحر ١٧١
المبحث الثاني : الحلية وأشواق الناس ١٧٤
أنواع حلي البحر ١٧٤
المبحث الثالث: تسخير الفلك ١٧٧
سنة الله في طفو الأجسام ١٧٩
تطور نعمة الفلك وتنوعها ١٨٠
سورة النحل وتعداد النعم ١٨١
نعمة البحر والشكر ١٨٢
الفصل الخامس : أصناف الأشربة ١٨٤
المبحث الأول : غيث القلوب والأرض ١٨٥
تمثيل الهدى بالغيث ١٨٧
إنزال الكتاب أعظم نعم الله ١٨٩
المبحث الثاني : نعمة اللبن ١٩٣
اللبن في الكتاب والسنة ١٩٣
مكونات اللبن ١٩٥
مشتقات اللبن ١٩٦
المبحث الثالث : نعمة العسل ١٩٩
العسل في الكتاب والسنة ٢٠٠
فوائد النحل ٢٠١
المشابهة بين المؤمن والنحلة ٢٠٦
المبحث الرابع : السكر وذكره مع الرزق الحسن ٢٠٨
أقوال العلماء في المراد بالسكر ٢٠٩
التدرج في تحريم الخمر ٢١٢
الامتنان بأصل ثمرتي النخيل والأعناب ٢١٣
نعمة العقل والإنسان ٢١٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل السادس :نعمة الجمال والذوق ٢١٧
المقصود بالجمال ٢١٨
المبحث الأول : الكون وجماله ٢١٩
الإلف ذهب بجمال الكون ٢٢١
المبحث الثاني : الأنعام وجمالها..... ٢٢٥
المبحث الثالث :الخيل والبغال والحمير وزينتها..... ٢٢٨
الزينة في الخيل..... ٢٢٨
الزينة في البغال..... ٢٣١
المبحث الرابع : التنشئة في الحلية ٢٣٣
التأكيد على جمال الباطن ٢٣٦

الباب الثالث:تمام النعم التي يطيب بها العيش ٢٣٨_ ٣٤٠

الفصل الأول : نعمة الإمداد..... ٢٣٩
المبحث الأول : نعمة الأزواج ٢٤٠
فوائد الرباط الزوجية ٢٤٢
الفرق بين الزوج والمرأة ٢٤٣
تجلي نعمة الله في الأزواج ٢٤٦
المبحث الثاني : نعمة الأولاد والأحفاد..... ٢٤٨
نعمة الأولاد ٢٤٨
نعم وثمار إنجاب الأبناء ٢٥٠
الامتنان بالأحفاد ٢٥٦
المبحث الثالث : نعمة التفاضل في الرزق ٢٦١
المنّة في التفاضل في الرزق ٢٦٣
وقفات مع الفخر وسيد وابن عاشور في التفاضل ٢٦٤
التفاضل في الدنيا والآخرة ٢٦٦
الفصل الثاني : الامتنان بالحرية وأدوات العلم ٢٦٩
المبحث الأول : حدود الحرية..... ٢٧٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طرق تحرير الإنسان جسديا ٢٧٢
ضوابط الحرية ٢٧٤
الضوابط الشرعية ٢٧٤
الضوابط الإجتماعية ٢٧٥
أنواع الحرية ٢٧٦
أقسام الإرادة في القرآن ٢٧٦
ما يتفرع من حرية الإرادة من الحريات ٢٧٨
المبحث الثاني : الغيوب الثلاثة ٢٨٢
انقسام العالم إلى غيب وشهادة ٢٨٥
أقسام الغيب ٢٨٦
منع الإنسان من معرفة الغيب نعمة ٢٨٨
المبحث الثالث : أدوات العلم عند الإنسان ٢٩٣
مصادر العلم في الإسلام ٢٩٤
مصادر العلم لدى الفلسفات الأخرى ٢٩٥
أهمية الحواس في تلقي العلم ٢٩٦
مدركات الحواس ٢٩٩
حاسة السمع ٣٠٠
حاسة البصر..... ٣٠٢
العلاقة بين السمع والبصر ٣٠٤
الحاسة الثالثة اللمس..... ٣٠٥
الحاسة الرابعة الذوق ٣٠٦
الحاسة الخامسة الشم ٣٠٧
نعمة العقل..... ٣٠٧
ميدان العقل عالم الشهادة ٣٠٩
العلاقة بين الحواس والعقل ٣١٠
المبحث الرابع : أدوات العلم والمخترعات ٣١٢
الفصل الثالث :نعمة البيوت والظلال والسرابيل..... ٣١٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول : البيوت وأنواعها..... ٣١٧
ذكرت البيوت في سورة النحل على سبيل الامتنان..... ٣١٩
من حرماتها شرع الاستئذان لها ٣٢٠
المبحث الثاني : الظلال والجبال والأكنان..... ٣٢٢
الفرق بين الظل والفيء ٣٢٣
الامتنان بالظل في الدنيا والآخرة ٣٢٥
الجبال ونعمه ٣٢٧
من فوائد الجبال ٣٢٧
المبحث الثالث : نعمة السرابيل ٣٢٩
نعمة اللباس ٣٣٠
فوائد اللباس ٣٣٣
ارتباط اللباس بالعقيدة والأخلاق ٣٣٥
دفع المضرة مقدم على جلب المنفعة..... ٣٣٧
شخصية الأمة في لباسها..... ٣٣٨
نعمة الدروع ٣٤٠

الباب الرابع:الشاكرون والجاحدون

٣٤١ـ ٣٩٠

الفصل الأول : التعريف بالشكر والجحود..... ٣٤٢
المبحث الأول:الشكر معانيه، وقواعده عند العلماء والرأي المختار. ٣٤٣
الشكر نصفان ٣٤٤
معاني الشكر ٣٤٥
أهمية الشكر ٣٤٦
شكر الله لعباده ٣٤٨
أركان الشكر ٣٥٠
قواعد الشكر ٣٥٠
درجات الشكر ٣٥١
إنعام الله محض إحسان وتفضل ٣٥١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمر بالشكر إنعام آخر ٣٥١
أقسام الناس وأحوالهم في الشكر ٣٥٣
آثار الشكر على المنعم عليهم ٣٥٤
المبحث الثاني : الجحود معانيه عند العلماء والرأي المختار... ٣٥٦
الكفر أربعة أقسام ٣٥٦
معاني الجحود عند العلماء ٣٥٨
دركات الجحود..... ٣٦١
آثار الجحود ٣٦٢
الفصل الثاني : نماذج الجاحدين والشاكرين ٣٦٤
أهمية النموذج كنعمة والمقصود منه ٣٦٥
المبحث الأول : نموذج الجاحدين وعاقبتهم..... ٣٦٨
فائدة المثل ٣٧٣
المبحث الثاني : نموذج الشاكرين وعاقبتهم ٣٧٥
الشكر صفة الأنبياء ٣٧٦
إبراهيم نموذج الهداية والطاعة والشكر ٣٧٦
حب أهل الأديان كلهم لإبراهيم ٣٧٧
إبراهيم إمام الشاكرين ٣٧٨
فضائل إبراهيم نوعان ٣٧٨
الفضائل الوهبية ٣٧٨
الفضائل الكسبية ٣٨٢
إبراهيم صاحب القلب الكبير..... ٣٨٥
الشكر بين الخليلين ٣٨٨

الخاتمة، وتشتمل على:ـ

ملخص البحث..... ٣٩٢
نتائج البحث..... ٣٩٨
التوصيات والمقترحات ٤٠١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهارس

* فهرس للآيات ٤٠٢
* فهرس للأحاديث ٤٣٣
# فهرس للأشعار..... ٤٤٣
* فهرس للأعلام ٤٤٥
* فهرس المصادر والمراجع ٤٥١
* فهرس للموضوعات ٤٧٥